# القرآن والعقل

## تفسير بديع في أسلوبه

للعلامة الحجة الفهامة آية الله
العظمى السيد السند الآغا
نور الدين الحسيني العراقي
طاب ثراه ١٣٤١ ق

الناشر
بنیاد فرهنگ اسلامی
حاج محمد حسین کوشانپور




تفسير بديع في

أسلوبه

للعلامة الحجة الفهامة آية الله

العظمى السيد السند الآغا

نور الدين الحسيني العراقي

طاب ثراه ١٣٤١ ق

الناشر

بنياد فرهنگ اسلامى

حاج محمد حسين كوشانپور

این تفسیر درچاپخانهٔ علمیه قم درتاریخ هشتم جمادی الاولی

مطابق ۲۲ بهمن ۱۳۶۲ در دوهزار بچاپ رسید

# تقدیر حضرت آیة الله العظمی جناب آقای حاج شیخ محمد علی اراکی دام ظله العالی

بسم الله الرحمن الرحیم

در زمینه تفسیر قرآن کریم و استنباط معارف اسلامی از منبع وحی سالهای متمادی است که دانشمندان بزرگ با سبکهای مختلف سیر دامنه متداول داشته، چه بسیار کتابها که نگاشته‌اند. و هر یک با تدبر در کلام خدا به نتیجه‌ای از انوار گوناگون آن رسیده‌اند. در میان آنها تفسیر عالم عارف و مجاهد بزرگوار حضرت آیت الله السید محمد حسین حسینی همدانی [illegible] با سبکی نوین متداول شد. این تفسیر گرچه با مقایسه با تفاسیر متداول بواسطه اختصار برای مبتدیان نافع است ولی حاوی نکات دقیق علمی و اشارات و تنبیهاتیست که برای اهل خبره و فن و کسانیکه به اشاره‌ای بسنده میکنند و در علوم عقلیه و نقلیه احاطه دارند بسیار مفید است.

تألیف چنین تفسیری با در نظر گرفتن شرائط خاص زمانی آنمرحوم که در سفر جهادی برای دفاع از اسلام با اوضاع بسیار نامساعد در مدت ۵ سال نگاشته شد حقاً از کرامات بسیار نادر شمرده میشود. و از ارتباط‌های ادبیات تفسیر در مقام شامخ او در علم و عمل و علو روح و قداست نفس آن یگانه حکایت میکند. جالب است که با عدم دسترسی به کتاب در سفر هنگام تألیف و دائماً با حافظه نیرومند جامع جمیع جهات مطلوبه در تفسیر باشد. و بگفته خودش تنها با تدبر در عبارات متعلقه موجود در قرآن با سیر عمیق در قرآن پرداخته.

اینک جای بسی خوشوقتی است که جلد دوم این اثر بزرگ هم از ناحیه مؤسسه محترم بنیاد فرهنگ اسلامی کوشانپور بطبع رسیده خداوند تعالی مؤسس و بنیانگذار اصلی این مؤسسه و همچنین مرحوم حاج عباس آقا کوشانپور رحمة الله علیهما که در چاپ جلد اول این کتاب سعی وافر مبذول داشته‌اند غریق رحمت فرموده با پاداش خیر عنایت فرماید. و بازماندگان و فرزندان برومند ایشان که در طبع این جلد (جلد اول) سهیم‌اند توفیق ادامه راه آنان را در خدمت نشر معارف اسلامی کرامت فرماید. بتاریخ ۲۴ محرم ۱۴۰۳ قمری والسلام علی عباد الله الصالحین و رحمة الله و برکاته

الاحقر محمد علی الاراکی

بسمه تعالى شأنه

« حديث فى فضل القرآن »

علي بن ابراهيم ، عن ابيه ، عن ابن ابى عمير ، عن ابراهيم بن عبدالحميد عن اسحاق بن غالب قـال : قال ابوعبدالله عليه السلام : اذا جمع الله عزوجل الاولين و الاخرين ، اذا هم بشخص قد أقبل لـم يرقط احسن صورة منه ، فاذا نظر اليه المؤمنون ، وهوالقرآن قالوا : هذا منا هذااحسن شيىء رأينا ، فاذا انتهى اليهم جازهم ، ثم ينظر اليه الشهداء حتى اذا انتهى الى آخرهم جازهم.

فيقولون : هذا القرآن ، فيجوزهم كلهم حتى اذا انتهى الى

المرسلين فيقولون : هذا القرآن ، فيجوزهم حتى ينتهى الى

الملائكة فيقولون : هـذا القران ، فيجوزهم ثم

ينتهى حتى يقف عن يمين العرش ، فيقول

الجبار: وعزتى وجلالى

وارتفـاع

مكانى لاكرمن اليوم من اكرمك

ولا هينن من اهانك (١)

---

(١) اصول الكافى كتاب فضل القرآن حديث ١٤

## «حديث فى فضل حامل القرآن»

على بن ابراهيم ، عن ابيه وعلى بن محمد القاسانى ، جميعاً ، عن القاسم بن محمد ، عن سليمان بن داود، عن سفيان بن عيينة، عن الزهرى،

قال : قلت لعلى بن الحسين عليه السلام : اى الاعمال افضل ؟ قال :

الحالّ المرتحل ، قلت وما الحال المرتحل ؟

قال : فتح القرآن وختمه ، كلما جاء باوله

ارتحل فى آخره ، وقال قال رسول الله

صلى الله عليه وآله : من اعطاه الله

القرآن فرآى ان

رجلا أعطى

افضل

مما أعطى فقد صغّر عظيما وعظم صغيرا (١)

---

(١) اصول الكافى باب فضل حامل القرآن حديث ٧ من كتاب فضل القرآن .

## «حديث في العقل»

احمد بن ادريس ، عن محمد بن عبدالجبار ، عن بعض اصحابنا رفعه الى
ابي عبدالله عليه السلام قال : قلت له : ما العقل ؟ قال : ما عبد به
الرحمان واكتسب به الجنان، قال قلت: فالذي كان
في معاوية ؟ فقال : تلك النكراء تلك
الشيطنة ، وهي شبيهة
بالعقل
وليست بالعقل (١)

---

(١) اصول الكافي كتاب العقل والجهل حديث ٣

انموذج من خط المؤلف قده

بسم الله الرحمن الرحيم

كثيراً في الطلب عند المراجعة من جلد مسؤول للوصول الى ايران من طريق
موصل وتعطيلنا في الطلب لأجل سد الطرق من كثرة المطر والوحل
وبعد مضي الواحد والأربعين يوماً وعدم مطلوبية الحال وكثرة
التشويش مع فقد الاسباب اردت من باب التبرك ان
اعود الى ما كنت مشغولاً في السابق من بيان عدل كيف
عثرنا مع ما في الآيات القرآنية وان كنا لا ندرك من
حكمها مقدار الرشح لكن ندرك ظواهرها بتوفيق الله وعلاوة
مع القواعد العقلية بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اتق الله
ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليماً حكيماً واتبع
ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيراً وتوكل
على الله وكفى بالله وكيلا ثم ذكرنا ان الله بقدرته كل شيء [illegible]
فالبقاء على التقوى يكون التقوى وعلى الدائرة الدائمة وهكذا وكذلك
تقريرهن في غير موضع ان الممكن في البقاء ايضاً محتاج الى العلة
لكون علة الافاضة رهن الامكان لا الحدوث فشرف خطاب
النبي اراده بالدوام والبقاء على تقوى الله سواء كانت التقوى
[illegible] او تكميل الامر الى [illegible] ونهاه عن اطاعة الكافرين
والمنافقين في رفع اليد عن بعض الاحكام لأجل مصالح من استجلاب
قلوبهم للجذب او رفع الفساد [illegible] وان من نظر ذلك
لا يكون الا حيلة وخدعة والله تعالى اعلم بحقائق الامور



آیة الله فقید مرحوم آقا نورالدین طاب الله رمسه

متوفی روز جمعه هفتم شهر رجب المرجب ۱۳۴۱

بسم الله الرحمن الرحيم

## كلمة وجيزة للمحشين

الحمد لله الذى انزل القرآن الكريم على عباده ليكون للعالمين نذيراً وحفظه من كل شيطان رجيم وجعله هادياً مبيناً .

والصلوات المتواترات على أشرف انبيائه وافضل اصفيائه الذى جعله سراجاً منيراً والذى وصفه الله وعرّفه بانه ما كان محمد اباا حد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين .

وعلى آله الذين جعلهم الله حفظة لعلمه وعيبة سرّه وجعلهم فى بيوت أذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه ، فان الله كان لطيفاً خبيراً .

وبعد الحمد والصلاة ، فقد من الله تعالى علينا أن وفّقنا لاتمام هذا السفر الثمين الذى لم يسبق بمثله بالاشراف على طبعه وتوضيح بعض معضلاته وتبيين بعض مجملاته وانه لحرّى أن يدقق النظر ويتأمل فى أنه كيف كان هذا المفسر الشريف قده موفقاً لدرك هذه الدقائق التى استعملها فى هذا السفر الشريف مع كونه زائداً على ثلاث سنين فى الحرب مع الغربيين من الكفار الذين دأبهم ايقاد نار الحرب بين عباد الله فى بلاده وابى الله الان يخمد نارهم الملتهبة .

وقد اشرنا فى المجلد الاول والثانى الى جملة من عبارات المؤلف قده فى

هذا التفسير الى ماصرح به من ابتلائه بالمحاربة مع الكفار حـال التأليف ووعدنا أن نذكر بعض عباراته الاخر والان حان وقت الموعد فنقول :

انه قده قد صرح في غير موضع من كلماته في هذا المجلد ايضا انه كان فاقداً للاسباب حين التأليف لابتلائه .

قال قدس سره في اول سورة الرعد ص ٥ من هذا المجلد ـ في تفسير قوله تعالى : المرا بعد ذكر احتمالات في الحروف المقطعة) ـ : ما هذا لفظه والمتبع ما صدر من أهل الذكر من وصيه ﷺ ، على عليه السلام وبنته ص والائمة مـن ولده صلوات الله عليهم اجمعين ، والان أنا فاقد لما صدر عنهم مطلقا ، واسئل الله التوفيق بوصولى الى الايران الذى هو فى الحقيقة مملكة آل الرسول ﷺ بلحاظ عمدة بلاده لاغيره مـن سائر بلاد المسلمين ، فان ذكرهم في غاية الندرة للنادر من الاشخاص .

رب خلصني مـن تلك البلاد
وألحقني ببلاد آبائي الصالحين

وقال قده في ص١١٤ في تفسير قوله تعالى : «ولقد آتيناك سبعاً من المثاني» بعد ذكر احتمالات : ما هذا لفظه .

وعلى اى حال فأخبار اهل البيت عليهم السلام على طبق الثاني تكون موجودة على نحو الكثرة وان لم تكن الكتب عندى حين الكتابة لغربتي وفقدى الاسباب .

وقال قده في ص ١١٧ في تفسير قوله تعالى : « واعبد ربك يأتيك اليقين»: ما هذا لفظه .

والا قوى في نظرى ـ مع قطع النظر عن الاخبار الواردة ، اذليست عندى كتب الاخبار ولاشيء من الاسباب كما ذكرت مكرراً ـ أن اليقين باق على حاله الخ .

وقال قده في ص١٢٥ في تفسير قوله تعالى «سبحان الذى اسرى بعبده ، وفي بيان أنّ المعراج جسماني : ما هذا لفظه .

ولوخلصني الله من سجن الابتلاء ببلادالغربة واوصلني الى وطني المحبوب، وهوالايران الذى فيه تكون آثارأهل البيت عليهم السلام باقية وتوجه النفوس الى آل محمد صلوات الله عليه وعليهم الذين هم خزنه علمه وعيبة سره ، واطال عمرى ، ووفقني، لأكتب المستفاد من تلك السورة ان شاء الله

وقال قده في ص١٢٨ في تفسير الآية المذكورة ايضاً :

وحيث أني فاقد حين الكتابة في بلد الغربة لكتب الاخبار خصوصاً المعتمدة عندنا من اخبار اهل البيت عليهم السلام لاداعي للغور في هذا المطلب .

وقال قده في ص ١٨٥ في آخر سورة الاسراء : ما هذا لفظه .

وقد فرغت يوم الجمعة المطابق للسابع والعشرين أو الثامن والعشرين من ذي حجة الحرام من عام ١٣٣٦ في قاضي كوى من اسلامبول مع استماع الاخبار الموحشة وتشتت البال وتأثير الغربة ، غاية الامر (الاثر ـ خ) ونحمد الله على كل حال .

وقال قده في ص ١٩٥ في تأويل أصحاب الكهف باولى العزم من الانبياء نقلا، عن بعض أهل التحقيق وأن هذا التأويل من الامور الممكنة التى لانعلم مأخذها : ما هذا لفظه .

فان العلم بالمأخذ يحصل لنا اذا وصل الينا من أهل البيت عليهم السلام شيء من ذلك في هذا الباب من الاخبار ، والان أكون فاقداً لتمام الاسباب خصوصاً اخبار أهل البيت وآثارهم عليهم السلام والله الهادى .

وقال قده في ص٢١٥ في قصة موسى مع الخضر عليهما السلام بعد ذكر احتمالات: ماهذا لفظه .

( وفي بعضها ) ، روى عن الامام بالحق الناطق جعفر بن محمد الصادق صلوات الله عليه وآبائه ـ وقد رأيت ذلك الخبر قبل سفرى وخروجي من وطني خائفاً يترقب ، الفاقد لتمام الاسباب والاحباء الا القليل ممن معي في مدة ثلاث

سنين في المحاربة العمومية الميشومة الا أن مضمون الخبر لايكون ببالي .

وقال قده في ص ٣٣٦ في آخر تفسير قوله تعالى ، حكاية عن يونس عليه السلام فنادى في الظلمات أن لا اله الا انت : ماهذا لفظه .

الهي لايصل مقام يدنسا اليه لدنائتنا ، ولكن نعترف بالتوحيد في التنزيه ، والذنوب الكثيرة فخلصنا من الغم الذى نحن فيه من الطرد من الوطن مدة ثلاث سنين وعدم الاطلاع من الاهل والعيال ، فاقول : هذه الكلمات ايضاً واكتب بالقلم :

لااله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين .

وقال قده في ص ٤٠٣ في تفسير قوله تعالى : اللهنور السموات والارض

ماهذا لفظه وحيث أني فاقدلتمام الاسباب وفاقد لكتب الاخبار

والتفاسير وكلمات اهل الله وأهل التحقيق فنقتصر

على الاشارة الا جمالية.

الى غير ذلك من العبارات ، فشكر الله سعيه وحشره مع اجداده الطاهرين

وجزاه الله عن الاسلام خيرالجزاء .

## بسمه تعالى شانه

## تشكر وتقدير

ولنقدم الدعاء مقرونا بالتشكر والتقدير للمؤسسة المسماة ب (بنياد فرهنگ اسلامى حاج محمد حسين كوشانپور) التى اسسها (الحاج عباس آقا كوشانپور) بعد وفات والده المرحوم المغفور (الحاج محمد حسين كوشانپور) فى سنة (١٣٥٢) الشمسية من الهجرة النبوية على هاجرها آلاف الثناء والتحية ـ فى زمن كنود عنود الذى يشيب فيه كل شاب .

ومن الاسف ان المؤسس بعد خدماته الجلية ارتحل الى رحمة ربه الغفور فى سنة ( ١٣٥٩ ) منها ثم قام بعده احفاد المؤسس المرحوم بادامة الخدمات فى المؤسسة وفقهم الله تعالى لمراضيه.

ونرجو من الله تعالى توفيقهم لادامة هذه الخدمة الى ظهور سيدنا ومولانا بقية‌الله صاحب العصر والزمان المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف .

اللهم اغفر لمؤسسها وبانيها ووفق احفاده ومن اعانهم ويعينهم لادامة هـذه
الخدمة الاسلامية واغفر لهم ولوالديهم وايانا ووالدينا بحق محمد
وآله الطاهرين والحمد لله اولا وآخـراً وظاهراً
وباطناً بتاريخ هشتم جمادى الاولى ١٤٠٤
مطابق ٢٢ / بهمن ما ١٣٦٢
آخر يوم‌الله دهۀ فجر نور

الحاج السيد حسين الموسوى الكرمانى ـ الحاج الشيخ على‌پناه الاشتهاردى

ان هذا القرآن

یهدی للتی هی اقوم

این کتاب دردوهزار نسخه درچاپخانه علمیه قم بطبع رسید

**ربیع الاول ۱۴۰۳ هـ ـ ق**

# سورة الرعد (١٣)

مكية

سبع و اربعون آية (٤٧)

شرع فيها يوم الاثنين

خامس ذى قعدة الحرام

من عام ١٣٦٦

فى قاضى كوى اسلامبول

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿المر(١) تلك آيات الكتاب والذى انزل اليك من ربك الحق ولكن﴾
﴿اكثرالناس لايؤمنون (٢) الله الذى رفع السموات بغيرعمد ترونها ثم استوى﴾
﴿على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى يدبر الامريفصل﴾
﴿الايات لعلكم بلقاء ربكم توقنون (٣)﴾ .

قد مضى الكلام فى الحروف المقطّعة، وانها من المرموزات، ويحتمل فيها احتمالا كثيرا (من) كونها بيانا لآجال انقراض الملك من طائفة وثبوته لطائفةاخرى حقاً (او) باطلا(او) اشارة الى ذلك، ولكن بحساب الجمل صغيراً او كبيرا، ملفوظا لوحظت الحروف (او) مكتوبا .

و(من) كونها اشارة الى العوالم ككون (الف) اشارة الى الاضافة الاشراقية وهوالوجود المنبسط ، الذى بمنزلة نفس الرحمن و(اللام) اشارة الى العقول ، وهوعالم الجبروت و(الميم) اشارة الى الملكوت وهو المتوسط و(الراء) اشارة الى العالم الظاهر اى عالم الشهادة وهو المسمى بالملك ايضا (ومن) كونها اشارة الى السلوك ، نزولا و صعودا الى تلك العوالم و من كون ( الالف ) الى كلمة (الله) و(اللام) الى جبرئيل و (الميم) الى محمد ﷺ و(الراء) الى كونه رباً من قبل الله بالفناء للناس ولذا يكون اولى بهم من انفسهم اوخصوص المؤمنين والمراد بالرب هوالمربى والمفيض .

وعلى اى حال ، فهذه امور بين الحبيب والمحبوب ، والمتبع ما صدر من اهل الذكرمن وصيه علي وبنته والائمة من ولدهما صلوات الله عليهم اجمعين .

والان انا فاقد لماصدرعنهم مطلقاً واسئل الله التوفيق بوصولي الى الايران الذى هوفي الحقيقة مملكةآل الرسول ﷺ بلحاظ عمدة بلاده ، لاغيره من ساير بلاد المسلمين ، فان ذكرهم فى غاية الندرة ، للنادرمن الاشخاص ، رب خلصني من تلك البلاد ، والحقني ببلادآبائي الصالحين .

(تلك) اى الامورالبعيدة من عالم الشهادة(آيات) من الكتاب ، والاية هى العلامة، وحذف المتعلق يفيد العموم اىآيةكل شيء فانكل الموجودات حاضرة بالوجود العلمي على قول المشائين ، وبالوجود العينى الاجمالى عند الذات الاحدية ، فآية الذات بلحاظ المجالىآيةكل الاشياء .

وهذه الايات من (الكتاب) وقد ذكرنا سابقا الفرق بين الكتاب والكلام ، وان الشيء (اذا) لوحظ بالاستقلال ، وكان ثابتاً وكاشفاً عن الغيب ، يكون كتاباً لله تعالى ، (واذا) لو حظ تبعاً لااستقلالا فيكون كلاماً ومعرباً عن الغيب ، فهذه الايات من القسم الاول ، وماحصل له النزول اليك (من) قبل (ربك) يكون حقاً لانه تلك الايات فى مرتبة نزولها، فهوايضاً علامة ما فى الغيب وواجد لتمامالاشياء فحق ومطابق للواقع ، بل العلامة دلالتها ذاتية على ماتكون علامة ، ولاتكونجعلية حتى تحتاج الى الجعل ، فدلالتها اتم .

وحيث أن البرهان العقلى قائم عليها فحقيتها مما لااشكال فيه (ولكن اكثر الناس لايؤمنون) اما لايعتقدون لاعراضهم عن البرهان العقلى (واما) لايأخذون بذيل اعتقادهم اتباعا للشهوات ، وهذا النازل ايضاً ثابت ، لان أصله يكون ثابتاً فى القضاء ، وفوقه وهولايقبل التغيير ، فكذلك ماهوشأنه لاستحالة تخلف العلة عن المعلول اوالاعلى من العلة .

(الله) اى هوالله ( الذى رفع السموات ) وابقاها من الفوق من غير مايعتمد

عليها من الاسطوانة التى ترونها (اما) السموات بمعنى العاليات حتى تشمل فوق الملك من الملكوت ، والجبروت ، فرفعهاالمعنوى، وبحسب المرتبة ، انما يكون مع المعتمد والاسطوانة، وهى علل ذواتها، فهى معاليل قائمات بعلتها ، الأأنالعلل ليست امورا حسية ترونها .

(واما)السموات بمعنى الافلاك المقابلة للارض المحسوس فرفعهاالصورى على الارض لكونها محيطة والمحيط مرفوع بالنسبة الى المركز .

(او) ان المراد بالسموات الى السابعة ، وهى اقرب الى المحيط وهوالثامن اوالتاسع المعبرعنهما بالعرش والكرسى ، والفوق هو الاقرب الى المحيط وهذا الرفع والاقربية الى المحيط .

(او)كونه محيطاً يكون بسبب حدوثا وبقاءأوذلك السبب هوالعمدوالاسطوانة المانعة من السقوط ، من الوجود او السقوط من حيث الاحاطية او الاقرب الى المحيطية ، وهوجهة تخصص فى كل شىء من الاستعداد الخاص ، وهوغيرمرئى بحسب الرؤية بالعين الجسمانى .

(ثم استوى على العرش) اى بعد رفع السموات، والمراد به الاستيلاءوتأخر الاستيلاء لان وجـود العرش واسطة بين صاحب العـرش والخلائق ، وسايـر الموجودات ، والاستيلاء عليه ، بان يكون كل آن آخذاً معطياً فان الاستيلاء ، هو التصرف فى الشىء بعنوان ماأعد له ، ويكون لايقاً به .

وقبل رفع السموات وايجاد الاشياء، لايحصل التصرف فى العرش بالعنوان اللائق به من الاخذ والاعطاء لفقدمن يعطى اليه، وبعدوجوده يحصل، فلااشكال ابداً

ولو كان المراد الاستيلاء الايجـادى ، فقد ذكرنـا ان خلق المحيط ، من حيث الجسم بعد المحاط حتى لايلزم الخلأ اوالتداخل ، واستكشفنامن بعض الايات ايضاً ذلك المطلب .

والبراهين العقلية على وجود السموات قد ذكروها فى مواضع متعددة ،

وذكرت ايضاً في بعض السور ، وعدم درك الحس ولوبالالات لايدل على عدمها لان شدة الصفاء واللطافة سببان للاختفاء .

ولوفرض صحة أقوال بعض الغربيين بأن بعض الكواكب تنزل من المقدار الذى فوق الزحل، ويمرحتى يتجاوزمن القمرمن ذوات الاذناب فلادليل على عدم السموات ، لعدم مانع من الخرق والالتيام فيها خصوصا اذاكانا بالقسرو تسخير الشمس والقمرلحركتهما بمعنى الخروج من القوة الى الفعل كماذكرنا فى سورة القبل ايضا مضافـا الى ماسبق ، فلابد من انتهائهما الى الله ، والمخلوق مسخـر لخالقه كل يجرى بجريانهما اوبافلاكهما، فى مشارقهما ومغاربهما فى الشهر والسنة

واللام (اما) بمعنى (الى) اى يمتد هذا الجريان الى امدمعين ، فى كتاب الله وهويوم القيمة (واما) يكون غاية ، اى لعلة تحقق الاجال المعينة لكل شىء زمانى فاختلاف الفصول له الدخل ، فى آجال الاشياء من الحبوب والثمار ، والاعمار للانسان وسايرالحيوانات، وكذلك اختلاف القمرلبعض المياه ، من حيث جزرها ومدها وكذا لباقى الاشياء، ومن الجميع، الاجال المعينة للديون والحج والصوم والزكوة والخمس .

(يدبرالامر) يجعل الاسباب والشرائط ورفع الموانع ، اذا أراد الايجـاد والمخالف فى واحد اذا أراد الخلاف، (يفصل الايات) ، ويبين لكم ليحصل لكم اليقين بالقيامة، والعالم الاعلى الذى تشاهدون فيه ربكم لرفع الغشائات ، وصيرورة البصرحديداً ، فالفانى فى الله يراه فى الدنيا، ومن له بذراللقاء ، وله بعض الموانع يفنى فيه فى الاخرة فيشاهده .

وقد ظهرمن تمام ماذكرنا مطابقة ماذكرمن الايات للعقل ، وعدم مخالفتها له والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿وهوالذى مدالارض وجعل فيهارواسى وانهاراً ومن كل﴾ ﴿الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك لآيات لقوم﴾

﴿يتفكرون (٤) وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل﴾
﴿صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان﴾
﴿في ذلك لايات لقوم يعقلون (٥)﴾ .

المد الزيادة المتصلة والطول ، ومد الله في عمره، ومده في غيّه اى امهله وطوّل له ، ورجل مديدالقامة اى طويل القامة ، ويمكن ارجاعه الى الاول لكون الطول ايضا زيادة متصلة .

ولعل البسط ايضا يرجع الى ذلك ، فان البسط ايضاً يرى في النظر انه زاد بسبب الازدياد في بعض مقاديره ، من الطول والعرض ، وان حصل بحسب الدقة النقص في البعض وهوالعمق .

وعلى اى حال فلو كانت صورة الارضية طارية على مادة من المواد ، من ماء اوبخاراوناربالتدريج ، فهذا الطريان امتداد حقيقي ، وزيادة في مقدار الارض حقيقة من تمام احجامه ، اذ المراد بالطول هوالمقدار لامقابل العرض والعمق من باب ملاحظة تمام موارد الاستعمال ، فان التمطي يطلق عليه التمدد ، والحال انه بحسب النظرازدياد في العرض لاالطول .

ولما أن الارض (اما) مخلوقة من الماء بصيرورة اللطيف منه هواءاً وسماءاً والثقيل والكثيف منه ارضاً اومن النار كما يحكى ، عن بعض الغربيين ايضاً وان كان المنسوب اليهم من كون ذلك النارجذوة من الشمس ممالابرهان عليه ، كساير مايدعون من العلوم الا في علم الصنائع .

وعلى اى حال فاذا افيضت من الله على المـاء (او) النار (او) اىّ مادة من المواد صورة الارضية على التدريج ، وفي يومين ، فقد مدّ الارض حقيقة وصح ايضا بحسب العقل حينئذ ماورد في بعض اخبارأهل البيت عليهم السلام من كون الخامس والعشرين من هذا الشهر ، وهو ذوالقعدة يوم دحوالارض من تحت الكعبة ، فان الشروع في التبديل الموجب للمد من تحت الكعبة في الزمان المعين لامانع منه عقلا .

(وجعل في الارض رواسى) اى الجبال لمصالح عظيمة منها جريان المياه منها على السهولة ، وتشكيل الانهار بسبب جريان هذه المياه بالشدة على مقتضى الطبيعة ولو لم يحفر الانهار احد ، ثم جريان المياه فى تلك الانهار دائماً اوفى مدة معينة ، والانتفاع الكثير من هذه المياه وتعمير شطوط الانهار ، لاجتماع الناس حول الماء وغير ذلك من المنافع العظيمة .

(وانهاراً) قد ظهر كون الله جاعلالها بسبب الجبال وفي صورة كون الانهار محفورة ، فلكون مواد تمام الالات منه ، والعلم والقدرة على الحفر منه ، فالنسبة اليه تعالى نسبة حقيقية تكون صحيحة نعم تنسب حينئذ الى المخلوق ايضاً ، ولكن بنظر اهل التحقيق يكون بالعرض والمجاز.

(ومن كل الثمرات جعل) فى الارض (زوجين اثنين) قد ذكرنا سابقاً ان على الاثنين يطلق الزوجان ، لان كلا من الطرفين زوج للاخر فكل زوج فهما زوجان اثنـان .

ثم ان كون كل واحد من الثمار او كل نوع منها زوجين (اما) بلحاظ اشتمال كل منها للفعلية من جهة والاستعداد من جهة اخرى والقوة لان يصير شيئاً آخر ، فالثمرة الموجودة جهة فعليتها هى الجهة الفعلية الواجدة لها ، وجهة قوتها ، هى استعدادها لحصول الشجر المثمر ، اوغير الشجر من الخضروات وغيرها .

وفى جعل ذلك الاستعداد ابقاء للنوع وحفظ للنظام ، فانهم اذا علموا أن هذا الشيء يحصل منه الشيء الاخر ، يزرعون فى محلهم ، ويخفون فى التراب حتى تحصل الاشجار الصغار ، ثم يغرسونها فى مكان ارادوا الغرس فيها .

(واما) بلحاظ كون كل ممكن زوج تركيبى من اجل الوجود والامكان الذاتى وهو اللااقتضاء ، وهو بعيد ان يكون مراداً .

( واما ) بلحاظ انّ فى كل نوع يكون الذكر والانثى موجودين من قبيل النخل الا أن فى النخل التفتوا وفى غيره لم يلتفتوا ، بل وجدنا وشاهدنا ان الاشجار

اذا اخذت من شجر آخر جزء ، وجعل فيه على العمليات المرسومة تصير الثمرة حية ، والا لم تصر، وهذا المطلب بعينه كالتأبير في النخل ، ولعل هذه الشجرة مع تلك الشجرة التي تصلح بها تكون واحدة بالنوع ولو كان بحسب الانظار خلافها الا انها من قبيل الصنفية .

(واما) بلحاظ ماينقل من بعض الغربيين أنهم يدعون المشاهدة بالالات ، ان التناكح والتناسل في الاجزاء الصغار فيها والذكر والانثى فيها تكون موجودة وهذا الكلام محض نقل عندي ولااعتمد الا بعد رؤيتي .

(يغشى الليل النهار) قد ذكرنا سابقاً ان منشأ انتزاع الليل خروج الشمس عن محاذى الافق ، والنهار وصول الشمس الى محاذى الافق وحينئذ فاذا تحقق الليل وخرج الشمس عن المحاذي لافق يصير ذلك الخروج سبباً لستر النور الموجود في الطرف الاخر الذى يكون النهار فيه موجودا بوجود الارض ، وحيلولته وعلة ذلك هو الليل ، فهو يغشى النهار ويستره .

ان (في) جميع ماذكر (لآيات) لاهل الفكر اذ العلم والقدرة ، والاتقان ، واللطف والفياضية يعلم بالتفكر في تلك الامور.

(وفي الارض قطع متجاورات) ، من حيث الصلابة والرخوة، و(من) حيث وجدان الماء اوالبخار وعدمه (ومن) حيث القوة المنمية فيها ، اما مطلقا ، اولبعض الاشياء او ضعفها (ومن) حيث الملوحة والسبخية وغيرها ( ومن ) حيث المعادن للاحجار التي لها القيمة وعدمها والفلزات كذلك ايضاً والجنات الطبيعية والزرع والنخيل (صنوان) اى الاغصان التي اصلها غصن واحد وغير ماهو كذلك اوغير الطبيعية كما ذكر المسقيات بالماء الواحد ، وحصول الفضل بين الثمرات في الاكل وفي جميع ماذكر (لايات) ايضا لاهل التعقل .

فان اختلاف القطع مع بساطة الارض لابد ان يجيء من قبل الفاعل، فالفاعل لابد ان يكون واجداً للكل على نحو أعلى ، لاستحالة كون الفاقد معطياً ، وكذلك

الاختلاف فى الثمرات مع وحدة الارض والماء .

وكذلك العلم والحكمة يستفاد منها ، اذ لوكانت الاحجار القيمية فى تمام الموارد تخرج عن القيمة بالمرة .

وكذلك المعادن فيصير تمام الناس سواءا فى الثروة ، وبالتساوى يختلف النظام ، ويفسد اذ لم يختر الشغل الخسيس اوالعسيرواحد الا مع الاحتياج ، فينجر الى الخلف والفساد ، وهكذا يستكشف حب الله لبقاء النظام محبة للناس وغيرذلك مماسبق منا فى السابق .

وقد ظهرمن تمام ماذكرنا عدم مخالفة الايتين للعقل ، والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿وان تعجب فعجب قولهم ءاذا كنا ترابا أئنـا لفى خلق ﴾ ﴿جديد (٦) اولئك الذين كفروا بربهم واولئك الاغلال فى اعنـاقهم واولئك﴾ ﴿اصحاب النارهم فيها خالدون(٧) ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقدخلت من﴾ ﴿قبلهم المثلات وان ربك لذومغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب(٨)﴾ ﴿ويقول الذين كفروا لولاانزل عليه آية من ربه انما انت منذرولكل قوم هاد(٩)﴾ .

التعجب هودرك الامرالغريب ، (فاذا شهد) واحد من العقلاء ان عاقلا من العقلاء يفعل اويتكلم على خلاف مقتضى العقل ، بحيث يرى ذلك الصادر، كأنه خارج من وطنه ومقامه فان صدورذلك مناسب من فاقد الشعور لاواجده (يتعجب) من ذلك ، واذا صدرهذا بعينه من فاقد الشعورلايتعجب .

مثلا اذا رأيت صدور معصية من المعاصى الكبيرة من عابد ورع تتعجب ولاتتعجب صدوره من اهل الشهوات اذالنفس فى الاول موطن الطاعات ، ومنشأ الفسق فيها غريب بخلاف الثانى .

والله تعالى يقول وان تعجب وتدرك الامرالغريب من الكفار فى تكذيبك ، فالعجب من اعظم منه فى الغرابة وهو(حينئذ) حقيق بان يتعجب منه ، فتكذيبهم لكونك واسطة ونبيا وان كان غريبا عند العقل، لماشاهدوا منك من الايات الكثيرة

(من) اخبارك بالغيب (واطعام) الكثيرواشباعهم من القليل (وانبائك) بمايبقى الى يوم القيامة على صفة الاعجازوهوتمام القرآن ، وبمايعجزون فى زمانك لتصرفك فيهم من الاتيان بالسورة (وبانشقاق) القمر(وبظل السحاب) عليك كلما تحركت فى السفر ، و (بتسبيح الحصى) و (شهادة الضب) و(شهادة الذئب) وغيرذلك من معجزاتك حتى (قالوا لن نؤمن لك حتى نؤتى مثل ماأوتى رسل الله) (١) .

فأرادوا منك اقدارهم على اتيانهم بالمعجزات بضميمة لزوم الواسطة عقلا بين الله وخلقه ، وانه لايمكن الاأن يكون بشرا كماسبق، الا (٢) أنه صدرمنهم ماهو الاغرب من ذلك وهوانكارهم للمبدء والمعاد .

فان الواسطة لاجل الارشادا لى المبدء بالصفات والتحرزعن سوء العاقبة فى المعاد ، ومن انكر،هما فنفسه نفس شيطانى ، وتكذيب الرسل لايكون صدوره من الشيطان غريبا،بل موطن نفسه،موطن تلك الا مور، فكانه تعالى قال ،وان تعجب فلاتعجب من ذلك بل تعجب من الاعظم .

وعلى اى حال فلوكانت الهمزة ثابتة فى المقامين فالمعنى انهم يقولون أاذا كناترا بانرجع ؟ والقرينة على الحذف، الجملة الثانية، وهي أانالفى خلق جديد) والاستفهـام منهم فى المقامين يكون انكاريا و مرادهـم انا لانرجع ولم يحصل لنا الخلق الجديد .

وبرهانهم عدم وجود قدرة بهذه المثابة وعدم وجود علم كذلك ، وكون الصادرمنهم غريبا عندالعقل يكون واضحا فان العلم والقدرة اذاشاهد هما العقل فى الخارج فى مورد يقول ان كانا واجبين، فهووالالابد من الانتهاءالى الواجب حذرا من تحقق الشيء من غير محقق ، وكون الفاقد معطيا ، وقد عرفت غير مرة ان الواجب لاحدله. والايتركب من القوة والفعل، والمركب مفتقر، فلايكون واجبا .

---

(١) الانعام ـ ١٢٤

(٢) قوله (الا) استدراك من قوله : وان كان غريبا عند العقل .

فاذالم‌يكن محدودا فلاحد للعلم الواجب والقدرة الواجبة ، فعلم الواجب غيرمحدود ، وكذلك قدرته ، فالمنكر لشمول القدرة والعلم خارج عـن موطن العقل .

هذامع ان الابتداء بحسب بعض الانظار اشكل ، فالتسليم‌في كونه خالقا اولاً والا نكارمن الاعادة في غيرمحله .واماالبراهين التي ذكروها غيرهؤلاء اي صورة البراهين ، فقد اجبنا عن‌جميعها قبل ذلك وفي رسائل اخرى كتبناها .

(اولئك‌الذين كفروابربهم) لعدم عرفانهم صفاته(واولئك‌الاغلال في‌اعناقهم) اي‌في‌العالم الاخرلتجسم الافعال بصورة مناسبة لهااوجزائها بما يناسبها فان‌الداعي للانكار، هوكبرهم وارادتهم امتداد اعناقهم فخراً ، وعدم‌كونهم في طاعة أحد .

وحيث ان ذلك سبب لتطاطؤعا قلتهم والدارا لاخرة على صورة العاقلة ، من انحناء اعناقهم . وتقييدهم بالذل بالاغلال التي حصلت منهم وهو الكبر ، وان كانت من باب الجزاء ، فكذلك ايضا، لان جزاء المتكبران يجعل ذليلا (واولئك اصحاب النار) وهونارالعقائد الفاسدة (هم فيها خالدون (لصيرورة العقائد الفاسدة ملكة . وبحكم ، الذات والذاتي لايتخلف .

(ويستعجلونك) اي الكفار(بالسيئة ) اي نزول العذاب ( قبل الحسنة ) اي شمول الرحمـة (وقد خلت من قبلهم المثلات ) اي وقعت المماثلات ، وحكـم الامثال ايضاً في الامكان واحد (وان‌ربك لذومغفرة للناس على ظلمهم) اي‌التأخير ليس لعدم الامكان، فان الامثال قدوقعت والوقوع اخص من الامكان ، بل‌لغفارية ربك حتى في صورة ظلم الناس على انفسهـم ( وان ربك لشديد العقـاب ) اي لاتتوهموا انه لغفاريته لايعذبنا ابداً فنستريح ولاداعي‌لنا للاطاعة، فانه شديدالعقاب ايضاً فله تجليات ، واسمائه ، وصفاته‌كثيرة (ويقول الذين كفروالولاانزل عليه آية من ربه) اي لم لم‌يأت بآية وهلا انزل عليه آية ؟

وصدورهذا الكلام مع سبق الايات الكثيرة ولامحالة من القرآن مع كون الاية مفردة وباتيان‌الواحد يصدق (اما) من باب أنهم يناقشون في‌الايات،ويحملون

كل واحد على السحر كمادلت عليه (وان يروآية يعرضوا ويقولوا سحرمستمر)(١) وقولهم : (لن نؤمن لرقيك) (٢) وقولهم : (لن نؤمن حتى نؤتى مثل ماأوتي رسل الله) (٣) .

فهذه الايات شاهدة على أن الاية المنفية هي ما لايكون سحرا عندهم ، وهو جعلهم انبياء بحيث يقدرون على الاتيان بالمعجزات (او) بانزال كتاب جسماني بعد صعوده الى السماء ، (وحيث) ان تلك التكلمات من باب التشهي والتلاعب لا من باب اتمام الحجة عليهم ومثل ذلك لاانتهاء له ، اذ لكل من التشهي غير ما للاخر (فلابد) ان لايؤتى لهم ما ارادوه .

(واما) (٤) لان مرادهم من الاية الاية المقيّدة بكونها على طبق ميلهم وارادتهم، وقد سبق ان الاية لابد أن تكون ، لاتمام الحجة لالايصال كل ذى شهوة الى شهوته (وبعبارة اخرى) ان النبي يكون مبعوثاً لتكميل العقول، وتصفية النفوس لدار الاخرة وهى الحيوان والتوجه الى الله (او كسر) الشهوات لمضادتها مع العاقلة ، فلابد ان يكون فعله مايكون للعاقلة وعلى طبقها ، ومتماً للحجة لها ، والاتيان على طبق الشهوات نقض للغرض ، وفي كل مورد اتى فهو للاحتياج اولتوقف اتمام الحجة عند العقل عليه لا للشهوة .

(انما انت منذر ولكل قوم هاد) والمراد (اما) انك هاد ايضاً كما انك منذر (او) انه يكون لكل قوم هاديا لقيام السموات والارض بالحجة ولعدم انقطاع الفيض، فالمنصوبون من قبلك يبقون الى يوم القيامة .

ولعل ما في بعض الاخبار ان المراد ، وعلى عليه السلام لكل قوم هاد (٥) هو ذلك

---

(١) القمر-٢ (٢) الاسراء - ٩٢

(٣) الانعام - ١٢٤ .

(٤) عطف على قوله قده : اما من باب انهم الخ .

(٥) راجع تفسير البرهان ج ٢ ص٢٨٠ في تفسير هذه الاية فانه رحمه الله اورد اخبارا كثيرة في هذا المعنى ، وفي بعضها : كل امام هاد للقرن الذى هو فيهم ، وفي بعضها: كل امام هاد لكل قوم في زمانهم .

فانهرأس الولاية اي يكون اللازم على الله في كل آن اتمام الحجة بالانذار في العمليات والعقائد وكذلك الهداية ومقدماتهما الاعلام واتمام مايكون عند العقل حجة، لااتباع الشهوات .

فظهر بحمدالله من بياننا موافقة الايات المذكورة مع العقل ، وعدم مخالفتها والله الهادى .

قوله تعالى: ﴿الله يعلم ماتحمل كل انثى وماتغيض الارحام وماتزداد وكل شيء عنده بمقدار (١٠) عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال (١١) سواء منكم من اسرّ القول ومن جهر به ومن هو مستخفٍ بالليل وسارب بالنهار (١٢) له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله بقوم سوءاً فلامرد له وماله من دونه من وال (١٣)﴾ .

اي يعلم الله ماتحمل كل انثى ، قبل ان تحمله من ذكر وانثى ، متحدين او متعددين (او) هما معاً ، ناقص الخلقة(او) تام الخلقة على مايكون متصفاً به ، ومع الحمل بالاولى ، فان العلم الحضوري في الاول يكون غامضاً تعقله عند بعض دون الثاني ، فالسترعنا بالرحم وساتر البدن غيرسائرله ، لاحاطته بالكل وافاضته الكل حدوثا وبقاءاً اوالفائض يعلم فيضه ويريده .

(وماتغيض الارحام) اي تقلّ فمايقلّه الرحم يعلمه الله .

والقلة بالرحم (اما) باخذالرحم منه للتغذية (واما) بفقد استعداده لقبوله فتدفعه فلووردت مياه متعددة على الرحم فوق استعداد الرحم لقبول الجميع فلايقبل البعض ، فصارماورد على الرحم قليلا بسببه وكذا اذا اكل بعض الماء فوقع فيه نقص في الخلقة فانما هو بسبب الرحم .

(وماتزداد) اي الارحام فانها تنمي لماورد فيها ويزداد مافيه كل آن حتى يصل الى بدن تام الخلقة فينشأه الله خلقاً آخروراء الخلق الجسمانيات ، وهوافاضة الروح والبرهان على علمه بذلك ، ان افاضة القوة ، وافاضة الوجود في كل آن

من الله ، والفاعل المختار ، والفاعل بالعنـاية ، والفاعل بالتجلي عالمون بافعالهم ومريدون لها ،فالنقص بالاكل ، والازدياد بالانماء في الحقيقة من قبله تعالى .

(وكل شيء) من الكائنات لان الكلام فيها اوكل شيء منها وغيرها(بمقدار) معين محدود، لماذكرنا كرارا ان الفعل المحض ، وغير المحدود ليس الاالواجب وغير الواجب بالذات يكون مجعولا ولازم المجعوليـة المحدودية ، فلكل شيء قدرمعين اى مطلق القدر، لاالمقدار المأخوذ في الاجسام، فانها حاصلة في خصوص الاجسام لاغيرها .

(عالم الغيب) اى الغيب المطلق والمضاف ، فذاته الغيب المطلق المخفى عن الكل والمحجوب عن الجميع ، والغائب عن تمـام الحواس ، والخيالات والعقول ، وهوحاضرعند نفسه ، والعلم هو الحضور ، فهو عالم بالغيب المطلق ، والغيب المضاف ، هوسائرالاشياء، لغيبة ذات كل شيء عن الاخر الا ان يكون ذلك علة له ، فالحاضرذات كل شيء عند نفسه، وحضورمعلوله عنده ، وغيرذلك لايكون حاضراً ، فيكون غائبا .

هذا ان قلنـا بان غيـر العلم الحضورى لايكون علما حقيقة ، بل بالمجـاز والمسامحة يطلق عليه العلم ، واما اذا قلنا بأن العلم الحصولى ايضاً ـ وهوما كان بارتسام الصورة ـ يكون علما ، فالغيب المضاف ما يعلمه ويتصوره البعض (او) يشاهده (او) يحسه ببعض الحواس بعض دون بعض، والله عالم به علما حضورياً، او حصوليا فعليا ، لاانفعالياً كما هورأى المشائين ، فان كل الوجود منه حدوثا وبقاءاً وغيبة الغيب المضاف عن البعض لفقد احاطة ذلك البعض ، من حيث المكان او الزمان اوغيرهما، والمحيط بتمام الامكنة، والازمنة ، والاحوال ، لايشذ عنه شيء

(والشهادة) سواء كانت الشهادة المطلقة ، وهوايضا الوجود المطلق ، وهو الله لقيام كل وجود به، ومن تدلياته، ولايتعقل تعقل الربط بما هوربط من دون تعقل مايرتبط به (اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد) (١) .

---

(١) فصلت ــ ٥٣

وقال الولي المطلق ابن الولي المطلق الحسين ابن علي عليهما السلام امير المؤمنين في دعا عرفة ألغيرك من الظهور ما ليس لك متى غبت حتى تحتاج الى الظهور ؟

فالله عالم به لان ذاته حاضر عند نفسه او الشهادة المضافة ، وهو عالم الكيان حيث انه لكثافته حاضر كل شيء منه عند البعض لاالكل ، فالله عـالم به لماسبق (الكبير) من تمام الجهات .

وقد ظهر من برهاننا بانه الفعل المحض . وغيره محدود ، ومن تدلياته ومن اشعته (المتعال) من حيث الرتبة والشرف بالبرهان السابق.

(سواء منكم) اى لافرق فيما يصدر عنكم من القول ان يكون سراً اوجهراً ، وما يصدر عنكم من الفعل على نحو الخفية بالليل (او) كان سارب وفـاعل على الطريق العام لكل احد فى النهار عنده ، اذ الفرق لغير المحيط ، وامـا المحيط على تمام الازمنة ، والامكنة ، والافعال ، والاحوال لافرق عنده .

فما يحصل فى الطريق للناس فى النهار جهاراً ، كما يحصل فى ظلام الليل فى مكان الخلوة ، والقصر المشيد عند المحيط بالتمام، له ملائكة متتابعات من تمام الاطراف لكل واحد من الانسان .

(يحفظونه من الله) من الشرور والنقائص ، فانك وكل انسان لابدمن بقائكم وتعيشكم بالهواء ، فلو لم تكن الملائكة مدخلة اجزاء الهواء فى الباطن ومخرجة لما فى الباطن الى الظاهر ، يحصل الموت ، والهواء محيط ، وهكذا امر الغذاء ، واخذاجزاء البدن الغذاءوالامساك لنفسه ، والدفع لفضوله، والهضم، وتبديل الصورة

فان الجميع بفعل الملائكة ، ولو لم تكن من قبلها الاعانة والافاضة لحصل الموت ايضا ، ومدد الملائكة لاجل (ان الله لايغير ما بقوم حتى بغيروا ما بانفسهم) فان الله فياض ، وما هو السبب للايجاد من كونه فياضـا ، هو السبب فى الدوام والبقاء .

مثلاً اذا خلق البدن وجعل فيه الاستعداد الى مأة سنة ففيضه يكون مقتضيـا

لتحصيل شروط البقاء ، ورفع الموانع عنه ، وكلاهمـا بيد الملائكة ، فلابد من تفويضهما الى الملائكة ، وكذلك الامر في القوى من العاقلة وغيرها .

واما اذا غيروا مابانفسهم وصار الصلاح في عدم بقائه وهلاكته بـالهلاكة الدنيوية اوالاخروية اما المصلحة الشخصية اوالنوعية ، فالملائكة ـ لتبديل عنوان الصلاح ـ لايحفظونه ، فيصل اليه الهلاكة الدنيوية اوالاخروية ، فتغيير النسق انما صار بسوء الافعال ، لابقصور او تقصير من الملائكة .

واما في موارد لايكون الانسان مقصرا بل صار مظلوما فلم يحصل له بنظر المتأمل تغيير النعمة ، اذ المراد هـو ، لامطلق التغيير ، والايكون العالم كله فـي التغيير دائما ، اذ هو افاضة نعمة على المظلوم لايلتفت اليه بالنسبة الى بعض مراتبه وان كانت نقمة على بدنه ، وبعد ملاحظة الجهتين ، الترجيح مع الاخروى .

واذا اراد الله بقوم سوءاً لاجل تقصير هم واعمـالهم السيئة (فلا مردلـه) اذ لامكان الا منه ، ولا زمان ، ولاحال الامنه ، ولاسلطان الا هو ، فهل يختفى منه في مكان ليس له اولا يعلم به (او) يستجير بسلطان يحفظه فليس الفرار الااليه ، ففروا الى الله ، ومن فر اليه فيكشف ان الله لم يرد السوء به ومـا للكـافرين ولا حدمن دون الله (من وال) اى ولى يمنع الله من تعذيبهم ، فلابد (ان) يستعيذ كل من اراد الاعاذة بعفوه حذراً من انتقامه ، وبرضاه حذراً من سخطه ، وبه حذراً منه .

وقد ظهر بحمد الله عـدم مخالفة تلك الايات مـع العقل ، وكونها مطابقة للبراهين العقلية ، والله الهادى .

قوله تعـالى : ﴿هو الذى يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينشيء السّحاب﴾ ﴿الثقال(١٤) ويسبح الرعدبحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها﴾ ﴿من يشاء وهم يجادلون في الله وهوشديد المحال (١٥) له دعوة الحق والذين﴾ ﴿يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما﴾ ﴿هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال (١٦) ولله يسجد من في السموات﴾

﴿والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال (١٧)﴾ .

اى الله يريكم البرق ، فان البصر منه ، وخلق الشعاع فى البصر منه ( او ) حصول الانعكاس في البصرمنه اوشهود المثال منه او الخلاقية للنفس منه ، فالرؤية باى قول من الاقوال كانت ، من الانعكاس ، وخروج الشعاع ، ورؤية عالم المثال وخلاقية النفس تكون من الله ، فهو الذى يريكم ويعطيكم الرؤية .

والبرق معروف وهو النار الحاصل من حرارة الاصطكاكات ، او خرق الملتئمات و( خوفاً وطمعا ) يكون مفعولا له ، كل واحد منهما للارائة اى الارائة لاجل الخوف حتى لايقدم ، ولاجل الطمع حتى يقدم ، فمن اراد السفر ويخاف من نزول المطر عليه في الطريق ، يريه الله البرق حتى يخاف من وقوع المطر عليه ، فلا يسافر ، ومن كان مقيما وطالباً للمطر حتى يبذر ، يريه البرق حتى يطمع ، و يقدم على الزراعة .

(و)هو(ينشأ) ويوجد السحاب الحامل للامطار فيكون ثقيلا فتأليف الاجزاء البخارية وجعلها سحابا ، وتبديل الهواء بالماء ، كلها من الله :

( ويسبح الرعد بحمده ) اى الرعد وهو الصوت العظيم الحاصل من شدة خرق السحاب ، ينزه الله مصاحبا مع حمده ، اى يظهر كون الله بريئاً من النقص، فلاحدله بل يكون وجوداً غيرمتناه ذاتا وقدرة وساير الصفات ، لعدم التعدد، ورجوع الحد الينا ويظهر ان الصفات الكمالية التى نتصورها فيها ، ومنه يسرى كل كمال الينا ويستحق به الحمد .

ثم ان ذلك الاظهار (ان كان ) المراد به التكوينى الناشى من الذات .

فدلالته على التنزيه من باب ان تلك الحركات الشديدة السريعة التى صارت سببا لهذه الاصوات العظيمة ، الواصلة صوتها الى النواحي الوسيعة ، لابد من كون علتها واجدة لتمام هذا الفعليات المتتابعة المتعاقبة فى الان القليل ، وحيث ان كل متحرك كما مرّ سابقا ، لابد ان ينتهي الى محرك غير متحرك ، فالمحرك

لايكون فيه جهة النقص ، ويكون فعلا محضا غير متناه مدّة ، وعدة ، وشدة .

ودلالته على التحميد فلان وجدان اىّ مقدار من الكمال اختياراً سبب صدق الحمد ، وأصل الدلالة بلحاظ الحركة كما سبق .

(وان) كـان المراد ، الاظهار الاختيارى ، فمع فرض شعور تمام الاشياء ، وعدم احاطتنا بها لااشكال ايضا وعلى غيرذلك الفرض ، فالمراد باطن الرعد ، فان الملكوت باطن الملك ، وموجده من قبل الله وحافظه ، فالملك الموكل للرياح او السحب اوهما او الموكل للخرق وحده ، بخرقه يحمد الله ، ويسبحه .

ولايلزم ان يكون بخصوص اللسان ، بل قوته الخارقة لسانه وحركته حركة اختيارا ، والملائكة مـن اجزاء الملكوت ( والملائكة مـن خيفته ) يسبحون ، اى اجزاء الملكوت وبواطن الملك مـن التفاتهم الى عدم التناهى ، والبرائة من الشبه والنظير ، يخافون من الله وسطوته ، اذ العظمة موجبة لالقاء الرعب فى القلوب ، ولولم يحصل فى البين شيء من الانصدامات .

وحيث ان اللاتناهى يشتمل على المتناهى ، فالحمد ايضا حاصل الا ان الخيفة من جهة الحلال ، وهو التنزيه ، لامن جهة الجمال ، وهو الحمد .

(ويرسل الصواعق) اى ينزلها ، والمراد بها النار الحاصلة من السحاب ، وهو البرق الى الارض (فيصيب بها من يشاء) اى يوقع فى المصيبة والانصدام بها من يعلم بصلاح وصول المصيبة اليه .

(وهم) اى الكفار (يجادلون فى الله) اى يتكلمون بـالكلمات الجدلية اى الاخذ بما يفهمون من كلام الخصم حتى يلزمونه ، اى لايكون غرضهم الانكشاف حتى يطلبوا البرهان ، بل غرضهم فى التكلم معك المخادعة، بان يأخذوا من كلماتك مايبطلون به قولك فى زعمهم .

(وهو شديد المحال) اى القوة والاخذ فيأخذهم شديداً بافعالهم واقوالهم .

حيث اتخذوا الله ورائهم ظهريا ، ولم يكن غرضهم الوصول اليه ، بل ابطال

امر من ارسله اليهم (له دعوة الحق) ای الدعوة التی هو الحق والصحیح ، ولایکون لغواً وباطلا ، وبدون اثر خیر ، هو دعوة الله ، حیث دعا الناس الی التوحید المطابق للواقع، الواقی ، من آثار السوء ، ونار الجحیم السائق الی الجنة وفوقها

(والذین یدعون) شیئا اواشیاء من غیر الله ، وقرء بالتاء ایضا حتی یکون خطابا الی الکفار والمقصود واحد (لایستجیبون) ای لایجیبونهم (بشیء) ولایقضون حوائجهم ، لعدم قدرتهم ای الاصنام ، ومثلها للاجابة وحال اجابتهم کحال من بسط ( کفیه الی الماء لیبلغ فاه ) ولایکون قادراً علیه ، کما اذا کان فی شفیر بئر وکان الماء فی قعره وبسط یده ، لان یخرج الماء من قعر البئر ویوصله الی فمه ، ولم یکن قادراً ، فلایکون (ببالغه) ، وطلب الحاجة من الاصنام کذلك ، بل اردء ، لان الارادة الغیر المؤثرة کانت لهذا الشخص ، وللاصنام لیست تلك الارادة ایضا .

(ومادعاء الکافرین الافی ضلال) ای دعوتهم فی الضیاع ای تکون باطلة ولغوا اذ الدعاء للاستماع والتأثیر فدعاء مالایستمع ولایؤثر یکون باطلا صرفا .

(ولله یسجد من فی السموات طوعا) ای شوقا الی الذات والصفات والافعال من الجنة وسایر النعماء (وکرها) ای خوفا من الفراق ، وخوفا من العذاب اوخوفا من سیف المؤمنین ، مثل المنافقین ، ولکن ارادة العموم ای العموم عموم من فی السموات والارض یصیر مشکلا .

هذا (ان) کان المراد من السجود وضع الجبهة علی الارض اختیاراً وان کان المراد من السجود غایة الخضوع والکره مالاارادة فیه ـ والواوبمعنی اوـ فالعموم صحیح اذ التقسیم علی سبیل منع الخلو لامنع الجمع ، ای لایخلو من احدهما ولامانع من اجتماعهما .

اما العموم فلان الکل خارج من القوة الی الفعل کما سبق ، وقبول الفعل من الله نهایة الخضوع للقابل ، من الفاعل ، وذلك امر عام ثابت فی تمام الاشیاء ومنهم العقلاء ، واما الطوع فینضم فی بعض الموارد ولامانع منه .

وان قلنا بان المراد من لفظ (من) اولواالعقول بماهم عقلاء ، فالعموم ايضا بحاله ، فان صاحب العقل من حيث كونه صاحب العقل يسجد لله .

(اما) بلحاظ صفات الجمال فيكون سجوده طوعا واما بلحاظ صفات الجلال. فيكون سجوده كرها وهو في غاية المتانة .

(وظلالهم) اى الظل الحاصل لهم بسبب نور الشمس ، يسجد ايضا بتبعهم على احد القسمين وينحصر في حقهم بالثاني اى الكره لكون حصول الهيئة السجودية للظلال بتبع ذى الظل لاباردة الظل .

وعلى الوجه الاخير يمكن ان يكون من لم يستحكم عقله ، ويستفيد من صاحب العقل ، ويكون تابعا وظلا لتحصيل الكمال منه ، فلا جل تبعيته كالظل يقال : انه ظل او لاجل ان الظل هو النور الضعيف الحاصل من النور الشديد وهؤلاء ايضا، وجوداتهم النورية مستفادة من نور العقلاء الكاملين ، فهم انوار ضعيفة حاصلة من انوار شديدة ، وحقيقة الظل ليس الا ذلك .

وعلى الثاني يكون قسم الكره في الظلال دائما بالدلالة الذاتية، لكون الظل ايضا خارجا من القوة الى الفعل ، فانه نورضعيف كما سبق ، والقابل خاضع نهاية الخضوع للفاعل كما سبق (بالغدو) اى الصبح (والاصال) اى المسائات والعشايا ، والتقييد بذلك (على الاول والاخير) لكون السجود في العبادات واوقاتها تلك الاوقات، فرضها يكون واضحا، وفي غير تلك الاوقات يقع ندبا (وعلى الثانى) لابد ان يكون من الغدو ، النهار، ومن الاصال الليالى .

وقد ظهر بحمدالله كون الايات المذكورة غير مخالفة للعقل ، بل مطابقة مع البراهين العقلية ، والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿قل من رب السموات والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه اولياء لايملكون لانفسهم نفعا ولاضرا قل هل يستوى الاعمى والبصير ام هل تستوى الظلمات والنور ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق﴾

﴿عليهم قل الله خالق كلشيء وهو الواحد القهار (١٨) انزل مـن السمآء ماء﴾
﴿فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء﴾
﴿حلية اومتاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء﴾
﴿واما ماينفع الناس فيمكث فى الارض كذلك يضرب الله الامثال (١٩)﴾

اى اسئلهم ان من يكون مربيا للسموات والارض ؟ واجب (١) بانه الله ، لان المربى هو المفيض للكمال الوجودى ، والفاقد يستحيل ان يكون معطيا ، فالمربى لتمام العاليات والسافلات ، لابد ان يكون واجداً لكمال الكل ، فلا يبقى كمال ، الا انه يلزم كون ذلك المربى واجداً له ، والواجد للجميع هو الله المستجمع لتمام الكمالات .

وان كـان المراد خصوص الجسمانيات اى السموات الجسمانية والارض ، فلكون الانسان وساير الحيوانات حاصلة مـن الارض ، وفيهما الادراك والخيال ، وفى خصوص الانسان التعقل ، فتمام الكمالات فيهما ، فلابد من ان يكون المربى هو الله ـ اى المستجمع ـ لبطلان التحقق من غير محقق ، وكون الفاقد معطيا .

وعدم امكان التعدد فى المربى قد مضى البرهان عليه مكرراً ، وفى سورة يوسف عليه السلام فى ذيل قوله تعالى أأرباب متفرقون خير ام الله (٢) فراجع ، وقلنا ان المركبات ح تنتفى ، فلاانسان ، ولاحيوان ، ولانبات ، ولاجماد .

واما انه صلى الله عليه وآله مأمور بالسؤال والجواب (اما) السؤال فلان يلتفتوا الى المطلب ويتفكروا فى التصحيح (واما) الجواب ، فلانهم بابطال استعدادهم لايقدرون على الجواب ، اذا الحق غير مراد لهم ، والمراد لهم غير صحيح وغير مطابق .

ثم امر الله نبيه بان يستفهم تقريعا وتهكيما بانكم (اتخذتم من دون) الله (اولياء) اى الولى لابد ان يكون قادرا متصرفا فى الامور التى ترتبط اليك حتى تأخذ بذيل

(١) بصيغة الامر من باب الافعال
(٢) سورة يوسف ـ ٢٩

عنايته ، فيتصرف في امورك علي طبق ارادتك .

وقد ظهر بطلان تعدد الالهة بالبراهين الكثيرة التى ذكرناها سابقا ، فالله لايكون الاواحداً وحينئذ فلابد من انتهاء تمام الاموراليه والايلزم احد المحظورين السابقين (١) فولاية غير الله لامعنى لها خصوصاً الامور التى تشاهد عدم مالكيتهم للضرّ والنفع ، من كونهم جمادات ، وان كان بنظرالدقيق، حال غير الله من ساير المخلوق حال الجمادات والاصنام من عدم مالكيتهم للضرر والنفع الاان هذا امر مخصوص ادراكه باهل العلم واما امر الاصنام واشباهها يعلمه كل احد .

(قل) اى اسئل(هل يستوى الاعمى والبصير) اى يمكن ان يكون فاقد الكمال وهو الرؤية كواجد ذلك الكمال ، فاذا لم يمكن تساويهما مع كون الفرق بينهما فى كمال معين مخصوص ، فكيف يمكن التساوى بين فاقد تمام الكمالات والواجد لتمامها ، والله جامع لتمام الكمالات ، وغيره مفتقر فى كل كمال اليه ، فيكون فاقداً فكيف يتصور التساوى حتى يحصل الشركة (ام هل تستوى الظلمات) اى الفاقد للنور من جهات ، مع حقيقة النور .

ففاقد العلم فاقد لنور العلم، وفاقدالقدرةفاقدلنورالقدرة ، وفاقد الحيوة فاقد لنور الحيوة ، وفاقد الارادة فاقد لنور الارادته ، وهكذا فاقد الوجود وفاقد الذات فاقد لنور الوجود .

فمجمع فقدانات الانوار وهى الظلمات كيف يمكن ان يكون مساويا مع اصل النور وحقيقة الوجود الذى لاحد له ولانهاية .

ولعل (الاول) اشارة الىالتوحيد فىالافعال من حيث البقاء (والثانى) اشارة الى التوحيد فىالافعال حدوثا وبقاءاً (والثالث) اشارة الى التوحيد فى الصفات اى الواجد للرؤية وفاقدها (والرابع) اشارة الى التوحيد فى الذات وهو صرف النور وقوله تعالى .

(ام جعلوا لله شركاء خلقو كخلقه) اشارة الى التوحيد فى الافعال حدوثا

(١) وهما استحالة الترجح من غيرمرجح ، وكون الفاقد معطياً

وحيث ان اكثر الناس ، من غير اهل العلم ، كرر ذلك بمراتبه الثلاث من البقاء وحده وهو التربية ، والحدوث والبقاء وهو ولاية الامور والحدوث فقط ، وهو الخلق .

وعلى اى حال فيسئل النبى بامر الله من الكفار تقريعـا ، ان هذه الشركـاء المجعولة بجعلكم واختراع اذهانكم ، هل خلقوكخلقه فتشابه الخلق عليهم ؟ اى الكفار حيث رأوا ان الله قد خلق وغيره قد خلق ايضاً وخلقهما نظير الاخر ، واذا كان لله مستحقا للعباده لأجل كونه خالقا، فغيره ايضايكون كذلك، وهذا السئوالـ لكونه تقريعيا ـ معناه انه ليس الامر كذلك .

والبرهان على ذلكان الجمادات بل كل جسم من الاجسام لايمكن كونها فاعلة للوجود ، لكون تأثير الجسم مشروطا بكونه فيالمحل على الوضع الخاص وكذلك المتأثر منه ، فتأثير الشمس (او) القمر (او) الماء (او) النـار فى الامور الغير المحاذية لها ، البعيدة منها لايمكن لعدم الارتباط ، والمعدوم لايكون فى محل ولاعلى وضع ، ولاتقـابل ببينه وبين الموجود ، فكيف يؤثر الجسم فيه .

فافعال الاجسام ليست الا الحركات ، وهى من الاعتباريات التى لها منشاء الانتزاع ـ وليست لهاما بازاء فيالخارج ، فنور الشمس يتحرك ويصل اليالارض وكذلك حرارةالنار ، وبردالثلج، وغيرها منالامور ، والماء ينفصل من الحيوان وبالحركة يستقرفيالرحمثمبسبب الاكلوالشرب تصلاجزاء الماكولاتالموجودة اليها وتتحد معها وتنمو والبنّاء يصير سببا لحركة اللبنات اوالاحجارا والاخشاب اوغيرها ولايوجد شيئا منها اصلا والهيئة من الاعراض التى لها منشأ الانتزاع .

وعلى اىّ حال ، فبعد مـا ذكرنا ان الفاقد لايمكن ان يكون معطيا لايمكن افاضة الوجود المحدود الا من حقيقة الوجود وصرفه .

وهوالله ولذا قالوا: لامؤثر فى الوجود الاالله (قل الله خالق كل شىء) فان الخـالق هو الموجد لا المحرك الذى لا يترتّب على تحريكه الاّ صرف الامر

المنتزع ، بل مرجعه ايضا الى الله للبرهان السابق من ان كل الحركات لابد من انتهائها الى محرك غير متحرك لاشتراك الجميع فى كونها خارجة من القوة الى الفعـل .

وهوالواحد والالماحصلت الاشياء اذالجميع مركبة من جهة القوة والفعل ولولا وحدة الحق لما حصل الارتباط بينهما ، ولايجمعهما وجود واحد (القهار) اى كثير الغلبة ، اذمرجع الكل اليه وهومبدء الكل والمتصرف فى الكل ولا غلبة فوق ذلك ، بل تمام الانوار رشحات واندكاكات و مقهورات ، بحيث لاانانية لها ومحض التدلى والربط .

(انزل من السماء)اى جهة العلووهوالسحاب (ماءاً) وهوالغيث (فسالت اودية) وتحملته على قدر) استعدادها واعدادها (فاحتمل السيل) اى قبل ذلك الماء السائل الجارى(زبداً) اى بعض الاشياءالكثيفة المخلوطة مع الماء(رابيا) اى عاليا على وجه الماء و من الاشيـاء الموقدة عليها فى النـار من قبيل الذهب و الفضة و النحاس والصفر وامثالها .

(ابتغاء حلية) اى لطلب جعلها من اقسام الحلى من السوار والقرط وغيرهما من القلادة وغيرها ، او من متاع البيت كالاوانى والسرر وغيرهما ، او من قبيل السيف وامثاله (زبد مثله) اى مثل زبد السيل ولفظ(مما)يكون متعلقا بلفظ يحصل وزبد يكون فاعله اى يحصل مما توقدون عليه فى النار لاجل الحلية و المتاع زبد مثل زبد السيل .

فكما ان كثافات ماء السيل تنفصل و تجيىء على وجه الماء ثم تذهب ، فكذلك كثافات الفلزات تنفصل منها وتخرج وتذهب، ومثل الحق والباطل كالماء و جوهر الفلزات ( وزبدهما ) فالحق الثابت هو الماء وجوهر الفلزات ، والباطل المضمحل هوزبد الماء وخبث الحديد ، وساير الفلزات .

(فاما الزبد)منهما (فيذهب جفاءاً) اى كالباطل المرمى به (واما ماينفع الناس)وهو

الماء وجوهر الفلزات (فيمكث في الارض) ويبقى (كذلك يضرب الله الأمثال) لقصورا فهما مكم عن درك الوقايع فلابد من كسوة الامثال .

ومن باب كون ماذكر مثلا ، ذكربعض الحكماء ، واحتمل انيكون المراد من الماء الوجود الفعلى ، وهى الافاضة الاشراقية وكلمة (كن) النورية ، فانه نزل من العالى ، وهو الفيض الاقدس اوالذات (فسالت اودية بقدرها) اى كل مرتبة من المراتب ، وكل مهية مـن المهيات اخذ من ذلك الماء بقدر لياقتها ، فان المهيات منتزعة من حدود الوجود .

فكل مرتبة فى قوس النزول يصير محدودا بحد خاص ، ينتزع منه المهيةفى تلك المرتبة ، ويسيل هذا الماء الى ان يصل الى عالم الكيان والشهادة ، فيتحمل بعض الغرائب والعوارض الغيراللائقة، فاذاوصلت النوبةالىقوس الصعود(فيذهب) ذلـك الزبد العرضى ولو بعد التصفية بمـا يعلمه الله ، ويبقى الوجود الحاصل فى المرتبة وكذلك الفلزات والمعادن ، فان الناس معادن كمعادن الذهب والفضة .

فاذا تحملت النفوس الاوزار من باب الاعراض الجزئى عن الله والمعاصى فـاذا ارادوا السلوك باذن الله حتى يبلغوا الى درجة متاعية البيت ، الواجدة لاسّ الكمالات، اوالى درجة الحلى ، بان يبلغوا الىالفضائل فبنارالرياضة يذهب زبدهم وكثافتهم ، ويبقى ذاتهم صافية عن الكدورات ، وان لميسلكوا فى الدنيا ، ولكن كان ذاتهم موصوفا بالايمان ففى النار اللطفى يفعل معهم ذلك ، حتى يحصل لهم الخلوص عن الكدورات .

وقد ظهر بحمدالله عدم مخالفة ماذكرمن الايات مع العقل ، بل كونتمامها مطابقة للبراهين العقلية ، والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿للذين استجابوا لربّهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له﴾ ﴿لو انلهم مافىالارضجميعاً ومثله معه لافتدوابهاولئك لهمسوءالحساب ومأويهم﴾ ﴿جهنم وبئس المهاد (٢٠) افمنيعلم انماانزلاليك منربك الحق كمن هواعمى﴾

﴿انما يتذكر اولوا الباب (٢١) الذين يوفون بعهدالله ولاينقضون الميثاق (٢٢)﴾ ﴿والذين يصلون ما امر الله به انيوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب﴾ ﴿(٢٣) والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلوة وانفقوا ممارزقناهم سرا﴾ ﴿وعلانية ويدرؤن بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار﴾ (٢٤)

اى من اجاب الله بالطاعات وترك المعاصى ، فله الحسنى ، اى مافيه الحسن على نحو الاطلاق ، وهى ليست الا الجنة ، اذ فيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين، وهى دارالسلام ، ودار انتزاع الغل من الصدور ، وكون اهاليها اخواناً على سرر متقابلين ، وغيرالجنة فيه السوء والحسن كلاهما ، فلايكون متصفا بالحسنى على نحو الاطلاق .

وبرهان كون الجنة لمن اطاع من جهة العقل (عدم) نقض الله لغرضه ، فان الغرض من الامر والنهى لوكان لاجل الدنيا فنشاهد الخلاف ، بل كون التذاذات العاصى اكثرمن البديهيات ، فلا بد انيكون للاخرة والا كان لاغيا ، ولوعامل على التساوى ( او ) رجح العاصى ، لكان نقضا لغرضه ايضا ، فلابد من ادخال اهل الطاعة فى الحسنى .

(واستحالة)(١) الظلم فى حقه ، لكونه نقصا والنقص فيه محال وكونه فياضا واللطيفة السيارة لانقص فى استعداده كما ذكر، فاذا لم يحصل مانع ايضا من الافاضة، فالعلة التامةللافاضة موجودة فيفيض، والوجوب الاختيارى مؤكد للاختيار كما مر مراراً ، والفعل ما لم يجب لميوجد كما برهن عليه فى محله .

ومن لم يجب الله ولم يطعه لو افتدى بتمام ما فىالارض ان كان له ، وازيد مما فى الارض بمثله لايؤثر افتدائه ، ويحاسبون حسابا سيئا ، ومأويهم جهنم وبئس المهاد اى الفراش .

ولعل المراد بافتداء ما فىالارض ومثله ، انه (لوتصدق) من باب الحسن

---

(١) عطف على قوله قده : عدم نقض الله الخ

العقلى لاالاطاعة لله ، بتمام ما فى‌الارض ومثله ، بعنوان الفدية والحفظ من‌الشرور مطلقا ، وبعنوان انه لو كانت الاخرة صحيحة وماجاءبه النبى (ص) حقـا كان ذلك فداء (لايعتنى) بهذه الصدقة المنفكة عن الاعتقاد ، وعن اطاعة الله ، فيحاسب بتمام ماصدر منه من ترك الواجبات ، واتيان المعاصى ، وتحصيل العقائد السيئة ، وعدم الفحص والتقصير فى تحصيل العقائد الحسنة ، من دون ان يوزن ماتصدق به لاجل ذلك ، ويسقط بقدره من سيئاته .

وذلك سوء الحساب بنظره ، ونظر من كان مثله ، والافهو الحساب الحق المعتدل ، فان التصدق اذا لم‌يكن لله فهو كأكله للمال لايستحق شيئا من الحسن ، وكون العنوان بعنوان البدلية من دون القربة ، معناه ان‌الله مفتقر فى رزق عباده‌الى ذلك المال وهو من اسوء السوء ، فعليه الوزر بهذا العنوان لاالاجر .

واما غير ذلك النحو فلاينفك عن اجابة الله ، فالموضوع مختلف .

(افمن يعلم انما انزل‌اليك من ربك الحق كمن هواعمى) الاستفهام انكارى فانه يسئل عن تسوية الفريقين ، والغرض انكار التسوية بحكم العقل فهل يساوى من يعلم ان القرآن الذى تدعيه انه نازل من الله يكون حقا ونازلا من الله كمن هو اعمى ولابصيرة‌له لان يشاهد؟ ويعلم ان ما تدعيه انه من‌الله يكون‌حقا ونازلا منه‌ام‌لا

ولاريب ان العقل حاكم بعدم التسوية اذكون الشاك فى كون القرآن من الله لا اشكال فى انه جاهل بهذا المطلب ، والجاهل لابصيرة له فهو اعمى فى‌الباطن والعمى فى‌الصدور اردء من العمى فى‌البدن، واما الذى يعلم انه من الله، فلو لم يكن علمه صادراً عن البرهان العقلى لما علم ترجيحه على الشك ، واما اذا علم انه من‌دليل العقل، فترجيحه على الشك وعدم تسويته معه من الواضحات

وحيث ان العالم بكون القرآن حقاً من عندالله (١) يكون ناشئا من كون

(١) يعنى ان العلم بحقية القرآن منشأه اشتمال القرآن على التحديات المذكورة ولذا كان اهتمام اعداء القرآن بابطال امره اكثر واشد .

القرآن مشتملا(على التحدى) باتيان المثل له الى يوم القيامة ، مع تظاهر جميع الجن والانس (وعلى التحدى) بعشر سور مفتريات خطابا للحاضرين (وعلى التحدى) بسورة واحدة خطابا للحاضرين ايضا ، وكانت اعداء رسول‌الله من اهل اللسان من الصدر الاول الى زماننا هذا في نهاية الكثرة ، كان اهتمام اعدائه بابطال امره بسبب حصول السلطنة له واستعلاء امره كل يوم ، فوق الامس ، والغلبة على اليهود والنصارى ، وساير الملل الى الف سنة تحقيقاً ، وبعد الالف، اوازيد وان لم يبق الامر على ما كان من ازدياد القوة كل آن الاان كثرة المسلمين فى الاقطار ووجود سلاطين متعددة لهم واشتداد بغض خصوص النصارى وجد يتهم فى ابطال امره الى الان من الامور الواضحة .

ولو عدّت الاعراب منهم فى فلسطين والشامات والحلب ومطلق سوريا ومصر وساير الامكنة ، لتجاوزت فى كل قرن من الملائين، وان تمامهم فى كمال الاهتمام ، لابطال هذا الدين ، بل بعض المغاربة التى ليست من اهل اللسان قدحصلوا اللسان حتى يكتبوا الرد على القرآن ، وقد كتبوا مايضحك به الثكلى ، وناقشوا كثيراً فى اخلاق النبى ﷺ كالسابق .

والاتيان بمثل كتاب من الكتب ممايمكن التظاهر فيه فى قرن ، بل فى قرون متعددة ، بان يجتمعوا فى قرن ويأتون بالفاظ ومطالب ثم وقع النظر من بعضهم الاخر فيبدّلوا الالفاظ والمعانى فى مقدار خاص ، ولو فى نصف السورة ، ثم فى القرن الاخر بنصف آخر وهكذا ومع ذلك لم يقدروا على الاتيان بالمثل فان المراد منه المثل والاعلى ، لاخصوص المثل واحتمال ذلك من الخرافات ، ومن باب العجز يلقون هذه الامور .

وحينئذ فيكشف عن كون من اتى بهذا القرآن افضل واكمل من تمام الاحاد، من بعثه الى انقراض العالم، ومن المجموع من حيث المجموع من حيث العقلانية ولانعنى بالنبى والواسطة الامثل هذا فهو من قبل‌الله وكلام من الله.

واوضح من ذلك عدم قدرة المخاطبين مع فصاحتهم وكمال عداوتهم من عبدة الاصنام واليهود والنصارى، في يثرب وحجاز ويمن، وساير المقامات، الاتيان بسورة واحدة قصيرة مثل سور القرآن.

وكذلك الامر عند الحكماء حيث يرون في القرآن الحقائق العالية التي لولا القرآن لم يجيء علمه بعد في عالم الظهور وحينئذ، فالمصدق انما صدق للبرهان وعدم تساويه مع الجاهل اوضح من ان يخفى (انما يتذكر) ويلتفت الى تلك المطالب (اولوا الالباب).

ثم يبين الله تعالى ان اولي الالباب هم الموصوفون بالصفات الاتية، اذ اللب يقتضي ان يكون العمل وترتيب الاثار على طبق العقل ومن لا يعمل على طبق العقل فغير لبه وهو هويه غالب على لبه، ولبه مقهور بلااثر، ومثله لا يطلق عليه انه من اولي الالباب.

فمن الاوصاف الوفاء بعهد الله والمراد من الوفاء هو التنجيز وانفاذ ماعهده، كل من دل البرهان له على وجود الاله الواحد، فعقله يلزمه بشكر المنعم، ومن شكره اطاعة اوامره ونواهيه، فعقله قد عهد مع الله ان يشكر بالاطاعة، فالاطاعة هو تنجيز ما وعده عقله.

ولا ينافي ذلك ارادة تنجيز ما وعدوه في رتبتهم العالية، وهو وجوداتهم النورية في عالم الذر، وهو عالم المقدار البرزخي اوفوقه، وهو عالم الجبروت كما سبق ذلك مفصلا (ولا ينقضون الميثاق) وهو تأكيد للسابق.

(والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل) من الارحام، والفقراء والمساكين والضعفاء والمراد من الصلة الوصل والاتصال مقابل القطع وليس المراد اتصال جسم بجسم قطعا، فالمراد اتصال القلوب بقلبه وهو انما يكون باتيان ما يوجب رضاء مايوصل به وهو الاحسان، واحسان كل احد على نحو (فقد) يكون باعطاء المال (وقد) يكون بحفظه من الشرور (وقد) يكون برد غيبته (وقد) يكون بالدخول في بيته، وعيادته اذا مرض وغير ذلك من الامور الواضحة عند العرف، ومن ذكرناه

قد امر الله بالاحسان اليهم .

(ويخشون ربهم) لان دفع الضرر المحتمل المعتد به يكون لازما عندالعقل، فضلاعن المظنون، الذى ثبت فيه المقتضى اوالمقطوع، (ويخافون سوء الحساب) بالبرهان السابق .

( والذين صبروا ) على مشقة العبادات من قبيل الصلوة فى البرد والصوم فى الحروالحج والجهاد وترك المعاصى كالصبرعلى ترك الزناء مع غلبة الشهوة، وعلى ترك اكل مال الغير الذى عنده مع كمال افتقاره ، وكان صبرهم طلب رضى الله ، فان العقل يحكم بلزوم ترجيح الراجح على المرجوح واذا دار الامر بين المشقة اليسيرة والكثيرة يرجح الاول ، فالصبر على تلك الامور اذا قيست مع الصبر على النار التى لاتطفى ، يحكم العقل بترجيح تلك الامور .

( واقاموا الصلوة ) اذ العقل يحكم بان الحضور عندالله والقيام بين يديه وتعظيمه وهو الركوع ، ووضع الوجه على التراب عنده خضوعا، يكون موجبا لاشفاقه ، وحصول الكمال فى العبد ، وتحصيل الكمال بمقدار ما يكون لازما اومستحسنا فى غاية الحسن ، الا انه اذا امر الله به فبعنوان وجوب اطاعة المولى يلزم عليه .

(وانفقوا ممارزقناهم سرا وعلانية) فانالعقل يحكم بان التجاوزعن المحبوب لله يكون مقربا له ، والمال محبوب ، فدفعه والصفح عنه يكون حسنا غاية الحسن عند العقل ، وبضميمة الامر لمصالح يعلم الله به واعلمنا مقداراً من صلاحها ايضا وقد ذكرنا فى موارد من هذا الكتاب وساير رسائلنا ( سرا وعلانية ) فان الاحسان قديقتضى الاعطاء سراً ، وبعث الناس على الخير اقتداءاً قديقتضى الاعطاء جهارا ، فلكل مورد ، يحس العقل ان يعمل على طبق صلاحه .

( ويدرؤن بالحسنة السيئة ) فان صدر منهم ظلم وايذاء على احد يدفعونه بالاحسان ، وان اساؤا فى الاعمال الشرعية التى لادخل للعقل فيها يدرؤنه بالتوبه

او بمطلق العبادات لماسبق في سورة هود عليه السلام من ان الحسنات يذهبن السيئات فاذا اخبر الله بذلك فصاحب العقل لمّا يلزم عليه بحكم عقله دفع و زرالسيئات فيأتي بالحسنات .

(اولئك لهم عقبى الدار) اى هذه الاشخاص لاغيرهم تكون الدار المتعقبة للدنيا وهي البرزخ و فوقه لهم ، وهم اهل الانتفاع من دار الاخرة ، واما غيرهم فالدار الاخرة عليهم لا لهم ، فهم معذبون معاقبون باختياراتهم .

وقد ظهر من تمام ما ذكرنا كون الايات المذكورة على طبق العقل، وانها لاتخالف العقل ، والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم و ازواجهم﴾ ﴿وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب (٢٤) سلام عليكم بما صبرتم﴾ ﴿فنعم عقبى الدار (٢٥) الذين ينقضون عهدالله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امرالله﴾ ﴿به ان يوصل و يفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار (٢٦)﴾ ﴿الله يبسط الرزق لمن يشآء و يقدر و فرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا﴾ ﴿في الاخرة الا متاع (٢٧) ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل﴾ ﴿ان الله يضل من يشاء ويهدى اليه من اناب (٢٨) الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم﴾ ﴿بذكر الله الا بذكرالله تطمئن القلوب (٢٩) الذين آمنوا و عملوا الصالحات﴾ ﴿طوبى لهم وحسن مئآب (٣٠)﴾.

وهي عطف بيان (لعقبى الدار) اى جنات الاقامة لهم اى العالية، فان المتوسطة البرزخية تحصل الخروج منها بعد القيامة ، لاجل الدخول في جنة الاقامة و هو دار الخلد (يدخلون) هذه الجنات ـ اى اولوا الالباب الموصوفون ـ مع من يكون مؤمناً او غير مقصر ( من آبائهم و ازواجهـم و ذرياتهم ) بحيث يصلح ان يقبله الجنة ، و لم يكن بعيداً من حيث الصلاحية ، ولو لم يكونوا كاملين في الايمان والاعمال مثلهم .

وهذه المعية من باب ملاحظة أولى الالباب ، و كرامتهم وعظمتهم عند الله فيريدالله الامتنان عليهم بادخال محببيهم فى هذا القسم من الجنة تفضلا على هؤلاء اذمن يحب شيئاً يحب شهوده وملاقاته ، فهؤلاء يحبون شهود المذكورات .

وحيث ان اصل الاستعداد يكونحاصلا للمذكورات، فازديادالدرجة تفضلا على الكاملين، لامانعمنه، بل يمكن ان يقال ان بذر ذلك التفضل فيهم ايضاًلحبهم اى الاباء لابنائهم، وحب الذرارى لابائهم واجدادهم، وحبهن لازواجهن، وحب الكامل بذر لهذه الكمالات .

و حيث ان اصل الايمان يكون موجوداً فى هذه الطوائف ، يكون حبهم للكاملين من حيث الكمال، فالبذر الصحيح يكون موجوداً .

(والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ) فان للملائكة درجات ،و كلقسم من الملائكة مناسب مع مرتبة منمراتب اولىالالباب (فبعضها)مناسب معالصدر الصافى (و بعضها) مع القلب الصافى (و بعضها) مع المتخيلة الصافية ( وبعضها ) مع العاقلة (وبعضها) مع الكاشفة الحضورية ، فهذه الاصناف بلحاظ الارتباط مع العلامةوالقوة العلمية .

واما المرتبط مع الاخلاق ، من الجود والحلم والحياء والعفة و الشجاعة وغيرها ، فلكل منها ارتباطات مع الملائكة الكثيرة ، وهكذا من طريق الافعال، وهذه الجهات المتكثرة لكل منها باب الارتباط مع الملائكة (فيدخلون عليهم من كل باب ) اذ الانسان الكامل واجد لتمام الابواب .

( سلام عليكم بما صبرتم) و تحية الملائكة باقسامهم، السلام، لكون الجنة دار السلام خصوصاً جنةالاقامة ، فانها سالمة من نقص الدرجات اللائقة ، و الكل واجدة للسلامة عن الامراض والهرم وانقطاع النعمة وهكذا، لكن البرزخيةلكونها متعاقبة بالصعقة من الصور ومشاهدة أهوال القيامة ليست سالمة على نحو الاطلاق

واما جنة العدن فتكون سالمة من تمامالاهوال والنقائص، وواجدةللكمالات

بقدر استعداد الداخل (بما صبرتم) اى السبب للجنة هو صبركم على مشقةالاطاعة وترك المعصية كما سبق (فنعم عقبى الدار) واى شيء أحسن منه .

واما الناقض لعهدالعبودية والقاطع للرحم ومن امرالله ان يوصل والمفسدون فى الارض ، يكونون مبعدين عن رحمة الله فهم الملعونون و دارهم دار سوء ، وهو الجحيم لمناسبة مع ذواتهم و أخلاقهم وافعالهم كما قد أقمنا البراهين على تمام ذلك .

(الله يبسط الرزق لمن يشاء) و قد علم بصلاح بسطه على أهل الطاعة بما لايعد ولايحصى فى امد غير متناه(ويقدر) ويضيق على من يشاء ضيقاً لايقاس به فى امد غير متناه من دون ان يكون ظالماً بل كل من الطائفتين اختاروا ما اختاروا بارادتهم وعلمهم .

وفرحت الطائفة الثانية بالحيوة الدنيا والتلذذ فيها، والحال ان اصل الحيوة الدنيا والتمتع فيهاليس عند الاخرة (الامتاع) واحد وتلذذ واحد والتنوين للتنكير اى متاع من الامتعة ( ويقول الذين كفروا لو لا انزل عليه آية من ربه ) وتكرار ذلك المطلب لتعدد القائلين فى مقامات متعددة ، وحيث ان غرضهم مشترك لماذكرنا سابقاً من ان استدعاء آية على نحو التنكير المقتضى لحصول اجابتهم بأى آية واتيان النبى ﷺ بالقرآن مما لااشكال فيه عند احد، وقد ادعى كونه آية لابد ان يكون على نحو خاص من كونها مما لا نحتمل فيها السحر أو نسلم كونها آية (او) مانريده من تعيين قسم خاص .

و حيث ان اتيان الاية لابد ان يكون لاتمام الحجة بحيث يكون قاطعاً لعذر العقلاء فحيث قد اتى بآية واحدة تكون عند العقلاء لايلزم الاتيان باى آية ارادوا بل فى بعض المقامات لا يصح لانه يصير كالملعبة ، و قد مضى الكلام فيه قبل ذلك بيسير .

(قل ان الله يضل من يشاء) بان لايوفقه للنظر العقلانى لاختياره الشهوة والغضب

والشيطنة على العقل، والله يعامل معه على طبق ما اراده ( و يهدى اليه من اناب ) و رجع اليه و ترك الشهوة واختيها فيوفّقه للنظر العقلانى ويفيض عليه العلم.

(الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله)طوبى لهم وحيث ان الاطمينان هو السكون الحاصل من التوددوالاستيناس والملائمة فيستعجب حصوله مع الله للانسان نبه الله

بقوله تعالى : (الا بذكر الله تطمئن القلوب ) اي القلب له مناسبة مع الله و ذكره هو التصور لبعض ، و الحضور الفنائى لبعض آخر ، فان القلب صاحب المراتب ، ووجهته العالية التى تكون الى الله ، وهومحل المحبة، والحب بلحاظ درك الكمال، فكلّما كان المحبوب اكمل كان حبّه اشد، ولا كمال فوق الواجب فلا حب للكامل فوق حبه، فانس القلب مع الحق (الذين آمنوا) عطف على السابق بحذف حرف العطف اى(والذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم ، فالجملتان فالطائفتان لهم -طوبى اى العيش الطيب وحسن المرجع وشجرة طوبى ايضا من احد المصاديق .

و قد ظهر مما ذكرنا كون الايات المذكورة مطابقة مع العقل غير مخالفة والله الهادى .

قولـه تعالى : ﴿ كذلك ارسلناك فى امة قد خلت من قبلها امم لتتلو ﴾
﴿ عليهم الذى اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى لااله الا هو عليه ﴾
﴿ توكلت واليه متاب (٣١) ولو ان قرآنا سيرت به الجبال اوقطعت به الارض ﴾
﴿ او كلم به الموتى بل لله الامر جميعاً افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاءالله ﴾
﴿ لهدى الناس جميعاً ولايزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل ﴾
﴿قريباً من دارهم حتى يأتى وعدالله ان الله لايخلف الميعاد(٣٢) ولقد استهزيء ﴾
﴿برسل من قبلك فامليت للذين كفروا ثم اخذتهم فكيف كان عقاب (٣٣) افمن ﴾
﴿هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم ام تنبؤنه بما ﴾
﴿ لا يعلم فى الارض ام بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا ﴾

﴿ عن السبيل و من يضلل الله فماله من هاد (٣٤) لهم عذاب فى الحيوة الدنيا ﴾ ﴿ولعذاب الاخرة اشق وما لهم من الله من واق (٣٥)﴾ .

اى كما انك موصوف باستجابة الحسنى ، و بعلمك ( بكون ) القرآن حقـا ( و بكونك ) موفياً بالعهد (وبكونك) واصلا لما امر الله بوصله (و بكونك) صابراً (وبكون قلبك) مطمئناً بذكر الله (كذلك ارسلناك) اى تكون مرسلا من عندنا فى امة سبقتها امم آخر.

و بيان ذلك ( اما ) لاجل بيان شرافة النبى ﷺ بانك لابد ان تكون واجداً لكما لاتهم و ازيد ، حتى يكون كمالك السارى اليهم من الشريعة ، والطريقـة ، والحقيقة اكمل ، اذ لو كان مساوياً او انقص لكان اللازم تجديد تبليغ ما بلغوه كاوصيائهم ، وساير انبياء بنى اسرائيل غير موسى وعيسى عليهما السلام.

(واما) لاجل كون الحجة على هذه الامة اتم ، اذبسبب استماعهم للاديـان السابقة، ومجيىء الانبياء حصل لهم أنس بالاديان ونحو الانبياء .

وعلى اى حال فيقول الله : أرسلناك لتلاوة وحينا عليهم اى تنبئهم عن العلوم الفائضة من الله اليك، وهم لشقاوتهم واتباعهم الشهوات قاموا على خلاف عقولهم و كفروا بالرحمان ، وهو فاعل الوجود حتى لا تلزمهم باستماع ما من قبله لانهـم يقولون : انا لانسلم وجود من كنت تريد ان تبلغ عنه ، فكيف نصغى الى ما تقول انه من قبله ، والحال ان كلّ عاقل يرى حدوث وجوده ، والتحقق من غير محقق محال والمعطى لايمكن كونه فاقداً ، فلا بد من معطى الموجودات واجد لكمالاتها وهو الرحمن .

(قل هو ربى) اى الرحمن الذى تنكرونه قداوجدنى وربانى واعترف بالعبودية له اى كونى افضل من تمامكم حيث انكم بتمامكم لاتقدرون على الاتيان بجزء من الالف من الايات القرآنية ، و هى السورة القصيرة فضلا عن ساير المعجزات من الواضحات، عندكم، وعند من يعرفنا ، فمن كان موجداً لمثلى ومربياً لمثلى ليس

لاحد الاستنكاف من عبوديته خصوصاً امثالكم .

ولعل في الاية اشارة الى كونهﷺ هو الصادر الاول في الفيض المقدس ، اى هو رب من لا بد من مرور الفيض اليه اوّلا ، ثم يسرى منه اليكم اىهو رب النمام ، فمن يكفرون به ، هو موجدكم ومبقيكم ومنعمكم.

(لااله الاهو) اى ليس لاحد رب سواه ، اذليس المستجمع لتمام الكمـال الاالله ، لبراهين التوحيد، فاذا كانت الادلة العقلية دالة على انتهاء الممكنات الى الواجب، وادلة التوحيدعلى كونهواحداً كما ذكرناهما مفصلا ببراهينهمافيمقامات متعددة ، فلارب الا هو والكفر بالرحمن يضربمن كفر ولايضر بغيره.

(عليه توكلت) لعدم الشريك له في الملك ايضاً ( واليه متاب ) اى رجوعى والمتاب هو التوبة اى الىالله توبتى ورجوعى .

(ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض، او كلم به الموتى ) لم يؤمنوا به ـ ولكون القرآن علماً ـ لايفتقر الى الالف واللام والجواب وهو لم يؤمنوا به أومثل ذلك يكون محذوفاً لقرينة البعد.

و الظاهر من الاية ان الكفار استدعوا ان يكون القرآن موصوفاً بكونه سبباً لتسييرالجبال، فتتباعد من حولهم حتىتتسع اطرافهم او قطعت به الارض بانفجار العيون والانهار اوكلم به الموتى اى بسببه.

و نقلوا في شأن النزول : ان جماعة من اهل مكة استدعوا للاعجاز تلك الامور بتمامها، فارادوااتباعدالجبال، وانشقاق الارض بالانهار، والجداول،والعيون حتى يصير بلدهم كساير البلدان التى فيهاالمياه الكثيرة، والاشجار مع سعةاطرافه واحياء آبائهم، واقاربهم حتى يتكلموا معهم .

فاخبرالله بانهم لم يؤمنوا مع ذلك، لان من يستدعى في المعجزات، الدنيا الكامل اذلم يكن غرضهم الارائة ثمالانعدام، اذ هو سحر حينئذ عندهم بلاريب، بل كان غرضهم بقاء تلك الامور حتى يتم عيشهم ، و كان غرضهم ايضاً من تكلم

الموتى طريقاً الى عالمهم ، والتوانس معهم بالكمالات ، فقد استدعوا من الدنيا ما اكمل منه اذنقص الدنيا بموت الاقارب وانقطاع خبرهم ، وقد استدعوا انيكون القرآن كذلك بحيث اذا قرءيتكلم الموتى مع القارى دائماً لاوقت خاص ، والا لم يكن من اوصاف القرآن ، فيزول نقص الدنيا من هذه الجهة ايضاً.

ومن كان مطلوبه الدنيا المحض لايؤمن مع حصول تلك الامور ايضاً ، اذالايمان موجب للزوم الاتيان بالواجبات وترك المعاصى والملاذ والداعى لهذه الاشخاص كانت اللذة، وذلك موجب لترك اللذة فكيف يؤمنوذ مع كون الايمان مخالفاً لغرضهم، وهو ايصال شهواتهم الى ما يلتذون منه .

فمن يريد الايمان للتكميل يؤمن بسبب اتمام الحجة لامن يؤمن للشهوة ، فانه لايؤمن بسبب تلك الامور من باب كونها خلاف غرضه.

(بل لله الامر جميعاً) وهذااضراب عماسبق اى الاتصاف المذكور لايوجب ايمانهم ، بل الايمان بامرالله وارادته ، والمراد من الامر، التكوينى اوالتسخيرى ، فانه لوعلم‌الله فيهم‌جهة نورية يستعدون بها لقبول الايمان يفيض روح العلم‌ومحبة الايمان فى‌قلوبهم فيؤمنون واذا لم ير ذلك لايفيض عليهم لسوء اختيارهم .

(أفلم ييأس ) اهل الايمان ، واليأس فى لغة نخع‌جاء بمعنى العلم اى أفلم يعلم اهل الايمان بانه لوكان استعداد النور حاصلا بحيث كان الصلاح والله‌ايضاً عالماً بالتمام، لعلم بصلاح ايمان الكل وشاء ايمانهم، ولو شاء لافاض عليهم‌العلم والمحبة ، فيحصل الايمان للجميع كما ذكرنا .

(قيل) انه ورد من باب استدعاء اهل الايمان اتيان النبى ﷺ بما اقترحته الكفار حتى يؤمنوا فقال تعالى فى جوابهم الم يعلموا ذلك ، والحال انه لا اشكال عندهم فى‌ان‌الله جواد، وانه‌ليس بظلام ، وانه الغنى فمن كان كذلك لو كان‌المحل قابلا يفيض عليه لجوده ، ولا يتركه لعدم كونه ظالماً وله افاضة الايمان كساير الامر لغنائه وقدرته ، ومع اجتماع الجميع، فالتخلف كان محالا وحينئذفالتخلف

من الايمان ليس الا لبطلان استعداد المحل فلا فائدة في الاتيان، ويكون بمنزلة الاتيان بالسرج المتعددة ، لان يرى الاعمى بسببها .

(ولا يزال الذين كفروا تصيبهم قارعة) اى شدة في امورهم اى اهل مكة بسبب افعالهم السيئة وعقائدهم الفاسدة (او تحل) الشدة في اطرافهم (حتى يأتي وعد الله) من قتلهم او اسرهم (ان الله لا يخلف الميعاد) وكون ذلك المطلب على الدوام بحيث يصدق لا يزال من الامور التي ليست طبق العادة فهى الحجة عليهم.

فلو كان غرضهم اتمام الحجة لتمت عليهم فهم لاشتداد قواهم في الشيطنة والغضبية والشهوية يتحملون المكاره رجاءاً لارتفاعها حذراً من الاطاعة المنافية ، لكبرهم وعتوهم وشهواتهم باشاعة الزناء، والميسر، وشرب الخمر وغيرها، وشيطنتهم باستعمال الحيل الممنوعة، تمام ذلك في الشريعة المحمدية.

وانبائه تعالى( حتى يأتي وعد الله ) وانه لا يخلف من الانبائات الغيبية الواقعة بعد الانباء بقليل ، و هذا المورد احد موارد اشتمال القرآن على الاخبار بالغيب

ثم ان الله تعالى يسلّي نبيه بان الانبياء الاخر ايضاً، وقعوا مورد الاستهزاء ، فامهلناهم ثم اخذناهم بالعقاب، اى فاصبر، فان بعد امهالهم، نعاقبهم بالسيف والاسر، وقد حصل قريباً.

ثم يستفهم انكاراً بل تقريعاً (افمن ) يحيط على كل نفس الاحاطة القيومية، وهو المراد بالقائم على النفس احاطة بذاتها ، وما كسبت من الافعال كمن ليس كذلك ؟ وقد حذف ذلك لقرينة البعد ، والعقل ينفى التسوية قطعاً .

(وجعلوا لله شركاء) وهو في مقام التعجب، اذ الله واجد كل الكمال والا كان محدوداً ومركباً من القوة والفعل فبالنسبة الى ما فقده يكون بالقوة و بالنسبة الى ما وجده يكون بالفعل، والمركب مفتقر و ممكن فالواجب لابد ان يكون واجداً محضاً وفعلا محضاً، وبعد كون تمام الوجود والكمال عنده، فكيف يمكن تعقل انانية لغيره، ووجدانه لرشحة من الوجود بالاستقلال فضلا عن كونه تاما ايضاً.

(قل سموهم) اى اذكروا آثارهم وما يترتب عليهم ، فان الاثر اسم حقيقى للمؤثر لانه العلامة ، بالذات ، لابالجعل والاعتبار او بينوا علائم هذه الشركاء ، فان للالوهية علامة من الاستقلال والسلطنة فبينوا حتى نشاهد صدقكم اذ كل ما يدعى (اما) من المصنوعات (واما) من الخارجين من القوة الى الفعل المحتاج فى اخراجه من القوة الى الفعل الى محرك غير متحرك .

(ام تنبؤنه) بغير الواقع اى بعنوان مفهوم الشركة من غير مصداق ، الذى لايكون حتى يعلم ، ام بلقلقة اللسان تقولون بتأثيرات ماتدعون .

(بل زيّن) يكون اضراباً اى ليس غرضهم تصحيح المطلب ، حتى يفتقر الى تلك البينات ، بل كيدهم و مكرهم للاخرين ، بعثهم على اظهارما اعتقدوا خلافه لاجل صد الاخرين عن الوصول الى الطريق الموصل الى الله ، وهذا ايضا من باب اضلال الله وعدم توفيقه لهم باختيارهم عدم التوفيق ، ومن لاتوفيق له ، فلا هادى له ، اذالنور الداخلى لايكون فيه ، فيكون اعمى ، فلاينفع له النور الخارجى من شمس وقمر ، وكوكب ، وسراج .

(لهم عذاب فى الدنيا) لابتلائهم الى ان يقتلوا او يؤخذوا أسراء (ولعذاب الاخرة اشق) ولا واقى لهم من الله ، اذالشفاعة واقعة باذنه ، والله الهادى .

و قد ظهر بحمدالله عدم مخالفة الايات المذكورة مع العقل ، و عدم دلالتها على عجز النبى ﷺ عن الاتيان بالمعجزات ، بل دلالتها على صدور معجزات أخر ، من ابتلاء اهل مكة ، والانباء بالغيب ، والله الهادى .

قوله تعالى ﴿مثل الجنه التى وعدالمتقون تجرى من تحتها الانهار اكلها﴾ ﴿دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار (٣٦) والذين آتيناهم﴾ ﴿الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب من ينكربعضه قل انما امرت﴾ ﴿ان اعبدالله ولا اشرك به اليه ادعو واليه مآب (٣٧) وكذلك انزلناه حكما﴾ ﴿عربياولئن اتبعت اهوائهم بعد ماجائك من العلم مالك من الله من ولى ولاواق﴾

﴿(٣٨) ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجاً وذرية وما كان لرسول﴾
﴿ان يأتى بآية الا باذن‌الله لكل اجل كتاب (٣٩) يمحوالله مايشاء ويثبت وعنده﴾
﴿ام‌الكتاب (٤٠)وان مانرينك بعض الذى نعدهم‌او نتوفينك فانما عليك البلاغ﴾
﴿وعلينا الحساب (٤١) اولم‌يروا انا‌نأتى الارض ننقصها من‌اطرافها والله‌يحكم﴾
﴿لامعقب لحكمه وهوسريع‌الحساب(٤٢)وقد مكرر الذين من قبلهم‌فلله المكر﴾
﴿جميعا يعلم ماتكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار (٤٣) ويقول﴾
﴿الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بـالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم﴾
﴿الكتاب﴾ (٤٤).

اى (مثل الجنة التى وعدالمتقون) مثل جنة(تجرى من تحتها الانهارا كلها﴾ دائم وظلها) فالمبتداء هو المثل الاول المذكور والخبرالمثل الثـانى المحذوف بقرينة المقام.

اى لواردت ان تعلم المماثل للجنة الاخروية ، فافرض فى الدنيا جنة تجرى من تمام أرضها الانهار من غير الاضرار بكثرة مائها .

وكان أكلها دائماً وهى ملازمة لعدم انقطاع مأكولاتها باقسامها ، و حصول قوّة للانسان فيها للطافة مائها وهوائها ومأكولاتها ، بحيث يأكل دائماً ويلتذ وكان (ظلها) ايضادائما ، والظل غير الظلمة ، فان فى الظل يرى الاشياء والانسان‌محفوظ من الحر ، فدوام الظل ملازم مع دوام النهار ودوام ظلال الاشجار فهذا المتصور مثل من امثال الجنة والامر اعظم من ذلك .

(تلك) عاقبةاهل التقوى اى‌ماتكون‌مرتبة نزوله ، ومثاله ماذكر،وعاقبة الكفار ( النار) اى الدار التى تلى هذه الدار تكون ، لاهـل التقوى ، الاول ، وللكفار ، الثاني .

( والذين آتيناهم الكتاب ) اى كانوا عالمين بالكتب السماوية ( يفرحون) بالقرآن لان العالم محبوبه ، العلم ، فاذا علم بالحقائق الثابتة فى الكتب السابقةثم

اطلع على الكتاب الذى تكون الحقائق فيها ثابتة على النحو الاعلى والاتم، فبقدر حبّه للعلم يفرح بهذا الكتاب ويحبه ويعشقه ، وانما يعرف ذلك مـن ذاق حلاوة العلم والعرفان ، اذ من ذاق حلاوتهما لم يتخذ بدلاً من دونهما .

ومن الطوائف (من ينكر بعضه ) لعدم رسوخهم فى العلم وغلبة الشهوة عليهم فما على خلاف مشتهياتهم ينكرونه (قل انما امرت) به هو عبادة الله خالصة من الشرك والدعوة اليه ، اذ اليه مرجعى اى لااعتنى بانكاركم وانا عبد مأمور امتثل ما امرت به ، وبمثل ما ذكر انزلنا المتقن من عندنا ، والمستحكم بلسان عربى .

(ولئن اتبعت) ايها النبى (اهوائهم) و تركت العلم ( مالك من الله من ولى ولاواق ) وقد ذكر مكررا ان الشرطية لاتوجب اثبات المقدم .

و كثرة الازواج لاتصير سببا لانحطاط النبى ﷺ اذ من كان مزاجه قويا و مائه كثيرا يحصل له بدفع الماء الفراغ للامور الالهية لانها من العوائق فى الجملة وبدفعها ترتفع العوائق .

نعم لوفرض فى العالم قحط النساء بحيث كان التزويج فوق الواحدة موجبا لتفويت حق ساير الرجال لعدم وجود الزوجة لهم اى من يزوجونها لكان اللازم على النبى ﷺ الاقتصار حتى تحصل المساوات (ولـو فرض ) ضعف النبى ﷺ عـن اداء الرسالة ولوازمها بسبب كثرة الازواج ، لكان اللازم تقليلها ، وفى غير الصورتين لامانع من كثرة الازواج ، بل يحتمل فيها المصالح (مما) ذكرنا و (من) كونهـا روابط بينه وبين الاجنبيات فى اخذهن المسائل ، اذ بعض المسائل ممـا يستحيى ازواجهن من السؤال فضلا عنهن ، فلابد من الروابط من النساء فى البين .

وعلى اى حال فيقول الله ان الانبياء السابقة ايضا كانت لهم ازواج وذريّة ، وهذا جواب اقناعى وعلى نحو المجادلة بالتى هى احسن لاهل الكتاب ، اذهم الموردون لهذا المطلب ( وما كان لرسول ان يأتى بآية) معينة بل مطلق الاية (الا باذن الله) فعلى قدر اتمام الحجة يلزم ، وفى الزائد لو كان فيه الصلاح يكون تفضّلا ،

ولوكان فيه الفساد وهو التلاعب اوكون الغرض الوصول الـى الدنيا ، فلامورد للتفضل ايضا، بل لاحسن فيه حينئذ (لكل) امر مؤجل وموقت (كتاب) ثابت محفوظ فيجرى الاجل بمقدار ما كتب فى هذا الكتاب العالى .

(يمحو الله ما يشاء ويثبت) قد ذكرنا سابقا ان عالم القدر وهو الملكوت ــ لعبوديتها لله ــ يكون نفس هذا العالم و اهل هذا العالم من الملائكة و غيرهم ، افعالهم افعال الله لفنائهم من قبيل ما رميت اذ رميت و لكن الله رمى (١) وهم غير محيطين بتمام ما يقع فى عالم الملك دفعة بل علمهم بالتدريج ، فقد يحصل لهم العلم بصلاح شيىء و يريدون ايجاده ، ثم يطلعون على ان الاصلح خلاف ذلك ، فيرفعون اليد عن مقتضى ما ارادوه، فالارادة الاولى والعلم بالصلاح يمحو و يثبت خلافـه لكونه اصلح.

و بذلك قد صححنا تبعا للاساطين امر البداء الذى يكون من مذهب الامامية رضوان الله عليهم (وعنده ام الكتاب) وهو ماثبت فيه تمام العلوم وهو اللوح المحفوظ وهو فوق عالم القدر .

(وان ما نرينك) لفظ (ان) شرطية ادغم فـى ما والجزاء محذوف اى ان وفينا بوعدنا ببعضه قبل وفاتك فهو ، وان توفيناك فنفى بعد وفاتك اى يحصل ما وعدناك (اما) قبل وفاتك و لكن بالنسبة الى البعض (او) فى البعد و هو بالنسبة الى الجميع فلا تحزن اذ ليس عليك الا البلاغ و اتمام الحجة وقد اتممت و الحساب والجزاء علينا .

(اولم يروا) اى لم يكفهم انا ننقص من ارض مكـة (من اطرافها) على المشركين ونخرجها من ايديهم ، ونعطيها الى المسلمين وهذا حكم الهى اى لزوم الخروج من ايديهم ، و الوقوع فى يد المسلمين ، و لاراد لحكمه ، و هـذا اطمينان ،

---

(١) الانفال ١٧

بالغيب غايته ( وهو سريع العقاب ) لاحاطة علمه و قدرته ، او سريع الجزاء فى المحاسبات للاحاطة المذكورة ، فيحاسب الخير و الشرّ قبل ان يرتدّ الطرف، فيجزى .

(وقد مكر) الكفار السابقون مثل هذه الكفار ، و له المكر الحقيقى وقد مرّ ذلك ، فلا نعيد برهانه (يعلم) افعال الناس ويحصل للكفار العلم بالعاقبة بعد ذلك اى بعد ورودهم فى النار ومشاهدة مايشاهدون (ويقول) الكفار : (لست مرسلا قل كفى بالله) الشاهد لى اذاعطانى مالاتقدرون جميعاً على الاتيان بجزء من الف منه مثلا واعطانى علم الغيب كما تشاهدون ـ وانشقاق القمر ، والسير الى المسجد الاقصى وساير المعجزات .

(ومن عنده علم الكتاب) اى كل من كان عالما بتمام الكتاب من الولى المطلق(١) والجبروتيين من الملائكة ، فانهم يشاهدون نورانيتى (او) من كان يصدق عرفاً عليه انه عالم بالكتاب وقد مرّ سابقاً ( ٢) ان محب العلم محب للعلم الاعلى فيفرحون بالقرآن ويلتذون ، ويعلمون ان الاتى به من قبل الله ، وانه فوق تمام الانبياء .

و قد ظهر مما ذكرنا عدم مخالفة الايات المذكورة للعقل
وان القرآن عند اهل اليقين والعلم اعلى من تمام
الكتب السابقة، والعقول من رشحات
هذا الكتاب والله الهادى

---

( ١ ) اورد السيد الجليل المتتبع الخبير السيد هاشم البحرانى قده (صاحب تفسير البرهان ) فى غاية المرام ستة احاديث من طرق العامة و ثمانية عشر حديثاً من طرق الخاصة فى ان المراد من ( من عنده علم الكتاب ) هو على بن ابى طالب (ع) فراجع غاية المرام ص٣٥٧ الباب ٥٩ ـ ٦٠ .

(٢) فى تفسير قوله تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون الخ فلا حظ

وانا الراجي نورالدين بن الشفيع الحسيني

من سلطان آباد العراق من الايران

وقد فرغت من هذه السورة عصر السبت المطابق للعاشر

من ذيقعدة الحرام من علو ١٣٣٦

في قاضي كوي من اسلامبول

# سورة ابراهيم (١٤)

مكية

الا آيتان في قتلى بدرى

من المشركين

خمس وخمسون آية

فرغ منها يوم الجمعة (١۶) ذى قعدة الحرام

من سنة ١٣٣۶ من الهجرة القمرية

على هاجرها آلاف التحية

فى قاضي كوى من اسلامبول

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الر (١) كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن﴾
﴿ربهم الى صراط العزيز الحميد (٢) الله لذى لهمافى السموات ومافى الارض﴾
﴿وويل للكافرين من عذاب شديد (٣) الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة﴾
﴿و يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا اولئك فى ضلال بعيد (٤) وماارسلنا﴾
﴿من رسول الابلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهوالعزيز﴾
﴿الحكيم (٥) ﴾.

الر ۔مضى الكلام فيه (كتاب انزلناه اليك) خبر، والمبتداء وهو القرآن اوهذاالقرآن قدحذف بقرينة المقام و(انزلناه صفة) للكتاب،اى هذا القرآن الملفوظى كتاب عال ومن الحقائق الثانية لماسبق من بيان الفرق بين الكتاب والكلام ، قد انزل من عندنا اى نزلناه عن مرتبته العالية ، للغاية المذكورة فى البعد ،

فالقرآن حقيقة واحدة ذات مراتب، ومرتبته العالية فوق ان يرتبط مع الناس فلايصير بتلك المرتبة سببا لهداية الناس من باب عدم السنخية والتناسب وعدم افتها مهم ، لان اعلام المعانى بدون توسط الالفاظ موقوف على تصرف تام من النبى اوالولى فى النفوس ، بحيث يصلونهم الى درجة شهود الحقائق من البعيد ، وهو درجة علم اليقين اوازيد بعدالوصول الى تلك الدرجة ، بان يصلواالى درجة شهود الحقائق عن قرب ، وهو عين اليقين ، اوازيد بعدذلك ايضا بايصالهم الى درجةالفناء

وذهاب الانانية ، وصير ورتهم مندكـّة في الصادر الاول اواعلى وحينئذ يكون تمام الحقائق فيهم ، لكون تمام الحقائق على النحو الاعلى فى الصادر الاول ، وفوقه، وحكم الفانى حكم مايفنى فيه كالحديدة المحماة .

وهذا التصرف لايمكن بدون طلب الناس حتى يحصل لهم الاستعداد .

وحيث ان الناس اكثرهم بل الا النادر منهم ليسوامن اهل تلك الدرجة ، وغرض الفياض الافاضة عليهم ، فلا بد من ان يجلـّى الحقائق بالكسوة النزولية ، و يجعل المرآة لها وهى الفاظ ، فالالفاظ كماذكره بعض اهل التحقيق ، تكـون عنوانها المرآتية للمعانى ، وفانية فيها و لا ينظر اليها بالاستقلال ، بل ينظر بهـا الى المعانى .

وهذا الانزال فى القرآن من قبل الله ، بلحاظ ذاته الجامعة على الاجمال لتمام الصفات (او) بملاحظة تمام الصفات و الاسماء فيكون مناسباً للفظ (انزلناه) لكون القرآن جامعاً لتمام الاسماء والصفات ، فهو مظهر تمام التجليات ( لتخرج الناس من الظلمات الى النور)

اى غاية النزول و كسوة الحقائق بتلك الالفاظ العالية الالهية الغير الممكنة الاتيان بمثلها لكون الفاظهـا ايضاً على الترتيب الخاص من ناحية الله من حيث الالوهية اخراجك الناس من الظلمات (من ظلمة) الجهل بالمعتقدات الحقة (ومن ظلمة) الاخلاق الفاسدة من الكبر والحسد والبخل وقسوة القلب والشرهوالنكرى وامثالها (ومن ظلمة) الافعال السيئة من القتل ظلماً والافساد فى الارض والزناءوشرب الخمر وغيرها (الى النور) وهو حصول العلم بالمعتقدات الحقة وتسوية الاخلاق وتصحيح الافعال .

(ولما ان) النور حقيقة واحدة ذات مراتب والتكثر فيه عرض و بالمجاز ، بل التكثر فى مراتب اشتداده وضعفه كالوجود بل هو الوجود ( افرده الله ) وامـا الظلمات فلكونهـا مأخوذة من الحدود و الفقدانات و النفادات فتكثرهـا حقيقية

لامجازية فافادها الله بالجمع، وليس الغرض ان غيره يكون فاسداً وغلطاً اذاللحاظ يختلف ، بل الغرض انهذاالتفكيك فيالبيان هنافي نهاية الحسن.

(باذن ربهم) والمراد بهمقابل الحظر والمنع فيشمل الامرالوجوبيوالندبي اما الوجوبي فقد ذكر ، واما الندبي ، فالاخراج من ظلمة النقص والانانيةالىنور الفناء في الحق وشهوده (الى صراط العزيز الحميد) بدل من لفظ (الى النور) او عطف بيان لما سبق ، من ان النور حقيقة واحدة ذات مراتب ، فقطع النظر عن خارج يكون اللفظ شاملا للذات الاحدية ، وللتجليات في الفيض الاقدس ، ولها في الفيض المقدس ، ولكنه بحسب الخارج يكون الاول بدون الواسطة غيرممكن الاللاوحدي الفاني في الذات الغيرالمحدود المشاهد بعين الذات الغير المتناهي ولكن الثاني والثالث ممكنان .

وحيث ان الغرض من النزول تكميل نوعالانسان لاالخواص منهم، فالثاني ايضألايحصل، فما يكون للنوع هو القسم الثالث، وهوالصراط الى الفيض الاقدس والتجلي الاسمائي ، وهو الصراط الى تجلي اسمالعزيز واسم المحمود (والاول) من اسماء الجلال و القهر ( و الثاني ) من الجمال ، فـان الحمد بلحاظ الجميل الاختياري لا بلحاظ عدم نهايته ( فمن حيث ) كون المقصود ذلك لا مطلق النور يكون بدلا(ومن حيث) انه ليس غير النور وله التقيد يكونعطف بيان .

(الله الذي له) ان قرء بالجر يكون بياناً (للعزيز الحميد) فانالله جامع لتمام الكمالات ( و ان ) قرء بالرفع فيكون مبتداءاً او خبره الجملة الثانية اي الله هـو (الذي له ما في السموات وما في الارض ) وحذف لفظ ( هو ) من باب القرينة ، و المراد من الملك المستفاد من اللام قد سبق ، فلا نعيده و كذا لفظ السموات والارض .

(وويل للكافرين من عذاب شديد) واي ويلاعظم من انالله لاجل الشفقة عليهم انزل الحقائق العالية بكسوة الالفاظ العالية، ونزّل الحقيقةالمحمدية بحيث

يتكلم معهم، ويستأنس بهم، ويتحمل اذا هم حتى يخرجوا من ظلمات الجهل بالعقايد والانصاف بالرذايل من الملكات .

وصدور ما هودنس من الافعال فلم يتمسكوا بما انزل وبقوا على ما كان ، وحصلت القوة والشدة لظلماتهم .

وبسبب ذلك الحصول يمشون الى صراط الجحيم ، فيصلون الى الجحيم السافل وهو جحيم الافعال، والاسفل من السافل، و هو جحيم الصفات، والاسفل من الاسفل ،و هو جحيم الذات الذى اذا وصل اليه احد، لم يخرج منه ابداً لاستحالة تخلف الذاتي والكل عذاب شديد وبينهما من التفاوت مالايعد ولا يحصى .

ثم بين الله الكافرين ، بانهم الذين اختاروا الحيوة الدنيوية على الاخرة ، ويمنعون من المشى، الى سبيل الله ويطلبون العوج فى سبيل الله حتى لايحصل منه الوصول الى الله، فالمراد بالكافر، هو الساتر على نحو الاطلاق، لتمام مراتب النور لامجرد استحباب الدنيا على الاخرة للشهوة والغضب بل هو مع الصدّ عن الوصول الى الله وهو ستر اوصاف الحق .

(اولئك فى ضلال بعيد) عن الحق فطريقهم فى غاية الاعوجاج ، و فى نهاية البعد، فلا يصلون ابداً اذ خرجوا من الدنيا فى حال الكفر وعالم البذر قد انقضى والاخرة دار نمو البذور وظهورها على الاقوى .

( وما ارسلنا من رسول الابلسان قومه ) و هو تقييد للانزال ـ اى الكسوة اللفظية ـ بلسان العرب فى القرآن لكون رسالة كل نبى بلسان قومه ، ليظهر الامر لهم ويتم الحجة عليهم . وبالبيان يضل من يشاء اضلاله، ويهدى من شاء هدايته على حسب طلبهم و استعدادهم والتوجه والاقبال لهم ، فمن توجه وطلب الضلالة يصل الى الضلال ومن توجه وطلب الهداية يوصله الى الهداية .

وحيث ان الاظهار لاجل حصول العلم، و هو فيما اذا كان بلسانهم يكـون حاصلا او يكون تحصيله اسرع، فهو مقدم على غيره،وغير القوم بعد اتمام الحجة

على القوم،وظهور الامر اليهم يرجعون الى لسان القوم لقوة الطلب حينئذبخلاف اول الامر ، وهو الغالب على تمام المراتب والتحويلات المتقن فى اموره .

و كون تمام المذكورات على طبق العقل ، وعدم مخالفتها مع العقل يكون واضحاً والله الهادى .

قوله تعالى ﴿ ولقد ارسلنا موسى بآياتنا ان اخرج قومك من الظلمات ﴾ ﴿الى النور وذكرهم بايام‌الله ان فى ذلك لايات لكل صبار شكور (٦) واذقال﴾ ﴿ موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون يسو مونكم ﴾ ﴿سوء العذاب ويذبحون ابنائكم ويستحيون نسائكم و فى ذلكم بلاء من ربكم﴾ ﴿ عظيم ( ٧ ) و اذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم و لئن كفرتم ان عـذابى﴾ ﴿لشديد (٨) ﴾ .

اى ارسلنا موسى بمصاحبة آياتنا ، وهى الامور الكاشفة عن حقانيته،وصحة ادعائه المستلزمة لخلاص بنى اسرائيل من يد فرعون على فـرض تسليمه الموجبة لرغم انف فرعون واتباعه، من الجراد، والدم ، والطوفان ، والقمل، والضفادع ، والعصا ، واليد البيضاء ، والطمس ، وفلق البحر .

(واوحينا) اليه و قد حذف للقرينة ( ان اخرج قومك ) اى بنى اسرائيل او مطلق من كان فى‌زمانه، فان اللطف عام واتمام‌الحجة كان على الجميع الا ان‌لزوم الاستخدام فى ضمير (وذكرهم) يعين الاول ، واثبات الشىء لاينفى ما عداه حتى يكون منافياً للفيض وارساله الى فرعون واتباعه قد دلت عليه الايات الكثيرة (من الظلمات الى النور) .

فان كان بنوا اسرائيل كافرين، فالمراد الاخراج (من ظلمة) العقائد الباطلة (ومن ظلمة) الاخلاق الفاسدة(ومن ظلمة) الاعمال غير الصالحة .

(وان ) كانوا موحدين ولم يكونوا قائلين بنبوة موسى عليه السلام فكذلك ايضاً (وان) كانوامؤمنين بالغيب ولم‌يعرفوه‌فكذلك (وان) كانوامؤمنين‌بالجميع فلعل‌من

الظلمات ظلمة يأسهم من التخليص والكلام في النور قد مضى (وذكرهم بايام الله).

قد ذكرنا في غير موضع ان الالفاظ موضوعات بازاء المعاني الكلية او اريد بها كذلك اذا صدرت من الله، و من يتصل حبله اليه، فالمراد باليوم كل امتداد او مرتبة اشرقت فيها الشمس، سواء كانت الشمس الجسمانية او الشمس الحقيقية.

ولما ان في اتيان كل آية من الايات اشراقاً للنور من الشمس الحقيقية في ذلك الزمان، وهو موسى عليه السلام على قلوب العالمين او خصوص بني اسرائيل، فكل آية من الايات يوم من ايام الله، لكون الاشراق من الله والاتي بالاية، هو الرب تعالى وتقدس (ان في ذلك) التذكار (لايات) وعلامات للرب، والوصول اليه لكل كثير الصبر، و لكل كثير الشكر، اذ يرون الفرج بعد الشدة لبني اسرائيل بتلك المثابة المسطورة في الكتب بازاء صبرهم وشكرهم.

(واذ قال موسى) اى اذكر حين قال موسى عليه السلام لقومه (اذكروا نعمة الله عليكم) وهو خلاصكم من اتباع فرعون حيث (يسومونكم) ويوردون السأم والموت عليكم على نحو السوء من العذاب (ويذبحون) الذكور من اولادكم (ويستحيون نسائكم) اى يطلبون بقائهن، وهو كان لاجل استخدامهن كالاماء (وفي ذلكم بلاء) وامتحان (من ربكم) اى هذه الشدائد اوهي والسابق عليها في الذكر، و هي الايات التي من انعم الله على بني اسرائيل وهي ايام الله لهم.

(و) اذكر (اذ تأذن ربكم) واعلمكم ان الشكر موجب لازدياد النعم، فتقوى الكمالات و تشتد، و ان الكفر ان لا يضره، فانه يقدر على العذاب، فيعذبهم بالشدة لسوء اختيارهم وعدم مخالفة ما ذكر من الايات مع العقل في كمال الوضوح والله الهادي.

قوله تعالى: ﴿و قال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعاً فان الله﴾ ﴿لغني حميد(٩) الم يأتكم نبؤ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين﴾

﴿من بعدهم لا يعلمهم الا الله جائتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم فى افواههم﴾
﴿وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم بهوانا لفىشكمماتدعوننا اليه مريب (١٠) قالت﴾
﴿رسلهم افيالله شك فاطر السموات والارضيدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم﴾
﴿ويؤخركم الى أجل مسمى قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدوناعما﴾
﴿كان يعبدآباؤنا فأتونا بسلطان مبين(١١) قالت لهمرسلهم اننحنالابشرمثلكم﴾
﴿ولكنالله يمن على منيشاء من عباده وما كانلنا ان نأتيكم بسلطان الاباذن الله﴾
﴿وعلىالله فليتوكل المؤمنون(١٢) ﴾.

وقال موسى عليه السلام (اما) لقوم فرعون (واما) لهم ولبنى اسرائيل انكان فيهم من ينكر التوحيد : ان كفرانكم وعدم ايمانكم ، و جميع اهل الارض لا يوجب نقصاً علىالله، فانه الغنى وهو مفيض الوجود فى كل آن عليكم بتمام مراتبكممن ابدانكم و قواكم ، لكون الكل متحركاً ، و خارجاً من القوة الى الفعل ، فلا بد منانتهائها الى الواجد المحض ، والفعل الذى ليس فيه شوب النقص حذراً من التحقق من دون محقق اوكون المعطى فاقداً وهو الله ، ولا معنى للغنى المطلق الا الواجد المطلق .

وحيث ان كل الوجود بيده ويكون قائماً به ، فلا يفقد شيئاً، ولا ينقص منه شيء أبداًوالضرر والنقص انما يتصور اذا امكن فقدانه لشيء من الوجود، وهوغير ممكن كما ذكر .

وهو المحمود اىمع كونه غنياً وغير مفتقر الى احد ، بل افتقار الكل اليه لكون الكل ربطاً محضاً قائماً به ينعم عليهم ، و يتفضل بهم ، و يعامل على نحـو الحسن معهم فيستحق الحمد .

(الميأتكم) الظاهر انه ابتداء كلاممنالله ولايكون من مقول قول موسىعليه السلام ولوكان فللاستشهاد علىغنائه تعالى ومحموديته، وعلى ايحال، فالاستفهامانكارى اذ قد وصل اليهم خبر هؤلاء، وهم قوم نوح ، و قوم عاد و ثمود واللاحق عليهم

بحيث لا يعلم عددهم الا الله جائت الرسل من عند الله عليهم وجاؤا بالبينات والمعجزات على صدق دعاويهم ( فردوا ايديهم فى افواههم) اى عضوا اياديهم للغيظ و انه لم يكونوا .

قادرين على اتيان تلك الامور ( وقالوا انا ) كافرون بمن أرسلكم و لا نعتقد وجوده، فكيف نؤمن بكم (وانا لفى شك) يسرى من جانبنا الى غيرنا ، فهو المريب وموجب لريبة غيرنا واظهارهم الكفر الدال على الجزم بالخلاف، وان كان منافيا مع الترديد الا ان المضطرب فى كلامه لعدم الحجة و عدم الميزان عنده يتكلم على هذا النمط المشوّش .

واجابت الرسل عنهم بان شككم فى فاطر السموات والارض.

اى هل يمكن للعاقل ، بما هو عاقل ان يشك فى انهما تخرجـان كل آن من قوة الى فعل ، و من وجدان بعد فقدان و لو بمجاذاتهما فى كل آن مع جزء من الاخر بحيث لم يكن هذا القسم من المحاذات ، فى الان السابق موجوداً .

وعروض العوارض على الشمس والقمر بالحركة السنوية والشهرية، وعروض حالات مختلفه على القمر ، و اختلاف حالات الارض من الواضحات ، وهكذا حال ساير الكواكب ، فالجميع متحركات بالمعنى المذكور ، و من باب احـد المحظورين السابقين يلزم انتهائهما الى فاطرهما الواجد المحض، فكيف يمكن للعقل أن يشك فى الفعل الذى يكون كاملا مطلقاً ، ولا جهة قوة فيه ولا النقص.

فالشك فى الله الفاطر لا يحصل للعاقل من حيث هو عاقل ، بل لا ينبغى الشك من العاقل الغالب فيه الشهوة او الغضب، فان الله يدعوكم ليغفر ذنوبكم و يرفـع المانع من بلوغكم الى الاجل المسمى من القواسر ، فيصلكم الى الاجل المسمى وهما على طبق الشهوة و الغضب ايضاً، فان الحيوة الدنيوية تكون الشهوية مائلة اليها ، و هى حاصلة بتأخير الموانع ، و العقاب المترتب على الذنوب يكـون متنفراً عنه عند الغضبية ، و غفر ان الذنوب مورث لرفع العقاب ، فهو على طبق الغضبية .

قالوا لستم الامساوياً معناوغرضكم منع تبعيتنا لابائنا ، وهو امر مذموم عند العقلاء، لان العقلاء يحترمون آبائهم ومخالفتهم خلاف احترامهم (فأتونا بسلطان مبين) اى حجة واضحة وهذا الامر (اما) امر تعجيز بظنهم (واما) امر حقيقى مقيد بالارادة المخصوصة اى لو اردتم ايماننا فأتوا بهذا الشيء حتى نؤمن .

(وقالت)الرسل انا وان كنا في البشريةنساوى معكم الا ان الحقيقة الانسانية لهامراتب شتى فىالاختلاف، اذاختلاف العقولوالادراكات، والصنائعوالحرف وساير ما للعلم الدنيوى فيه دخل من المشهورات الواضحة.

وحيث أن ذلكالاختلاف غير مضر فىاتحادالحقيقة،فاشتداد العلموالعرفان بحيث يصل الى درجة تصيرمورداً لامتنانالله عليه واصطفائهلا يضر باتحاد الحقيقة فان حكم الامثال فيما يجوز ويمكن، وما لايجوز ولا يمكن : يكون واحداً وهذه قاعدة عقلية غير مخصصة ، فنحنبشروصلنا بمنّالله وعنايتهبدرجة النبوةوالوساطة اذيفيض ذلك المنصب على من يعلم بصلاحيته لذلك المنصب فيمن على من يشاء من عباده الخارجة من عبودية الشيطان والهوى الداخلة فى عبودية الله .

واما ما طلبتم ، فقد آتينا بالايات ، وارادتكم الاية المعينة المخصوصة من باب التشهى يفتقر الى اذنالله لنا فى الاتيان به، فنحن قادرون من قبلالله ، و لكنه لابد ان تكون افعالنا بارادةالله واذنه ، ولعل الصلاح فى عدم الاتيان لانجراره الى التلاعب او تعمير الدنيا، مع ان الغرض من بعث الانبياء تعمير الاخرة لا الدنيا، وكل مؤمن لابد ان يكل امره الىالله، ويفوض اليه .

وقد ظهر من تمام ما ذكر ان الاياتالمذكورة بعضها غير مخالفمعالعقل وهو ما يكون حكاية وبعضها الاخر على طبقالبراهين العقلية فالجميعغيرمخالف والله الهادى .

قوله تعالى ﴿وما لنا الا نتوكل علىالله وقد هدانا سبلنا و لنصبرن على ما آذيتمونا وعلىالله فليتوكل المتوكلون ( ١٣ ) وقال الذين كفروا لرسلهم﴾

﴿لنخرجنكم من ارضنا اولتعودن فى ملتنا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين(١٤) ﴿ ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامى و خاف وعيد ( ١٥ ) ﴾ ﴿ و استفتحوا و خاب كل جبار عنيد ( ١٦ ) من ورائه جهنم و يسقى من ماء ﴾ ﴿صديد(١٧) يتجرعه ولايكاد يسيغه و يأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ﴾ ﴿ومن ورائه عذاب غليظ (١٨) مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماداشتدت ﴾ ﴿به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هـو الضلال ﴾ ﴿البعيد (١٩)﴾.

اى و ما يبعثنا على عدم التوكل و الحال انا علمنا سبلنا و طرقنـا اى اذا صار الانسان عالماً بالطرق الموصلة الى الله من العقائد والاخلاق والاعمال.
فيعلم بالاول ان وجود كل شيء، وبقاء كل شيء من الله، ومنها آثار الاشياءوصفاتها و اعراضهـا ، فبقاء الحرارة فى النار كحدوثها من ا لله و بقاء البرودة فى المـاء كحدوثها منه، وعدم ملائمته مع تنفس الانسان والحيوانات البرية، وملائمته لتنفس السمك و الحيوانات المائية منه ، و قاطعية الحديد وحدته منه و خارقية الخوارق منه، وتحقق الجوع بتحليل ما اكله وعدم وجدان ما يقوم مقامه منه، فله سلب التمام عن التمام ، وله ان يحفظ بدن الانسان بحيث لايضر شيئاً له، وله سلب القدرة عمن اراد للانسان سوءاً .

فالعارف بتلك الامور كيف لا يتوكل على الله و كيف يخاف من غيره فى صورة امر الله على القيام بمخالفة الناس، و كذامن حصل له المعرفة بالدارالاخروية وان نسبةالدار الدنيوية الى الاخرة كالرشحة الى البحر، وان الخروج عن الدنيا دخول في الاخرة كيف لايتوكل في الامور على الله، اذ يعلم ان القتل الذى منتهى اذية الناس ملازم للراحة التى لامثل لها .

وهذاالعلم يتحقق ويصير عيانياً بسبب الاخلاق والاعمال، فلاجل ذلك نتوكل عليه، ونصبر على الايذاء والصبر عليه غير قابل فى مقابل النعمة الاخروية، و كل من

فيه استعداد ان يتوكل لادراكه لابد له بحكم العقل ان يتوكل.

وقالت الكفار نخرجكم من ارضنا الا اذا رجعتم الى ديننا .

فاوحى الله الى الانبياء لنهلكن الكافرين ونسكننكم فى الارض لخوفكم من القيام بين يدى الله من الهيبة و خوفكم من عقاب الله ، وهكذا حال كل خائف من عظمة الله وعقابه وحصل الفرج للانبياء، وخسرت اعدائهم من الجبار العنيد لله ومن وراء هذا العذاب عذاب جهنم .

و حيث ان التوجه الى كل من الدارين ادبار الى الاخر ، فاطلاق الوراء صحيح ، و يسقون من الماء الممزوج بالقيح لمزج ادراكاتهم فى الدنيا بالادناس الحاصلة، من الشهوة والكبر والشيطنة ، فيظهر كل بحقيقته، فيصير الماء كماذكر و من شدة العفونة و المرارة ، و ساير الصفات الخبيثة يشربون الماء المذكور جرعة جرعة ولايسيغونه ، لعدم الملائمة بعد كشف الغطاء ويأتيهم اسباب الموت من كل مكان ، اذ تمام ادراكاتهم و اخلاقهم ، و اعمالهم تظهر بصورة الموت لكون الجميع فى مقابل الحيوة الطيبة فالنقائص بصورها المثالية ، فى البرزخ متوجهة اليهم .

ولكنهم لايموتون لان لكل منها حظ من الوجود لكونها (اما) اعدام ملكات (او)وجودات لها حدود عدمية كثيرة (ومن ورائهم عذاب غليظ) وهو ما فى جهنم بعد القيامة فانه اشد وابقى .

و اما اعمالهم فلانتفاء شرط الصحة فيها كالرماد الباقى بعد ذهاب الصور النوعية اللطيفة فليست الا الكثافة المحضة الغير الحافظة لانفسها وغير المستمسكة بعضها لبعض فتصير هباءاً منبثاً متفرقاً، فان الحيوة هى العاصمة، ولا روح لاعمالها فلا قدرة لهم بشيء من قبل اعمالهم والضلال البعيد عن الحق هو ذلك.

وبيان تمام هذه المطالب ببراهينها قد سبق منا فلا نعيد .

فظهر من جميع ذلك عدم مخالفة ما ذكر من الايات مع العقل والله الهادى

قوله تعالى : ﴿ الم تر ان الله خلق السموات و الارض بالحق ان يشأ ﴾ ﴿ يذهبكم و يأت بخلق جديد (٢٠) و ما ذلك على الله بعزيز (٢١) وبرزو الله ﴾ ﴿ جميعاً فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنالكم تبعاً فهل انتم مغنون عنا من ﴾ ﴿عذاب الله من شيء؟ قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا اجزعنا امصبرنا﴾ ﴿مالنا من محيص (٢٢) وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعدالحق﴾ ﴿ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى﴾ ﴿فلاتلوموني ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخيّ اني كفرت﴾ ﴿بما اشركتمون من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم(٢٣)﴾ .

الم تر (اما) المراد الرؤية العقلية، او الرؤية الكشفية التي اعلى، وعين اليقين او الاعلى منه ، و هو حق اليقين بسريان قدرته في الموجودات ، واين هما من الرؤية الحسية ، اذهي مختصة باللون العارض ، و تلك رؤية الحقيقة بتمام مراتبها ولوازمها، والمرادبالخلق امالبقاء لكون بقاء كل شيء من مقولته وافتقار الممكنات في البقاء ايضاً الى الله .

(واما) الخلق حدوثاًوبقاءاًالكونوجوده ﷺ وجود المشية والفيض المقدس وتمام القضاء، ودونه ادنى ، فضلا عن السموات والارض الجسمانيين، فمن حيث الوجود اسبق الموجودات لكونه الصادر الاول .

والمرادمن (السموات والارض) (اما) مطلق العلويات والسفل و هو عـالم الكيان(او) خصوص المحسوسين(بالحق) وهو مقابل الباطل اى لهما الاثر المعتد به العقلائي من سيرهما اوسير الحاصل منهما الى الله والافاضة على الغير بالتكميل الجسماني وفوقه من التخيلي والعقلاني .

(ان يشأيذهبكمويأتبخلق جديد)والمراد به (اما) اذهاب الدفعي للمخاطبين و الاتيان بالمولودات الجديدة ( واما ) اذهاب نوع البشر والاتيان بالنوع الاخر (واما ) اذهابهم على التدريج ، والاتيان بالخلق الجديد من سنخهم تدريجاً ، فهو

الواقع المحسوس دائماً، ولايحتاج الى التنبيه.

ويدل على عدم كون المراد ذلك قوله تعالى :(وما ذلك على الله بعزيز) اى لايكون شديداً على الله بأن كان مولماً عليه اوصعبافانه لايشذ منه شيء و لا يخرج عن مملكته ، بل ينتقل من دار الى دار اخرى، و الله محيط بهما ولاعجز له عـن ايجاد كل الممكنات ، بل بكلمة ( كن) النورية خلق الجميع على النحو الاعلى والاشرف والابسط،فلا يكون صعباً عليه ولو كان المراد الاخير(١)لكان من المشهودات الغير المحتاجة الى ذلك الكلام .

(وبروزا لله جميعاً ) اى تمام الكفار او تمام الخلائق ومنهم الكفار، و البروز هو الظهور ، والمراد ان كان ( ٢ ) ان الله محيط بالجميع، و عالم علماً حضورياً فقد مر ان الجميع ازلا وابداً كذلك، ولااختصاص بزمان دون زمان او مرتبة دون مرتبة اوعالم دون عالم وان كان، ان هذا الحضور يدركه النوع، فيشاهدون،فيختص مقداراً منه الى البرزخ، وتمامه الى القيامة .

و حيث ان الجميع فى سلسلة الحركة و الخروج من القوة الـى الفعل في الوصول بهذه الدرجة، فيصدق البروز لاجل المشارفة والقوة القريبة الى الفعل حيث ان البرزخ ايضاً عالم البروز (او) من باب تحقق الوقوع أتى بصيغة الماضى (او) من باب ان الزمان والزمانيات تترقى وتصل الى عالم فوق الزمان والزمانيات والامتداد فيها روح الامتداد الزمانى ، ونسبتها الى الزمان نسبة العلة الى المعلول والعلة متقدمة على المعلول بالذات ، فالماضوية بلحاظ التقدم الذاتى فى ذلك الوعاء لاالتقدم الزمانى .

---

(١) يعنى كون المراد من السموات والارض خصوص المحسوسين

(٢) يعنى ان المراد من البروز ان كان هو الاحاطة فقد مر الخ و ان كان المراد من البروز الحضور بحيث يدركه النوع ، فيشاهدون الخ .

( فقال الضعفاء ) والكلام في الماضوية قدتقدم للمتكبرين المتبوعين ( انّا ) تبعنا كمفى الـدّنيا ، فهل تخلصوننا مـن عذاب الله هنا ام لا ؟ وهل تنفعون لنابان تخففوا علينا العذاب مقداراً ّما ام لا ؟ .

واجاب المتبوعـون وقالوا لوهدانا الله لهديناكم يحتمل فى بادى النظران يكون مراد هم امرا صحيحا ، و هو انّه ان كان الله قد وّفقنا على معرفته ومعرفة مـا يلزم تسرى ّمنا الهداية اليكم بسبب التوفيق ، الاانّ الله لسوء سرائرنا ماوّفقنا للمعرفة فسرت ضلالتنا اليكم ، وفى هذا اليوم يرّد اعمالنا الينا ونذوق مااكتسبنا و ، لامحيص لنا (سواء) صبرنا اوجزعنا لانّ دارالبذر قد تمت وهذه الدّار دارنموّ البذر وحصاده لادار اصل البذر .

وما يفضى اليه نظرى انهم لو وّفقوا فى الاخرة ايضا بدرك هذا المطلب ، واظهروا الواقع ، لشملت الرّحمة الالهيةّ لهم ، لكون سعتهـا اعظم من ذلك ، بل الظاهر انّهم لعنا دهم مع الله وبغضهم مع الله، يريدون القاء البغضاءلله في قلوب التابعين لهم فى تلك الدّار ، ويكون مقصود هـم : انّ تلك الصدّمات كانت من قبل الله لامن قبلنا .

( وقال الشيطان ) بعد الحساب وسوق كلّ فريق الى منزله للكفار : ( انّ الله وعدكم ) بالحقّ ولم تطيعوا وانا شغلىهوا لاضلال فاعد ولاافى، وفعلت معكم كذلك الا انهّ لم يكن لى سلطانعليكم بحيث ابعثكم قهرا على المعاصى والشرك ولم يكن منى الا الوعد واجابتكملى ( فلا تلومونى ) لان الله قدا عطاكم العقل وعلمكم ثبات الاخرة وانقراض الدنيا ، وان المتبع للشهوات يعاقب عقاباشديداً ، وانالشيطان عدولكم ، فاستماعالقول من العدوّ الذى غرضه العداوة القاء للانسان نفسه بالاختيار الى التهلكة وهو مستحق للوم عند العقلاء .

ما انا المغيث لكمولا انتم المغيثون لى ، بل كل منامرتهن بعمله ، ومعذب بعذاب الله فانى كنتموحدا قبل تكبرىوغرورى وانانيتىفادرى بطلانى ، والباطل

لايقبل منه شيي عندالله، لان الظالمين وهم العاصون على المنعم الحقيقى (لهم عذاب) مولم كثير الالم بازاء الراحة الحاصلة لهم من الوصول الى مقتضى الشهوية والغضبية الكبرية .

وقدظهر مماذكرنا كون تمام الايات المذكورة على طبق العقل ولامخالف للعقل فيها والله الهادى .

قوله تعالى ﴿وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها﴾ ﴿الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام(٢٤) الم تر كيف ضرب الله مثلا﴾ ﴿كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء (٢٥) تؤتى اكلها كل حين﴾ ﴿باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون (٢٦) ومثل كلمة خبيثة﴾ ﴿كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار (٢٧) يثبت الله الذين آمنوا﴾ ﴿بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله﴾ ﴿مايشاء (٢٨)﴾ .

الكلام فى لفظ (أدخل) بصيغة الماضى كالكلام فيماسبق ، وقد سبق ان الايمان وهو العلم الحقيقى هو اصل الكمال والاعمال الصالحة من مراتبه وآثاره، والصورة الاولى (١) هى الانهار ، لان من الماء كل شيء حي، كالعلم بل العلم نفس الحيوة، لكونها اصلا تكون جارية تحت الاشجار والقصور، وللثانية هى الاشجار والقصور حالكونهم مخلدين ، ولكونهم فى صقع فوق الزمان يكون الامتداد على نحو آخر فيمكن كون الحال تحقيقيا ايضا ، و لو شئت ان تسميه بالتقديرى لقصور نظرك الى الزمانيات فلا مانع من كلامك ، والدخول والبقاء باذن الله ، وقد مضى ان المراد به مقابل المنع ، فيجتمع مع الوجوب ايضا تحيتهم فى الجنة هو السلام ، لسلامتها عن تمام الافات والنقائص .

---

(١) الظاهر من الصورة الاولى هو اصل الكمال ومن الصورة الثانية الاعمال الصالحة.

(الم‌تر) قدمضى الكلام في‌نظيره( كيف‌ضرب‌الله مثلا)اى التفهيمات بالامثال والاشباه والنظائر لعلو المعاني وقصور الافهام .

والمثل هذا ان الكلمة الطيبة وهى كلمة (لااله الاالله) الدالة على التوحيداو ماهومن فروع‌تلك‌الكلمة ( كشجرةطيبة)وهى النخلة اوما يكون‌مثلها (اصلها ثابت) في‌الارض ويكون مستحكماواعضانها وافنانها في السماءاى جهة العلو تؤتى‌هذه الشجرة مايؤ كل منها اى ثمرتها (كل حين) اى خصوص موسم الثمرة فى كل عام اوكل آن‌لان‌الغرض التمثيل ، والوجود الفرضى يكفى له‌والفرض فى المحسوس اسهل للنوع من الفرض في المعقول (باذن ربها) اى‌بامر الله وضرب الامثال‌لتذكر الناس ولو فى الغالب فيناسب الرجاء .

ولعل المراد ان من‌لم يلتفت الى قوس الصعود بالكشف اوالبرهان العقلي ، واراد ان يفهم المطلب فلينظر الى النخلة وامثالها من الاشجار العظيمة‌المثمرة كيف تصير النواة الواحدة مع صغرهـا نخلة ثابتة عظيمة و كيف تثمر فى كل سنة فى اوانها و كيف تكون عدد‌الحاصل منهاالالف وفوقه و كذلك سايرالاشجار المثمرة كالجوز واللوز والخوخ (١) والسفرجل وامثالها فتمام اوراقها واغصانها وثمرتها حاصلة من‌النواة الواحدةاوالعجم (٢)الواحد و تكون باقية فى السنوات العديدة .

واذا فهم ذلك فليسهل‌عليه فهم ان الكلمة وهى المعربة‌عمافي الضمير (اذا) تحققت(٣)وصدرت من نفس‌و كانت دالة على‌توحيد الله(وان)الكمالات كلهامن‌الله فيحصل العلم بان وجوده وبقائه ووجود كل جزء‌كل جزء‌من اعضاء بدنه الظاهرة

---

(١) خوح شفتالو- (صراح اللغة)

(٢) عجم بفتحتين دانه خزما وتكتك انكور وماننذ آن (تاآنكه مى گويد ) عجمة بالتحريك ايضاً درخت خرما(صراع اللغة)

(٣) فعل شرط وجوابه قوله قده: يحصل‌لذلك.

والخفيةوبقائهامن الله (وان) مراتب ادراكها بالادراكات المودعة فى تمام الاجزاء، والادراكات الحاصلة فى مرتبةنفسها وروحها التىهى انشاء الخلق الاخر بمراتبها العديدة ايضا ، من الله ، وبقائها ايضا من الله ، (وان) تمام النعماء الخارجةالمفتقرة اليها من الله حدوثا وبقاءاً وان الله لايغفل عنهاوعن شيءمن الاشياء طرفةعين ويفيض فى كل آن فيوضات كثيرة ، يحصل لذلك الشخص بسبب ذلك الادراك وتلك الكلمة الخضوع التام المقرون مع الحب الشديد، فيعبدالله خاضعامع الحب الشديد

وذلك يصير سببا لعروج النفس من المرتبة النازلة درجةدرجة الى انتصل الى الملائكة السماوية اوتتجاوز منها ايضا ، بل تصل الى حضور الرب .

واذا وصلت الى تلك الدرجة و امرت من الله بتكميل الناس بان يرشدهم ولـولم يبلـغ درجة النبوة فثمرتها تصل الى الناس بل ولولم يصدر منها الاعلام السطـالب الحقة تصل ثمرات علومها الى الناس ويمكن ان يصير كـل سنة سببا لاهتداء فوق الالف واين ايجاد المؤمن من حيث الايمان والثمرة الروحانية ، من الثمرة الجسمانية .

فـالمثل كما قالوا يكون مقربا من جهة ومبعدا من الاخرى ، اذ فى المقام الامر فى المثل اعلى بمراتب شتى الاان قصور الافهام صار سببا له .

( و مثل كلمة خبيثة ) وهى المنبئة عـن الشرك او ساير العقائد الفاسدة (كشجرةخبيثة) وهى شجرة حنظل وامثالها (اجتثت ) اى استوصلت(فوق الارض) اى ليس لها اصل نافذ فى الارض ، بل عروقها اتصلت فوق الارض و لاثبات لها اى فى المدة القليلة ، تصير يابسة و تضمحـّل ، و ثمرتها مرة موذية ، و الكلمـة الباطلة كذلك .

والمراد بعدمقرارهاانالشرور اعدام ملكات اوبين الموت والحيوة فبالنسبة الىدار الحيواد اوهى دارالاخرة تكون هذهالكلمة وآثارها كالميت الذىلاروح ياتيه الموت من كل مكان وماهو بميت ، والمرية والخباثة باقية كبقاء نوع حنظل

وطعمه في الدنيا .

(يثبت الله) اهل الايمان (بالقول الثابت) لصيرورتها من الملكات و صورة النفس ( فی الحيوة الدنيا) فتصير مزرعة للاخرة ( وفى الآخرة ) فتظهر حقائقهـا ( ويضل الله الظالمين ) بعدم توفيقهم للنور والهداية بسوء اختيارهم (و يفعل الله ) ما يعلم بصلاحه .

و قد ظهر بحمدالله كون الايات المذكورة موافقة للبرهان العقلی بل فوقـه والله الهادی .

قوله تعالى : ﴿ الم تر الى الذين بدلوا نعمةالله كفراًواحلوا قومهم دار﴾ ﴿البوار (٢٩) جهنم يصلونها وبئس القرار (٣٠) وجعلوا لله انداداً ليضلوا عن﴾ ﴿سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار (٣١) قل لعبادی الذين آمنوا يقيموا﴾ ﴿ الصلوة وينفقوا مما رزقناهم سراً و علانية من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه ﴾ ﴿ولاخلال (٣٢) الله الذى خلق السموات والارض وانزل من السماء ماءاً فاخرج﴾ ﴿به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره وسخر ﴾ ﴿لكم الانهار (٣٣) وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار (٣٤)﴾ ﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمةالله لا تحصوها ان الانسان لظلوم﴾ ﴿كفار (٣٥) ﴾ .

(الم تر) قد مضى الكلام فيه (الى) من بدل (نعمةالله) بالكفر ای بدل الشكر بالكفر واطلاق النعمة على الشكر لكونه من اعلى النعم، فان الشكر هو الثناء باللسان اوغير اللسان على النعماء الواصلة الى الشاكر .

وهذا يوجب التوجه الى الله وجرى اسم الله على اللسان (او) الحضور بين يدى الله بالقيام (او) تعظيمه بالركوع (او) منتهى الخضوع له بالسجود ولا نعمة عند من له الدراية اعظم من اذن الله على ذكره واذنه بالحضور بين يديه و ساير الحالات ، وكيف ؟ والناس يفتخرون بالحضور عند السلاطين وتكلمهم معهم ولو

كان السلطان ناظرا اليهم فكاد ان يموتوا فرحا ، مع ان السلاطين في الحقيقة اذل من كل ذليل وافقر من كل فقير ، ويحتاجون الى اشخاص كثيرة يحفظونهم من اعدائهم وحفظ مملكتهم ، ولا يقدرون على دفع بعوضة ، وليس من قبلهم احسان الى الغير ايضاً ، بل الرعية يحسنون اليهم ، اذا الاموال للرعايا ، ولاجل حفظ النظام يعطون الى السلاطين مقدارا

ففي الحقيقة لو اراد الانسان ان ينظر الى اولياءالنعم في الدنيا فالرعايا اولياء للنعم ، والسلاطين موظفون (١) من عندهم ، ومع تمام تلك النقائص يفرحون بالشكر للسلطان

وكيف يكون الحضور عند سلطان السلاطين سلطان السموات والارض والعوالم الكثيرة الاخرى ، المفيض للوجود في كل آن على كل موجود ، المنعم على التمام في كل آن بالنعماء الكثيرة ، المطلع على التمام سرا وعلنا

والحاصل ان الشكر من النعماء بلحاظ ذاته (واما) بلحاظ آثاره وما يترتب عليه ، (فمما) لا يخفى على احد ولا يحتاج الى البيان فبد له الكفار بالكفر ان فلابد للعاقل ان يتعجب من تفويت احد ، النعمة على نفسه بهذه المثابة وتبديلها بالنقمة للمفاسد المترتبة على الكفران

(واحلوا قومهم دارالبوار) اى صاروا سببا لحلول قومهم وانتقالهم الى دارالهلاك وهذا عجب آخر ، فان الانسان طالب لراحة نفسه ومن يتعلق به، وفي صدد دفع المفاسد والهلكة عن نفسه و متعلقه ، و هؤلاء قد فعلوا بانفسهم ومن يتعلق بهم ما يوجب الهلاكة الدائمة للبراهين المذكورة سابقاً (جهنم) عطف بيان لدارالبوار (يصلونها) اى يدخلونها وهو مستقر سيىء

(وجعلوا) اىالكفارجعلا لسانيا وعمليا من قبلهم من غير ان يؤثر في الواقع شيئا (لله اندادا) وامثالا فقالوا بان الكواكب اوالا صنام امثال له ، وكان غرض

---

(١) يعنى سلاطين وظيفه خور مردمند

الشياطين واهل النكرى منهم اضلال الناس والضعفاء العقول عن سبيل الله، وفائدة ذلك الا ضلال ترجع اليهم ، حيث يجعلون لها السدنة واموالا تصرف في سبيلها بتوسط هذه الاشخاص ، ويتوصلون بالمجعولات الاحكامية من قبلهم للالتذاذات كحال كل من يدعى امراً عظيما وليس له، لاجل جباية الاموال اليهم وتبعية الناس لهم، والعمل بمجعولاتهم حتى يصلون الى ملاذهم من صفات البهيمية والشهوية والانانية والشيطنة .

(قل تمتعوا) اى تلذذوا وذلك امر تهديد لهم فان عاقبتكم الى النار اى لاجل عدم تلذذكم بعد الدنيا بل ابتلائكم باقسام العقاب ينحصر تلذذكم بذلك العالم فتلذذوا .

(وقل لعبادى المؤمنين يقيمو الصلوة) وحذف النون من باب كونه جواب الامر و الخبر فى مقام الانشاء اى قل اقيموا الصلوة و الصلوة اما مأخوذ من الصلوة بمعنى المتابعة، ومن هذه المادة، المصلى ، وهوالفرس التالى للمجلّى وكون الصلوة متابعة (اما) لاجل ندب المتابعة ، والاقتداء فيها فى غالب الاوقات فى اليومية ، وفرضها فى بعض الحالات من قبيل ضيق الوقت عن درك الركعة بدون الاقتداء ، ودركها مع الاقتداء بامام سابق عليه فى الركعة (او) جهالة القرائة وساير الامور الموجبة للاقتداء وفرضها فى بعص الصلوات كالجمعة والعيدين (واما) لاجل ماقاله بعض اهل الكشف والتحقيق ان الصلوة من شئون الولاية والصوم من شئون البرائة ، فانا قد ذكرنا: ان صفات الجمال موجبة للحب والتولى والاقبال للسنخية ، وصفات الجلال موجبة للخوف والهيبة والعظمة والاضطراب والانسان الذى يريد أن يصل الى الكمال لابدمن الاستمساك بهما، ففى مرتبة العقايد لابدان يعتقد بالله المستجمع لتمام الكمالات فيحصل الحب لانه لاجل الكمال فى كل مقام .

ثم فى مرتبة أفعال الحق ، لابد ان يعتقد بان الصادر الاول مستجمع من

قبل الله لكل كمال ، والفيض يمرّ عليه ، ومنه يسرى الى غيرهم ، فيحصل الحب له ايضا .

واذا عرف ان حقيقة الصادر الاول اوالثانى ايضا ، هى حقيقة المحمدية ﷺ وحقيقة العلوية عليه السلام فيحبهما لكونهما من اولياء النعم

وهكذا الائمة وساير الانبياء والاوصياء سلام الله عليهم اجمعين بل نوابهم من الاقطاب والابدال والرجال الالهيّون فيحصل الحبّ لجميع ذلك على اختلاف درجاتهم .

فاول الولاية ولاية الله ، والثانى ولاية ولى الله على حسب المراتب .

ثم بعد العقائد التى هى من شأن العاقلة ، هى الاخلاق والصفات النفسانية ولابد للانسان المحب لله بسبب التفاته الى تجليات الجمال ، وان منها الرحمة والوهابية والعفويّة ، وهكذا حصول الرجاء الى الله وعدم اليأس من روح الله وانْ فعل ما فعل .

ثم بعد الاخلاق مرتبة الافعال اى افعال الناس ، وما ذكرنا سابقا فى العقايد هى افعال الله ، فلايختلطان عليك ، وفى هذه المرتبة ما كانت من ولاية الله وولاية ولى الله والرجاء الى الله فيه الأثر ، هى الصلوة ، اذهى قيام بين يدى الله وتكلم معه ، وتذكار لأنعم الله ، واستدعاء وتعظيم وخضوع وتمام ذلك من اثر ولاية الله .

واما ولاية الله ولى الله فلاستدعائه الهداية الى الصراط المستقيم المعتدل الموصل الى الله ، وولى الله والواسطة بين الله والخلق ، هو الصراط الموصل ، وكذا لابد للصلوات فى التشهد على محمد عليه وآله وعليهم السلام واما اثر الرجاء فيه واضح والا لم يستدع المستدعيات .

وحينئذ فالولاية لها مراتب (الاولى ولاية الله (الثانية) ولاية محمد ﷺ وعلى وام الائمة ، والائمة الاحد عشر وسائر الانبياء والاوصياء صلوات الله عليهم اجمعين (الثالثة) الرجاء (الرابعة) الصلوة فهى متابعة اوليا النعم .

واما صفات الجلال ففى مرتبة العقائد لابد من الاعتقاد ببطلان ما يدعون من دون الله ، فيحصل له البرائة من الشركاء الموهومة لله ، وفى مرتبة الفيض المقدس لابد من البرائة من الشيطان المجعول شريكا فى العقل ومن الشياطين الانسية التى يجعلونها شركاء لمحمد ﷺ وآل محمد الذى اشرفهم على عليه السلام.

فلابد من البرائة مـن اعداء محمد وآل محمد وانه ليس احـد شريكا فى ولايتهم وتصرفهم وانهم اولياء النعم .

ثم فى مرتبة الاخلاق لابد من الخوف الحاصل من عظمة الله وهيبته، وبعد ذلك يلزم الصوم وهو الامساك عما سوى الله فى التأثير او الامساك فى ايام مخصوصة عن امور مخصوصة، فهى البرائة من تأثير غير الله او البرائة من هذه الاشياء الخاصة فى الايام الخاصة.

و على اى حال فالصلوة (اما) مأخوذة مما ذكر ( او ) مأخوذة من الصلوة بمعنى الدعاء لاشتمالها على الدعاء و سر الامر بالصلوة من الواضحات عند أهل العلم والعرفان .

(وينفقوا مما رزقناهم) وحذف نونه ايضاً من باب جواب الامر ، والظاهر البدوى من الانفاق، الانفاق بالمال ، وهى الزكوة المفروضة، والصدقات المفروضة من الكفارات و غيرها، والمندوبات واسرار الزكوة و كيفيه تقسيمها وان المصالح الدنيوية فضلا عن الاخروية و حفظ السياسيات و التمدن فيها قد ذكرناهـا سابقاً فلا نعيد .

وعند التحقيق انفاق مارزقه الله يشمل انفاق العين و اللسان و السمع و اليد والرجل و الفكر فى سبيل الله ، بمطالعة ما يكون صلاحاً للدنيا او الاخرة للنوع لاعلامهم من الكتب المعدة او مطالعة الاحكام الشرعية ، و بيان مافهمه او اصلاح امر احد واستماع مافيه الصلاح، والاعانة باليد والمشى بالرجل لقضاء الحوائج واعمال الفكر وهو اعلى من الكل .

بالسر و العلانية ، فان لكل موضعاً يختص به ، فالعلن في بعض الموارد احسن ، والسر في بعض الموارد قبل ان تأتي الاخرة التي ( لابيع فيها ) ولانقل ولا انتقال، وحاصل كل احد من بذره الدنيوى ، وليس بالنقل والانتقال فيها.

( ولا ) فائدة للخلال اى الخلة والوداد الا ماكان في سبيل الله فانه بذر من الدنيا ، ولذا لانحتاج الى استثنائه ، اذالغرض العمل قبل انقطاع تحصيل الاعمال. (اللهالذى خلق السموات) اى هوالله الذى خلق السموات والارض، والكلام فيهما قدمضى (و انزل من السماءماءاً) اى من السحاب الذى من العلو انزلنا المطر اومن العالى انزلنا العلم ، فاخرج الله بسبب الماء من الثمرات لاجل كونها (رزقاً لكم) وكذلك العلم والرزق المعنوى (وسخر لكم الفلك) لاجل جريانه في البحر لاجل راحتكم (و سخر لكم الانهار) بتصرفاتكم فيها ( و سخر لكم الشمس والقمر دائبين ) اى اى جاريين في فلكهما على ما قيل او المجدين في عملهما فان الدأب بالتحريك بمعنى جد وتعب.

وعلى اى حال فالمراد بتسخير الشمس والقمر (اما) تسخيرهما لحقيقة الانسان كما يدل عليه ذيل الاية وسيجيء الكلام في تحقيقه انشاءالله.

وحيث ان الحقيقة الانسانية هي الواسطة بين الله وتمام الممكنات، فالشمس والقمر ايضاً مسخران لها ، وان شئت قل ان من افراد تلك الحقيقة، الصادر الاول، وهو حقيقة المحمدية ﷺ والعلوية، عليه السلام، والشمس والقمر مسخرلهما ولاولادهما من الائمة .

فيصدق التسخير للمقصودين من الخطاب وعليه فالمراد (بالظلوم) المظلوم في النهاية لعدم معرفة الناس لهم عليهم السلام حق المعرفة ( و الكفار ) اى كثير الستر للكثرات بالله .

(واما)(١) ان الله جعلهما لاجل انتفاعكم فواعل بالتسخير، والمراد من الفاعل

(١) عطف على قوله قده : (اما) تسخيرهما

بالتسخير ، ان يكون فاعلا بالعلم والارادة ، و كانت ارادته تابعة ومسخرة للغير ، وهو الله اوالواسطة من قبله هنا لانه يكون الشمس والقمر مقهورين للناس .

(وآتاكم من كل ما سألتموه) والمراد به التبعيض او اعطاء سنخ كل نعمة فالاستغراق بلحاظ الانواع لاالافراد وان كان الخطاب الى الحقيقة اوالفردالاعلى كما ذكر ، فالايتاء من الواضحات لمرور الفيض على الانسان الكامل مقدماً ، على الجميع .

(وان تعدوا نعمةالله لا تحصوها) و كيف يمكن عد الانفاس فضلا عن كل عضو وأجزاء كل عضو في كل آنمن الانات ، وكيف بالنعماء الخارجية او ما هو في العلل المعدة فضلا عن العلل الفاعلية (ان الانسان لظلوم كفار) اى حقيقته هى اللطيفة السيارة والواجدة لتمام الفصول على نحو اللابشرطية ، ففى قوس الصعود مقدم على الكل ، وفى حد النزول انزل لكثير الظلم والمظلومية وكثير الكفران وكثير الستر للكثرات بالوحدة ، فالشمس و القمر وساير ماذكر مسخرات لهماو لاجلهم كما ذكر .

و ظهر بحمدالله ، كون تمام تلك الايات مطابقاً للعقل غير مخالف لـه ، والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿واذقال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبى وبنىّ﴾
﴿ان نعبد الاصنام (٣٦) رب انهن اضللن كثيراً من الناس فمن تبعنى فانه منى﴾
﴿ومن عصانى فانك غفور رحيم (٣٧)ربنا انى اسكنت من ذريتى بوادغيرذى﴾
﴿ زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلوة فاجعل افئدة من الناس تهـوى ﴾
﴿اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون (٣٨) ربنا انك تعلم ما نخفى وما ﴾
﴿ نعلن وما يخفى علىالله من شىء فى الارض ولا فى السماء (٣٩) الحمدلله ﴾
﴿الذىوهب لى على الكبر اسماعيل واسحاقان ربى لسميع الدعاء (٤٠)رب﴾
﴿اجعلنى مقيم الصلوةومن ذريتى ربناوتقبل دعاء (٤١) ربنا اغفر لى ولوالدى﴾

﴿ و للمؤمنين يوم يقوم الحساب ( ٤٢ ) و لا تحسبن الله غافلا عمـا يعمل الظالمون (٤٣) ﴾.

واذكر (اذقال ابراهيم) ، ولعل علة امره تعالى النظر فى حالات خليله عليه السلام كيف يكون حب‌الله سارياً فيه حيث استدعى من الله سراية ذلك الحب الى اولاده عليه السلام وسلب كون من لايسرى فيه حب‌الله و توحيده عن نفسه ، وان‌الله تعالى ايضاً كيف يحب خليله ، ويستجيب دعائه فى القرون المتمادية .

(رب اجعل هذا البلد آمنا) والجعل ( تارة ) جعل تكوين ( و تارة ) جعل تشريع(فان) كان الاول فالمرادحفظ الناس اوغير الناس ايضاً مأموناً من الشرور فى هذه الارض، فالارض تصير آمنة، والبلد آمناً لما جعله الله فيه من الخواص ، ولابد حينئذ ان نقول : بكونه على سبيل الاقتضاء لا العلية التامة ، ففى صورة فقد الشرط ووجود المانع يتخلف ، والكاشف عن الاستجابة حينئذ الغلبة وهو كذلك كما لايخفى الى الان .

(وان) كان الثانى فالمراد طلب شريعة كانت من احكامها حرمة التعرض للانسان بل مطلق الصيد، والكاشف عن الاستجابة حينئذبعث‌نبى‌واجدللمعجزات ومن احكامه ما ذكر ، وصار الامر كذلك بعد فتح مكة ولا تخلف فيه مطلقالبقاء تلك الشريعة الى انقراض عالم الكيان .

(واجنبنى) أى بعّدنى وأبنائى والمراد بها ان كانت الابناء بدون الواسطة فالاستجابة واضحة و ان كان المراد ما يشمل الذرراري والاعقـاب فمقيدة بقوله (فمن تبعنى فانه منى) فالمراد حينئذ بعض الابناء وهم التابعون له عليه السلام والاستجابة حينئذ واضحة (ان نعبدالاصنام) والمراد بها (اما) المصنوعات المخصوصة(واما) الاعم منها و ما يجعلون الاصنام متشكلة باقتضائاتها و هى الكواكب وروحانيتها وهو الاوفق والاشمل .

(رب‌انهن‌اضللن‌كثيراً من الناس) ونسبة الاضلال اليها (اما) من قبيل‌النسبة

الى الالات كما يقال : ان السم قتل فلاناً أوالمرمى الخاص ، قتله او السيف قتله مع كونها آلات القتل و فى الانتسابات تكتفى بهذا المقدار ، فحيث ان الاصنام صرن آلات للاضلال نسبه عليه السلام اليها .

(و اما) من أجل ان الاصنام هى هياكل الشيطنة السارية من الشيطان الجنى المستور الى الشياطين الانسية،فتصوروا كيفية اضلال الناس ، عن التوحيد لشهواتهم وجعلوا اشكالا مخصوصة على طبق تصوراتهم وخيالاتهم فهذه الاجسام هيآتها ناشئة من تلك الارادات الفاسدة ، وعلى صورتها فهى نزولها والتخيلات صعودها وتلك التصورات صارت سبباً لاقامة الاغاليط والشبهات ونشأت الاضلالات منها.

(فمن تبعنى) من ذريتى اوالاعم (فانه منى) اى كما ان بعدم التوحيد ينقطع حبى من اولادى ، فبالتوحيد يصير غير اولادى بمنزلة اولادى .

والصدور من مثل الخليل عليه السلام واضح لماذكرنا سابقاً انشيئية الاشياء بالفصل الاخير (١) وشيئية الانسان بادراك الكليات المجردة، درك علم وفوقه من الكشف والعيان، وان المعلم موجد الحيوة من حيث الانسانية ، فالتابع ولد حقيقى للمتبوع فانه موجده بخلاف الاولاد الجسمانية ، فانها مع كونها من مرتبة الجسم يكون تأثير الوالد فيها احد المعدات ، و لا يكون فاعلا ولا موجداً فاين يقاس احدهما بالاخر .

(ومن عصانى فانك غفوررحيم) اى من لم يتبعنى فى التوحيد، فانت غافر ورحيم اى اغفر له لكونك متصفاً بالصفتين .

(وقيل) ان هذا المطلب كان قبل علمه عليه السلام (٢) بان الشرك لا يغفر، و لكنه يحتمل ان يكون غرضه الدعاء فى حال حيوتهم بشمول التوفيق لهم وهو ايضاً من الغفران والرحمانية .

---

(١) وهو الذى يعبر عنه فى علم المنطق بانه (ناطق) فى مثل الانسان

(٢) اى طلب ابراهيم المغفرة لوالديه قبل علمه بعدم غفران الخ.

(ربنا انى اسكنت من ذريتى) وهو اسماعيل عليه السلام واولاده (بواد غيرذى زرع) وهو مكةوحولها (عند بيتك المحرم) فيهاالايذائات وساير المحرمات على المحرم و غيره ( ربنا ليقيموا الصلاة ) اى كان الغرض اقامتهم الدين وآثار التوحيد من الصلوة فى هذا البلد (فاجعل)(١) قلوباً (من الناس) تميل (اليهم).

وقد نقل عن ابن عباس انه قال: لولم يأت بما يدل على التبعيض لكان تمام القلوب تهوى اليهم ، ولو صح النقل فالخليل عليه السلام اعلم بسر دعائه من ابن عباس قطعا ( وارزقهم من الثمرات ) بان تجيىء الى ذلك البلد وهو كذلك ( لعلهم يشكرون ) قد مضى الكلام فى كلمة الترجى مكررا فلا نعيد

(ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن ) لاحاطتك بالاحاطة القيومية (وما يخفى على الله من شى فى الارض ولا فى السماء) بالبرهان السابق ، والاظهر كونه جزء كلام الخليل عليه السلام ايضا

(الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق) اى لدعوتى وهو سميع الدعاء (رب اجعلنى مقيم الصلوة) قد ذكرنا مرارا ان بقاء كل شيىء من مقولته، فالبقاء على الاقامة اقامة من قبيل (اهدنا) فى فاتحة الكتاب (ومن ذريتى) اى اجعل من ذريتى من يقيم الصلوة، ولعله لعلمه عليه السلام بشرك بعضهم (ربناوتقبل دعاء)

---

(١)(فى مجمع البيان) عندقوله تعالى : (فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم) قال : هذا سؤال من ابراهيم (ع) ان يجعل الله قلوب الخلق تحن الى ذلك الموضع ليكون فى ذلك أنس لذريته بمن يرد عليهم من الوفود (الى ان قال): قال سعيدبن جبير : لوقال : (افئدة الناس) لحجت اليهود والنصارى والمجوس ، ولكنه قال : من الناس فهم المسلمون ، وروى مجاهد انه قال : ان ابراهيم (ع) لوقال : افئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم .

وروى الفضيل بن يسار وغيره ، عن الباقر (ع) انه قال : انما الناس ان يطوفوا بهذه الاحجار ثم ينفروا الينا فيعلمونا ولايتهم ويعرضوا علينا نصرهم ثم قرء هذه الاية انتهى موضع الحاجة .

والكسرة دالة على حذف الياء (ربنا اغفرلى ولوالدى)

قيل انه قبل علمه بعدم غفران معصية الشرك وبقاء والده على الشرك، وهذا القول يكون باطلا، فان والده عليه السلام هو تارخ وهو كان موحدا واما آذر (فاما) عمه (او) والده فى التربية (او) زوج امه، واطلاق الاب عليه لاجل التربية او احد المصححات العرفية (وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) وهو يوم القيامة (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) وهم المشركون او مطلق من يظلم وحيث لايكون غافلا فيجزى كل من استحق بجزائه المعدة له لاحاطته علما وقدرة، فلا يشذ عنه شيىء

وقدظهر من جميع ما ذكرنا كون الايات المذكورة على طبق العقل وغير مخالفة له، والله الهادى.

قوله تعالى ﴿انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار (٤٣) مهطعين مقنعى﴾ ﴿رؤسهم لايرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء (٤٤) وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب﴾ ﴿فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل﴾ ﴿اولم تكونوا اقسمتم من قبل مالكم من زوال (٤٥) وسكنتم فى مساكن الذين﴾ ﴿ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنالكم الامثال (٤٦) وقد مكروا﴾ ﴿مكرهم وعندالله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال (٤٧) فلا تحسبن﴾ ﴿الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذوانتقام (٤٨) يوم تبدل الارض غيرالارض﴾ ﴿والسموات وبرزوا لله الواحد القهار (٤٩) وترى المجرمين يومئذ مقرنين فى﴾ ﴿الاصفاد (٥٠) سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار (٥١) ليجزى الله﴾ ﴿كل نفس ماكسبت ان الله سريع الحساب (٥٢) هـذا بلاغ للناس ولينذروا﴾ ﴿به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولوالالباب (٥٣)﴾.

اى (انما يؤخر) عذاب اهل مكة، ولاينزل عليهم العذاب الدفعى (ليوم تشخص فيه الابصار) يقال: شخص بصره اى فتحه ولم يغمضه، وهواى شخوص

البصريحصل لشدّةالخوف الحاصل اولشدّة الحيرة ومشاهدة العجائب ، والمراد الباقون منهم على الكفر الى الموت .

فتأخيرعذابهم لاجل ان يعذبوا بالعذاب الاشد ، وهو عذاب البرزخ والقيامة اذ العذاب الدنيوى يوجب تخفيفاللعذاب الاخروى ، اذ هو بلحاظ المرتبة النازلة من الشقاوة ، فلم ينتقل الشخص من المرتبة النازلة الى الاعلى منها ، من حيث الشقاوة بتمام مراتبها ، فلم يكن عذابه في اعلى الدرجة ، بخلاف من انتقل تمام مراتبه الى الدرجة العالية من الشقاوة .

فالعذاب الدنيوى النازل لايناسب لمرتبة من مراتبه ، فلابدّ من تأخيرعذابه لاستيصال تمام مراتبه الى العذاب الاخروى واما غيرالباقين فالتأخير لاجل علم الله بانهم يوحدون في البعد ، وحيث ان الامر واضح لايحتاج الى التنبيه ، فان الكلام في مستحق العذاب ، واما من يصير مؤمنا فلا يستحق نزول العذاب الدنيوىعليه.

(مهطعين) اهطع الرجل اذا مدّعنقه وصوّب رأسه واهطع في العدواى اسرع فيه ( مقنعى رؤسهم اى رافعيه الىالعلو فالابصار مشخصة حال كونهم مسرعين في العدو والحركة اوحال كونهم مادّين اعناقهم ، وحال كونهم رافعين رؤسهم الى الجانب العالى لدرايتهم بنزول العذاب من العالى ( لا يرتدّ اليهم طرفهم ) ومؤخر عينهم ( وافئدتهم هواء ) ایقلوبهم خالية فانّ الهواء يطلق على كل خال منالشيء والمراد هنا الخالية من العقل والادراك فالعذاب الاخروى شدته تفعل جميعذلك .

( وانذرالناس ) اى خوّفهم امنا ورحمة وشفقة واتماماً للحجة ( يوم يأتيهم العذاب ) اى من يوم يأتيهم العذاب ( فيقول الظالمون ربنااخّرنا الى اجل قريب) اى اخررتبتنا ونزلنا من هذا العالمالعالى الىالعالم الدانى، وهوالدنيا في مدة قليلة (حتىنجيب دعوتك ونتبعالرسل).

فانهم حيث علموا بان الاخرة دارالنمو والحصاد لادار البذر ، فاجابة الله والمرسلين لاتفيد فيها ، استدعوا من الله رجوعهم الى الدنيا حتى يبذروا العقائد

الصحيحة والاعمال الحسنة ، فيجابون بانه لاتستحاب دعوتكم للوجه المذكور بعد ذلك وقد حذف الجواب بقرينة الوجه المذكور عليه .

(اولم تكونوا اقسمتم من قبل مالكم من زوال) الى قوله تعالى : (وضربنا لكم الامثال) والاستفهام للتقريع والواقع على خلاف ما يستفهم اى (انكم كنتم) كذلك وهو كونكم عالمين بنزول العذاب ، ولاتباع الشهوة فى المدة القليلة ما اعتنيتم بالعذاب لاجل عدم حضوره ، واخذتم بالشهوات لاجل حضررها ، اذ كنتم ساكنين فى مساكن الظالمين النازلين عليهم العذاب اى شهدتم مسالنهم بعيونكم، وظهرعليكم كيفية نزول العذاب عليهم) والرسل ايضا من قبلنا اعلموكم، وضربوا لكم الامثال حتى تفهموا وترجعوا عن مساويكم ، ومع ذلك كله قدحلفتم بعدم زوال النعمة عنكم اتباعاً لشيطنتكم وانانيتكم .

وشهودكم العذاب هنا غير كاف لكم لخباثة ذاتكم فلو رددناكم لتعودون فحقت عليكم كلمة العذاب، ولابد من حصادكم لما بذرتم وقدنمى بذركم لصيرورة الكفر ذاتياً لكم نماءاً لاانقطاع له ولم يبق موقع رجوعكم حيث لايتخلف الذاتى .

(وقد مكروا مكرهم) مع الرسول ﷺ وساير الانبياء وقد مضى الكلام فى مكرهم .

(وعندالله مكرهم) اى حقيقة المكر واصله عندالله ـ فعدم افاضة الغلبة على عقلهم ، وعدم شمول التوفيق لهم ، وبقاء الشهوة والغضب والشيطنة ـ بحالها ، من الغلبة على العقل ، والافاضة عليها ، ونيلها لذائذها ، تكون حسنة وفى غاية الحسن للكفار ، بحيث يشتاقون ، الاان باطنها سموم مهلكة ، و النيران المشتعلة ، والعقارب والحيات واقسام العذاب ، واى مكر اعظم من ذلك، اذا لمكر ، هو ارائة الحسن بمن اريد مكره و ايقاعه فى خلاف مقصده ، وهو موجود هنا من دون ان يكون نقصا ، اذمع اعلامه بانه مكر ياخذون به .

(وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) (١) اى ولو كـان مكر كفـار مكة مع رسول الله صلى الله عليه وآله مكرا شديداً مشرفا على ازالة الجبال اى جبال الشريعة وما هي العمدة من الاحكام (فقد يستدعون) تبعيد من تكره رائحته اذاوردت هؤلاء على رسول الله ، حتى تميل قلوبهم ، وتسمعوا كلمة الحق ، وكان غرضهم تفرقة المؤمنين (وقد يستدعون) لاغواء ضعفاء النفوس في الجهل بـان يقولوا : بـان طريقة هؤلاء طريقة الانصاف بانا نعبد الهك في سنة واعبد آلهتنا في السنة (وقد يستدعون) عدم سب آبائهم وعدم القول بكونهم معذبين الى غير ذلك .

او الجبال الارضية اى مكروا في قتل رسول الله وكيفية قتله ، ولو كـان يقتل قبل اتمام الشريعة ووجود الحجة في الأرض ،لاندكت الارض وسقطت الجبال

وعدم ذكر غير الجبال لايضر اذا الغرض بيان عظمة مكرهم وهذا المقدار يكفي في بيـان العظمة (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ) اى تـأخير العذاب لايوجب ان يتوهم ان الله وعد رسله بـالنصرة فلم لم ينزل النصر بتعذيب الاعداء فان النصر لاينحصر في الدنيا ، بل قد يكون الصلاح تقديمه في الدنيا وقد يكون الصلاح في تأخيره الى الاخرة .

(فان الله عزيز) اى غالب (ذوانتقام) اى كما ان له صفات الجمـال ، فله صفات الجلال ايضا ،ومنها انه المنتقم وهذا الأنتقام (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) غير السموات قدذكرنا سابقا، وفي الرسائل الاخرفي مواضع متعددة ان عالما فوق ذلك مرتبة ، وهو البرزخ، وفوقه العالم الاخر ، وهو عالم الاخرة وعالم القيامة ، وان النفوس بالتدريج تنتقل الى البرزخ ثم تحشرعالم الكيان بتمام اجزائها وماحصلت منها الى عالم الآخرة، بل الاقوى صعود عالم البرزخ ايضا اليه .

---

(١) اى ولم يكن مكرهم ليبطل حجج القرآن ومامعك من دلائل النبوات ، فان ذلك ثابت بالدليل والبرهان . والمعنى : لاتزول منه الجبال فكيف يزول منه الدين الذى هـو اثبت من الجبال ( مجمع البيان ) .

وينفخ في الصور فينتشر تمام الموجودات، ويتفرق اجزائها والجميع بهذا اللحاظ كالغبار ، وتحصل الصعقة والغشوة على الارواح الاماشاء الله .

ثم ينفم فيه تـارة اخرى ، فيحشرون ، ويجتمعون ، ويحضرون في العالم الاعلـى ، فهذه الارض وتلك السموات ايضـا من المنشورات المحشورات وتمام الاشياء يحضر في عالم يكون ارضه غير تلك الارض وسمائه غير هذه السموات وحيث ان الارض تعلق عليها لسفليته وتحتيته، والسموات لفوقيتها والاسفل والاعلى للاشياء قد بدلت فيصدق تبديل الارض والسماء .

ويحتمل كون المراد ان الارض بالحركة الجوهرية تترقى وكذلك السموات فمراتبها قد بدلت في ذلك العالم وهوايضا صحيح .

(وبرزوا لله الواحد القهار) اى صارت ملكيتهم لله وفقرهم ولا شيئيتهم بارزة لكل احد لصيرورة البصر حديداً، وهذه الملكية للمستجمع لتمام الكمالات البسيط غاية البساطة الغير المتناهي القاهر .

(وترى المجرمين) في ذلك اليوم قد قرنوا مع الشياطين لارتباطهم الحقيقية المعنوية في القيود وهي آلات الشد والحبس وهي الاغلال (سرابيلهم) اى اقمصتهم وثيابهم (من قطران) اى النحاس حتى تصير محمرة بالنار وذا حرارة شديدة وتحيط النار (وجوههم) كالستر الغاشي .

وتمام هذه الاقسام لرد الجزاء فان الاعمال والعقايد الفاسدتين تتحرك حقيقتهما حتى تصلا الى منتهى درجتهما ، ومنتهى درجتهما هي المذكورات ، وتسميتها جزاء لاجل اختلاف الصورة والتعاقب ، ولو لم نقل بهذه الحركة ، فالجزاء بـالمعنى المعروف يكون مراداً (ان الله سريع الحساب) اى لأجل السرعة الحاصلة من الاحاطة لا يشذ عنه شيء ولا يفوت، فتمام الافعال تجزى .

(هذا بلاغ للناس) اى تبليغ تنبيه ، ولان يحصل لهم الخوف اشفاقا منـا عليهم وامتنانا (وليعلموا) بسبب تلك البيانات المنطبقة تمامها على طبق العقل ان

هذه الحركات العجيبة فى العوالم العديدة لابد من انتهائها الى واجد كل الكمال وهو (لله) كما مضى برهانه (الواحد) لعدم امكان تعقل الكلّين فى صرف الحقيقة من دون حد ونفاد كما قدمر "(وليذكر اولو الالباب) اى ماذكر لاجل غير اولى الالباب يكون من باب حصول العلم لهم .

واما اولو الالباب الذين اعطيناهم اللب والعقل وبالدليل العقلى قدفهموا ذلك، فما ذكر يكون مذكراً لهم وسبب نظرهم ثانيا حتى يشتد علمهم ، فان للعلم والايمان مراتب عديدة بعضها فوق بعض .

ثم انا قد اختصرنا الكلام فى هذه المطالب العالية

لسبق الكلام فيها فى ذلك الكتاب

وقد ظهر مما ذكرنا كون تمام الآيات المذكورات على طبق العقل

وغير مخالف له والله الهادى .

وقد فرغت يوم الجمعة السادس عشر من ذيقعدة الحرام ،

فى عام ١٣٣٦ ، فى قاضى

كوى من اسلامبول ، وانا الراجى

**نورالدين ابن الشفيع ابن احمد الحسينى الايرانى**

من سلطان آباد بلدة العراق .

# سورة الحجر (١٥)

مكية

تسع وتسعون آية

ولم يبين بدو شروعه فيها

ولكنه قده اتمها فى قاضى كوى

اسلامبول

يوم الاربعاء من ذى قعدة الحرام

سنة ١٣٣٦

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين (١) ربما يود الذين كفروا لو كانوا﴾
﴿مسلمين (٢) ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون (٣) وما اهلكنا﴾
﴿من قرية الا ولها كتاب معلوم (٤) ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون (٥)﴾
﴿وقالوا ياايها الذى نزّل عليه الذكر انك لمجنون (٦) لوما تأتينا بالملائكه﴾
﴿ان كنت من الصادقين (٧) ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذاً منظرين﴾
﴿(٨) انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون (٩)﴾

الر ، قد مضى الكلام فيه (تلك) اشارة الى البعيد عن الاذهان لعلو درجته (آيات الكتاب) الايآت هى العلامات . ونزول كل شيىء آية الشيء ، وحيث ان التكسى بالألفاظ تضييق ، فهم نازلات ، وحيث انبها ينظر الى العاليات كالمرآة فلا تكون نفسها ملحوظة ، فهى المعانى العالية البعيدة عن العقول الراسخين ، فضلا عن ساير الناس.

والاضافة (اما) بيانية وان الايات هى الكتاب اذا كان المشار اليها الكل (واما) المراد التبعيض اذا كان المشار اليها بعض الآيات والكلام فى الكتاب قد مضى .

(وقرآن مبين)(وقرآن) عطف على (الكتاب) اى تلك آيات قرآن مبين والقرآن

هو كلام الله المنزل للاعجاز ، فمن حيث انه كلام يكون معربا عمـا في الذات يشمل للتجليات الحاصلة في الفيض الاقدس لان جميعها ظهور الذات ، فآيـاته تشمل للفيض المقدس ، فان الفيض المقدس آية للفيض الأقدس ، والاشارة للبعيد حينئذ في غاية الظهور .

ونكتةتسميتهقرآنا لاشتماله علىتمام المطالب والكائنات على نحو الاقتران والجمع من القرين والمقارنة ، لاعلى نحو التشتت والتفرق والنزول على سبيل الاعجازحينئذ من قيوده .

فالمرتبة العالية المتصفة بانها قداظهرت للاعجاز، تكون ذاتها المقيدةقرآنا وحينئذ يصيرا مرآيات القرآن اعلى ، ولا مانع من كون (تلك) اشارة الى آيات (بعضها) آيات الكتاب والفيض المقدس (وبعضها) آيات القرآن والفيضالاقدس

(مبين) اى مظهر لتمام الحقائق والحق والباطل فان تمام الاشياء في الذات يكون حاضرا والصفات تظهرها .

(ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) اى في القيامة ووقت مشاهدة العذاب (ورب) قد يقال انه هنا للتكثير ، لان كثيرا من الكفار حين شهود العذاب يودون ذلك (وقد يقـال) انه للتقليل لان دهشة العذاب منسية عن الالتفـات حتى يحصل لهم حب ذلك ، فالملتفتون قليلون اوفي زمان قليل.

و لمـا ان (وددت) بكسر الدال ، قد يطلق على التمنى ، وقد يطلق على الحب وهما مختلفان عندى ، فانالاول منالانشائات وبمحض الاظهار ولو لغرض آخر يصدق انه تمنى ، دون الثانى ، فالمراد هنا الاول على الظاهر ، فهم يتمنون بلحاظ انهم لو كانوا مسلمين مع عدم حسن الاسلام لتخلصوا من العذاب مثل ان من لايعتنى بطائفة غالبة ، بل يبغضهم ولكنهم اذا غلبوا يتمنى كونه منهم مع بغضه لهم في تلك الحالة ايضا ، فان المعاند للحق كلمـا ازداد عذابه يشتد غضبه وبغضه .

(ذرهم) امر ترخيص (يأكلوا) لكونهم من البهائم فهمهم أكلهم (ويتمتعوا) لقوتهم الشهوية الجذابة لكل الملائمات لهـا (ويلههم الامل) لقوة شيطنتهم فـان الشيطنة تصيرسببا لاشتغالهم باللهويات لآمال بعيدة (فسوف يعلمون) اى بعد الموت ومشاهدة العذاب وهذا كان قبل الامر بالقتال معهم .

(وما اهلكنا من قرية) اى من اهل القرية (الاولها) اجل معين و(كتـاب) مشخص اى فى وقت رأينا الصلاح وهو كان ثابتا فى الكتاب من الازل اهلكناهم فكل وقت رأينا الصلاح فى هلاكة اهل مكة من الكفار نهلكهم .

(ما تسبق من امة) و(من) فى هذا المقام وفى السابق زائدتان ، والمراد عدم سبق الأجل وعدم تأخيره من الثابت فى الكتاب .

( وقالوا يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون ) والمراد به ( اما ) فاقد العقل والمستور منه عقله (واما) المصاب بالجن (فان) كان مرادهم الاول، فالغرض ان التعدى من الشهادة الى الغيب ، ومن النقد الى النسية يكون من باب فقد العقل (وان) كان مرادهم الثانى ، فالغرض ان كلماتك الغريبة مأخوذة من الجن واخذت منهم .

وبطلان كل منهما فى نهاية الظهور (اما الاول) فلأن العقل هو مدرك الكليات والغائبات والمجردات ، فالانباء بالعالم المجرد وذات الله وصفاته واحوال الآخرة مع البراهين العقلية التى سبقت بعضها من محققات العقل ، لامن منافياته ، وامـا النقد الفانى الممزوج بالكدورات دائماً فى قبال النسية المقطوعة بها بـالبراهين العقلية والشهود الغير المتناهية، لايكون محلا لاعتناء عاقل كيف ونظام العالم بالتهيئة للمؤجل المظنون فضلا عن المقطوع ، فيبذرون فى الارض حتى يحصل لهم الزرع ويتجرون ويشترون للفصول الآتية ما يناسب لها ، ومن لم يبال بتلك الامور يكون عند العقلاء من الضعفاء .

(واما الثانى) فلأن حد الجن حد الخيال ولايتجاوز الى فوق عالم المقدار

وهو عالم الاحاطة والالم يبق فرق بين الجن والملك ، وكلمات النبى ﷺ على طبق العقليات والكليات والبراهين العقلية التى لانظير لها، بل فوق العقول كما مرشطرمنها الى الآن ، فكيف تكون ماخوذة من الجن .

( لو ماتأتينا بالملائكه ان كنت من الصادقين ) اى لاجل اىّ جهة لاتنزل الملائكة معك ظاهرة ومبرزة حتى نشاهدها فلو كنت صادقا ومن قبل الله لاتيت بما اردنا

(ماننزل الملائكة الابالحق وما كانوا اذا منظرين) وقد عرفت سابقا وذكرنا فى غير مقام ، ان تفاوت الملك مع المرتبة النازلة الانسانية المحاطة بعالم الشهادة والكيان، ليس تفاوتا فى المكان الجسمانى بحيث كان البعد الجسمانى مانعا للانسان ان يرى الملائكة ولو جاؤا فى الارض لرآهم الانسان ، بل التفاوت بالرتبة ومع كل انسان كثيرمن الملائكة الحافظة اولامحالة من ملكين .

وحينئذ فوجه خفائهم انهم من الملكوت ، وهو الباطن والخفى عن الشهادة، ففى صورة غلبة الشهادة لانرى الملائكه ومع غلبة الغيب نشاهدهم، اذبصرنا ايضا يتحد بالبصر الملكوتى، فيرى ماهو من عالمه

وغلبة الملكوت (اما) بالرياضيات والمكاشفات وهى غلبة عاقبتها محمودة (واما) بنزول رشحات الناقلة الى العالم الآخر اى رشحات الموت ، اذمن باب بطلان الطفرة لابد من حصول الضعف فى جنبة الملكية وظهور كوة من الملكوت ويشتدان حتى يحصل الانقطاع من الملك والارتباط الى الملكوت .

وحيث انه لايكون الاول وهو الموت الاختيارى حاصلا للكفار حتى يرون فى الموت الاختيارى او ظهور بدو الموت الاختيارى ومقدماته ، فلابد للرؤية من حلول امارات الموت الاضطرارى وهى مقارنة لموتهم (اما) بالامراض العادية (واما) بنزول العذاب ، فيستحيل على الكفار رؤية الملائكة الا بعد نزول كلمة العذاب .

وحيث ان وصول كل شىء الى غايته المعتدة بها يكون حقا فى مقابل مالا غاية له معتدا بها ، فالموت وامارات الموت حق للكفار ايضا ، فنزول الملائكة

بحيث يرون ، لايصح الا بعد نزول امارات الموت عليهم ولامهلة حينئذ لهم فلا يحصل غرضهم ، وهذا برهان عقلي لااعلى منه .

وحيث انهم مع تسليم نزول الذكر قالوا انه لفقد العقل او لكلمات الجن قال‌الله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر) فقدنسب الذكر اليه ثلاث مرات ، ولعل‌المراد انه مظهرللذات والصفات والافعال ،فلكونه كلاما وفيضا أقدسا مظهرالذات ونازل من عندالذات، (ومن كونه) كتابا و منظوراً بحياله يكون مشية الله والفيض‌المقدس ومظهراً للفيض‌الاقدس (ومن كونه) مكتسيا بالالفاظ يكون من‌الافعال‌المقيدةومظهراً للفيض المقدس فهو حقيقة واحدة ذات مراتب

وكون الذكر وهو القرآن ، كذلك ، قدمر بالبراهين التي ذكرنـاها فلا نعيد .

(وانا له لحافظون) ونبقيها لكونها على طبق الصلاح الى انقراض العالم‌فهو ثابت غير منسوخ .

فقدظهر بحمدالله كون الآيات المذكورة على‌طبق‌البراهين الساطعة العقلانية وغير مخالفة للعقل ، والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿ولقد ارسلنامن قبلك في شيع الاولين (١٠) ومـا يأتيهم﴾ ﴿من رسول الا كانوا به‌يستهزؤن (١١) كذلك نسلكه‌في قلوب المجرمين (١٢) ﴾ ﴿لايؤمنون به وقد خلت سنة الاولين (١٣) ولوفتحنا عليهم باباًمن‌السماء فظلوا﴾ ﴿فيه يعرجون (١٤) لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون (١٥)﴾ ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين (١٦) وحفظناها من كل شيطان﴾ ﴿رجيم (١٧) الامن استرق السمع فاتبعه شهاب مبين (١٨) والارض مددنـاها﴾ ﴿والقينافيها رواسى وانبتنا فيها من كل شيء موزون (١٩) ﴾ .

اى (لقد ارسلنا) رسلا قبلك في شيع الاولين والشيع تطلق على الفرقة التي لها متبوع ورئيس يتبعونه .

(وماياتيهم من رسول الا كانوا يستهزؤن) به ، فان المتبوعين يرون اتباعه مخالفا لشهواتهم وانانياتهم ، والاتباع ايضا من بـاب اتباع الشهوات يميلون الى آراء المتبوعين ، والاستهزاء لأجل الاسقاط عن العيون خوفا عن اجتماع الناس عندهم فهم يكذّبون الرسل تكذيبا مع السخرية.

(كذلك نسلكه في قلوب المجرمين) اى اهل الجرم من كفـار مكة ، اى سلوكنا فى قلوب اهل مكة بادخال التكذيب الموهن فيه ، كسلوكنـا فى قلوب الماضين با دخال التكذيب الموهن للانبياء الماضين في قلوبهم ، وقد مضى بيان نسبة الشرور اليه تعالى مفصلا .

والتوضيح على نحو الاختصار انتمام القوى المودعة فى الانسان ، من الله، وجودها على الدوام حدوثا وبقاءاً ، مـن العاقلة ، والمتخيلة العملية ، والشهوية ، والغضبيةوساير ما هى من شؤناتها، فمنقويت عاقلته تجعل الجميع فى حدّالوسط الممدوح عقلا وشرعا .

فتجعل التخيلات صافية وتخرجها عن البلادة والنكرى، وتصيّر العقل العملى حكمة ، وتجعل الشهوية فى حد العفة وتخرجها عن الخمود والشره ، و تجعل الغضبية فى حد الشجاعة وتخرجها عن الجبن و التهور فيصير الانسان حينئذ عادلا معتدلا تمام قواه من باب قوة العاقلة .

واما اذا تسامح الانسان باختياره فلا تفاض القوة القاهرة للعاقلة ، فالمتخيلة والشهوية و الغضبية تبقى على حالتها ، فقد تضعف البعض فى البعض ، فتميل الى حـد التفريط ، وقد تقوى فتميل الـى حد الافراط فيصدر منها ماينا سبها ، ومـن مناسباتها تكذيب الانبياء ، فبلحاظ كون وجود القوى من الله تنسب الصادرة منها الى الله وحيث ان المنشأ هو الميل ، والميل فى القلب،يصدق ان الله جعل الميل وسلكه فى القلب على طبق ميلهم وارادتهم باتباع الهوى .

( لايؤمنون به ) أى بالنبى ﷺ لاجل ما فى قلوبهم كما مر (وقد خلت سنة

الاولين) اى مضت فنعامل مع كفار مكة معاملة الكفار الماضين من الامهال ، ثم بعدمدّهم فى الطغيان، العذاب، وقدفعل الله مع اهل مكة كذلك حيث عذبهم بالاسر والمغلوبية بعد السيف وقتلهم بمدد الملائكة كما سبق .

(ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون) اى حال كفار مكة على نحو اذا فتحت السماء لهم وساروا فى النهار اذ الظل هو العمل بالنهار فعرجوا ووصلوا الى باب السماء، لما آمنوا وينكرون حسهم أيضا ويقولون : انّه من سكر الرؤية واغاليطها، بل من سكر الخيال وغلطه لكوننا مسحورين من قبل محمد ﷺ فهو تصرف فى خيالاتنا على نحو التمويه بحيث نرى غير الواقع واقعاً .

وهذا سرّ تجافى النبى ﷺ عن الاتيان بالمعجزة ، كلما ارادوا لانكشاف ذاتهم عليه فلابد من الاكتفاء بما يتم الحجة ، ولايتعدى منها الالبعض من لايكون لهم العناد ، و يطلبون للتكميل اى لتكميل اطمينانهم ، او لاصل ايمانهم فى بعض المقامات .

( و لقد جعلنا فى السماء بروجاً ) يطلق البروج على الحصون المحكمة (وزيناها) اى البروج (للناظرين) و كون الكواكب كالمدائن فى الارض ، موجودة فى السماء وزينة لاضائتها على اهل الارض بحسب اللفظ، من المحتملات .

كما ان البروج الاثنى عشر المنتزعة من الهيآت المأخوذة لكل منها من الكواكب العديدة بنظر اهل الارض ، و هى الحمل ، و الثور ، و الجوزاء ، والسرطان ، والاسد ، و السنبلة ، و الميزان ، و العقرب ، و القوس ، و الجدى ، والدلو، والحوت، من المحتمل (١) أيضاً اذ جعل الهيئة بجعل منشأ الانتزاع .

وحيث ان الله جعل تلك الثوابت فى محال معينة الحاصلة منها تلك الاشكال بنظر اهل الارض ، فالله تعالى جعل هذه الهيئات مضافاً الى ما يقال من التاثيرات الخاصة لورود كل كوكب فى تلك الهيآت .

---

(١) خبر لقو له قده ان البروج الاثنى عشر

وحيث ان الاثر والتأثير ، من الله ، فهذه الهيآت منسوبة اليه .

وزعموا ان المريخ المسمى بـ (بهرام) عند الفرس بيت شرفه الحمل والعقرب، والمشترى المسمى بـ (برجيس) عندهم بيت شرفه ، القوس والحوت ـ والزهرة المسماة بـ (ناهيد) عندهم بيت شرفها الثور والميزان ـ والزحل المسمى بـ (كيوان) بيت شرفه الجدى والدلو ـ و العطارد المسمى عندهم بـ (تير) بيت شرفه الجوزا والسنبلة ـ والشمس وهـو المسمى عندهم بـ (خور) بيت شرفها الاسد ـ والقمر المسمى عندهم بـ (مه) او ماه بيت شرفـه السرطان، مـن المحتملات(١) أيضاً ، والدليل العقلي لاينافي ارادة كل منهما (٢) أيضاً .

(وحفظناها من كل شيطان رجيم) اى حفظنا من دخولها ولو بالدخول الخيالى كل شيطان انسى مـن اهل التنجيم وغيرهم والشيطان الجنى ، فلا يدخلون بأى دخول فيها حتى يطّلعون على خواصها وتأثيراتها الواقعة فى عالم الكيان حتى يخبروا على النحو الصحيح الدائمى من حيث المطابقة الا على نحو استراق السمع والمراد ان من يسترق السمع فى عالم الكيان من باب خوفه واختفائه لايطلع على التكلمات من الاول الى الاخر بـل يستمع بعض الكلمات ، وبحسب الحدسيات تترتب بين الكلمات المسموعة المتفرقـة ، ويجتمع تلك الكلمات على حدسياته ويرتبط بينهما ، فيخبر فقد يصيب وقد يخطى .

فمن هذا القبيل تصل الخيالات من القسمين من الشياطين الى بعض التأثيرات، فيجتمع ذلـك الشيطان بين المتفرقات و يخبر عـن وقوع بعض الاشياء ، الا ان التخلف هنا اكثر من استراق السمع فـى الدنيا ، اذ بمجرد استراق السمع هنا يتبعه نار موقدة موضحة ، فيردها فالخيالات الصافية المعارضة يطردها و يحرقها ، فلم يبق الا النادر الغير المثمر .

---

(١) خبر لقوله : ان المريخ الخ

(٢) هكذا فى نسخة الاصل بخطه قده منهما بالتثنية ولكن الظاهر (منها) لانه للبروج ثلاث احتمالات .

ولذا تكون اغلب اخبارها كاذبة الا اذا خرجوا من الشيطنة والمرجومية عندالله ، ولم‌يكن غرضهم التضاد مع الانبياء ولكن لابدحينئذ من‌الرياضات الشاقة الموصلة .

(والارض مددناها) قدسبق‌الكلام فيه قريباًوانه امتدمن تحت‌الكعبة وافيضت صورة الارضية على المادة التي كانت لها قبل الارضية من تحت الكعبة ، ثم سرت على التدريج الى‌اليومين وهذاامتداده (والقينا فيهارواسي) اى الجبال الشامخات لمصالح فيها (وانبتنا فيها) اى فى الارض او الجبال من كل شيء له الوزن المعلوم عندالله واوليائه .

و قد ظهر بحمد الله من تمام ما ذكرنا عدم مخالفة الايات المذكورة مع العقل،والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين (٢٠) وان﴾
﴿من شيء الا عندنا خزائنه و ما ننزله الا بقدر معلوم (٢١) و ارسلنا الرياح ﴾
﴿لواقح فانزلنا من‌السماء ماءاً فاسقيناكموه ومااانتم له بخازنين (٢٢)وانالنحن﴾
﴿نحيي ونميت ونحن الوارثون (٢٣) ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا﴾
﴿المستأخرين(٢٤) وان‌ربك هويحشرهم‌انه حكيم‌عليم(٢٥) ولقد خلقناالانسان﴾
﴿من صلصال من حمأ مسنون (٢٦) والجان خلقناه من قبل من‌نارالسموم (٢٧)﴾.

اى جعلنا لكم في الارض مايعاش به و تعيشون بها من الحبوب و الاثمار والخضروات والالبان وغيرها(ومن‌لستم) برازقه‌من‌ذوى الادراك كالعبيد، بل‌يمكن ان يقال ان الانسان بتمام افراده،بعضها ممن يعيش به البعض الاخر اذلازم التمدن وافتقار كل‌الى‌الاخر،ذلك فوجود كل واحد امتنان الاخرو تفضل له ولولم‌يكن فى البين عبودية.

ولوكان الغرض من‌الموصول(١) مطلق صاحب الادراك فيشمل‌الحيوانات

---

(١) يعنى (من) الموصولة فى قوله تعالى :(ومن لستم له برازقين) .

(وان من شيىء الا عندنا خزائنه) المراد بالخزينة الكثير المجتمع ، وحيث ان كل شيىء من الاشياء وكل نوع من الانواع فى عالم الكيان ا مسبوق بعلل كثيرة ، وتمام افراد كل نوع موجود على النحو الاعلى فى كل واحد واحد من علله الطولية ، فكل علة خزينة ، والعلل خزائن ، فلكل نوع خزائن متعددة

بل القدر ايضا مسبوق بالعلل الكثيرة ،بل العرضيات من العقول ، بل الفيض المقدس ، اذ خزائنه الصفات والذات

وكل واحد من تلك الخزائن لا ينقص منها شيىء بـالنزولات اذ لم يكن النزول على نحو التجـافى ، بل كتولد العلم من العلم والسراج من السراج

(ومانتزله الا بقدرمعلوم) اى لايكون النزول والهبوط من الخزائن الا بمقدارمعين على حسب الصلاح

(وارسلنا الرياح لواقح) اى موجبة لحمل السحب منها الماء والرطوبات كحمل الانثى من الذكر فبسبب الرياح تتراكم الابخرة،وتتبدل بالماء ، وتجتمع مع السحب السابقة وتتحد فانها ايضا كانت كذلك وبعد الحمل ننزل بسبب الطبيعة التى اودعنا فيها اى فى الاجزاء المائية، اذ ارتفاعها تكون بالقسر ومن باب الحرارة، المطر(١) فنسقيكم وما تحتاجون اليه وليس الخازن لها الاالله ، والاحياء منا،والاماتة منا، وقد سبق الكلام فيهما قريبا فلا نعيد

(ونحن الوارثون) فان الارث وصول ما تركه الميت للغير اليه على سبيل الاستحقاق ، وحيث ان الانتساب المجازى ايضا فى عالم الكيان ينقطع عن الميت ويجعل الله انتساباً آخراً لورثته ، فالامر صار اليه وفوّضه الى الغير اى هذا الانتساب المجازى واماالانتساب الحقيقى الغير القابل للتفكيك وهو الملكية فليس الا لله ازلا وابدا

(ولقد علمنا) احوال الكل من المتقدمين والمتاخرين لحضور التمام لدينا

---

(١) مفعول لقوله قده : ننزل .

وقيام الكل بنا وقدسبق كيفية العلم فلا نعيد

(وان ربك يحشرهم) اى بعد النشر كما سبق انه متقن عالم

( ولقدخلقنا الانسان من صلصال ) اى الطين الذى له الصوت ليبوسته من طين اسود وخلقنا الجان قبل خلق الانسان ( من نار ) خالص نافذ ( السموم ) .

وهذه الاية تدل على امرين (احدهما) خلق الانسان من الصلصال الموصوف بانه من الا سود المتغير (وثانيهما) خلق الجان من نار السموم قبل خلق الانسان ، والدليل العقلى يساعد الاية ويوافقها .

اعلم ان البرهان على قسمين، ( برهان ) لمي و. هو الانتقال من العلة الى المعلول بان علم العلة فيحصل العلم بالمعلول لاستحالة الانفكاك ، كما اذا علم بتحقق النار في موضع يوجد فيه تمام شروط الاحراق، وينتفى عنه تمام الموانع، فيحصل له العلم بالا حراق وهذا العلم فى منتهى العلو .

(وبرهان)انـّي وهوالانتقال من المعلول الى العلة كما اذاعلم بوجودالاحراق فيعلم بوصول النارلاستحالة تحقق الشيىء من غيرمحقق، وهذاالقسم ادنى من الاول. وحينئذ فنقول ان البرهان الذى ذكرته انه يكون فى المقام غرضى هو القسم الثانى ولعل في العلماء المتبحرين من يقدرعلى اقامة البرهان اللمي على ذلك، ولاانكره، بل لا انكر فوقه وهوالشهودالعيانى ، وكيف انكرما له الواقع فيمكن ان يعطى الله علمه عالماً كما اعطاء للانبياء والحجج .

اما البرهان الانـّي على ذلك فقد ذكرنا سابقا، انالربط والسنخية لابدّ ان يكون بين العلة والمعلول، والا لجازان يكون كل شيء علة لكل شيء وهو يوجب الترجيح من غير مرجح وهو ينتهى الى الترجح من غير مرجح، وهو التحقق من دون موجد ومحقق، وهو بديهى البطلان والامور المذكورة من الواضحات بين ارباب العقول واهل الاستدلال ولايحتاج الى بسط الكلام .

وايضا قدسبق ان الطفرة تكون محالا، اى وصول شيء من العالي الى السافل

اومن السافل الى العالى من‌دون المرور الى مابينهما والواسطة بينهما ، وهذا ايضا من البديهيات عند ارباب الحكمة والمعقول ولايحتاج الى البسط .

وحينئذ فكما انعالم الكيان بتمامه لابدّان يكون مسبوقاً بعالم الملكوت‌اى البرزخ والواسطة والمثال ، و عالم المقدار اللطيف . وهولابد ان يكون مسبوقاً بعالم‌الجبروت اى‌الكلّيات والوجودات السعيّة ـ والمراد بالكلى‌هنا سعةالوجود وهوعالم العقول ـ حذرا من انتفاء السنخية اوالطفرة .

فكذلـك العالم الصغير و هو الانسان اى الافراد منه لابد ان يكون مسبوقاً بالعالم الكبير و هوتمام العالم من الفيض المقدس الى آخرالبسائط و العناصر ، اذكل مافيه القوة والاستعداد لابدان يكون بفعل قبله .

فحيث علمنا ان العـالم الكبير بجعل الله علة لـلعالم الصغير و علمنا ايضا بطلان‌كون الموجد فاقداً كماسبق (فنقول) اذاشاهدنا كيفية خلق كل فرد فرد من الانسان ، نرى ان اول خلقته كـان من الجماد وهى‌النطفة وهى الماء المخلوط بالاجزاء الارضية لغلظتها كمال الغلظة : ومن حيث لزوجتها عاصمة بعضها لبعض بحيث لاتنفصم الاجزاء ، فاذا استقر فى الرحم تتقلب عليها التغيرات الى ان‌تصل الى درجة ولوج الروح ، وهو الروح الحيوانى فيفاض عليهـا قوة اللمس مقدمة على ساير القوى ، ثم بعدالخروج تفاض عليها ساير القوى من الباصرة و السامعة والبقية (١).

ثم بعد طىّ تلك الامور تفاض عليها القوة المتخيلة باول درجتها ثم تفاض عليها قوة الواهمة والشيطنة .

وبعد ختم الكل تفاض‌عليها القوة العاقلة المدركة للكليات ، و هى الفصل الاخير للانسان ، فـانه الحيوان الناطق و قد ذكرنا سابقا كراراً ان شيئية الشىء بالفصل الاخير ، فالانسان قبل ذلك حيوان من الحيوانات ، وشيطان من‌الشياطين

---

(١) مثل الذائقة والشامة .

والبلوغ الى الانسانية في هذه الدرجة .

وحيث شاهدنا ذلك كما ان كل احد يشاهده وينتقل بادنى تأمل (فنقول) قد ذكرنا ايضا سابقا ان الانسان مجموع الكون ، و الكون الجامع و هى اللطيفة السيارة وفصول تمام الاشياء فيها على نحو اللابشرطية اى يصح له ان يتجاوز من كل حد من حدود البهائم و المتوغلات فى الحرص ، كالنملة و الفارة ، و الشهوة ( ١ ) كالخنزير والديك ، والغضبية كالكلب والنمر ، و النكرى كالشياطين ، و هكذا الى ان يصل الى الخيالات الصالحة الصافية وهى الملكوت ، والى العقول الصافية وهى الجبروت ، بل الفوق .

فهذا المجموع الحادث لابد ان يكون مسبوقا بالمجموع العالى فلا بد من تأثير العالم الكبير بتمام اجزائها ومراتبها فى الانسان بتمام اجزائه ومراتبه كل جزء و كل مرتبة لمناسبة .

وحينئذ (فنقول) لابد ان تكون الارض الممزوجة بالماء العاصمة ببعض اجزائها لبعض متصفة بصفة حصول البدن منها بعد اللزوجة كالوحل الحاصل من تغيّر لون التراب و تصير يابسة بمقدار ان تعصم اجزائها او تصير كالعلقة ، ثم يفيض الله اليها مطلق الـروح .

و حيث ان المحدود بالحدود لابد ان تكون فى الخارج من الارض على نحو الكلية ، فالحاصلة منها اقسام الحيوانـات على قدرما نشاهد فى الانسان من اخلاقها حتى يكون وجدان عالم الكيان الكبير لتمام مافى الانسان غير بعض مراتبها موجبا للتأثير فى الانسان الحـادث ، حذراً من كون معطى الشيىء فاقدا اوالطفرة اوالتحقق من غير محقق .

وبعد ذلك كله لابد ان يكون الجان الذى كالواهمة الحاصلة من الحرارة المتعدية من اللائق بها موجودا فى العالم الكبير قبل خلق الانسان ، لكون الواهمة

---

(١) عطف على قوله قده : فى الحرص وكذا قوله : والغضبية والنكرى .

مخلوقة فی العالم الصغیر ، وهوالانسان قبل العاقلة المدركة للكليات و هو حقیقة الانسان کما ذکر .

وبعد خلق الكل تصل النوبة الى خلق الانسان ، فاللازم من باب عدم لزوم احدی المحظورات العقلية السابقة ، تطابق العالم الكبير مع الانسان ، فلابد من كون تمام الحيوانات والشياطين مخلوقة منها الا ان الغالب فی الشياطين ، النار النافذة كالوهمية الغير المطيعة للعالم الصغير .

فقد ظهر بحمد الله صحة المطلبین السابقین (۱) بالبرهان الانّی ، ولايلزم كون الاسبق اشرف بل الامر بالعكس كما فی العالم الصغير .

والسرّ فی عدم كون السبق فی العالم الكبير موجبا للمزية بلحاظ ما هو المبرهن فی موضعه ، من كون الامر فی القوس الصعودی عكس ما فی القوس النزولی ، وان ما فی القوس النزولی هوالاول ، فمايضاهيه فی القوس الصعودی، هو الاخر كالدائرة .

فالنارل من الفيض المقدس، الجبروت، ومنه الملكوت ، ومنه عالم الاجسام وهوعالم الكيان والشهادة .

ثم فی القوس الصعودی مايكون واقعالايتجاوز، يبقى على حاله، ومالايبقى بحد معين ومرتبة معينة ويتحرك ، يصل الى الملكوت الايسر ، وهو عالم الاجنة والشياطين، ثم الى الايمن وهو عالم الملائكة القدرية، ثم الى الجبروت وهوعالم الملائكة المقدسة .

ثم يتجاوز ، فاذا بلغ الى كل مرتبة يكون جزءاً من اجزاء عالمها ، والكل اعلى منه ، والى هنا العالم الكبير بمجموعه اعلى منه بدناً وخيالا وروحا ، واذا بلغ هنا وتجاوزيكون ادنى من الفيض الاقدس ومضاهياللفيض المقدس وان وجد

(۱) وهما لزوم مسبوقية عالم الكيان بعالم الملكوت ، ولزوم مسبوقية العالم الصغير بالعالم الكبير ، فراجع قوله قده : فكما ان عالم الكيان «الى قوله :» لابد ان يكون بفعله

الفاني في الذات كمحمد ﷺ و على عليه السلام فهما يضاهيان الفيض الاقدس ويكونان فوق الفيض المقدس .

والحمد لله والشكر له من حله العقدة في الاية الشريفة (١) ببركة التوسل بمحمد ﷺ وآل محمد صلوات الله عليهم اجمعين ، اولهم على امير المؤمنين عليه السلام، وآخرهم المهدى ابن الحسن العسكرى الامام المنتظر ولا اشك ان هذاالحل من القائاته عليه السلام ، على" فانه الحجة المفيضة على الموجودات .

فظهر مما الهمني الله ببركاتهم ان المذكورات من الايات ،كلها مطابقة للبراهين العقلية القطعية ، الا انه لايمسها الا المطهرون ، ولى ان ابتهج ، واشكر الله ، وادعى رجاء ذلك ، والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿ واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشراً من صلصال من ﴾ ﴿حمأ مسنون (٢٨) فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين (٢٩) ﴾ ﴿فسجد الملائكة كلهم اجمعون (٣٠) الا ابليس أبى ان يكون مع الساجدين(٣١)﴾ ﴿قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين ( ٣٢ ) قال لم اكن لاسجد لبشر﴾ ﴿خلقته من صلصال من حمأ مسنون (٣٣) قال فاخرج منها فانك رجيم (٣٤)﴾ ﴿وان عليك اللعنة الى يوم الدين (٣٥) قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون (٣٦)﴾ ﴿قال فانك من المنظرين ( ٣٧ ) الى يوم الوقت المعلوم ( ٣٨ ) قال رب بما ﴾ ﴿أغويتنى لازينن لهم فى الارض ولاغوينهم اجمعين ( ٣٩ ) الا عبادك منهم ﴾ ﴿المخلصين (٤٠) قال هذا صراط على مستقيم (٤١) انعبادى ليس لك عليهم﴾

---

(١) و العقدة هى ان الله تعالى كيف جعل خلق الجان قبل خلق الانسان مع ان الانسان أشرف من الجـان و الاشرف مقدم فى صيرورته معلولا بمقتضى قاعدة لزوم السنخية بين العلة والمعلول ومراتب المعلولات فحاول المفسر قدس سره من قوله : وهذه الاية تدل على امرين ( الى هنا ) حل هذه العقدة بقوله قده : والدليل العقلى يساعد الاية ويوافقها (اجمالا) ثم بينه بقوله : (اعلم ان البرهان على قسمين ( تفصيلا ) ثم اسند حل العقدة الى بركة التوسل باهل البيت عليهم السلام، حشره الله وايانا معهم انشاء الله .

﴿سلطان الا من اتبعك من الغاوين (٤٢) وان جهنم لموعدهم أجمعين (٤٣) ﴾ ﴿لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم (٤٤)﴾ .

اى اذكر (اذ قال ربك للملائكة) والذكر انما يطلق فيما اذا كان الشيء فى خزانة النفس والالتفات التفصيلى لم يكن اليه، فالامر به امر بالرجوع الى الباطن حتى يحصل الالتفات التفصيلى .

وحيث ان قصة آدم عليه السلام كانت فى نفس النبى (اما) بالوحى السابق (واما) لانه الصادر الاول وكلمة (كن) النورية والوجودات المقيدة حتى الجبروت بعده، وان قلنا بان العقل الاول هو الصادر الاول وهو هو ، فمرتبة آدم عليه السلام بعده (واما) لانه صلى الله عليه وآله من الفيض الاقدس .

والمراد بالقول كما ذكرنا هو الصادر المنبيء عن السر كقوله تعالى : (وقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا) (١) والمراد به الاشارة ( ربك ) وهو رب الارباب (للملائكة) .

والظاهر انها مأخوذة (اما) من الملاك بالفتح والكسر وهو ما يقام به الشيء ويتماسك به كما يقال : ان القلب ملاك الجسد ، و الملائكة أيضاً لكونها متصرفة فى عالم الكيان و بها القيام والتماسك تكون ملاك العالم ( واما ) من الملكة وهى الباطنية الراسخة .

(انى خالق بشراً) اى خلقا او ما يترائى جلده لعدم الشعر والصوف والوبر ( من صلصال من حمأ مسنون ) قد مضى الكلام فيها ( فـاذا سويته ) اى اعتدلته بالكسر والانكسار من حيث المزاج (ونفخت فيه من روحى) والروح وانكانت المشتقات من مادته فى عالم الكيان مشتركة فى الراحة والاستراحة وجائت بمعنى القوة ايضاً ، الا انها لاتنافى المذكورات ، لاحتمال اخذها فى الراحة اى الراحة القوية ، ومنه قوله تعالى (وتذهب ريحكم)(٢) اى قوتكم .

---

(١) مريم — ٢٦
(٢) الانفال — ٤٦

فالمكان الروحانی ای الطيب ، والرياح والاستراحة و الروح والريحان بمعنى الرحمة و الرزق ، والراح بمعنى الخمر ، والراحة وهو الكف فی اليد ، و المراح بمعنى المأوى ، و المروحة بمعنى ما يتروّح بهـا ، والارتياح ، بمعنى النشاط ، والريحان و هو النبت المعروف ، و الريحان بمعنى الـورق و منه (والحب ذوالعصف والريحان)(١) ای ذوالساق والورق مشتركات فيما ذكر.

الا ان (٢) تمام هذهاظلة وارشحة من الروح الذی فوق عالم الخلق ،ومن عالم الامر ای الفعل الغير المادی، فهو من عالم الجبروت اوفوقه فی بعض المقامات وهو لفنائه فی الله ای عالم الامر ينسب الى الله على الاطلاق .

وحيث ان كل العلم والحكمة والقدرة فيه، فظلا له فی العالم كذلك،وعلى ای حال فيأمر الله تعالى اهل الملكوت ـ بان بعد حصول الاستعداد فی آدم عليه السلام بالعدل والاستواء ظاهراً ـ وهی الخلقة الظاهرية وباطناً وهو الاعتدال فی الاخلاق ( و نفخت ) بلا مهل بعد الاستواء ای افضت عليه من روحی ای من عالم العقول و الجبروت من دون تجاف كما سبق من أنه مـن قبيل حصـول العلم من العلم ، والنور من النور (فقعوا له ساجدين) .

ای بسبب صيرورة مرتبته العالية حينئذ من الجبروت ، وانتم من عالم الملكوت فليلزم عليكم الوقوع فی السجود ای الخضوع .

و حيث انه بلحاظ امرالله ، و كون الجبروت مـن رشحة الفيض الاقدس او الذات ، فلا يكون من حيث الذات حتی يكون كالسجود لله ، بل يكون عرضياً بلحاظ كونه من الله ، فلا مانع منه عقلا ولا يكون شركاً (فسجد الملائكة كلهم الا ابليس اجمعون) .

قـد سبق الكلام فيه واقمنـا عليه برهـان الانّ فـالملائكة الخـاضعة

---

(١) الرحمن ـ ١٢

(٢) استثناء من قوله قده : وان كانت المشتقات من مادته

هي ارباب القوى والانواع . فانا قلنا ان فصول تمام الاشياء من البهائم و الطيور و الوحوش والسباع ، بل كل ما فی الارض موجودة فی حقيقة الانسان على نحو اللابشرطية، فاذا كان فی العالم الصغير تمام تلك الفصول خاضعة عند القوة العقلانية المدركة للكليات،ففي العالم الكبير ايضاً ، تمام ارباب هذه الانواع،وتمام الملائكة المفيضة على السمع والبصر وساير القوى خاضعة بامر الله للانسان الحاصل فی العالم الكبير ، حذراً من لزوم احدى المحظورات الثلاث.

فظهر مما ذكرنا ان العرضيات، من العقول ، وارباب الانواع ، و صاحب الطلسمات من اهل الجبروت ايضاً كانوا داخلين فی الملائكة القدرية، و اطاعوا وسجدوا الا ابليس وهو الموسوس في الصدور ای ما ارتبطت الوهمية به،(فابی) من السجود .

و قد ذكرنا فی سورة البقرة (١) ان اشتراك ابليس مع الملائكة لما كان بلحاظ امرعرضی كان بلحاظه اطلاق الملك من قبيل الخفی الراسخ كالملكات او ما به ملاك شیء ، و قوامه و تماسكه ، و الشيطان ايضاً بالنسبة الـی الشيطنة كذلك و لا ينافی اختلاف حقيقة ابليس مع الملائكة ، و لا يلزم حمل الاستثناء على المنقطع .

( قال يا ابليس مالك الا تكون مع الساجدين ) ای ما صار لك ان لا تسجد مع هؤلاء ، و الظاهر ان ( لا ) لا تكون هنا زائدة ، و القول بان معنى ( مالك ) ما منعك حتى يحكم بزيادة(لا) لعله فی غير محله ، و هذا استفهام فی مقام التقريع والتوبيخ

( قال لم اكن ) ساجدا لما اصله التراب و ترابه يكون غالبا وانا من النار والغالب علیّ هو، و النار اعلى ( قـال فاخرج منها )ای من العاليات فانك مردود

(١) راجع ص ٢٦ من المجلد الاول من هذا التفسير عند قوله تعالى: واذقلنا للملائكة اسجدوا لادم الخ

فان هذا التكبر مع كونه غلطاً اذالامر كان مقيداً بوقت النفخ من الروح فيه فالروح الحاصل في الطين من عالم الجبروت ، فلو كان غرضه الاعتراض لكان اللازم ان يعترض بانه لاجل اي جهة نفخت من روحك و افضت من عالم الجبروت على الطين لاان يتكبر ولايسجد للروح الحاصل .

فان كان رأى ان الله من باب الجهل والغفلة فعل ذلك ، فظهور جهله و عدم عرفانه بحال المبدء يكون واضحاً ، والا فان رأى ان الله يحكم ما يشاء و يفعل مايريد في ملكه ، فما وجه الاعتراض، وان لم ير ذلك ويرى ان الله يفعل على طبق الصلاح ، ولكنه لايدرى الصلاح هنا، فلابد ان يسئل كالملائكة حيث سئلوا وبيّن لهم الله اجمالا ثم بيّن لهم آدم عليه السلام .

مع انه اذا رأت الملائكة ـ خصوصاً ارباب الانواع من العقول العرضية ـ ساجدة لادم عليه السلام لكان اللازم حينئذ العلم الاجمالي ، بان الوجه الخفي يكون في البين الا ان يحتمل ان حده لم يكن رؤية تلك الملائكة بل يكون طغيانا على الله واظهار الانانية والاستقلال ، فطرده الله من مرتبة الخيالات الصافية، ورده فيما استعد له من الاعوجاجات، وجعل البعد عليه الى وقت الجزاء.

اى لايتوب ولايرجع الى الصفاء في العالم الدنيوى ، فاذا بلغ الى انقراض العالم ، وتحركت الاشياء الى العالم الآخر ، فاستعداد البذر منقطع من الجميع، ويكون الدار دار نماء المبذورات وحصادها ، فالقيد وارد مورد الحكم الآخر لاان بعد الغاية يحصل له القرب ، بل امر البعد يكون واضحاً غير محتاج الى البيان والمحتاج الى البيان (الى يوم الدين).

(قال رب فانظرني الى يوم يبعثون) اى امهلني الى يوم الحشر ، و هو بعث الارواح واجتماع الاشياء واستدعائه الامهال الى ذلك اليوم ، لان (يوم الدين) يشمل القيامة الصغرى ، وهو موت كل احد فانه اول يوم جزائه فاستدعى الامهال الى القيامة الكبرى .

(قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) و تغيير الاسلوب ظاهر في كونه غير يوم البعث ، (فقيل) ان المراد امهاله الى يوم النفخة الاولى ، اى بين النفختين، اى لاتكون باقية بينهما ولاتكون ممن شاءالله عدم صعقه.

ويظهر من بعض (۱) الاخبار انالمراد اليالرجعة وهي دولة آل محمد عليهم السلام التي قداقمنا البرهان من باب بطلان الطفرة ـ انالعالم الكبيرقبل الوصول بالحركة الجوهرية وبركة النفختين اليالعالم الاعلى ، لابد ان يصل اليالملكوت بظهور الملكوت عليه بتمام اجزائه كما يصل العالم الصغير ، و هو الانسان بعد الموت الى البرزخ فيصعد منه الى العالم الاعلى .

فالعالم الكبير ايضاًلابدان يكون فيه هذه السلسلة ، والايلزم أحدىالمحظورات الثلاث ، و بعد غلبة الملكوت الايمن ، على العالم الكبير ـ حتى لايلزم الطفرة ـ يقتل الشيطان بيد الملائكة ، و لعل القتل بيد جبرئيل عليه السلام ، اذ غلبة الايسر من الملكوت نقص و لا يصحح بطلان الطفّرة و كون الشّرور اعدام ملكات يصحح الامر .

(قال رب بما اغويتنى) لفظ (ما) مصدرية ومابعده في حكم المصدر(والباء) للقسم اى رب اقسم باغوائك لى ( لازينن لهم في الارض) اى أحسن فيأنظارهم مشتهياتهم حتى يميلوا اليها (ولاغوينهم اجمعين) و لاعوج الطريق الموصل اليك عليهم جميعاً بحيث يفقدون الطريق اليك .

---

(۱) في تفسير البرهان ج ۲ ص۳٤۳ نقلا من تفسير العياشي عن وهب بن جميع مولى اسحاق بن عمار قال: سئلت ابا عبدالله عليه السلام ، عن قول ابليس : ( فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت (المعلوم) قال له وهب : جعلت فداك اى يوم هو ؟ قال : يا وهب أتحسب انه يوم يبعث الله فيه الناس ؟ ان الله انظره الى يوم يبعث فيه قائمنا ، فاذا بعثه الله كان في مسجد الكوفة وجاء ابليس حتى يجثو بين يديه على ركبتيه فيقول : يا ويله من هذا اليوم فيأخذ بنا صيته فيضرب عنقه فذلك اليوم ، الوقت المعلوم انتهى ونحوها رواية اخرى عن وهب بن جميع .

فكان ابليس يدعى ان ارتباطى فى بين اسمائك ( بالمضل) فقسمى لابد ان يكون به ، و السبب فى صيرورتى كذلك من قبلك ، فكما ان هذاالاسم ، صـار سبباً لغوايتى فاصير سبباً لغواية كل من أقدر على غوايته فتمام الغوايات منك.

ولكنه اشتبه عليهالامر ، فان صفات الحق التىهى اسمائه( اما) صفاتجمال (او) جلال .

والاولى هى الكمالات الموجودة التى تحدها الاذهان لقصورها .

والثانية راجعة الىّ، لانهاية الكمالات اى كل الكمال فيها من غير حد فهو حينئذ صرف الوجود ومحض الوجود ، وكونها صفات سلبية فى الحقيقة، راجعة الى سلب النقائص والسلّوب ، و سلب السلب هو الاثبات ، نهاية الامر انهـا لا نهاية لهـا .

وحينئذ فالسلوبالحقيقية والفقدانات خارجة عنالصفات والاسماء بقسميها

نعم الافاضة لابد انتكون مرتبطة مع المفاض عليها وفى دار الاستعدادلابد من حصول الاستعداد ، والالكان كل شيء صادراً عن كل شيء كما مضى، فمع فقد الربط اومع فقد الاستعداد لايفاض لانتفاء شرط الافاضة.

و وجه انتساب الاضلال اليه تعالى انه لايهدى مع فقد ربط الهداية او مع فقد استعداد الهداية بالاختيار و حينئذ فالشهوة تقتضى اثرها ، و الغضب اثـره ، والمتخيلة تميل الى ان تتصور على طبق اقتضائهما فتغالط فى التخيلات وتعوّج و كيف لايكون الامر كذلك و قد قالالله فى نفى كون خلق السموات و الارض وما بينهما على سبيل اللعب (لواردنا ان نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا ان كنافاعلين بل نقذف بالحق على الباطل)(١) اى مصدر اللعب لا بد ان تكون فيه جهة اللعب وذات الاحديةبريئة من ذلك .

وحينئذ فلو كان الاضلال منه لكان العوج والباطل فيه، وقد قال : بلنقذف

(١) الانبياء ــ ١٨

بالحق على الباطل(١) وتحقيق المطلب في كتب الحكمة المتعالية .

وعلى اى حال فحيث كان غرض ابليس ان يغالط ولم يكن غرضه الفهم، حتى يعلّمه الله ، فما كان فيه استعداد علم غالب على حسده و كبره ، فلم يجبه الا بقوله :

(هذا صراط عليّ مستقيم ، ان عبادى ليس لك) وهو الذى استثناه الشيطان، لعلمه بعدم تأثير وسوسته فيهم ، والا كان شوقه فى اغوائهم اكثر فقال الله تعالى: (هذا الخ) فان قرء بفتح الياء ، فالظاهر ان المراد ، ان هذا صراط وطريق مستقيم يكون على عهدتي سلب سلطنتك عن العبادلله (وان) قرء بجر الياء واضافة الصراط يكون المراد ان هذا صراط على مستقيم ، اى هذا صراط عال يكون مستقيماً لا اعوجاج فيه .

ولعل ماذكر(٢)من ان المراد صراط اميرالمؤمنين علي عليه السلام يكون ناظراً الى هذا اذالعالي المطلق هو ذاته عليه السلام وهو الولي المطلق و المتصرف ، فالطرق المنشعبة منه عليه السلام الواصلة اليه متصفة بالعلو ايضاً ، فان الطريق من حيث كونه طريقاً، علوه و دنائته بلحاظ ما يوصل اليه ، فاذا كان موصلا الى الولي من قبل الله فهو عال ومتصف بالعلو وتكون الاضافة بيانية ، فان نفس الصراط يكون عالياً على ما ذكر وان الوجه لكونه موصلا الى الولي ويكون مناسباً لان يكون بتقدير اللام .

والغرض على الاول ان عبادى لعلو درجتهم بحفظ مني لتوفيقاتهم لايصل يدك اليهم .

و على ان من أجعله ولياً و هو على الدوام يكون في الارض يرشد العباد

(١) الانبياء - ١٩

(٢) تفسير البرهان ج٢ ص ٣٤٤ نقلا من بصائر الدرجات لسعد بن عبد الله مسنداً عن ابى حمزة الثمالى عن ابيعبدالله عليه السلام قال : سئلت عن قول الله عز وجل قال : هذا صراط علي مستقيم ؟ قال : والله علي عليه السلام وهو والله الميزان والصراط المستقيم (انتهى)

ويقويهم من قبلى، فلا يدلك عليهم والمعنى واحد .

وحيث ان ظهور الولاية فى على عليه السلام اشد واسمه عليه السلام مطابق مع مسماه فنسب اليه ، وهو الحق ايضاً .

(ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) فان العبودية الشرعية اى المملوك القابل للفك، والانتقال ليس المقصود هناك، اذ الملك الحقيقى له تعالى لكون تمام الموجودات ربطا له وقائماً به، والملكية الحقيقية الواقعية لكل احد، فالاختصاص انما هو فيمن ادرك ادراكاً حضورياً لذلك الامر ، و هو من يغلب حب الله فى قلبه او سطوته وعظمته على كل ملائماته و منافراته سواء كان هو نفس الولى او المرتبطين اليه بدلالته وولايته .

(الا من اتبعك من الغاوين) قد يقال : ان (الا) هنا بمعنى لكن وحينئذ فحذف المرتبط به وهو (فلك السلطان عليهم) للقرينة، وقد يقال يكون الاستثناء منقطعاً فلا يفتقر الى الحذف .

(وان جهنم لموعدهم) اى الاتباع لك ( اجمعين) تأكيد من المضاف اليه وهو الضمير (لها سبعة ابواب) اى اطباق اوما يدخل منه ، ويخرج لكون المراد المعنى الكلى كماذكر مكرراً لكل باب من الابواب السبعة (منهم) اى من تبعة الشيطان (جزء مقسوم) اى نصيب معين وان اىّ قسمة من اىّ باب، والوجه واضح، والبرهان عليه قد مضى مكرراً .

ووجه كون الباب سبعة اوالاطباق كذلك يحتمل ان يكون لاثبات النقائص لله، من الشرك ، والتركيب، والجسمية، وكونه مرئيا وكون الصفات زائدة، وكونه محلا اوحالا، وكونه فقيراً .

(اوبلحاظ) انكارالله او واحد من صفاته ، او انتساب النقص فى افعاله (او) انكار الملائكة (او) الكتب، (او)الرسل (او)المعاد .

(او بلحاظ) العناد والبقاء فى الجهل المركب فى العقائد الواجبة ولوواحد

منها والاخذ بخلاف الاعتدال اختيارا في الاخلاق من الاخذ بالشره او الخمود وبالتهور اوالجبن وبالبلادة او الشيطنة .

وما ذكرته صرف الاحتمال ، والاطمينان موقوف على الوصول الى اخبار آل محمد ﷺ (١) في هذا ويدى قاصرة الى الوصول اليها لكونى غريبـا فاقداً لتمام الاسباب في بلاد لم تكن الكتب من آل محمد ﷺ شايعة فيها .

وقد ظهر بحمد الله من تمام ذلك مطابقة الآيـات المذكورة مع البراهين العقلية كما ذكرت وانّها لاتخالفها ، والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿ان المتقين في جنات وعيون (٤٥) ادخلوها بسلام آمنين﴾ ﴿(٤٦) ونزعنا ما في صدورهم من غل اخواناً على سررمتقابلين (٤٧) لايمسهم﴾ ﴿فيها نصب وماهم منها بمخرجين (٤٨) نبيء عبادى انى اناالغفورالرحيم (٤٩)﴾ ﴿وان عذابى هو العذاب الاليم(٥٠) ونبئهم عن ضيف ابراهيم (٥١) اذدخلوا﴾ ﴿عليه فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون (٥٢) قالوا لاتوجل انا نبشرك بغلام﴾ ﴿عليم (٥٣) قـال ابشر تمونى على ان مسنى الكبر فبم تبشرون (٥٤) قـالوا﴾ ﴿بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين (٥٥) قـال ومن يقنط من رحمة ربه الا﴾ ﴿الضالون (٥٦) . ﴾

اى اهل التقوى والخوف اواهل الوقاية في البساطين ولكل نوع من انواع العبـادة ، كـالصلوة ، والصوم ، والزكوة ، والخمس ، ومودة ذوى القربى ، والجهاد ، والامر بـالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وترك كل نوع مـن انواع المحرمات، جنة مخصوصة .

ولكل فرد فرد من النوع قصرفى تلك الجنة ، (ولترك) انواع الاخلاق السيّئة لكل نوع منه جنة اعلى من جنة الاعمال (ولكل) مصداق من النوع قصر في تلك

---

(١) راجع تفسير البرهان ج٢ ص ٣٤٤ فانه قدورد فيه اخبار من اهل البيت(١) في ذلك .

الجنة ، وللاتصاف بالاخلاق الحسنة لكل نوع جنة اعلى من السـابق ، (ولكل) مصداق جار في الموارد قصرفيها ، (وللصبر) والرضا والتوكل والتسليم جنة بحسب الدرجات اعلى من السابق ، (وللاجراء) فى كل مورد قصر فى تلك الجنة .

ثم جنات العقائد اعلى ثم جنات الفناء فوق الجميع ، اولها التوحيد الفعلى والثانى الوصفى ، والثالث الذاتى ،

واطلاق الجنة بلحاظ كونها موضوعة بازاء كلى تشمل العاليات من المجردات والافهى فوق الجنة وللبسط مقام آخر وكل ذلك قد ثبت بالبراهين العقلية القطعية واهل المكاشفة يرونها بالعيان .

(وعيون) اى المياه الجارية من مادة مخصوصة وهى صورة العلوم والعقايد ولكل نوع من الانواع السابقة ومصداق منه ، عين بعضه مزاجه من تسنيم والامور العالية ، وبعضه من الزنجبيل، وبعضه من الكافور ، وبعضه من السلسبيل على حسب مراتب السلوك وافراط المحبة لله وتفريطها والمتوسط المعتدل .

وهى وان كانت فى العظمة فوق البحار من حيث العظمة بالف الف الف الف الف الف الف الف الف الف الف ، بل از يد درجة الا انها بالنسبة الى التجليات الالهية تكون عيونا .

(ادخلوها بسلام آمنين) اى الجنات مقرونا بالسلامة الداخلية حال كونكم فى الامن من التغيير والانقطاع اومن المانع الخارجى ، لانقطاع دار النقص، فالامراض مقطوعة والهرم وغيره لايكون، ولانقطاع التزاحم بسبب الكمال، فالمانع الخارجي مقطوع .

(ونزعنا ما فى صدورهم من غل) اى قد اقلعنا الحسد والبغض مع اولياء الله فلا حقد فى الدرجة النازلة من قلوبهم وهى الصدور فضلا عن الدرجة العـالية (اخوانا) اى يكون الجميع اخوانـا فى المقصد ويحبون الآخر بحب الاخوة الصادقة لاتحاد مشربهم ومقصدهم وهو حب الله واوليائه (على سرر) اى مستقرين

على الاسرة (متقابلين) جميعاً مع الآخر لكون تمام اعضائهم صاحب الحيوة والادراك والبصر فتمام كل منهم يكون وجها فلا قفاء ولاخفاء (لايمسهم فيها نصب) اى مـا يوجب الألم النفساني اوالجسداني لفقد التزاحم (وما هم منها بمخرجين) لكونها دار الحيوة وكون الفيض الالهى دائميا والتمام مبرهن فى محله وقد ظهر ايضـا مما سبق .

( نبّىء عبادى ) واخبرهم ايها النبى ( انى انا الغفور الرحيم ) التكرار في الضمير للتاكيد ، والتحقيق ، فلا شبهة في كون الله ساتر العيوب بستر الغفران والمغفرة، والرحيم على العباد ، فان الرحمة والودايضا في المخلوق من الممكنات وهى تخرج من القوة الى الفعل ، فلا بد من الانتهاء الى الفعل المحض حذرا من لزوم التحقق من دون محقق او التسلسل الباطل او كون المعطى فاقداً وحينئذ فتمام الرحمة والود المنتشر فى تمام العوالم من رشحة رحمة الحق، فهو الرحيم بالذات ورحمة الغير من رشحاتها .

(وان عذابى هو العذاب الاليم) لمقام صفات الجلال والقهر فلابد من كون العبد بين الخوف والرجاء دائما .

( ونبئهم عن ضيف ابراهيم ) قد ذكرنا سابقـا انـه اذالو حظت القصص المكررة في القرآن يشاهدان المذكور فى كل مقام شيء لم يذكر فى المقام الآخر وهو المقصود بالاصالة وذكر ما ذكر في السابق من باب الارتباط بحيث لولاه لما ارتبطت الاجزاء ( اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون) ولم يذكر هنا ماجاء به الخليل (ع) .

وسبب الخوف لانه رأى عدم اكلهم وقد ذكر فـي سورة هود ولم يذكر قول الخليل في سورة هود وذكر هنا ( قالوا لاتوجل انا نبشرك بغلام عليم ) ولم يذكر هذا القول للخليل في سورة هود ، وكذلك الى لفظ ( الضالون ) لم يذكر في سورة هود وذكر هنا ، وذكر فى سورة هود تكلم الملائكة مع زوجة ابراهيم ولم يذكر هنا .

ولايكون ذلك من باب التضاد بل المجموع قد وقع ، وفى كل مقام انبـاء بجزء من القصة ، وذكرما بهالاشتراك انماهو بالتبع ، والحاصل انهماى الملائكة بشروا الخليل عليه السلام بغلام كثير العلم فقال عليه السلام فى حال الكبر تبشرونى قـالوا : هذه بشارة بالحق ولايكون من باب الحدس ، بل من بـاب امر الله (ولاتكن من القانطين)فاجاب الخليل عليه السلام بانتكلمى من باب التعجب ودرك الغريب عن المتعارف لامن باب القنوط اذالقنوط لايكون الا من الضال الذى لايعرف الله ، فكأنه تأديب للملائكة المرسلة اذ للخليل عليه السلام بعض درجات فوق الملائكة .

وموافقة بعض المذكورات مع البراهين العقلية وعدم مخـالفة البقيةالعقل كما ذكرنا يظهر مما ذكرنا ، والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿قال فما خطبكم ايها المرسلون ( ٥٧ ) قالوا انا ارسلنا ﴾
﴿ الىقوم مجرمين ( ٥٨ ) الا آل لوط انالمنجوهم اجمعين ( ٥٩ ) الا امرأته﴾
﴿قدرنا انها لمن الغابرين ( ٦٠ ) فلما جاء آل لوط المرسلون ( ٦١ ) قـال ﴾
﴿ انكم قوم منكرون ( ٦٢ ) قالوا بل جئناك بما كـانوا فيه يمترون ( ٦٣ ) ﴾
﴿وأتيناك بالحق وانا لصادقون (٦٤) فاسر باهلك بقطـع من الليل واتبع ادبارهم﴾
﴿ ولايلتفت منكم احدوامضوا حيث تؤمرون ( ٦٥ ) وقضينا اليه ذلك الامران ﴾
﴿ دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ( ٦٦ ) وجاء اهل المدينة يستبشرون (٦٧ ) قال﴾
﴿ان هؤلاء ضيفى فلاتفضحون ( ٦٨ ) واتقواالله ولا تخزون ( ٦٩ ) قالوا اولم﴾
﴿ننهك عن العالمين ( ٧٠ ) قال هؤلاء بناتى ان كنتم فـاعلين ( ٧١ ) لعمرك﴾
﴿انهم لفى سكرتهم يعمهون ( ٧٢ ) فاخذتهم الصيحة مشرقين ( ٧٣ ) فجعلنـا﴾
﴿عاليها سافلها وامطرنا عليها حجـارة من سجيل (٧٤ ) ان فى ذلك لآيـات﴾
﴿للمتوسمين ( ٧٥ ) وانها لبسبيل مقيم ( ٧٦ ) انفى ذلك لآية للمؤمنين (٧٧)﴾

اى سئل الخليل عليه السلام عن الخطب والشغل الذى امروا فى اجرائه ، وحيث انالمذكور فى سورة هود انه عليه السلام بعدان او جس منهم خيفة (قالوا لاتخف انا ارسلنا)

فالمراد من المجموع بعد جمع المتشتتات ان بعد مجيىء الخليل بالعجل الحنيذ ورؤية عدم امتداد يدهم اليه للاكل وقع في نفسه منهم الخيفة (قالوا الاتخف) اولا توجل ، فانهما واحد والغرض ليس نقل عين اللفظ ، بل لعله لم يكن التكلم بالعربي ، فانا لك من المبشرين .

( وبعد ) تكلم الخليل عليه السلام في امر البشارة مع رؤيته عليه السلام منهم آثار القهر او المستفاد من كلماتهم وصار له عليه السلام اختصاص بالبشارة الدال على ان الرسالة للغير ليست للبشارة.

( سئل ) عليه السلام عنهم فما خطبكم لما ارسلتم به من العذاب (قالوا. لاتخف اى لايكون هذا العذاب لامتك واتباعك ايضا ، بل لخصوص قوم لوط عليه السلام وهم مجرمون، واستثنوا من قومه آله سوى امرأته ( فضحكت ) سارة عليها السلام والتفتت اليهم حينئذ وفزعت ، اما من عذاب قوم لوط وخلاص لوط عليه السلام من ايديهم (او) من نجاة ، لوط وآله (او) المراد انها في هذه الحالة حاضت فبشرتها الملائكة وهذه البشارة . بعد بشارة الخليل ووقوع كلمات بين الخليل عليه السلام والملائكة

( فلما ذهب ) عنه ( الروع ) من نفسه وآله واتباعه جعل عليه السلام يشفع ويجادل في قوم لوط حتى قالوا له قضي الأمر واعرض فانه مكتوب في القضاء ، فالتضاد والتكرار كلاهما منتفيان ، نعم التكرار التبعى بحيث تعرف القصة لازمة

وسر استثناء المرأة المذكورة لكونها كافرة بالله وبلوط عليه السلام فان العذاب لم يكن لخصوص اللواط ، بل لامور ، من الكفر ، وقطع السبيل ، وترك النسوان وتحليل اللواط ، واللواط .

وبعضها علة تامة ، بعد علم الله بعدم التوبة للعذاب كالكفر ، وقطع السبيل والظلم على النسوان، والعلل المتعددة اذا اجتمعت في مورد غير قابل للتكرار والتعدد تصير بالاجتماع علة وتكون كل علة تامة في غير مورد الاجتماع ، وجزء العلة التامة في حال الاجتماع ، فالعلل لعذاب القوم كانت متعددة لو انفردت ،

وللمرأة كانت علة واحدة .

واحتمل انها كانت راضية بافعال القوم وكون الرضاء بمنزلة الفعل ، فحالها حال القوم الا انه محض احتمال .

( فلما جاء ) المرسلون عند آل لوط اى اللوط واهل بيته . اى وردوا على بيته عليه السلام فعلى مـا ذكرت من جمع المتفرقات ، ورد الحزن فى قلبه عليه السلام لمشاهدة وجوههم والعلم بحال قومه ، فقال فى نفسه ، هذا يوم شديد علىّ كمـا فى سورة هود و( قال ) لهم ( انكم قوم منكرون ) اى غير معروفين لااعرفكم .

ولعل صدور ذلك الكلام منه عليه السلام للرقة بحالهم ، اى لو كنتم معروفين عند اهل القرية لكنتم عارفين بحالهم ولاتدخلون مع هذه الوجوه الحسان فى تلك القرية ( او ) لأحتماله ان يكونوا من المعروفين الذين يخاف اهل القرية منهم فسئل بهذا النحو حتى يظهروا عليه الامر فيستريح خاطره (او) الغرض انكم لابدلى ان اخفيكم وانكركم فانتم قوم لابد لمن اراد حفظكم من اخفائكم فانتم منكرون .

( قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون ) اى لاتخف علينا ولا تحزن ولاينبغى لك انتحزن ، اذلاحاجة لنا الى الامداد ، بل جئناك بالامر الذى يشك قومك فيه اى العذاب اى نحن اقوى كما هنا، وهذا المقدار من الكلام يجتمع مع كونهم اقوياء من البشر قادرين على تعذيب القوم .

وكذا قولهم (وأتيناك بالحق) اذتعذيب الكفار الظالمين يكون حقا ولوجرى فى يد البشر وكذاقولهم (فاسر باهلك بقطع من الليل) وكن عقب الجميع ولاتنظرون الى ورائكم (وامضوا حيث تؤمرون) وهو الشام .

(ان دابر هؤلاء مقطوع) فى وقت الصبح ، لاحتمال كونهم مؤمنين قدجاؤا من قبل الخليل عليه السلام ويلحقهم المساعدون اومن قبل غير الخليل عليه السلام من مقتدر مؤمن او مقتدر مشمئز من الظلم اومن اعمالهم .

ثم جاء القوم بالسرعة والتباشر فاستدعى منهم ترك الواردين ونكاح بناته بعد انكار القوم عليه كما هنا ، فاجابوا ماجابوا فى سورة هود فقال عليه السلام (لوان لى بكم قوة الخ) كما فى سورة هود ، والى هناماعرفهم بعنوان كونهم من الملائكة،فقالوا انارسل ربك واعادوا ماقالوا اولا كما ذكر ماقالواهنا وانباؤا بهلاكة امرأته ، فلم يكن تضاد كما عرفت ولاتكرار الافيما ذكر تبعا .

(لعمرك انهم لفى سكرتهم) وهى سكر الشهوة اوسكر رشحات امارات الموت (يعمهون) اى يترددون فى الذهاب والمجيىء (فاخذتهم الصيحة) من الرعد اوغيره على خلاف المتعارف حال كونهم (مشرقين) باشراق الشمس علهيم اى الصبح .

(فجعلنا عاليها سافلها) قدمضى الكلام فيه فى سورة هود (وامطرنا عليها حجارة من سجيل) قدمضى ايضا (ان فى ذلك) اى نزول هذا العذاب (لايات) قدسبق ذلك المطلب ايضا منا (للمتوسمين) اى من يأخذ بالوسم والعلامة (وانها) اى قرية سدوم (لسبيل) اى فى طريق مكة الى الشام (مقيم) اى فى علامتيه ، لمشاهدة انها خربت دفعة من آثارها وكونه علامة لهذه الاشخاص تكون آية لتمام المؤمنين ، لكون المؤمنين متصفة بهذه الصفة.

وقد ظهر بحمدالله عدم مخالفة ما ذكر من الآيات مع العقل ولامع الآيات الأخر ، والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿وان كان اصحاب الايكة لظالمين (٧٨) فانتقمنا منهم وانهما﴾ ﴿لبامام مبين (٧٩) ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين (٨٠) وآتيناهم آياتنا﴾ ﴿فكانوا عنها معرضين (٨١) وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين (٨٢) فاخذتهم﴾ ﴿الصيحة مصبحين (٨٣) فما اغنى عنهم مـا كانوا يكسبون (٨٤) وما خلقنـا ﴾ ﴿السموات والارض ومابينهما الابالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل﴾ ﴿(٨٥) ان ربك هو الخلاق العليم (٨٦) ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن﴾ ﴿العظيم (٨٧) لاتمدن عينيك الى مامتعنابه ازواجا منهم ولاتحزن عليهم واخفض﴾

﴿جناحك للمؤمنين(٧٨) وقل اني انا النذير المبين(٨٩) كما انزلنا على المقتسمين﴾
﴿(٩٠)الذين جعلوا القرآن عضين(١)(٩١) فوربك لنسئلنهم اجمعين (٩٢) عما﴾
﴿كانوا يعملون (٩٣)﴾

و(ان) مخففة عن مثقلة اى وانه كان اصحاب الايكة لظالمين والايك الشجر الكثير الملتف ، وهى الغيضة اى الأجمة وهى مغيض ماء يجتمع اى الماء المجتمع يقل فيه فينبت فيه الاشجار وقالوا انه كان بقرب مدين ، فالمراد قوم شعيب عليه السلام وظلمهم لاجل عدم اتباعهم لشعيب في التوحيد والنبوة ، وما كان صادرا منهم من افعالهم من البخس في المكيال والميزان والفساد فى الارض كما سبق .

(فانتقمنا منهم) وقد مضى كيفية الانتقام (وانهما لبأمام مبين) اى محل نزول العذاب بالنسبة الى قوم لوط وقوم شعيب يكون امام انظار اهل مكة فى مسافرتهم الى الشام على النحو الواضح

(ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين) والمراد به واد بين المدينة والشام وهو منازل ثمود عند واد القرى ، و(اصحاب) هم قوم صالح ، وحيث انهم كانوا من المشركين فلم يختص تكذيبهم بصالح عليه السلام بل كذبوا تمام الرسل السابقين الداعين الى التوحيد

(وآتيناهم آياتنا) اى الآيات الدالة على الوحدانية التى اقامت عليهم صالح عليه السلام من خروجهم من الارض وخلقهم منه واستعمار الارض على الاتقان باعطاء العلم وقد سبق البرهان العقلى فى سورة هود على التوحيد ، بل براهين متعددة، وكلها آيات

ومنها الآية المحسوسة المضافة الى العقل وهى قصة الناقة ، وقد مضت واعرضوا عن الجميع(وكانوا)اقوياء فى البدن ، و(ينحتون من الجبال) اى يسوون

(١) عضين جمع عضة واصله عضوة فنقصت الوا وكذلك جمعت عضين بالنون كما قال: عزة وعزون والاصل عزوة ، والتعضية التفريق مأخوذ من الاعضاء يقال : عضيت الشيئى اى فرقته وبعضته (مجمع البيان) .

على نحو السلامة من العيب في البنـاء حال كونهم (آمنين) من تمام العـوارض من الامراض والاعداء،لسلامة امزجتهم وقوة ابدانهم

(فاخذتهم الصيحة) عند الصبح كما مضى (فما اغنى عنهم ما كسبوا) بايديهم من الاخلاق والاعمال اوالابنية الصلبة من الجبال.

(وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) اى غاية الخلقة لم تكن الا الحق اى الثابت الدائم وهو الوصول الى الله او ما يكون من قبله ولا يكون دائرا كالعقليات والدار الآخرة، اذ الامر الزايل لايمكن ان يكون غرضا للفاعل الباقي وهو الله للزوم الربط كما ذكر مرارا وبرهـن عليه (وان الساعة لآتية) اى الغرض الوصول الى الساعة وهـي الدار الآخرة التى تبقى ولا تفنى والجميع فيهـا يحضرون فالامور الزايلة مما لاتعبأ بها ، و يلزم دعوة الخلق الى الدائم البـاقـي الغير الدائر

( فاصفح الصفح الجميل ) اى اعرض عنهم اعراضا جميلا لايحمل عـلى خوفك، اذ الدار الواقعة فيها المجازاة يصلون الكل اليها ، فيعذبون فيهـا ، اى المستحقون للتعذيب ، و ذلك الصفح قبل الامر بالجهاد للصـلاح في تركه حين ذلك الامر

( ان ربك هو الخلاق العليم ) فالعلم منه والايجاد ومنه فاذا رأى صلاح البقاء يأمر بالصفح ، واذا رأى صلاح القتل والفناء يأمر بالجهاد

(ولقد آتيناك) اى اعطيناك(سبعا من المثاني)والمراد به سورة الحمد،فلكون آياته سبعاً يقال : السبع واما المثاني ( فقيل ) للزوم تكراره مرتين في كل صلوة بالنظر الى الركعتين الاوليين (او) لاجل كونها بين الله وبين العبد،لان من اول السورة الى مالك يوم الدين لله،ومن اياك نعبد الى آخر السورة للعبد

والبناء على الاول يصير من باب الوصف العرضي،فاتصافها بالمثاني لذلك الامر العارضي، فهي المثاني في الصلوة، مع ان في الرباعية ايضا متصفة بالوجوب التخييري بينها والتسبيحات، والوجوب التخييري ايضا من اقسام الواجب (واما)

على الثاني فهذا الاتصاف ذاتي دائمي لااختصاص له بباب الصلوة

وعلى اى حال فاخبار اهل البيت ﷺ على طبق الثاني تكون موجودة على نحو الكثرة وان لم تكن الكتب عندى حين الكتابة لغربتي وفقدى للاسباب ، وصورة الاخبار (١) غيرحاضرة عندى، ولكن ادرى على سبيل الاجمال(واما) على الاول ليس ببالي ان من اخبار آل محمد ﷺ يكون ما يدل عليه ام لا ؟ الا ان في بعض كتب اهل الجماعة والسنة رأيت الاول

( والقرآن العظيم ) قد مضى الكلام في معنى القرآن وحقيقته فهو عظيم غاية العظمة وذكر الحمد مستقلا مع انه من القرآن لمزيد الاهتمام به

(ولا تمدن عينيك الى ما متّعنابه ازواجا منهم ولا تحزن عليهم) اى لاتجعل نصب عينيك الاشياء التي متعنا بها اصنافا من الكفار ، ولا تحدق اليها فان النظر الى الشيىء لاتصال الشعاع بين العين والمرئى امتداد من العين الى المرئى اى لا تنظر الى الثروة الدنيوية الحاصلة للكفار ولو لاجل صلاح الدين(٢) من اعلاء كلمة الاسلام بها واعانة المؤمنين للاجتماع والتقوية ، فان الله يعلن كلمة الاسلام من غير افتقار الى ما في ايدى الكفار ،بان يؤمنوا ويبذلوا في سبيل الله ولا تحزن على فوت الايمان من هذه الكفار

(و اخفض جناحك للمؤمنين) اى امش معهم على نحوالرفق والن جانبهم ولاتعتن بالكفاربانلايحسن سلوكك من المؤمنين لاجل الكفار مصلحة فانالصلاح في الخلاف والمماشاة مع المؤمنين دونهم .

(وقل)للكفار (انى انا) والتكرار للتأكيد و التحقيق (النذير) اىاحذركم من

---

(١) نذكر واحداً منها تيمناً عن التهذيب بالسند الصحيح عن محمد بن مسلمقال : سئلت ابا عبد الله عن المثانى ، والقرآن العظيم هى فاتحة الكتاب ؟ قال : نعم الخ فلاحظ تفسير البرهان ج ٢ ص ٣٥٣

(٢) والغرض انه لاتجعل عنوان صلاح الدين وسيلة لامتداد نظرك الىاهلالثروة من الكفار فان الله الحكيم لايجعل قط صلاح دينه باموال الكفار والمنافقين .

عذاب الله ( المبين ) اى على نحو الظهور والـواضح فيصل العذاب اليكم وينزل عليكـم .

(كما انزلنا على المقتسمين) وهو ﷺ لفنائه فى الله يصح ان يقول : انزلت اوانزلنا اومع شركة الملائكة يقول انزلنا والشركة مع الله لامعنى الا فى الانتساب بان يكون الى الله حقيقياً وبالنسبة اليه ﷺ اوغيره بالعرض والمجاز كماهومبرهن عليه من كون انتساب الشىء الى العلة اولى من الانتساب الى نفسه و الى علة العلة اولى من العلة (على المقتسمين) اى من الاشخاص الذين يقسّمون .

(الذين جعلوا القرآن عضين) اى متبعضاًوقالوا نؤمن ببعض ونكفر ببعض على حسب تطـابقه مع رأيهم و عدم التطابق اوقسّموا طريق ابطال القرآن ، فقال بعضهم انه سحر مستمر وقال بعضهم انه كهانة و من مساعدات الجن و قال بعضهم انـه شعر .

والمرادحينئذ انانزل العذاب كما ننزل على هؤلاء، وان كان المراد من القرآن مايقرء من الكتب السـابقة ، فالمراد انز ل العذاب على الكفار فى هذا الزمان ، كما انزلنا العذاب على مكذبى الانبياء السابقين .

(فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون) اذ افعال الله على وتيرة واحدة والترجيح من غير مرجح لايصدرمنه تعالى ولاجزاف فى افعاله .

و عدم مخالفة الايات المذكورة مع العقل يكون واضحا ، و الله الهادى.

قوله تعالى : ﴿ فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين(٩٤)اناكفيناك ﴾

﴿ المستهزئين (٩٥) الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون (٩٦) ﴾

﴿ ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون (٩٧) فسبح بحمد ربك وكن من ﴾

﴿ الساجدين (٩٨) واعبد ربك حتى يأتيك اليقين (٩٩)﴾

اى تكلم جهارا فى دينك بما تؤمر به ولا تعتن الى المشركين (اناكفيناك) و دفعنا (المستهزئين) عنك فلا يصل اليك بعد ذلك شرّهم وقد اهلك الله وليد ابن

مغيرة ، والعاص ابن وائل، وعدى ابن قيس ، والاسود ابن مطلب، والاسود ابن عبد يغوث بالافة السماوية .

( الذين يجعلون الخ ) صفة للمشركين ( فسوف يعلمون ) اى المشركون بالسيف والاسرفي الدنيا والعقاب فی الاخرة

(ولقد نعلم) ضيق صدرك من اقوالهم فتحمّل اذاهم ونزه الله واحمده اى استوعب نفسك في شهود الجلال والجمال (وكن) من الخاضعين غاية الخضوع اى واظب على بقائك على حـالك ولو صرت في الدرجة الرابعة الا انك تقدر على الجمع بين الصحو والمحو والاتصال والانفصال ، لكمالك غاية الكمـال ، ولانك المتّبع ، فلابد ان يشاهدوك فيمنتهى الدرجة حتى يتأسّوابك.

(واعبد ربك حتى ياتيك اليقين) قالوا ان المراد بـاليقين هو الموت ، اذ الموت سبب اليقين ، ولعل الحمل عليه من باب انه لوحمل بمعناه يكون اللازم سقوط الامر بحصول اليقين فان لفظ (حتى) اما يكون لانتهاء الغاية ، فالمنتهىهى الغاية ، وما بعد الغاية مخالف لحكم ما بعدها (واما) يكون بمعنى (لاجل) وهى العلة الغائية ، فالامر اوضح اذ العلة المحركة ترتب اليقين وقد حصل فلاجهة للوجوب والسقوط خلاف الاجماع فلابد من كون اليقين بمعنى الموت .

وهو في غير محله ، اذ الموت لايكون بنفسه من معانى اليقين ، بل لعلاقة السببية يطلق اطلاقا مجازيا ، وهو انما يصح معوجود العلاقة اى السببية ، وكون الموت سبباللیقین لایصحح غیرمورد السببية .

وفيما نحن فيه وهو الخطاب الى النبى ﷺ لايكون اليقين حـاصلا بسبب الموت ، بل الدرجة الحاصلة من اليقين با على درجاته له ﷺ حاصلة .

(فان قيل) المراد من الموت، الموت الاعم من الاختيارى والاضطرارى ، والموت الاختيارى له ﷺ صار سبباللیقین، (فيقال): فالمحظور قدعاد اذالموت الاختيارى قد حصل له ﷺ فلابد من السقوط عنه ﷺ .

والاقوى في نظرى- مع قطع النظر عن الاخبار الواردة اذ ليست عندى كتب الاخبار ولاشيء من الاسباب كما ذكرت مكررا- ان اليقين باق على حاله ، ومع ذلك يكون صحيحا ، ولايلزم السقوط لاعنه ﷺ ولا عن غيره المتأسّى به اما منه ﷺ ومن يكون كنفسه بآية المباهلة ، بل عين نفسه وساير الائمة والصديقة ام الائمه صلوات الله عليهم اجمعين فلوجهين.

(الاول) ماذكرناه في غير مورده ان الفعل المحض لايكون الا الذات الاحدية والغيب لايتناهى وبعد كل تجل تجلٍّ آخر اعلى من السابق ، فاستمرار العبادة موجب لاستمرار التجليات ، وكل تجلٍّ يكون العلم الحضورى به حين وقوعه واليقين الحاصل من العبادة كما ذكره اهل الكشف والتحقيق، هو الشهود والادراك الحضورى لاالعلم الارتسامي الحصولي .

وبعد لانهاية الغيب واستمرار التجليات فالادراكات الحضورية المتعاقبة غير متناهية ، ولابد من دوام حصولها والمتعين حمل (حتى) على العلة الغائية بمعنى (لاجل) لالانتهاء الغاية حتى يلزم ان يكون له الانتهاء .

(الثاني) ما ذكرته ايضا غير مرة : من ان البقاء ايضا مفتقر الى العلة اذ الامكان علة الافتقار لاالحدوث ، وذكرت ايضا ان بقاء كل شيء من مقولته ، فبقاء اليقين ايضا يقين ، وفي كل آن يفتقر الى الافاضة من الله ولذا يصح منه ﷺ نفسه قول (اهدنا) في الصلوة مع حصول الهداية له قطعا ، وعلى هذا ايضا يكون (حتى) للعلة الغائية ، وحينئذ فالمراد اعبد دائما حتى يكون الله مبقيا ليقينك فلا سقوط في البين ابدا .

واما من غير البالغ الى هذه الدرجة ، فالجواب الثاني يتعين ، فالعبادة ، لبقاء اليقين ، وهو ايضا يقين .

والمراد باليقين قد ذكرنا انه اليقين الحضورى بقرينة ترتبه على العبادة ، اذ اليقين الحصولي يحصل غالبا من البرهان والاستدلال لاالكشف والعيان، فلامانع

من حمل اللفظ على معناه ابداً .

وقدظهر من تمام ماذكرنا عدم مخالفة الايات المذكورة مع العقل بل موافقة بعضها للبراهين العقلية، والله الهادى .

قدفرغت من كتابة ما كتبت يوم الاربعاء المطابق للواحد والعشرين من
ذيقعدة الحرام من سنة الست والثلاثين بعد الالف وثلثمائة فى قاضى
كوى من اسلامبول، وهجمت طيارات الاعداء فى ليلتها على
محلنا مرتين ، و طرّدوهـا بالمدافع الكبار و كنا
واقعين بين الناريات، وبقينا الى الان بحمدالله
والامر بيدالله رب ارحم على الشيوخ
والاطفال ، ولا توصل اعـداء
البشر الى الامـال لهم
وقرّب اليهم الاجال
وانا الراجى

**نورالدين الحسينى الايرانى السلطان آبادى**

وهو بلدة العراق الخاص للايران

من الاسف عدم بروز تفسير سورة النحل

من المفسر قدس الله نفسه

ولذا نتلو سورة

الحجر بسورة

الاسراء

فتفطن

# سورة الاسراء (١٧)

مكية

مأة واحدى عشرة آية

كتبها في قاضي كوى من اسلامبول

٢٧ - او ٢٨ من ذى حجة الحرام من

عام ١٣٣٦

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى﴾ ﴿الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير﴾ .

اى يكون منزها من النقائص والحدود (الذى اسرى بعبده) فى ليلة واحدة والاسراء هوالسير فى الليل وذكر الليل لاجل ان يشير الى وحدة الليل من باب تنوين التنكير (من المسجد الحرام) وهوالمسجد المعروف (الى المسجد الاقصى) اى الابعد الذى اعطيناك البركة فى اطرافه ، وهذا السير لاجل ان نرى عبدنا (من آياتنا انه) اى الله التفات الى الغائب (هوالسميع) للاصوات (البصير) بحال الاشياء.

وتنزيه الحق فى المقام يدل على منتهى عظمة الواقع فى تلك الليلة فان الاثر على شاكلة المؤثر فالفعل الصادر بلحاظ التجلى الجلالى لابدان يكون رافضا للحدود الامكانية بقدر يمكن وحينئذ ، فالمراد بالاسراء ليس مجرد السير الدنيوى بل السير المكمل .

وحيث انه جعل مبدء السير المسجد الحرام وهو من الامكنه الدنيوية الواقعة فيها الكعبة ، وهو بيت الله الحرام وفيها كمالات باطنية ، ولهذا يحرم فيها مالا يحرم فى غيره ، فلا بد من باب المطابقة ان يكون سيره ﷺ بالبدن الدنيوى

المشتمل على كعبة الآمال وهو نفسه القدسية ﷺ واختص البدن المذكور بخصائص ليست في غير ذلك البدن .

وحيث ان ذلك السير في الليل ، فلابد من كون الحركات في الكثرات ورفضها ، فان الحركة هي الخروج من القوة الى الفعل ، فمن اول السير يبلغ الى مالم يصل اليه ثم يتجاوز منه ويصل الى الغير وهكذا ما دامت الحركة باقية ، فمع قطع النظر عن الاخبار الواردة ايضا يظهر للمتأمل في الآية الشريفة ان هذه الحركة حركة صعودية معراجية ، وهي الواصلة الى الحدود الخارجة منها .

ومن بياننا يظهر ان المنتهي او الواقع بعد مبدء السير لايكون في عرض مبدء السير او ادنى لاجل الدلالة على القدرة اذ القدرة من صفات الجمال ولو كان الغرض ذلك لامكن التعبير بالحمدلله والتعقيب بقدرته وحينئذ فمع الاغماض عن الخارج يكون المراد بالمسجد الاقصى ، هو الابعد في الاجسام من المسجد الحرام وهو لايكون الا في منتهى الجهات وآخر السموات الجسمية والسموات كلها مساجد وموارد الخضوع ، منتهى الخضوع لله .

فكون المراد ، هو البيت المعمور الذى في السماء السابعة انسب مع دلالة اللفظ من الجهتين وهما كلمة ( التنزيه ) (١) ولفظ ( اقصى ) وارجح من المسجد الاقصى الذى بالشام ، وهو البيت المقدس ، فالسير الى هنا ببدنه ﷺ مع غلبة الروحانية والسير المعنوى بل البدن حينئذ قدسرى فيه حكم الروح كالبدن الاخروى لنا متوجها الى الله ومبتهجاً به .

ومباركية حول ذلك المسجد لكون تمام الفيوضات الدنيوية نازلا منه، وتصل الى الاقرب فالاقرب في قوس النزول ، والمبدء هنا أعلى لكون القوس نزوليا .

وعلة ذلك الاسراء والقوس الصعودى ، ارائة الله لنبيه ﷺ الآيات الالهية فان الغيب المطلق في مرتبة غيبه سميع وواجد للسمع المدرك للاصوات ، وبصير

---

(١) يعنى لفظة (سبحان)

وواجد لكمال اقسام الرؤية من رؤية الأجسام والعقليات.

ثم انه لايصح ان يقال : بكون المعراج المستفادمن تلكالآية هو الروحانى المحض ، اذالوحي النازل عليه ﷺ فيمدة ثلاث وعشرين سنة منجماً وبالتدريج لم يكن بتجسد جبرئيل عليه السلام بحيث يراه كل احد ويسمع صوته كل احد حتى لايحتاج الى عروجه ﷺ بل نزول جبرئيل عليه السلام (اما) بمقدار الوصول الى قلب رسول الله ﷺ وهو فوق الصدر الذى فوق الاجسام الملكية ، ومن عالم المثال المتصل ( نزلبهالروح الامين علىقلبك ) (١) او بمقدار الوصول الى صدر النبى المنشرح من قبل الله فيظهر الملكوتعلى بدن النبى ﷺ ويسمع صوت جبرئيل عليه السلام ويشاهده عيانا وصوته كصلصلة (٢) الدراى ولذا ينقلب حاله ﷺ ويحصل له الغشوة وكل هذه الحالات معراجه ﷺ فالاختصاص بالليلة الواحدة وتنزيه الحق لصدور ذلك الامر العظيم لايناسبه .

وتوهم ان ما وقع فى ساير الاوقات كان الاتصال الى مرتبة من مراتب جبرئيل عليه السلام والواقع فى تلك الليلة هو الاتصال التام الى الله بدون الواسطة : والفرق بينهما يكون واضحا ، فالمعراجات الجزئية قد حصلت فى ساير أوقات نزول الوحى ، والمعراج الكلى قد حصل فى تلك الليلة .

( مدفوع ) بان الغرض ما يستفاد من نفس الآية وقد جعل الله الغاية فى تلك الآية ( لنريه منآياتنا ) اى مشاهدة بعض آيات الله ، وهذا المقدار من المشاهدة كان حاصلا فى تمام حالات نزول الوحى ، ولوكان الغرض انفى هذا المعراج قد حصلت رؤية الله والاتصال التام اليه لكان التعبير بمايناسبه من قبيل (لان يريه نفسه) او ما شابهه فالحمل على الروحانى المحض غير صحيح .

---

(١) الشعراء - ١٩٤

(٢) وفى حديث صفة الوحى : كأنه صلصلة على صفوان ، الصلصلة صوت الحديد والصلصلة اشد من الصايل (مجمع البحرين)

كما ان الحمل على الجسدانى المحض غير مناسب للتنزيه والغاية ، لان مشاهدة الاشجار والنباتات كانت حاصلة للنبى ﷺ فى سفره للتجارة الى الشام ، وكذلك الجبال مع وجود هذه الامور فى مكة والطائف واما الذهاب الى السموات والى البيت المعمور بالجسد لاينفك عن السير المعنوى والروحانى .

فالظاهر من جميع ما ذكرنا الى هنا ان هذا المعراج جسمانى روحانى الى منتهى الاجسام والمحدّد للجهات ثم منه الى الفوق الرتبى يستفاد من سورة النجم .

ولو خلصني الله من سجن الابتلاء ببلاد الغربة واوصلنى الى وطنى المحبوب وهو الايران الذى فيه تكون آثار اهل البيت عليهم السلام باقية وتوجه النفوس الى آل محمد ﷺ الذين هم خزنة علم الله وعيبة سره واطال عمرى ووفقنى ، لاكتب المستفاد من تلك السورة ان شاء الله .

ولما ان هذا التفسير مع قلة بضاعة صاحبه فى العلم وفقده الاسباب حين الكتابة كان غرض صاحبه منه اثبات عدم مخالفة كتاب الله مع العقل فى مقام من المقامات بل مطابقته معه اوعدم مخالفته وحينئذ فلا بد من بيان عدم المخالفة فى تلك الاية الشريفة .

فنقول بعونة وحسن توفيقه انه لامانع من سير الجسم بما هو جسم ، المسافة البعيدة فى مدة قليلة كالبرق والاجزاء النورية الواصلة من الشمس والقمر وساير الكواكب الينا اووصول الشعاع البصرى الى الكواكب وهذه امور مشهودة ، والبرهان العقلى ايضا لايعارضها اذلاوجه للمنع العقلى .

و كذلك لا مانع من حركة الجسم الثقيل على خلاف مركزه بسبب القوة القاسرة كالطيران للطيور اوالجلوس فى الالات المعمولة فى هذه الازمنة من الطيارات والسفن الهوائية .

فلو كان القاسر هو البراق ــ و لعله منشأ تمام البرقيات والقوى البرقيّة ــ فلا مانع من تحريكه لجسم النبى ﷺ فى المدة القليلة هذه المسافة الطويلة على خلاف المركز.

وكذا لامانع من صيرورة البدن بسبب بعض الذوقيات صلبة بحيث لا تضره الحركة الشديدة ، ولاعصر الهواء ، فان بعض الاجسام له هذه القوة والصلابة كبعض الاحجار العالية من الجواهرات او كبعض اقسام الفلزات .

وكذا لامانع من كون بدن النبي ﷺ مطلقاً او في تلك الليلة بسبب بعض التجليات مكتسباً لما يناسب تمام اقسام الهواء وفوق الهواء ( او ) خلق الله بقدر الاحاطة بالنبي الهواء المناسب (او) اتخذ له بعنوان الادخار من الهواء المناسب كما يدّخرون الهواء في الغوّاصات تحت الماء .

و اما السير في الاجسام السماوية ، فالتكلم (تارة) مع ارباب العقول من الحكماء (وتارة) مع اهل الحس من بعض اهل الغرب واتباعهم (اما الطائفة الاولى) فقد يستفاد من بعضهم بطلان الخرق والالتيام في السماويات والافلاك كلية، ويستفاد من بعضهم بطلانه في خصوص الفلك المحدد للجهات و هو الفلك التاسع على قولهم ويسمى بالاطلس عندهم لعدم كونه مكوكباً .

والبرهان على البطلان مطلقاً ان الفلك والفلكيات لبساطتها وعدم تعدد جهتها، لايمكن ان يكون لها قسمان من الحركة، الحركة الوضعية والحركة الاينية والافلاك لها حركة وضعية فلو حصلت فيها الحركة الاينية يلزم المحذور وهو صدور الاثنين من البسيط وهو خلاف التشاكل ، هذا كله لو كان الامر بالطبع كذلك .

ولو كان بالقسر فلاقسر للفلكيات، (مضافا) الى انه اذا دخل جسم في الفلكيات فلابد من توسّعها حذراً من تداخل الاجسام والتوسع غير قابل فيها لانتهاء الجهة فيها فلا جهة حتى يتحرك الجسم الاخير اليه .

والوجهان (١) باطلان (اما الوجه الاول) فلكثرة الجهات بحيث لاتعدّ ولا تحصى في الفلك الثامن الاعلى من الافلاك السبعة ، فلابدّ ان يكون ابسط على

---

(١) احدهما عدم امكان ان يكون للفلكيات قسمان من الحركة وثانيهما عدم امكان التوسع في الفلكيات

مذاقهم و كثرة جهاته لكثرة الكواكب العظام فيه سواء كانت لها ايضاً افلاك جزئية املا و ان كانت هذه الكواكب العظيمة بهذه الكثرة غير مضرة بالبساطة فالحركة الجزئية الحاصلة بمقدار جسم النبي غير مضرة.

(واما) قولهم : انه لاقسر في الفلكيات فمجرد ادعاء بدون الدليل ولايحكم على شيء بمحض الدعوى .

(واما الوجه الثاني)فهو ايضاً باطل ، لان الارض، والهواء والماءفي جوف الافلاك كما ان كل فلك في جوف الاخر،فالحركة من محل الى محل آخر لاتقتضي للاتساع، فمع عدم مانع من الخرق والالتيام يكون الكل كالشيء الواحد،واختلاف اجزائه في المحل لايصير سبباً لشيء والقول بالبطلان مصادرة هذا مع ان الجهة منتزعة من المحيط فباتساع المحيط تتسع الجهة ولا يكون المحيط في الجهة بل الجهة تتبعه وذلك واضح.

(واما الطائفة الثانية)(١) فبرهانهم عدم رؤية الافلاك بالحس البصري والالات المعدة له ، وبطلان ما ذكروه يكون واضحاً لان عدم الرؤية البصرية لايدل على عدم الوجود لاحتمال لطافتها وشفافيتها بحيث لاترى ولاتكون حاجبة، ومع تجويز الخرق و الالتيام فيها فسير الكواكب فيها صعوداً و نزولا ، وسيرذوي الاذناب لا تدل على عدمها .

و بناءاً على مذاقهم نقول : بانه صلى الله عليه و آله سار تمام الكرات من دون مانع .

و اما من منع من الصعود على الفلك الاخير لفقد الجهة فقد مر ان الجهة تابعة لذي الجهة فبصعود النبي ﷺ تصير الجهة بمقدار جسم النبي ﷺ محدوداً فلابرهان على الخلاف فالمعراج حاصل بالجسم والروح له ﷺ ولسنا حينئذ في صدد بيان ماوقع له ﷺ، وسيجيء الكلام فيه ان شاء الله بعد ذلك .

---

(١) وهم اهل الحس من اهل الغرب

واما مانسب الى بعض من انه صلى الله عليه وآله ترك ترابه فى موضع التراب ومائه فى الماء، وهوائه فى الهواء، و ناره فى النار وعرج، ثم فى وقت النزول اخذ ناره من النار وهكذا فان كان مراده ظاهر كلامه .

ففى نهاية السقوط (١) اذلو كان غرضه تصحيح المعراج الجسمانى فذلك ليس بجسمانى، اذ فى السموات كان السير حينئذ روحانياً محضاً.

مع استلزامه تفرقة اجزاء النبى اى موت النبى صلى الله عليه وآله واندراس بدنه ، ثم الحيوة الثانية و اجتماع الاجزاء ، و ذلك يوجب فتح ايرادات أخر لارباب المعقول مع عدم اغنائه الا ان يكون غرضه التعمية و اعتقاده فى المعراج هو الروحانى المحض .

وظهر بحمد الله عدم كون الاية الشريفة مخالفة للعقل، والله الهادى.

ثم أعلم ان الاخبار الواردة فى باب المعراج لعدم كونه من العمليات والامور التى يلزم الامتثال على طبقها لامعنى لحجية الاخبار الاحاد فيه ، اذالحجية هى هنا كونها قاطعة للعذر فى مقام العمل ولاعمل هنا .

فهو (من جهة) كونه مما يجب الاعتقاد على طبقه يلزم تحصيل القطع فيه وهو لايحصل بالاحاد (ومن جهة) كونه ايضاً امراً واقعياً، لواراد احد ان يكشف له كشفاً تاماً، يلزم تحصيل القطع ايضاً فيه، والقطع بعد عدم المخالفة مع العقل، انما يحصل بالمقدار الذى يكون ضرورياً للدين ، وهو مطلق المعراج (او) بما يكون ضروريا فى مذهب الامامية رضوان الله عليهم وهو الجسمانى مضافاً الى السير المعنوى او بالاخبار المتواترة بالمعنى فى جامع الاشتراك لابالمتواتر لفظاً لعدم كفايته و عدم حصول القطع منه لكون دلالة الالفاظ ظنية .

وحيث انى فاقد حين الكتابة فى بلد الغربة لكتب الاخبار خصوصاً المعتمدة

---

(١) وغاية السخافة ايضاً لانه صلى الله عليه وآله ليس عبداً حينئذ وقد قال الله : اسرى بعبده ليلا

عندنا من اخبار اهل البيت عليهم‌السلام لاداعي للغور في‌هذا المطلب .

وفي كتب اهل‌السنة نقلاعن‌الشيخين (١) واللفظ لمسلم‌انه‌صلى‌الله عليه وآله قال أتيت بالبراق ، و هو دابة ابيض فوق الحماردون البغل ، يضع حافره عند منتهى طرفه، فركبته فساربى حتى اتيت بيت المقدس، فربطت الدابة بالحلقة التى تربط فيها الانبياء ثم دخلت، فصليت فيه ركعتين .

اقول : يحتمل ان يكون المعنى‌ان‌الله ارسل الىّ للتحريك البدنى‌مع السير المعنوى (البراق ، وهودابة) اى‌يكون‌حيوانا ، ولايكون من‌قبيل‌البسائط الغير‌الحية كالارض والنار والهواء، ولامن‌الجمادات‌والنباتات، فانه قدنزل من‌عالم‌الملكوت وهو الحيوان كله، وكل ماهو من عالم الملكوت يكون له الحيوة .

وهذه الدابة(ابيض) لكونه‌نورانياشديداً والنور الشديدابيض لازديادمظهريته وهذا الحيوان‌المرسل لخاتم الرسل ﷺ لابدان يكون انور من جميع‌المحركات لسايرالانبياء فلابد ان يكون ابيضا، (فوق الحمار دون البغل) اى متوسطا ومناسبا لحمل البدن ، لكون المتوسط موردالسلطنة فيمايراد به، فلا يكون ضعيفا لايقدر على الاتيان بما يراد ، ولا قويا بحيث يخرج عن الاطاعة ، فيحرك راكبه على حسب ارادة الراكب ، وذلك ايضامناسب مع‌دابة خاتم الرسل صلى‌الله عليه‌وآله فى تلك الليلة .

(يضع حافره عندمنتهى طرفه) اى يضع رجله فى الان الثانى فى آخرماوضع يده فى الان الاول، اى يكون السير على نحو الالتفات بحيث لاينقص ولايزيد ، و هو ايضا من التوسط ، فلا ينقص عجزاً و لا يزيد طغيانا ( فركبته ) اى بدون الافتقار الى اعانة الغير من جبرئيل عليه السلام ، و غيره فسار بى ، حتى اتيت بيت المقدس .

( فربطت الدابة بالحلقة التى تربط فيها الانبياء ) اى البيت المقدس للزوم

---

(١) يعنى مسلم والبخارى

التوقف فيه هنيئة ، لتطابق الظاهر و الباطن و الجسد مع الروح هنا حيث ان فى السير المعنوى يصل السالك الى بعض مراتب يلزم فيه ان يقف فى ذلك المقام ، لاختلاف نحو السير البعد، مع سير القبل ، فمن باب دفع الدهشة وحصول التمكن يسهل للسائر هنيئة .

وحيث ان من زمن الوصول الى بيت المقدّس قد شهد ﷺ الانبياء فيه كما دلت عليه الاخبار الاخر ، فللتمكن والتمهل لابد من وقوف وحينئذ لابد من توقيف القوة المحركة الحاصلة فى الدابة المذكورة بتوقيف الدابة فى الحلقة اى الدائرة التى تكون محركات الانبياء من دوابهم فيها فان نحو السلوك يكون واحداً والفرق بالزيادة والنقيصة

( ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ) اى لاداء شكر الوصول الى ذلك المقام

ولنرجع الى تتمة الحديث: ( ثم خرجت فجائنى جبريـل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن قال جبريل اصبت الفطرة قال ﷺ ثم عرج بى الى السماء الدنيا، فاستفتح جبريل قيل من انت؟ قال جبريل قيل ومن معك؟ قال محمد ﷺ قيل وقد ارسل اليه؟ قال : قد ارسل اليه ، ففتح لنا فاذا بآدم عليه السلام فرحب بى ودعالى بخير)

اقول : يحتمل ان يكون المراد من اناء الخمر ما فيه ستر العقل ، ولازمه القاء الظواهر اى تكميل الامة بالجذبات والسكر والمحو فى الحق ( ومن اناء اللبن) حيث انّ صورته الحقيقية العلم (١) وهو الغذاء الروحانى المندرج كالظاهر منه حيث يربى الطفل ونحوه مع الضعف بالتدريج ويقويه حتى يستغنى منه

فالتربية باناء اللبن يصير كذلك اى يكمّل الضعيف بالتدريج ويوصله الى درجة الفراغ من العلم حتى يصل بعده الى العين وفوقه، وامضى جبريل هذا الاختيار لكونه اعلى المراتب من حيث حصول التمكين واشمليته ، اذ شمول الاول للكل موجب لتخريب الدنيا ، و عدم شموله موجب لقلة الفيض ، بخلاف ذلك ، ففيه جمع بين الدنيا والآخرة

---

(١) يعنى يكون المراد من اناء اللبن ، العلم

واما استفتاح جبرئيل اذا وصل الى السماء ، فلاجل ادخال النبي ﷺ ببدنه الجسماتي الدنيوي ، وكون الابواب للسمـاء يحتمل أن يكـون لاجل ان بعض مواضعها الخاصة،يناسب للدخول والخروج لمطلق الجسم حتى الملكوتية او لغير الملكوتي من الاجسام اى في باقي المواضع جهة منع ، ولو للصلابة المناسبة مع الاجسام السماوية

وحينئذ فلا بد من كون الدخول والخروج من المواضع الخاصةولولكون ما فيها من الامور المناسبة المرتبطة بخروج ما فيها الى مادونها ، ودخول ما في الدون فيها ولو من قبيل صلاحية التنفس .

والفتح (٢) حينئذ برفع مايكون مانعا منقبيل ساير المواضع (او) باعداد المناسبات للتنفس والدخول من قبيل الهواء الصالح .

وحيث ان بعد الوصل الىالسماء والدخول فيها يغلبالملكوت على الملك فالبدن الدنيوى يصير حكمه كالبدن الدنيوي في القيامة من حيث حصول الكمال له بالحركة الجوهرية ، فيجتمع مع آدم عليه السلام الذي يكون ببدنه الملكوتي ويتكلم آدم عليه السلام معه ويرحب به .

ولنرجع الى تتمة الحديث ( ثم عرج بيالى السماء الثانية فاستفتحجبرئيل فقيل منانت؟ قال جبريل ، قيل ومنمعك؟ قالمحمد ﷺ قيل وقدبعث اليه؟ قالقد بعث اليه ، ففتح لنا فاذا انا با بني الخالة يحيى عليه السلام وعيسىعليه السلام فرحبا بيودعوا لي بخير .

ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل منانت؟ قال جبريل ، قيلومن معك؟ قال محمد ﷺ فقيل وقد ارسل اليه؟ قال قد ارسلاليه ففتح لنا فاذا انا بيوسف عليه السلام واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعالي بخير .

ثم عرج بناالىالسماء الرابعة واللفظ كالسابق (الىانقال) : فاذا انا بادريس

---

(١) يعني قوله (ص) فاستفتح جبريل يرادبه دفع ما يكون مانعاً

عليه السلام فرحب بى ودعالى بخير .

ثم عرج بناالى السماء الخامسة واللفظ كالسابق (الى ان قال) : ففتح لنا فاذا انا بهرون فرحب بى ودعالى بخير .

ثم عرج بنا الى السماء السادسة واللفظ كالسابق (الى انقال) : فاذاانابموسى عليه السلام فرحب بى ودعالى بخير.

ثم عرج بنا الىالسماء السابعة واللفظ كالسابق (الى انقال) : فاذا انابابراهيم عليه السلام فاذا هـو مستند الى البيت المعمور ، و اذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لايعودون اليه .

وحيث ان مقامات الانبياء عليهم السلام متفاوتة ولانحيط بها على نحو القطع الاانا نعلم اجمالا بافضلية البعض من بعض وبافضلية من له الشريعة من غير صاحب الشريعة واما غير ذوى الشريعة فاى واحد منهم افضل ، او من صاحب الشريعة اى واحد منهم افضل ؟ لاندرى على سبيل القطع الا افضلية خـاتم الرسل محمد صلى الله عليه وآله من الكل ثم بعده الخليل عليه السلام لتواتر الاخبار من حيث المعنى وبذله بنفسه وماله وولده وعياله .

واما الباقي فليس عندنا دليل قطعي ، فليس لنـا انئرجـّح ونتكلم فى هذا المقام لكونه تكلما من غير دليل الا ان الخبر المذكور لاشتمـاله على كون غير من له الشريعة مساويا مع من له الشريعة اواعلى ، كتساوى يحيى عليه السلام مع عيسى عليه السلام وتقدمه على آدم عليه السلام و كتقدم يوسف عليه السلام على آدم وعيسى عليهما السلام و كتقدم ادريس على آدم عليه السلام وعيسى عليه السلام و كتقدم هرون عليهما ايضاً .

فلابد ( اما ) من القول بان السماء الثانية مثلا ليست اعلى مرتبة من السماء الاولى وانما هى اوسع والا وسعية غير المزية المعنوية ، وهو بعيد بل خلاف مايظهر من مجموع الاخبار الواردة فىذلك الباب وان لم احط بها فانلفظ العروج فى هذا الخبر ايضا يظهر منه العروج البدنى مع الرتبى لاتحاد النسق فى الكل ،

فتكلم الله بدون الواسطة اذا كان بعد التمام ، فالظـاهر ان الكل واقع فى سلسلة الحركة المعنوية ايضا .

واما من القول بان كل هذه الانبياء عليهم السلام من حيث الذات تجاوزوا من السماوات الا ان لكل واحد ربطاً خاصا لصفة خـاصة فى كل سماء ، وهو مقام تمكنه وتصرفه لاجل تلك الحيثية ، ولابد للمتمكن من التمام الاحاطه بتمـام مقامات التمكنات فظهروا له عليهم السلام فى مقام تمكنهم .

مثلا كان آدم عليه السلام لابوته لجميع البشر طالبا لشهود تمام ذراريه واولاده ، باعمالهم واخلاقهم وعقايد هم ، مؤمنين كانوا اوغير مؤمنين ، حتى يشفع لمن له قابلية ان يشفعه ويطلب نقص العذاب لمن يقبل ذلك فى حقه .

وحيث ان اعمال بعضهم واخلاقهم لاتتجاوز من السماء الدنيا فـاختار آدم عليه السلام لمقام تمكنه السماء الدنيا ولذا قد ذكر فى بعض اخبار (١) الامـامية حصول الانقباض له عليهم السلام اذا عرض عليه أعمال غير المؤمنين ، والانبساط اذا عرض عليه اعمال المؤمنين .

ثم بعد آدم عليه السلام فى حصول الرأفة له لبنى آدم ، عيسى عليه السلام كما يستفادمن الاية الشريفة بعد الاستفسار عن امره بالشرك واباته : (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفرلهم فانك انت العزيز الحكيم (٢) اذالظاهر من ذلك ان مع شركهم قدتكلم بما تضمن الشفاعة ، وذلك من كمال الشفقة الاانه شرك خـاص لامطلق الشرك ، فلعله ايضاً كـان طالبا لشفاعة محبيه ولومع الشرك. ويتجاوز اعمالهم الى السماء

---

(١) فى اصول الكافى ج١ص٢١٩ باب عرض الاعمال على النبى صلى‌الله عليه وآله الخ من كتاب الحجة على بن ابراهيم، عن ابيه، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة، عن ابى‌عبدالله (ع) قال: سمعته يقول : مالكم تسوئون رسول‌الله (ص) ؟ فقال رجل : كيف نسوءه قال : اماتعلمون ان‌اعمالكم تعرض عليه، فاذا رآى فيها معصية ساءه ذلك فلا تسوؤا رسول الله وسروه ، ولاحظ سائر اخبار الباب ايضا .

(٢) المائده-١١٨

الثانية فاختار السماء الثانية لاجل مااختار آدم فمحبة آدم عليه السلام دائرتها اوسع ومنه عليه السلام اضيق .

واما وجود يحيى عليه السلام معه فلفناء يحيى عليه السلام فيه ومساعدته في ذلك الامر كما ساعده في الدنيا بالبشارة فامره عليه السلام معه بعنوان التبعية .

(واما) يوسف عليه السلام وان لم يكن صاحبا لشريعة الاانه ايضا كثير الرأفة ، فيريد شفاعة من يصل اعماله الى تلك السماء ، فانه اقل من الاولين لعدم ارتباطه عليه السلام بالناس كارتباطهم .

(واما) ادريس عليه السلام فلكونه كاملا في العلوم ومفيضا للعلوم، يناسب الشمس الفياض للنور الشديد، وهو عليه السلام ايضا لظهوره في اختياره الافاضه النورية، مع عدم تعلق تام بالناس خصوصا الجهلاء اختار الابعد من السابقين المستعدة لايصال النور

(واما) هرون عليه السلام فانه وان كان في كمال الرأفة مع القوم الاانه عليه السلام في زمن موسى عليه السلام كان تابعا له ولم يبق بعد موسى عليه السلام ايضاً فلم يكن له كثير تعلق الا بالكملين البالغين اعمالهم الى السماء الخامسة .

(واما) موسى فلكثرة ابتلائه ببني اسرائيل وايذائهم له تنفر قلبه عليه السلام منهم كيف وقد قال بعد مضى سنوات عديدة والاتيان بآيات بينة (رب انى لااملك الانفسي واخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين) (١) فلايكون ناظرا الاالى الكاملين الواصلين اعمالهم الى الخامسة فيشفعهم هرون عليه السلام ومايصل الى السادسة فهو عليه السلام بنفسه يشفع لهم لايصالهم الى منتهى الدرجات (واما) كون الخليل عليه السلام في السماء السابعة فلان موسى وهرون ويوسف وعيسى عليهم السلام من ذراريه وشفاعتهم شفاعته وتمكينهم تمكينه وللاخذ من الحق والافاضة الى ذراريه لابد من كونه في السماء السابعة متكيا على البيت المعمور .

ومـا ذكرته مجرد احتمال ذكرته لاجل ان لايتوهم كونه خلاف العقل اى

---

(١) المائدة ـ ٢٥

الاحتمالات متعددة فلايحكم بخلاف العقل، ولنرجع الى تتمة الحديث (ثم) ذهب بي الى سدرة المنتهى، فاذا اوراقها كآذان الفيلة ، واذا ثمرها كالقلال(١)فلما غشيها من امرالله ما غشيها تغيرت ، فما احد من خلق الله يستطيع يصفها من حسنها قال فاوحى‌الله الي ّ مااوحى وفرض عليّ في كل يوم وليلة خمسين صلوة ، فنزلت‌حتى انتهيت الى‌موسى عليه‌السلام‌فقال:مافرض ربك على‌امتك قلت خمسين‌صلوة‌في كل يوم وليلة قال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف . فان امتك؟ لاتطيق ذلك واني‌قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم (٢) قال فرجعت الى ربى فقلت : اى رب خفف عن امتي فحط عني‌خمسا، فرجعت الى‌موسى‌قال مافعلت؟ فقلت‌قدحط عني خمساً قال ان امتك لاتطيق ذلك فارجع الى‌ربك فاسئله التخفيف لامتك، قال فلم ازل‌ارجع بين ربي وبين موسى ويحط عني خمساً خمساً حتى قال يامحمد ﷺ هي خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلوة عشر، فتلك خمسون صلوة ، ومن هم‌بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت عشراً ، ومن همّ بسيئة ولم يعملها لم تكتب ، فان عملها كتبت له‌سيئة واحدة ، فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال‌ارجع الى‌ربك فاسئله التخفيف لامتك فان‌امتك لاتطيق ذلك ، فقلت قدرجعت الى ربي حتى استحييت (٣) .

وروى الحاكم في المستدرك عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ رايت ربي عزوجل .

واقول في‌تتمة الحديث الاول انه يحتمل ان‌يكون نحو الاوراق كآذان الفيلة من تدليه‌الى‌الذيل للافاضة على‌تمام اوراق الاشجار الدنيوية، من النباتات‌واشجار

---

(١) القلة اناء وهى الجرة والجمع قلل وقلال

(٢) ( او بيني اسرائيل وخيرتهم ـ خ )

(٣) قداورد السيدالجليل‌السيدهاشم البحريني‌في‌تفسيرالبرهان حديثاً شريفاً طويلا في كيفية معراج‌النبي صلى‌الله عليه وآله عن تفسيرعلي بن ابراهيم وحديثاً طويلا في كيفية صلاةالمعراج‌من نوادر صلاة الكافي‌فلاحظ .

النفوس ، فان السدرة منتهى الاجسام ولابد من انتهاء الاجسام اليها اذ العقليات القواهر نزلت حتى صارت من كثرة النزول ، من العرضيات من العقول ثم من النزول سارت الى ان انتهت باول الاجسام وهى السدرة ثم نزلت .

ويحتمل كون ثمرتها كالقلال اى الجرات ، وهى اناء الماء لعظمتها ومخروطيتها واشتمالها على الماء اى الحيوة ، لان من الماء كل شيء حى ، واذا تجلى النور الالهى على السدرة تعرض عليها كيفية من الكيفيات ، بحيث لايلتفت احد الى اصل الشجرة ، فيصير مخفيا ، وتمام التوجه الى تلك الكيفية ، بحيث لاقدرة على التوصيف ، اوبالتجلى تذهب انانية الشجرة ، وهى مغشية عليها ، فتغيرت لخفائها بنفسها وظهورها بامر بارئها فلها حينئذ من الحسن مالايوصف .

وعلى اى حال فاصل اصل تلك الشجرة وهووجوده ﷺ بتمام مراتبه حتى بدنه ﷺ لابد من تحقق ذلك التجلى فيه بتمام مراتبه حتى يمضى من تلك الدرجة وحينئذ فلكونه اعلى يصل التجلى اليه ﷺ اولا ويغشاه مايغشى فتفنى انانيته بالمرة ويصير باقيا بالحق وتمام اعضائه منسوبا الى الحق .

فبعين الحق يرى الحق ، وبسمع الحق يسمع كلام الحق ، وبكتف الحق يدرك لمس يد الحق وهكذا فاوحى الله اليه ما اوحى .

وحيث ان هذا هو السفر الثالث وهو السفر بالحق فى الحق فعمدة الاسرار مخفية بين الحبيب والمحبوب ، الا ممن كان نفسه الحبيب وهو الولى المطلق على امير المؤمنين عليه السلام فلابد من ذكر الاجمال .

واما وجه استدعاء موسى عليه السلام ماهو المذكور فى ذلك الخبر وفى الاخبار الكثيرة الاخر (١) وعدم استدعائه ﷺ من الله ذلك ولااستدعاء الخليل الذى يمر عليه حتى يصل الى موسى عليه السلام فيحتمل ان يكون لاجل ان كثرة العشق والحب

(١) راجع الوسائل اواخر باب ٢ من ابواب اعداد الفرائض من كتاب الصلاة وكذا المستدرك باب ٢ من اعداد الفرائض .

وكـون العبادة وخصوصـاً الصلوة ، الوصول الى المحبوب لايتالم الحبيب ولاالخليل عليه السلام النـا فذحب الله فى تمام عروقه بحيث لايتمنى من جبريل عليه السلام حين القائه فى النار شيئاً بل يرد قوله ( الك حاجة ) ؟ بقوله عليه السلام ( اما اليك فلا ) ويرد قوله ( بان اسئل من ربك تخليصك ) بان ( علمه بحالى حسبى من سئوالى).

ومن اجل ذلك لايتمنيان التخفيف ( وامـا موسى عليه السلام فلم يكن فى الحب بالغاً درجتهما ، بل فى الواد الايمن فى البقعة المباركة، مع شهوده النور ، وسماعه الصوت ، وتكلم الرب معه ، وامره بالقاء العصاء ورؤيته العصاء ادبر وحصل له الخوف لبقاء انانيته فى الجملة ، ولاجل ذلك يدرك تعب العبادة ولكونه عليه السلام فى مقام الافاضة واراحة الخلق يستدعى من النبى ، الرجوع الى الله لتخفيف العبادة وقوله عليه السلام ( وانى قد بلوت بنى اسرائيل وخبـّرتهم ) والمنقول على ما فى نسخة عندى كذلك ولو كان هكذا فالمعنى انى ما استدعيت من الله التخفيف فاوقعتهم فى الابتـلاء وامتحنتهم ورايت المشقة عليهم ولاتكـن كذلك واحتمل ان تكون العبارة ( وانى قد بلوت ببنى اسرائيل وخيرتهم ) اى وقعت الصدمة عليّ منهم ومن خيرتهم لاجل التكاليف الشاقة فلا تجعل نفسك فى عرضة ذلك .

وعلى اى حال فلابدّ من امتنان هذه الامة من ذلك الرسول العظيم صاحب المعجزات والبينات الكثيرة الواضحة، فجزاه الله عن امة محمد صلى الله عليه وآله له خير الجزاء وصلى الله عليه ابدا دائما .

واما رجوع النبى صلى الله عليه وآله باستدعائه ، فلان اجابة مثل موسى عليه السلام يكون عند العقل حسنا بالغا مرتبة اللزوم خصوصاً وقد التفت صلى الله عليه وآله ببيانه الى الكثرات، والاحسن من الجميع لنا كتابة خمس بخمسين بل التعدى الى غير الصلوة ايضا .

ولعل جميع ذلك من بركة اجتماع موسى عليه السلام معه صلى الله عليه وآله فقبول شفـاعتهما لو كان من دون اعطاء العشر بواحد لكان فيه تفويت للصلاح ، واما معه فالامتنان غايته قد حصل، فالفضل انما صار باستدعائهما ، والزايد وهو الثواب على الهمّ دون

العقاب ، فهو من فضل الله على النبي ﷺ او على الامة انتهى ماذكرته احتمالا ولا اجزم بكون المراد ذلك بل غرضي ما سبق (١) .

واما الخبر الثاني (٢) فبعد الفناء لامانع من رؤية الله بعين الله كما مر ، والله الهادي .

قوله تعالى :﴿وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الاتتخذوا﴾ ﴿من دوني وكيلا (٢) ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبداً شكوراً (٣) وقضينا﴾ ﴿الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا (٤)﴾ ﴿فاذاجاء وعداوليهما بعثناعليكم عباداً لنا اولي بأس شديد فجاسو اخلال الديار﴾ ﴿وكان وعداً مفعولاً (٥) ثم رددنالكم الكرة عليهم وامددناكم باموال وبنين﴾ وجعلناكم اكثرنفيراً (٦) ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها فاذاجاء﴾ ﴿وعدالاخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا﴾ ﴿ما علو تتبيرا (٧) عسى ربكم ان يرحمكم وانعدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين﴾ ﴿حصيرا (٨) ﴾ .

اى قد اعطينا موسى الكتاب وهو التوراة (وجعلناه) اى ذلك الكتاب (هدى لبني اسرائيل) اى هاديا لهم نهاية الهداية ، ومن باب الغلبة كان ذلك الكتاب نفس الهداية وقلنا أن (لاتتخذوا من دوني وكيلا) فحذف القول للقرينة: و(ان) تكون زائدة وعدم اخذ غير الله وكيلا ، ان لايفوض الانسان اموره الا بالله ، لكون تمام الارتباطات راجعة اليه تعالى .

(ذرية من حملنا مع نوح الخ) ان كانت هذه الاية غير مرتبطة بالسابق كالكثير من الايات ، لنزول القرآن منجما وهذا الترتيب غير ترتيب ما نزل ، والا لكان اللازم تقديم ما نزل في مكة على غيره ، والامر بالعكس غالبا كما لايخفى ،

(١) وهو قوله قده : لاجل ان لايتوهم كونه خلاف العقل .

(٢) وهو ما نقله قده عن ابن عباس عنه صلى الله عليه وآله انه قال : رأيت ربي.

فالنصب بالفعل المحذوف الذى يبينه (حملنا) اى حملنا ذرية من حملنا مع نوح وهو فى مقام الامتنان اى نجاة الذرارى من ابطال استعداداتها للمجيىء الى عالم العين بسبب حمل آبائهم مع نوح وحمل آبائهم حملهم .

وعلة ذلك الحمل وجود نوح عليه السلام ، اذبسبب ايمان قوم نوح به عليه السلام حملنا الاباء والذرارى ( نه) اى نوح عليه السلام (كان عبداً شكوراً) اى كثير الشكر فى تمام الحالات فى النعماء والضراء ، وتمام اختلاف الحالات .

وان كانت مرتبطة فيحتمل ان يكون النصب لاجل كون لفظ (ذرية) عطف بيان لموسى عليه السلام والمراد حينئذ من (من حملنا مع نوح) اى النوح ومن معه ،فان هذا النحو من الاستعمال يكون شائعا من قبيل (نساءاً فوق اثنتين) (١) اى الاثنتان وفوقهما ، فلا يضر حينئذ كون موسى من ذرية نوح عليه السلام ، لامن ذرية مـن حمل مع نوح .

واحتمال كفاية كون واحد من سلسلة الامهات من غير نوح فى ذلك ، يبعده ان الانتساب الى نوح يكون اولى من الانتساب الى غيره ، الا ان يقال : ان للجميع دخلاً وذكر غير نوح للدلالة على توسعة الامتنان .

(وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب) والمراد بذلك القضاء الحكم التكوينى اى يقع ذلك الامر من بنى اسرائيل ، (وكون) الخطاب الى الحاضرين منهم مع كون الفعل من اللاحقين ، من باب التجريد من الخصوصيات ، وكون الخطاب الى ذلك الصنف من بنى آدم اى سلـلة بنى اسرائيل .

ولافرق فى ذلك بين كون المراد من الكتاب ، التوراة لسبق ذكره وانتسابه الى موسى عليه السلام ان كـان ذلك المطلب مذكوراً فيه (او) كون المراد هو اللوح المحفوظ ولا استبعاد لاعطاء علمه بموسى عليه السلام او كثير منه حتى يصدق الاعطاء او لايلزم كون ذلك الكتاب عين ذلك الكتاب ، نهـاية الامر ان سبق الذكر يوجب

---

(١) النساء ــ ١١

الحمل على العهد من باب الظاهر ، ولايكون امر اقطعيا (لتفسدن فى الارض الخ) وقد حصل ذلك وصدر منهم بقتلهم بعض الانبيــاء وعدم بقــائهم على دينهم على ما ينبغى .

(فاذاجاء وعد اوليهما بعثنا عليكم عباداً لنا اولى بأس شديد) وحيث ان كل الناس بل كل الموجودات ملك وربط ، فالعبودية حاصلة للجميع ، ولا فرق بين الكافر والمؤمن ، ولاجل انالله جعلهم آلة الانتقام ، فشرفهم بالانتساب اليه وبعثهم اياه ، ولعل تلك الافعال الصادرة منهم فى تلك الاوقات كانت علة لتخفيف العذاب عنهم .

(فجاسوا خلال الديار) اى ترددوا اواسط دياركم وتخللوها فطلبوا مـا فيها كما يجوس الرجل الاخبار اى يطلبها (وكان وعداً مفعولا) اى حتميا لابد من وقوعه (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) اى باقبالكم اياهم فى الحرب ، وظفركم عليهم (قيل) وذلك ببعث طالوت وقتل جالوت بيد داود عليه السلام

(وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثرنفيراً) اىعشيرة من الاول لمكان تسلط طالوت وسلطنة داود عليه السلام مع النبوة فى البعد، وسلطنة سليمان عليه السلام مع النبوة وازدياد شوكته (ان احسنتم احسنتم لانفسكم) لثواب الـآخرة ، وللقوة الحاصلة لكم بسبب الشكر فى الدنيا (وان اسأتم فلها) اى لانفسكم ايضا

ولعل الوجه ان النفس ذات مراتب (فالاول) من حيث الدرجة العليــا لها (والثانى) بلحاظ دنائتها وغلبة الشهوية والغضبية ، فكان فيه اعتراضاً بان المعصية لاتوجب اختلاف الحالات والنعماء فقط ، بل توجب اختلاف الحقيقة والذات فالعالى يصير سافلا ، ولعله من النكات الجيدة وأحد الوجوه للاتيان باللام

(فاذاجاء وعدالاخرة) اى الفساد الثانى (ليسوؤا وجوهكم) اىبهتكها وذلها واسرها (وليدخلوا المسجد) اى محل عبادتكم او خصوص بيت المقدس (كما

دخلوه اول مرة ) (١) ولو بلحاظ البدلية اذ البيت المقدس بنى بدلا مـن الخيمة التي كانت فيها تابوت السكينة وساير الخصائص ، فالدخول فى تلك الخيمة ونهب ما فيها من تابوت السكينة ، دخول فى البيت المقدس من اجل جامع الاشتراك فلا ضير فيه ( وليتبروا ما علوا تتبيراً ) اى وليهلكوا ما غلبوا عليه هلاكاً ( قيل ) والمرة الثانية كانت لقتل يحيى عليه السلام وغلبة بختنصر(٢) من اهل بابل من قبل سلطان الايران (عسى ربكم ان يرحمكم) اى ان تبتم (وان عدتم) اى الى الفساد بعودكم فى قبال النبى صلى الله عليه وآله اى محمد(ص) عدنا للانتقام منكم بمغلوبيتكم وقتلكم كما وقع لبنى قريظة وامثالهم (وجعلنا جهنم) اى فى تلك المرة (للكافرين) اى بنى اسرائيل لكفرهم بالنبى صلى الله عليه وآله (حصيراً) اى محبسا لايخرجون منه

و عدم مخالفة ما ذكر من تلك الايات مع العقل لكونها من الحكايات الواقعة واشتمالها على النصايح المتقنة مما لايخفى ، والله الهادى

قوله تعالى : ﴿ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم ويبشر المؤمنين الذين﴾ ﴿يعملون الصالحات ان لهم اجراً كبيراً (٩) وان الذين لايؤمنون بالآخرة اعتدنا﴾ ﴿لهم عذابا اليما(١٠) ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا(١١)﴾ ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا﴾ ﴿ فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيىء فصلناه تفصيلا ﴾ ﴿ (١٢) وكل انسان الزمناه طائره فى عنقة ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه ﴾ ﴿ منشورا (١٣) اقرء كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا (١٤) من اهتدى ﴾ ﴿ فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولاتزر وازرة وزر أخرى وما ﴾

---

(١) فى مجمع البيان ج٣ (كما دخلوه اول مرة) دل بهذا على ان فى المرة الاولى قد دخلوا المسجد ايضاً وان لم يذكر ذلك ومعناه : وليدخل هؤلاء المسجد كما دخله اولئك اول مرة (انتهى )

(٢) بخت نصر بالتشديد ، اصله بوخت ومعناه ابن ، ونصر كبقم صنم وكان وجد عند الصنم ولم يعرف له اب فنسب اليه وخرب القدس ( القاموس ــ مادة نصر) .

﴿ كنا معذبين حتى نبعث رسولا (١٥) ﴾

اى هذا القرآن يهدى للطريقة التي هي أقوم أى أعدل واتقن، وهوالصراط المستقيم ، فان هداية القرآن تكون (الى) العقائد الحقة من المبدء المتعال وصفاته وافعاله ، والواسطة من الملائكة والكتب والرسل واليوم الاخر، وهو العالم الاعلى وهو مايقع الحشر فيه .

(والى) اتيان العبادات التى فيها الصلاح ، و وجوب الاتيان ببعض الامور التوصلية للوصول الى المصالح (والى) ترك ما فيه الفساد (والى) رفض الاخلاق الرذيلة (والى) التحلي بالاخلاق الحسنة من الحكم بكظم الغيظ والعفو عن الناس وحب الاحسان والامر بالعدل، وانه اقرب الى التقوى والنهى عن كل قبيح عقلى خصوصاً الزناء (والى) التسوية التامة للمؤمنين فانهم اخوة .

(والى) السياسات المتقنة من جعل الزكوات للاصناف الثمانية و الخمس نصفه للسادات ونصفه لله والرسول وذى القربى حتى يصرفه النبى- اوالوصى القائم مقامه بعد رفع احتياج السادات على قدر الكفاف مع فقرهم وعدم بطالتهم - الى لوازم المسلمين وساير السياسات من حد الزناء والسرقة والقذف.

واذا تأمل الانسان المنصف تجد هذا الكتاب كوناً جامعاً مكملا للدنياوالاخرة و على نحو العدل و الاستقامة ، وليس فيه افراط ولا تفريط ، و يبشر هذا القرآن لاهل الايمان العاملين بالاعمال الصالحة بالاجر الكبير من الجنة والاخوان ولقاء الله والوسائط من الانبياء والاولياء .

(وان الذين لايؤمنون بالاخرة الخ) ولازم عدم الايمان بالاخرة عدم الايمان بالرسل ايضاً لكون ارسالهم حينئذ لغواً لعدم الفرق مع الانتفاء بين ارتكاب اللذائذ والمناسب للشهوية و غيرها ، والتكليف يصير لغواً الا من باب السياسات ارشاداً اى لايترتب على عدم الاخذ بها الافوت النظام والداعى حينئذ على لزوم النظم حكم العقل على طبق السياسة فلا تكليف مولوى يحتاج الى الواسطة.

(واعتدنا لهم عذاباً اليما) اى بسبب جعل الجزاء وان المستعدات تصل الى الفعليات و الصورة الاعتقادية الفاسدة تستعد الوصول الى العذاب الاليم باختيار المعتقد (ويدع الانسان بالشر دعائه بالخير وكان الانسان عجولا) ای من غير ملاحظة العاقبة اذا عرض على الانسان سوء، من عسرة او مرض او مغلوبية وفقر وامثال هذه الامور ، يطلب من الله وقوع شرّ عليه كالموت و نحوه ، فيقول : اللهم اهلكني او اجعلني مقتولا او مغلوبا في يد الاعادی ، حتى استخلص من اهلی و عيالی او اولادی .

فهو يفر من الشر الجزئی ويستدعی من الله الشر الاعظم ، وهو خلاف العقل الا انه لكونه عجولا يرى تشفی نفسه بوقوع الانصدام عليه حتى يحرق قلب اهله واولاده واقاربه ای كل من كان منهم قد آذوه .

ولايلتفت انه لاجل الفرار من الصدمة الجزئية الحالية، واذا آن وقت حلول ذلك الاعظم يندم غاية الندم . فالانسان لابد أن يكون متانيا ، ولايدعو على ضرره كدعائه لنفعه، ولايطلب الضرر من الله كما يطلب النفع منه فانه على خلاف العقل وان كان غرضه غير الجدّ، فهولايناسب ان يطلب من الله نعم اذا ذهب عقله و صار مجنونا بالغضب وليس على المجنون حرج لاضير فيه .

(وجعلنا الليل والنهار آيتين) قد سبق بان سببهما او منشأ انتزاعهما بتحريك الشمس فی الافق،وبتحريكه في خارج الافق(الاول)للنهار(والثانی) لليل والتحريك في الموضعين من الله فجعلهما من الله ( فمحونا آية الليل ) ای جعلنا المحو آية الليل والمبصرية آية النهار، فالمراد بـ (محونا) هو جعل المحو بقرينة(وجعلنا آية النهار) وبقرينة جعلهما آيتين ، اذ محوا لشیی هو اعلام الشیی، وجمع النقيضين محال،ولو كان المراد زواله بعد مجيیء النهار ، ففی الاخر ايضا كذلك ، بل اطلاق المحو عليه اولى ، لعدم الارتياب فی موجودية النهار ، ومحو الموجود انسب ممايشك انه عدمی اووجودی ، وذلك واضح .

ومعنى جعل المحو آية لليل اى محو النور بسبب حجاب الارض بين الافق والشمس كما ان آية النهار النور وهو المظهر للاشياء فيكون سببا لرؤية الاشياء فهى اى الاية وهو النور يكون مبصرا .

ويحتمل ان يراد محو الالوان لما يقال: ان الالوان تذهب في الظلمة (لتبتغوا فضلا من ربكم) اى لتطلبوا فى النهار بسبب الابصار وحصول النور ما تعيشون به من اقسام اكتساب المال للمعاش .

(ولتعلموا عدد السنين والحساب) اى لولم يكن الاختلاف حاصلا لم يكن الوقت معينا لاحد حتى بالساعات المعمولة ، اذلها مبدء ومختم ، ومع دوام النهار لايمكن التعيين بهـا ايضا ، فعدد الشهور والسنين يزول فمقدار الزراعة والكسب والصنعة ونظائرها لايكون معلوما فيختل النظام من هذه الجهة ايضا ، مضافا الى عدم العيش من الحرارة بالنهار فقط، وبالليل فقط من البرودة ، وعدم نمو النباتات كما هو واضح .

( وكل شيء فصلناه تفصيلا ) اى بينا لكم بعض اسراره وما اقتصرنـا على البيان الاجمالى لازدياد البصيرة وكون الواحد منشاءاً لتفكركم فى آلاء الله .

( وكل انسان الزمناه طائره فيعنقه ) اياعماله واخلاقه ، والمراد بالالزام هو ما يوجب التلازم والدوام اى لكون الدار الاخرة دار الحصـاد لاالبذر تلازم اعماله معه دائما بحقائقها ، ولاتنفك حقائق افعاله عنه ، لما ذكرنا من تأثير الافعال في الملكات والاخلاق وهى صفات غير منفكة لصيرورتها صورة النفس فالافعال تتحرك وتصير ملكات والملكات تصير صورة الذات والذاتى يدوم .

والتعبير من الاعمال بالطائر يحتمل ان يكون بلحاظ ماذكرنـا من الحركة وهى لسرعتها قدطارت فهى الطائر اولتطائر الكتب فيالقيامة بعدالاعطاء الياليمين والشمال من يد الصنفين وجعلها طوقا على الرقبة .

واحتمل كون المراد من المطلبين واحداً فان الكتاب هو المكتوب فى صفحة

النفس والثابت فيها ، فهو اولا كان من عالم الكيان والدنيا ثم طار بطيران النفس اومع طيران النفس على نحو التلازم حتى وصل الى عالم البرزخ ثم طار منه الى فوق البرزخ صعودية كانت الحركة او نزولية ، (فان) تحركت النفس نحو الجحيم فالطيران نزولي كهوى الطائر من الجو (وان) تحركت نحو الجنة فالحركة صعودية .

ويحتمل ان يكون التعبير بلحاظ ان الطائر اذا وقع على رأس البعيد للالتقاط لا يتحرك رأسه ، فكل ما عرض على الاشخاص امر يوجب بهتهم وسكون اعضائهم من الحيرة ، يعبرون عنه بان على رؤسهم الطير ( او ) كأن على رؤسهم الطير ، وحيث ان رؤية الاعمال في القيامة موجبة للبهت والحيرة الشديدة عبر عنها بالطائر

والالقاء في العنق افتخار للسعداء ، لكونها كتابة حريتهم وعتقهم من النار والشرور وغل للاشقياء وعلامة سجنهم الدائمي ، ووجه التطائر لعله بمناسبة ان صاحب العمل يطلب الاخفاء والله يريد الاظهار ، حتى يكون فخراً للسعداء وهتكاً للاشقياء .

( ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ) اى المجتمعات في النفس تصير منشرحات منبسطات مفصّلات وتلاقي النفس لها كذلك لكون النفس صاحب الدرجات .

( اقرء كتابك ) اى يقال له اقرء اى انظر الى كتابك بنظر التأمل والشهود اذهى بحقائقها وحقائق ازمانها وامكنتها ، وحالات الفاعل تكون حاضرة حضور عيان فيرى الانسان جميعها ( كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ) اى لاتحتاج الى محاسب ، ولا الى من يقرء لك لما ذكرنا من شهود تمام الحقائق شهود عين ، والحساب والقرائة للاطلاع على المخفي والمخفيات صارت واضحة .

فحقائقها ومقدارها واوزانها بالتمام معلومة ( من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ) والوجه واضح ( ومن ضل فانما يضل عليها ) اى على ضرر نفسها لاغيرها (ولا تزروازرة وزر اخرى ) اى لايحمل احد حمل آخر لكون عمل كل احد ملازماً

مع ذاته وصيرورته من صفاته بل عين ذاته ، فكيف يمكن الانفكاك عنه ومحمولا على آخر ، والوجه والسر مع كونه دار الجزاء والحصاد يصيراوضح .

( وما كنا معذبين حتىنبعث رسولا ) اى معذبين بالعذاب الدنيوى الواقع على خلاف العادة الا بعد بعث الرسل وتكذيبهمله حتى يكون فى موارد الوقوع دالا على صدق الانبياء ، ولوكان دائما كذلك لم يكن دليلا على صدقهم .

ولوكان المراد بالتعذيب ، العذاب الاخروى ، فالمراد بـالرسول اعم من الرسول الظاهرى الخـارجى او الرسول الداخلى ، وهو العقل وبعثه هو اشتداده وجزمه .

وقدظهر مما ذكرنا كونالايات المذكورة علىطبق العقل ، وعدم مخالفتها له ، والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً (١٦) وكم اهلكنا منالقرون منبعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً (١٧) من كـان يريد العاجلة عجّلنا له فيها مانشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصليها مذموماً مدحوراً (١٨) ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهومؤمن فاولئك كان سعيهم مشكوراً (١٩) كلا نمد هؤلاء وهؤلاء منعطاء ربك وما كان عطاء ربكمحظوراً(٢٠) انظر كيففضلنا بعضهم على بعض وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا (٢١) لاتجعل معالله الهاً آخرفتقعد مذموماً مخذولا (٢٢) وقضى ربك الاتعبدوا الااياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً (٢٣) واخفض لهما جنـاح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً (٢٤)﴾

اى اذا اردنا هلاكة اهلقرية بالهلاكة الغير المتعارفة بنزولها عليهم جميعاً اوسوى النادر منهم بسبب طغيانهم ، وصدور الاعمال السيئة الظلمية منهم ، وفساد اخلاقهم وعقائدهم .

( امرنا ) المترفين اى ارباب الثروة والنعم منهم بامرنا بتوسط الرسل اى من باب الامتنان نرسل الرسل اليهم ، ونذكّرهم بالارتداع عمااشتغلوابه ، وان الله يعذبهم ( ففسقوا فيها ) اىخرجوا عن الطاعة ، والجزاء والشرط ، كلاهما بصيغة الماضى ، ولم يطيعوا الانبياء ولم يرتدعوا ( فحق عليها القول ) اى ثبت على اهل تلك القرية ( القول ) اى كلمة العذاب ، والمراد به نفس العذاب اذالكلمة والقول هو الكاشف عن الضمير ونزول العذاب كاشف عن رذالتهم ، ولزوم القائهم فى النار ، والثبوت على تمام اهل القرية ، لاطاعة البقية للرؤساء بسوء اختيارهم ، وعدم تبعيتهم للانبياء بالاختيار .

(فدمرناها تدميراً) اى اهلكناهم بالهلاكة الدفعية الغير المتعارفة (وقيل) انه قرء بالتشديد اى فى لفظ ( امرنا ) والمراد حينئذ اعطاء الامارة باولى النعم من باب كثرة معاصى الجميع ففسقوا اى الامراء ( فحق عليها العذاب )

والمراد بالفسق حينئذ ( اما ) المحرمات العقلية ( او ) الاعم منها لكن بعد اتمام الحجة ببيان الانبياء واتيانهم بالمعجزات وحينئذ يكون المستفاد داخلافى (مكر الله) وقد سبق بيانه وصحته.

( وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح ) اى بالهلاكة على النحو المذكور بعد واقعة نوح وقد ذكر فى القرآن مواضع منها وقد سبق من قوم هود ، ولوط وصالح ، وشعيب ، وما وقع فى بنى اسرائيل ، وماوقع لفرعون واتباعه من الغرق وما وقع لاصحاب السبت .

( وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً ) لاحاطته وكون الامربيده وعدم افتقاره الى اقامة الشهود على ان افعاله فى المحل ، كيف وتمام العقول شاهد على ذلك .

( من كان يريد العاجلة ) اى الدنيا ( عجلنا له فيها ) اىفى الدنيا (مانشاء) اى نعلم بالصلاح له فيها (لمن نريد) وهو بدل عن لفظ (له) اى عجلنا لمن نريد

ما نشاء ( ثم جعلنا له جهنم يصليها ) اى يدخلها ( مذموماً) فيهـا الذم الملائكة لهم حيث دخلوا النار باختيارهم ( مدحوراً ) اى مطروداً عن الرحمة ، فان المراد هو مريد الدنيا فقط وهو غير اهل الايمان ، فلايكون عقابهم عقابا لطفيا للتصفية حتى لاينا فى مع الرحمة ، بل عقابهم عقاب ملكاتهم الميشومة الغير الزائلة .

( ومن اراد الأخرة وسعى لهاسعيها )اى للاخرة وهى الملكوت وفوقها من الجبروت، لكونها دارالقرب المشهودة فيها الحق وصفاته ، واعلائيتها هى الفوقية الرتبية الغير المانعة من مشاهدة التجليات وسماع صوت الحق ، بل حصول الرؤية بالفناء لبعض ( وهومؤمن ) اى بالواسطة والحجة المنصوبة ( او ) يكون توضيحياً لعدم الانفكاك ( فاولئك كان سعيهم مشكوراً ) اى مثابا عليه ، ولعل من باب الفضل والكرم وجعل هذا الاعطاء شكراً له فى مقابل الاعمال الصالحة وهومن منتهى الكرم اذ التوفيق يوجب شكراً لنا ، واذنه فى جريان اسمه على لساننا يفتقر الى شكر آخر ( كلا نمد هؤلاء وهؤلاء ) اى مريد الدنيا ومريد الاخرة ( من عطاء ربك ) اى اعطينا الدنيا لمن اراد الدنيا والاخرة لمن اراد الاخرة (وما كان عطاء ربك محظوراً) اى ممنوعاً على حسب الاستعداد فاعطينا كل مستعد و كل ذى حق حقه .

( انظر كيف فضلنـا بعضهم على بعض ) اى فى الدنيا بلحـاظ اختلاف الاستعداد والصلاح ( وللاخرة اكبر درجـات واكبر تفضيلا ) لكون اختلاف حقيقة اللطيفة السيارة اختلافـا متفاوتا فى غاية الكثرة وبحسب المثل تفـاوت المراتب اكثر من الف الف الف الف درجة مع كون النفاوت بين كل درجة مع الاخرى بابعد من بين الارض الى ابعد الكوكب (او) الى السماء السابعة بالف مرة (واكبر تفضيلا) للديمومة وعدم التغيير فيه فالادنى والاول متفاوتان ابداً .

( لاتجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموماً ) اى عند اهل الكمال من ارباب العقول وفوقهم (مخذولا) اى من قبل الله، وخذ لانه هوالايكال الى النفس ولاشىء اسوءمنه لعدم وصول الرحمة اليه ، وهو بعدان تكون النفس مستعدة لنزول الغضب

والشقاء الدائمية .

وتعلق الخطاب المذكور اليه ﷺ لايكون فيه نقص عليه لما قدمر من كون البقاء من مقولة الحدوث ، فالبقـاء على التوحيد توحيد ، وعلى عدم الشرك غير شرك والممكن فى تمام الحالات مفتقر اليه تعـالى ، فلا بد من التوجه الى الله ، واستدعاء التوفيق من الله وحيث‌ان الفيض يمر على الاعلى فالاعلى فاللازم التوجه منه ﷺ الى ذلك حتى يفاض‌عليه اولا ثم‌يصل بتوسطه الى الباقى .

(وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه) اى كما انه لاشريك له فى مرتبة الصفات وكل الكمالات فيه ومنه فلا يبقى كمال ووجود للغير ، فلا اله سوى الله

كذلك لاشريك له فى مرتبة الافعال والسلطنة ، فالخضـوع للغير بعنوان المؤثرية واعطاء النعم حتى يكون عبادة للغير ، محظور عقلا ، وقد نهى الله عنه اذمع عدم الكمال للغير يستحيل تأثيره ، لان الوجود كمال ، والفاقد لايمكن ان يكون معطياً فاعطاء غير الله محال و عبادته غلط ، فقضى ربّ محمد ﷺ وهـو عبد الله اى الله تعالى ان لايعبدوا الا ايّاه اذ لاحول ولا قوة الا بالله

والمراد بـالقضاء اما هو عالم القضاء، اذ هذا الحكم عقلىّ ، والقضاء منشأه العقول (و اما) هو الامر التشريعى من باب تأكيد العقل بالشرع ، اذ هو من اللطف ولايكون بحسب الظاهر المراد منه الحكم التكوينى للتخلف ووجـود المشرك فى باب العبادات

واحتمل بعض من اهل الكشف كونه كذلك ، وانه لم يتخلف و ان اخطاء المتخلف بحسب الظاهر فى التطبيق ، ولكن الداعى له هو عبادة الواجد لتمام الكمالات وقد توهم ان غير الله ايضا كذلك ، وهو غير صحيح ، لوجود قاصد الخصوصيات من باب العصبية والعناد و اتباع الشهوات

(وبالوالدين احسانا،) اى وان تحسنوا بالوالدين احسانا والفعل المحذوف بالقرينة عطف على جملة النفى لاعلى المنفى حتى يدخل النفى فيه وهو واضح

(اما يبلغن عندك الكبر احدهما) اى ان يبلغن و ما زائدة ( او كلاهما فلا تقل لهما اف) وهذه الجملة جزاء للشرط اى اذا كان عندك احد ابويك او كلاهما وادرك من عندك كبر السن والضعف فلا تتكلم بكلمة (اف) وما فى معناه اى اتضجر او اصبت المشقة من قبلكما ، وبالاولوية تدل على حرمة ما فوق تلك الكلمة من الايذاء اى تحمل المشقة ولا تؤذيهما فى تلك الحالة لانكسار قلبهما

والاختصاص بالحالتين اى كونهما او احدهما عندك وبلوغهما الكبر ، ليس من باب عدم الحرمة فى غير الحالتين ، بل القيد بهما بلحاظ ان الغالب من صدور تلك الكلمة فى هاتين الحالتين ، والا فمع قوتهما او كونهما صاحبى الثروة بحيث كان الولد عندهما لانهما عندالولد لايصدرمن الولدهذه الكلمة غالبا خوفا اوطمعا ، وانما الصدورالغالبى فى حال الشيخوخية وفقد المال

(ولاتنهرهما) اى لاتزجرهما وهو تاكيد للسابق (وقل لهما قولا كريما) اى جميلا لـيّناوادالاعلى الشفقة ، مثل ان الله بسببكما او جدنى و ابقانى وتفضل علىّ ومشقتكما فى حقى اكثر من مشقتى لكم ، وبدعائكما يوسّـع الله فى رزقى ويمدّ فى عمرى ومالى وهكذا على خلاف اتضجر .

(واخفض لهما جناح الذل) من الرحمة اى ارسل وانزل جناحك كالديك الخائف من الديك الاخر حيث ينزل جناحيه بخلاف وقت الغالبية حيث يرفـع جناحيه كالمتكبر الذى يرفـع عنقه ، وذلـّل عندهما من باب الشفقة والرحمة عليهما لامن باب الخوف والتملق للمال .

(وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً) اى لاتقتصر بالعطوفة الدنيوية ، بل ادع لهما واطلب من الله ان يرحمهما كما ربياك فى حال الصغر ، فاداء شكرهماانما هو بما ذكر .

و قد ظهر من جميع ما ذكرنا عدم مخالفة شيء من الايات المذكورة مع العقل ، بل الكل ، اما مطابق للبرهان ، او الاعتبار العقلىّ والمستحسنات العقلية، والله الهادى .

قوله تعالى: ﴿ربكم اعلم بما في نفوسكم‌ان تكونوا صالحين فانه كان﴾ ﴿للاوابين غفوراً (٢٥) وآت ذاالقربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر﴾ ﴿تبذيراً (٢٦) ان المبذرين كانوا اخـوان الشياطين و كان الشيطان لربه﴾ ﴿كفوراً (٢٧) واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا﴾ ﴿ميسوراً (٢٨) ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد﴾ ﴿ملوماً محسوراً (٢٩) ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده﴾ ﴿خبيراً بصيراً (٣٠) ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم و اياكم﴾ ﴿انّ قتلهم كان خطئاً كبيرا (٣١) ولا تقربوا الزنى ان كان فاحشة و ساء﴾ ﴿سبيلا (٣٢) ولا تقتلوا النفس التى‌حرم‌الله الا بالحق ومن قتل مظلوماً فقد﴾ ﴿جعلنا لوليه سلطاناً فلايسرف في القتل انه‌كان منصوراً (٣٣)﴾.

اى ربكم اعلم منكم بما اضمرتم في قلوبكم،فان القلب من مراتب النفس و الاضمار فيه اضمار في النفس لما سبق من اولويته و اقربيته من النفس بالنسبة اليها نفسها ، اذ نسبة كل شيء الى نفسه بالامكان ، و الى الواجب بالـوجوب ، وكذلك بالنسبة الى الصفات‌لحضور الكل عندالله بحقائقها ، فالله اعلم من‌انفسكم فى كون قصدكم الاحسان و البر الى الوالدين او العقوق وخلاف الاحسان ( ان تكونوا صالحين) اى فى‌بنائكم وارادتكم ، وكان قصدكم الاحسان و هوالصالح منكم وبه تتصفون بكونكم من الصالحين .

(فانه كان للاوابين‌غفورا ) اى يغفرالله ذنوبكم لكونكم راجعين‌اليه‌رجوعاً كثيرا فالبناء على الاحسان معهما دائماً، هو رجوع الى‌الله ، و ثبات ذلك القصد رجوع بعد رجوع اى رجوعات كثيرة لتخلل الغفلة فى البين ( او ) يكون التعدد بلحاظ تعدد المتعلقات من الاطعام الحسن و اللباس والمسكن والاحترام و اظهار الاشفاق والحب وهكذا .

(وآت ذاالقربى حقه) الخطاب متوجه الى النبى ﷺ والظاهر من الامر هو

الوجوب و التقابل مع المسكين يدل على عـدم كونه لاجل الفقر ، والظاهر من افراد (ذا) والضمير كونهواحداً، والحمل على الجنس بعيد لفظا واعتبارا،اذالظاهر من الاية كون الحق معينا خارجيالامن قبيل تعيين حق المساكين وابناء السبيل وساير الاصناف من اهل الزكوة (او) في باب الخمس ، فان المناسب حينئذ تأخير لفظ الحق والاتيان بضمير الجمع والمعطوف كالمعطوف عليه في الامور السابقةعلى المعطوف عليه لااللاحقة .

و قد ورد مـن اهل العصمة عليهم السلام ايضـا ان المراد اعطاء ، فدك لفاطمة سلام‌الله عليها(١) .

(والمسكين وابن السبيل) اى آتهم‌واعط اياهم(ولا تبذر تبذيراان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) اى لاتنفق المال فى خلاف طاعةالله اذذلك فعل الشياطين فيصرفون ما اعطاهم الله من المتخيلة و القدرة فى اغواء الناس و اضلالهم و هـو معصيةالله ، فتقع المشاكلة بين من صرف ماله فى المعاصى ، ومن صرف قواه فى المعاصى ، وهو كل شيطان فيصير المبذّر حينئذ اخا للشيطان و المبذرون اخوانا للشياطين .

(وكان الشيطان لربه كفورا) اى من اجل صرف ماله من القوى فى عصيان الله

---

(١) نقول : قد اورد السيد الجليل المتتبع السيد هاشم البحرينى قده فى تفسير البرهان احاديث كثيرة فى اعطاء النبى صلى‌الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام فدك عند نزول هذه الاية ونذكر واحداً منها تيمناً .

ابن بابويه (مسنداً) عن الريان بن الصلت عن الرضا عليه السلام، قال: قوله تعالى (وآت ذا القربى حقه) وخصوصية خصهم‌الله العزيز الجبار بها واصطفاهم على الامة،قال: فلما نزلت هذه الاية على رسول‌الله (ص) قال : ادعوالى فاطمة، فدعيت له، فقال:يافاطمة قالت : لبيك يارسول‌الله ، فقال : هذه فدك وهى مما لم يوجف عليها بخيل ولاركاب ، وهى لى خاصة دون المسلمين ، فقد جعلتها لك لما امرنى‌الله تعالى خذيها لك ولولدك ــ فراجع ج٢ منه ص ٤١٥ .

وهو كفران لنعمة المنعم ، فالمبذر ايضا يصير مثله فى الكفران ، وقد تقدم آنفا وجه تعلق تلك الخطابات الى النبى ﷺ وانه من باب الكمال.

(واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك) اى ان اعرضت عنهم اى المساكين وابناء السبيل لعدم وجود المال اولكون المورد الاهم متحققا حال كونك مبتغيا ابتغاء المال من قبل الله اى طالباً ومنتظراً لوصول مال اليك من قبل الله حتى تعطيهم (فقل لهم قولا ميسوراً) اى عدهم ، بان المال يصل الي من قبل الله ان شاء الله ، واذا وصل الي فاعطيكم منه ، وكأن هذا القول ايضاً اعطاء نازل، فهو الميسور من العطـاء لحصول الفرح لهم بذلك والرجاء ، بل اذا اطلع الناس على ذلك الوعد يعطونهم بعنوان القرض فكانه اعطاء مال حقيقة .

(ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) اى لاتمسك من بذل المال كالعاجز عن اعطاء المال (ولا تبسطها كل البسط) اى لاتبسط يدك باعطاء تمام مالك (فتقعد ملوما محسوراً) اى تقعد مورداً لملامة ومورداً لحسرة، يحتمل كون الاول بلحاظ الامساك اى بسبب الامساك والبخل تصير مورداً لملامة النفس، والثانى بلحاظ الثانى اى كون الحسرة بلحاظ كل البسط اذليس عندك المال فتحسر له .

ويمكن رجوعهما الى الاخيرة فقط بان كان اللوم ايضا متوجها اليه فى تلك الحالة .

(ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) اى يعطى على مقدار صلاح الناس فاذا لاحظ الله صلاح عباده فى الانفاق عليهم فانظر واحالكم وصلاحكم اذ أمره لابد ان يكون على طبق فعله فيأمر بمقدار صلاح المأمور لاازيد ولا انقص (انه كان بعباده خبيراً بصيراً) اى فى الانفاق والامر به .

(ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق) اى الفقر نحن نرزقكم وأياهم اى ليس امر الرزق بيدكم حتى تقولوا لانقدر على ازيد من تحصيل رزقنا بل الله يعطيكم واياهم (ان قتلهم كان خطأ كبيراً) اى معصية عظيمة .

(ولاتقربوا الزنى) اى لاتحوموا حولها فضلا عن ارتكابها ، لكونها (فاحشة) عند العقل من حيث استلزامها خلط المياه وعدم حفظ الانساب، وكون اغلب اكتساب الناس لاولادهم وعيالهم ، ومع حلية الزنى وشيوعها لايبقى ولد مخصوص ولاعيال فيختل النظام ، مضافا الى المفاسد الاخروية (وساء سبيلا) اى طريقة سيئة عقلا وشرعاً .

(ولاتقتلوا النفس التى حرم الله) اى بسبب الاسلام او المعاهدة والذمة (الا بالحق) اى من باب القصاص اومن باب الحد الشرعى (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطانا) اى سلطنة على القصاص (فلايسرف فى القتل) اى بان يتعدى عن كيفية القتل بالمثلة ونحوها ، او بان يتعدى من القاتل الى اقاربه اومن الواحد الى ازيد مع عدم شركتهما (انه كان منصوراً) اى الولى فى تلك الصورة من عدم الاسراف ـ يلزم على المسلمين ان ينصروه حتى يقتص من القاتل ، فالخبر بمعنى الانشاء .

وقد ظهر مما ذكرنا كون الايات المذكورة على طبق العقل بتمامها وكونها حافظة للسياسات، والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿ولاتقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن حتى يبلغ اشده﴾ ﴿واوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا (٣٤) واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس﴾ ﴿المستقيم ذلك خير واحسن تاويلا (٣٥) ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع﴾ ﴿والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا (٣٦) ولاتمش فى الارض مرحاً﴾ ﴿انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا (٣٧) كل ذلك كان سيئة عنه﴾ ﴿ربك مكروهاً (٣٨) ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة ولاتجعل مع الله﴾ ﴿الهاً آخر فتلقى فى جهنم ملوماً مدحوراً (٣٩) افا صفيكم ربكم بالبنين واتخذ﴾ ﴿من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيماً (٤٠) ولقد صرفنا فى هذا القرآن﴾ ﴿ليذكّروا ومايزيدهم الانفوراً (٤١)﴾

اى لاتتصرفوا بالنقل والانتقال والحفظ فى مكان الا بالتصرفات التى هى

احسن اى يكون حسناً ، فان افعل هنا وصفي لاتفضيلي ، اذلو حمل على التفضيل يلزم تتبع الا صلح وهوفي الغالب موجب لتفويت الصلاح ، وهو خلاف الغرض، فاصل الصلاح يكون كافيا ولايلزم تعيين الاصلح

والحكم بحرمة التصرف في غير تلك الصورة يكون على طبق العقل ، لان المراد باليتيم هو الصغير الذى لاوالد له ، وهو ضعيف لا يكون وافيا من حيث الادراك غالبا ، فيقع الضرر عليه والاله المفيض يلزم عليه نصب احد لان يحفظ ماله بل كل ما يتعلق به ، و قد جعل الولاية للجد والوصي من قبل الاب والجد والنبي والامام والمنصوب من قبله كما هومبين في محله (حتى يبلغ اشده) اى كماله من البلوغ بحسب الجسم باحدى الامور الثلاث ، من السن ، وانبات الشعر الخشن ، والاحتلام، والعقل

(واوفوا بالعهدان العهد كان مسئولا ) اى المعاهدات مع الله ، ومع الخلق، والعقل ايضالايجوز خلاف الاول ، لكونه خلاف الشكر بل هوموجب للهتك وعدم الاعتناء وهو كفران ، فيكون ترك الوفاء حراما وفعله واجبا بالعقل ايضا ، وكذلك الثاني لصيرورته سببالتوهين النفس عندالغير والقاء نفسه من العيون وسلب الوثوق عنه وهو ظلم عظيم على النفس فيكون حراماً والوفاء بالعهد لازماً (ان العهد كان مسئولا ) اى يكون هذاالامر وجوبيا لاندبيا

(واوفوا الكيل اذا كلتم) اى اتموا ولاتنقصوا ، لانه سرقة وتصرف في مال الغير ، وهوحرام لكونه ظلماً فالنقص حرام ، والايفاء والاتمام واجب بحكم العقل ايضا (وزنوا بالقسطاس المستقيم ) اى الميزان المعتدل والوجه السابق جارهناايضا (ذلك خيروا حسن تأويلا) اى مآلا ومرجعا من حيث الدنيوية والاخروية ، والمراد بهماايضا الوصفي لا التفضيلي والوجه واضح .

( ولاتقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا) اى لاتتبع غير المعلوم ، فان الله قدجعل الطريق لحصول العلم .

اذالامور التي يراد الاخذبه وترتيب الاثار عليه ( اما ) من المبصرات من المشهودات (واما) من المسموعات من الاصوات ونقل الغائبات عن البصر فعلا ( واما ) من المتخيلات والمتعقلات .

والطريق الاول قدجعل الله البصر دليلا عليه (والثانى) قدجعل الله السمع دليلا عليه (والثالث) قدجعل الله الفؤاد اى القلب والعقل دليلا عليه بالتفكر، ومع الطريق الى العلم من الوجوه الثلاثة ومسئوليتها، لاوجه للاخذبغيره مع لزوم الاخذ، ومع عدم اللزوم يكود اولى الابعنوان الاحتياط ، اذلا ملزم فى غيرما يحتمل فساد واحتمال الفساد مانع فى مايحتمل فساده.

فالمرادان مع الطريق من السمع والبصر والفؤاد لم مارجعت اليها؟ اذمع الاستماع والرؤية لابد من الاخذبهما ، ومع حكم العقل وهو الحاصل من الفؤاد يرجع اليه، ومع عدم الدرك بالخصوص يكون الحكم بعنوان العموم معلومالهمن قبح العقاب من دون بيان اولزوم الاحتياط فى المعلوم بـالاجمال فلم يجز العمل بغير العلم مطلقالان الحجةالذاتية هى العلم ولابدمن انتهاء كل مابالعرض الى مابالذات

(ولاتمش فى الارض مرحا) اى تكبرا وتبخترا فان مايكون الانسان به انسانا هو عقلانيته، وهوموجب للامر بالذل، اذيرى تمام كمالاته من الغير ومستعاراعنده فلايدعى الانانية.

فالانانية (اما) بلحاظ الشيطنة (واما) بلحاظ الجسمية.

فاما بلحاظ الشيطنة فقد ذكر فى طرد الشيطان وان النارية موجبة للانتشار فلا وجه لانانيتها ومع ذلك فعلى المغلوب يمكن ادعاء الانانية والارض غير مغلوب لك لانك (لن تخرق الارض) اى لايمكن لك خرق موضع من مواضع الارض بتمامه من سطحها الى تخومها .

واما بلحاظ الجسمية (ولن تبلغ الجبال طولا) اى كيف تتبختر فى الارض والحال ان مقدار قامتك لايكون بمقدار جزء واحدمن اجزاء الارض (كل ذلك كان

سيئه عند ربك مكروها) اى تمام المحرمات المذكورات فى تلك الايات تكون سوئيتها عندربك شديدة بحيث يبغضها .

(ذلك مماوحى اليك ربك من الحكمة) اى من الامور المتقنة (ولاتجعل مع الله الها آخرفتلقى فى جهنم ملوما) اى لخزنة جهنم (مدحوراً) اى مطروداً من قبل الله، اذالشرك موجب للطرد مطلقا .

( افاصفيكم ربكم بالبنين ) اى اختاركم على نفسه ووهب لكم الذكور ؟ ( واتخذ من الملائكة اناثا ) اى اختار لنفسه من الاولاد الاناث وهى الملائكة ( انكم لتقولون قولا عظيما ) اى فى منكريته ، فانالقادر كيف لايختار مع قدرته لنفسه مايكون حسناً ، مضافاً الى ما ذكر من كون الاولاد موجباً للنقص عليه من جهتين والنقص عليه محال .

( ولقد صرفنا فى هذا القرآن ليذكروا ) اى ذكرنا بتغيير العبارات وتبدل الامثال لاجل حصول التذكر الى المقدمات وترتيبها للانتاج ( وما يزيدهم الانفوراً ) اى لايوجب لاهل مكة ولا يزداد لهم الا الخروج والنفور من الحق وقد ظهر مما ذكرنا كون تمام المذكورات على طبق العقل ، والله الهادي .

قوله تعالى : ﴿قل لوكان معهآلهة كما يقولون اذالابتغوا الىذىالعرش﴾ ﴿سبيلا (٤٢) سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيرا (٤٣) تسبح له السموات﴾ ﴿السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون﴾ ﴿تسبيحهم انهكان حليما غفوراً (٤٤) واذا قرأت القرآن جعلنابينك وبينالذين﴾ ﴿لايؤمنون بالاخرة حجابا مستوراً (٤٥) وجعلنا على قلوبهم اكنة انيفقهوهوفى﴾ ﴿آذانهم وقرا واذا ذكرتربك فىالقرآن وحده ولوا على ادبارهمنفوراً(٤٦)﴾ ﴿نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعوناليك واذهم نجوى اذيقول الظالمون﴾ ﴿ان تتبعون الا رجلا مسحوراً ( ٤٧ ) انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا﴾ ﴿فلايستطيعون سبيلا (٤٨)﴾ .

الخطاب متوجه الى النبى ﷺ اى قل للمشركين لوكان مع الله آلهة اخرى ، لطلبوا السبيل الى ذى العرش اى التسلط عليه واخذ عرش سلطنته منه كما ذكرنا سابقا مكررا من ان الالهة لو كانت وجودات ، فلا يخلو الامر من انيكون كل واحد منها كل الوجود (او) بعض الوجود (او) مرتبة من مراتب الوجود .

والاول يكون باطلا لانالكل لايتعدد فاذا كان احدها الكل فلا يتعقل كون الاخر ايضا كلا ، لاستلزامه تعدد الواحد وهو خلف ومحال .

(والثانى) ايضا باطل لان الوجود لاجزء له اذ لوكان له الجزء ، فلوكان الجنس هو الوجود والفصل هو الشيء الاخر ، فيلزم انيكون غير الوجود مقوما للوجود وهو محال ، اذ العدم او مـا بحكمه كيف يكون مقوما فضلا عن كونه مقوما للوجود ، ولو كان الفصل هو الوجود والجنس هوالشيء الآخر ، فالشيء الاخر لابد ان يكون مقررا في غير الوجود ايضـا لكونه اعم ، والتقرر من دون مطلق الوجود لامعنى له ، اذ المعدوم المطلق لايشار اليه .

(واماالثالث):فهوخلاف الفرض، اذ المرتبةالعالية هوالله والمراتب الناقصة من رشحاته وافعاله وحينئذ لابد ان تكون الالهة المفروضة من غير سنخ الوجود او مبتنيا على امر باطل ، وهو كون الوجود حقائق متبائنة ، وعلى فرض التباين وعدم التركيب فى كلاله ، يلزمان يكون كلواحد منها بتمام ذواتها منافية ومتبائنة للاخر .

ولحصول الربط بين ارادة كل واحد مع نفسه لابد من ارادة كل واحدمنها اعدام الاخر وسقوط الاخر من السلطنة ، ومع فرض تعدد تلك الالهة وتبائنها مع الله وارادتها اعدام الله وسقوط الله منالسلطنة ، لحصلت لهم السبيل الى ذىالعرش وحيث لم يجدوا السبيل ، فلا اله غيره لاواحداً ولا متعدداً و يكون وجود الاله معه محالا محضاً ، لبطلان اصل المطلب ، وهو كون الوجود حقـائق متبائنة ، او كون الاعدام مؤثرة فى قبال الله تعالى .

(سبحانه وتعالى عما يقولون) اى الله منزه واعلى ممـا يتوهمون من كون الشريك معه (علواً كبيراً) اى علواً غير متناه ، فان التشاكل بلحاظ الحدود ، والله غير محدود ، والتفاوت بين المتناهي ـ وهو المحدود ـ وغير المتناهي ـ وهو الغير المحدود ـ يكون تفاوتا غير متناه.

(تسبح له السموات السبع والارض) اى تظهر السموات والارض تنزيه الله تعالى وكل من كان فيهما ، بل تمام الاشياء من الموجودات فى الجوّ اوخارجين من الامكنة ، لما ذكرنا سابقا ان جميع ذلك تتحرك وتخرج من القوة الى الفعل، وكل المتحركات لابد من انتهاء امرها الى محرك غير متحرك ، وهو لا يكون الا الفعل المحض ، والواجد للكل ، فلابد من كونه غير محدود والا يكون ناقصا، ولايكون فعلا محضاً ، وغير المحدودية هو التنزية، فتمام المتحركات تدل بالبرهان العقلى القطعى على كون الله منزها عن الحدود والنقائص، ومع الدلالة على التنزيه يدل كل شيء على كون الصفات الكمالية الاختيارية فى الله والا لما تحقق وجود ذلك الشىء، والوجود كمال .

وحيث ان العلم والارادة قد دلا على علمه وارادته ، بل الفعلية المحضة الدالة عليها تمام المتحركات ، قد دلت على وجدانه للعلم والارادة ، فيدل تمام الاشياء على اختصاص الحمد به ايضا وان له الحمد فالكل قد دل على التنزيه مصاحبا مع الحمد،

(ولكن لاتفقهون تسبيحهم) اى التنزيه لكونه بلحـاظ عدم التنـاهى وانتم المحدودون ، واحاطة المتناهى بغير المتناهى محـال فحق التنزيه مما لا يصل اليه حدّ افها مكم وصولا حقيقياً، ولعله لاجل ذلك المطلب لم يذكر الله عدم فهم حمدها بل اقتصر على عدم فهم تسبيحها ، فنحن ندرك حمد الاشياء كما هو حقه ، ولاندرك تسبيحهم كما هو حقه .

ولاتنافى بين ماذكرنا وكون تمام الاشياء مدركات ومسبحات ، ويرونها بصفاتها اهل الله واهل الكشف وينتقلون الى التسبيح لا كما هو حقه ، اذهو متصور

فيحق من صار بالفناء غير متناه وغير محدود، ولعله مخصوص بالاربعة عشر عليهم السلام.

( انه كان حليماً غفوراً ) اى هو اعلى من ان يكون له الشريك ، والقول بالشرك ظلم عظيم الا انالله لايعذب بالعجل لكونه حليماً وغفوراً اذا رجعوا وتابوا

(واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون حجابا) اى مانعاً (اما) من ارادتهم الفتك بالنبى صلى الله عليه وآله فيجعل الله المانع والحجاب حتى لا يصلوا الى مقصدهم اومن الاستماعات للهزؤ (مستوراً) اىالحجاب يكون مستورا عنابصارهم ولايلتفتون الىالحجاب، فالحجاب موجود ، ولكنهم لايرونه (و) المراد به الساتر اى ساتر للنبى صلى الله عليه وآله

(وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه) اى الغلافات ، وقد ذكرنا وجه ذلك فلا نعيد (وفى آذانهم وقراً) اى ثقلا من الاستماع كما هوحقه ، وقدسبق وجهه (واذا ذكرت ربك وحده) اى اتصفت الله بصفة التوحيد اوذكرت الله ولم تذكر اصنامهم (ولو على ادبارهم نفوراً) اى ادبروا عليك لاجل التنفروالبغض

(نحن اعلم بها يستمعون اليك) ایاذا استمعوا يكون استماعهم لغرض فاسد لالأجل درك الحق (واذهم نجوى) اى يناجون نجوى فى حال الاستماع ويقول ظالمهم ( ان تتبعون الا رجلا مسحورا ) اى من غلب عليه بالسحر اى بعض الاشخاص سحروه .

(انظر) ایلاحظ بنظرالتعجب(كيف ضربوا لك الامثال) اى جعلوك مماثلا للمسحّرين والمغلوبين فى عقولهم ، ووجه التعجب ان المغلوب المسحور لابد ان يكون عقله ضعيفاً ، ومن ضعف عقله لا يمكن ان يبين البراهين العقلية ويكون كل سالم اعلى منه ، وانت قداتيت بما يعجز كلهم عن الاتيان بمثله بل عنالاتيان بجزء واحد منالف جزء منه، فكيف يتصفونانفسهمبالكمالويتصفونك بالضعف والمغلوبية ، فهو فى نهاية العجب .

(فضلوا) اى فقدوا الحق (فلايستطيعون سبيلا) ایلایقدرون على انيسلطوا

عليك ، او السبيل الي الوصول الى الحق بسوء اختيارهم .

وقد ظهر بحمد الله من تمام ما ذكرنـا كون بعض الايات المذكورة على طبق البراهين العقلية العالية ، وبعضها غير مخالفة لها ، والله الهادى .

قوله تعالى ﴿وقالوا ائذا كناعظاماً ورفاتاً ائنا لمبعوثون خلقاً جديداً(٤٩)﴾ ﴿قل كونوا حجـارة اوحديداً (٥٠) اوخلقاً مما يكبر فى صدوركم فسيقولون﴾ ﴿من يعيدنا قل الذى فطركم اول مرة فسينغضون اليك رؤسهم ويقولون متى هو﴾ ﴿قل عسى ان يكون قريباً (٥١) يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم﴾ ﴿الا قليلا (٥٢) وقل لعبادى يقولوا التى هى احسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان﴾ ﴿الشيطان كان للانسان عدوا مبينا (٥٣) ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم﴾ ﴿ان يشاء يعذبكم وما ارسلناك عليهم وكيلا (٥٤) ﴾ .

(وقالوا) اى المشركون تعجبا ( أئذا كنا عظاماً ) اى اذا تناثرت جلودنـا ، ولحومنا ولم يبق منا الا العظام نبعث ويعود حياتنا ( ورفاتا ) اى اذا صارت عظامنا مكسورة ومتلا شية نبعث ونحيى ( ءانا لمبعوثون خلقاً جديداً ) اى اذا لم يمكن جمع الجلود واللحوم والعظام والرفات لانتشارها هل نبعث خلقا جديداً اى تتعلق ارواحنا بالابدان الجديدة اى ذلك ايضا يكون مستبعداً من العقول ، فالمعاد مطلقا يكون مستبعدا من العقول سواء كان بتعلق الارواح بالابدان السابقة او بالابدان الجديدة .

وقد شيّد الشيطان واتباعه شبهات المعاد ، وادعت استحالة المعاد الجسمانى خاصة جماعة دون اصل المعاد .

وقد اجبنا عن جميع الشبهات فى رسـائلنا وفى هذا التفسير وعلى نحو الاختصار نقول ، بعد ذهابنا الى كون الفعل المحض هو الله وان غيره فى صراط الحركة مطلقاً حتى العقول، لعدم تناهى الله وتناهيها، والتفاوت غيرمتناه ، فلامانع من كون الاخرة ايضا دار الكمال وما يفوت فى الاخرة تحصيل اصل الاستعداد

لاالحركة والخروج من القوة الى الفعل ،

لاوقع لاشكال ان بذهاب العالم الدنيوى يذهب القوة ، والعود الى الابدان مستلزم لبقاء القوة .

وبعد ذهابنا الى انالابدان العنصرية تتحرك وتنتقل الى عالم الاخرة وتتحد مع الروح اى تصيرمرتبة منمراتبالنفس ، فانالبدن منمراتب الانسان كصيرورة الأطعمة السوقية بدناً للانسان .

لاوقع لاشكال ان المعاد مستلزم لتنقيص الكامل ، بل حينئذ يكون المعاد الجسمانى من تكميل الناقص .

وبعد ذهابنا الى ان القيامة فى العالم الاعلى :

لاوقع لاشكال ضيق المكان او التنقيص من هذه الجهة .

وبعد ذهابنا الى تناهى عالم الدنيا وانقضائه .

لاوقع لااشكال ان النفوس غير متناهية والابدان متناهية ، فيلزم تقسيمالغير المتناهى على المتناهى وهومحال .

وبعد ذهابنا الى بقاء الفيض بعد القيامة ايضا بخلق مناسب .

لاوقع لاشكال انقطاع الفيض ايضا .

وبعد ذهابنا الى ان معاد الحيوانات الاخر بـالابدان البرزخية ، والابدان العنصرية لها لاتسرى اليهاالشرافة ، وسراية الشرافة الىالابدان العنصرية وحركتها نحو العالم الاخر ، من خواص الانسان .

فلا وقع لاشكال الآكل والمأكول لندرةاكل الانسان انسانا آخر ولواكله لايصير جزء محفوظا للانسان الاخر الى زمان موته .

فالاشكالات العقلية بتمامها مندفعة ، ولانقول بـالتعلق ببدن آخر من باب الشرع ، وما يكون محالا من التناسخ عدم كون دار آخر وانحصار الدار بالدار الدنيوية اوانقلاب الحقائق ومنغيرها تين الجهتين لااستحالة فيه وحيث ان كلا منا

في الدار الاخرة ولايكون من قلب الحقائق فلا اشكال فيه ابداً .

( قل ) اى في جوابهم ( كونوا حجـارة او حديداً او خلقا ممـا يكبر في صدوركم ) والجواب محذوف للقرينة وهو انالله قادر على انيعلق الارواح بكم فلو صرتم بعد الموت حجراً او حديداً او ذهباً او نحاساً ، اوكل ما يكون تعلق الروح به اكبر من حيث الحكم بالاستبعاد او الاستحالة ، فالله قـادر على تعلق ارواحكم بها ( فسينغضون (١) اليك رؤسهم ) .

اى يتحركون رؤسهم للدلالة علىعدم الامكان ( ويقولون متى هو ) اىيوم العود ( قل عسى انيكون قريباً ) اى اظهر لهم انه عسى ان يكون قريباً اى يحتمل احتمالا قريباً من الامكان الاستعدادىالفعلى ان يكون حلولذلك اليوم قريبا ، لعدم فصل مسافة بعيدة بيننا وبين ذلك اليوم ولاالزمان الطويل ، بل اذارأى الله صلاح بروزالحقائق وايصال الاستعدادات الىفعلياتها يكشف الغطاء فيحقق ذلك اليوم .

( يوميدعوكم فتستجيبون بحمده ) اىعسى قربكم ذلكاليوم الذىيدعوكم الله بلسان اسرافيل عليه السلام فتجيبون من قبوركم بامره كما قيل (او) وله الحمد كما قيل ايضا ( او )بسبب محموديته واتصافه بالصفات الكمالية التى بها يكون الربط حاصلا ، فان النفخة الاولى وهى نفخة الصعق والتشرهى منصفات الجلال، واما النفخةالثانيةوهىنفخة القيام فتكون منصفات الكمال ، فبلحاظ المحمودية تكون.

( وتظنون ان لبثتم الا قليلا ) اى تعتقدون عدم لبثكم فى الدنيا الا قليلا من الزمان ، لما رأيتم من اول الخروج الى هذا الحال من الشدائد والعقبات .

(وقل لعبادى) اى للمؤمنين (يقولوا التىهىاحسن) اى يتكلمون مع كفار قريش فى مكة بالتكلم الحسن اللين ( ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطـان كـان للانسان عدواً مبيناً) اى سبب تكلمهم على نحو اللينة هو الامن من ايقاع الفتنة

(١) يقال : انغض رأسه حركه كالمتعجب من الشيىء ونغض رأسه ينغض بالكسر نغضاً ونغوضاً اى تحرك ( مجمع البحرين) .

من الشيطان فانه عدو للجميع فمن باب الحذر من مكر الشيطان يلزم ذلك .

( ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم اوان يشأ يعذّبكم ) اى يقولون لهم ذلك القول انالله ـوهو ربكمـ يكون الامر بيده ان علم صلاح ان يرحمكم بتوفيقكم للتوبة والرجوع اليه يفعل ذلك ، وان شاء بقائكم على الكفر وعذابكم وعلم صلاح ذلك يفعل كذا .

( وما ارسلناك عليهم وكيلا ) اى ليست افعـالهم مفوّضة اليك وموكولا اليك حتى تجبرهم على الايمان ، بل لايكون منك الا اتمام الحجة .

وقد ظهر مما ذكرنا كون الايـات المذكورة على طبق البراهين العقلية ، واشتمال بعضها على المداراة ، وحسن السلوك وهو من المندوبات العقلية ، والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿ وربك اعلم بمن فى السموات والارض ولقد فضلنا بعض ﴾ ﴿ النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً (٥٥) قل ادعوا الذين زعمتم من دونه ﴾ ﴿ فلايملكون كشف الضر عنكم ولاتحويلا (٥٦) اولئك الذين يدعون يبتغون ﴾ ﴿ الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك ﴾ ﴿ كان محذوراً (٥٧) وان من قرية الانحن مهلكوها قبل يوم القيامة اومعذبوها ﴾ ﴿ عذاباً شديداً كان ذلك في الكتاب مسطورا (٥٨) ومامنعنا ان نرسل بالآيات ﴾ ﴿ الا ان كذب بها الاولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بهـا وما نرسل ﴾ ﴿ بالآيات الاتخويفا (٥٩) واذقلنالك ان ربك احاط بالناس وماجعلنا الرؤيا التى ﴾ ﴿ أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونه فى القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا ﴾ طغياناً كبيراً (٦) ﴾ .

(وربك اعلم) علماحضوريا بكل من فى العاليات والسفل لكون وجود الكل وبقائها منه ، وقيام الجميع به على الترتيب .

(ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ) بسبب افعالهم و اخلاقهم وعلومهم

وفنائهم وحبهم فالمستعد لاستماع الصوت المخلوق من الله الواصل بالسمعية البدنية الى هـذا الكمال يصير كليما ، والمستعد لنفوذ الحب لله فى تمام اجزائه البدنية، فيدرك دركا عيانيا لمحبوبه بتمام مراتبه يصير خليلا ( وآتينا داود زبوراً ) وهو المشتمل على المواعظ والنصايح ، فدرجته بلغت الى هذه الدرجة .

( قل ادعوا الذين زعمتم من دونه ) اى كل من اعتقدتم الوهيته سواء كانت من الكواكب والاصنام اومن الكاملين من الملائكة اوبعض افراد الانسان كالعزير والمسيح عليهما السلام لايملكون شيئا ادعوهم بالاستقلال حتى تعلمون انهـم غيرمؤثرات ( او) يكون الامر للملامة فيكون فـى مقام اللوم والتهكيم ( فلايملكون كشف الضر عنكم) اى رفعه بالمرة (ولاتحويلا) اى انتقالا من محل الى محل.

( اولئك الذين يدعون ) اى من يدعونهم من ذوى العقول ( يتبغون الـى ربهم الوسيلة ) اى يطلبون الطريق الى الله والتوسل ( ايهم اقرب ) اى اىّ واحد منهم يكون عندكم اعظم هويطلب الوسيلة ، فلفظ ( ايهم ) بدل من الضمير فى ( يبتغون ) ( ويرجون رحمته ويخافون عذابـه ) اى لكمال ادراكهم ، يرجون رحمة الله ويخافون من عذاب الله ( ان عذاب ربك كان محذوراً ) اى ينبغى ان يحذر منه لاشتداده فالمقربون ايضا لابد من ان يحذروا من عذاب الله .

(وان من قرية الانحن مهلكوها قبل يوم القيامة اومعذبوها عذاباً شديدا كان ذلك فى كتاب مسطورا ) اى كل اهل القرى نأخذهم ونتوفـّاهم ونخرج ارواحهم من ابدانهم قبل القيامة ، فان القيامة دار ينتقل اليها كل الاشياء ، فلابد من خراب الدنيا ، والذهاب منها ، بل ذهابها ومافيها الى الاخرة ، لعدم امكان كـون الكل فى الاخرة مع بقاء البعض فى الدنيالاستحالة كون الواحد اثنين فى الامورالباقية فى الدنيا مع كونها فىالاخرة ايضا ، وذلك ضرورى ، فكل انسان يذوق الموت من دون عذاب اومع العذاب قبل ذلك اليوم ، وذلك من الامور الثابتة المسطورة فى كتاب الله .

( وما منعنا ان نرسل بالايات الاان كذّب بها الاولون ) اى لم يصر مانعاً لنا من ارسال الايات الاقتراحية الا تكذيب الاوائل .

بيان ذلك ان الغرض من الاتيان بالاية لابد ان يكون احد الامور الثلاثة ولا رابع لها ( احدها) اتمام الحجة (ثانيها) الايصال الى الرشاد ( وثالثها )التعذيب .

( فان )كانت العقول قاصرة للضعف عـن درك العقليات فـي مسئلة المبدء ولزوم الواسطة على النحو الكلي ، اولم تكن قاصرة ولكن المسئلة غامضة كالمعاد الجسمانى او النبوّة الخاصة او الامامة الخاصة فاللازم هو الاول .

( وان) لم تكن المسئلة محتاجة الى اتمـام الحجة لكون العقول قويّة او متوسطة والمسئلة من العقليات الغير الغامضة كالتوحيد والنبوة الكلية واصل المعاد او كـانت محتاجة ، ولكن الحجة قد تمت باتيـان المعجزة الغيـر المقترحة او بالمعجزات الكذائية ، فان رأى الله خيراً في عواقب امورهم وانهـم بالتأكيدات يصلون الى الخير ويحصل لهم التوفيق، فالتفضل يقتضى الثانى .

(وان) لم يرفيهم الخيرورأى عنادهم وشقاقهم، فالسخط يقتضى الثالث.

وحيث ان الامر فى كفار قريش لم يكن من قبيل الاول، اما فى التوحيد ، فالامر يكون واضحاً، واما فى النبوة فللاتيان بالمعجزه المتمة للحجة، فان كان الله رائيا خيرية عواقب امور الجميع، لكان الفضل مقتضياً للتاكيدات، ولكن اذا راى ان الله جميعهم او كثيراً منهم لايحصل لهم التوفيق، فالتا كيدلا يحصل الا للسخط والغضب واذا رأى الله أن فى اعقابهم المؤمنين، اومن باب وجود النبى لم يرد الله ان يهلكهم، فلا يأتى بالمؤكدات، لاستلزامها هلاكتهم كهلاكة المكذبين السابقين،وما اراد الله هذا النحو من الهلاكة لما ذكر اولغيره فانحصر المانع فى كونهم مكذبين كالاوايل

وحيث ان طريق استكشاف الناس ذلك يحصل من تكذيب الاوائل قدذكر الله ذلك ، اوبلحاظ ان تكذيب الاوائل صار سببا لعنادهم وتكذيبهم .

(وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ومانرسل بالايات الاتخويفا) اى لاجل

حصول الخوف، فاذا، كان الخوف حاصلا فلايبقى الاالاهلاك في بعض الموارد .

(واذقلنا ان ربك احاط بالناس) اى اذكر لقولنا في تعليمك ان الله محيط بالناس لقيام الكل بهوحضور صفحة الكاينات، بل الملكوتيات والجبروتيات عنده حضور المعلول لدى علته، فهو محيط احاطةالعلة التامة بمعلولها (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الافتنة للناس) اىماجعلنا مارايت فىنومك منصعود القردة علىمنبرك وارجاع الناس الى القهقرى وهم بنوا امية (١) الا لافتتان الناس وامتحانهم. وان الثابت على دينك اىجماعة ؟ والخارج الحقيقى اىجماعة؟ (والشجرة الملعونةفى القرآن) عطف على الرؤيا اى ماجعلنا الشجرة التى لعنت فى القرآن وبعدت عن رحمة اللهالاللامتحان (ونخوفهم) اى نخوف الناس منتلك الشجرة واتّباعها (فما يزيدهم) اى لايزداد للناس (الاطغيانا كبيراً) اىباتباع تلك الشجرة، وهى الشجرة الملعونة الاموية .

(والقول) بكون المرادبالرؤيا رؤياالمعراج حتى قال بعضهم: انبعد الانباء بالمعراجوعدم قبول اهلمكة واستهزائهم نزلتالاية للدلالةعلى كون ذلك المطلب فىالرؤيا (منالعجائب) بلالقول بكونه من الهذيان لايبعد.

(وكذلك) القول بكون المراد بالشجرة شجرة الزقوم حيث قالوا ان النار تأكل الشجرة فكيفتنبت فيها (منالغرائب) فان آلة العذاب ومابه يعذب لايكون ملعونا والالكان المعذب بالكسر وهو المالك ايضا ملعوناً بل الملعون هو المعذب بالفتح وذلك واضح .

وقدظهر بحمدالله كون الايات المذكورة، بعضها ممايطابق العقل، وبعضها ممّا لايخالفه، والله الهادى .

---

(١) فى تفسيرالبرهان ج٢ ص٤٢٥ ، عن على بن ابراهيم قال: قال نزلت لما رأى النبى (ص) فى نومهكأن قروداً تصعد منبره فسائه ذلك وغمه غماً شديداً ، فانزلالله (وماجعلنا الرؤيا التى اريناكالافتنة للناس) ليعمهوا فيها (والشجرة الملعونة فى القرآن) كذا نزلت هم بنو امية .

قوله تعالى : ﴿واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال﴾
﴿ءاسجد لمن خلقت طينا (٦١) قال ارأيتك هذا الذى كرمت علىّ لئن اخرتن﴾
﴿الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته الاقليلا (٦٢) قال اذهب فمن تبعك منهم فانّ﴾
﴿جهنّم جزاؤكم جزاء موفورا (٦٣) واستفزز مـن استطعت منهم بصوتك﴾
﴿واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الاموال والاولاد وعدهم ومـا﴾
﴿يعدهـم الشيطان الا غـرورا (٦٤) انّ عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى﴾
﴿بربك وكيلا (٦٥) ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله﴾
﴿انّه كان بكم رحيماً (٦٦) واذا مسكم الضرّ فى البحر ضل من تدعون الا﴾
﴿اياهفلما نجيكم الى البرّ اعرضتم وكان الانسان كفورا (٦٧) أفامنتم ان يخسف﴾
﴿بكم جانب البر اويرسل عليكم حاصبا ثم لاتجدوا لكم وكيلا (٦٨) أم امنتم﴾
﴿ان يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم﴾
﴿ثم لاتجدوا لكمعلينا به تبيعاً (٦٩)﴾ .

اى اذكرحين ( قلنا للملائكة اسجدوا ) وامـرنا هم بـالخضوع التام لادم اوخضوع انحناء ، والفرق بينه وبين السجودلله ، فرق لايتناهى ، اذ مـالله بعنوان الاستقلال ، وما لادم فهو بعنوان المرآت والربط وعدم الاستقلال وكونه مظهراً لمقدار محدود من كل كمال على قدر استعداد آدم مـن الحدّ ، وبين المحدود وغير المحدود فرق غير محدود كمال لايخفى .

(فسجدوا الا ابليس) اى اطاعت الملائكة امر الله فسجدوا لادم الا ابليس وقد ذكرنا وجه الاستثناء حتى فى صورة الاتصال وعـدم الانقطاع وانّ اشتراك العقول المقدسة العرضيةمثلا مع الشيطان فى الامر العرضى الذىبه سميت بالملائكة لاتدل على اتحاد الحقيقة .

( قال ءاسجد لمن خلقت طينا ) اى من الطين فهو منصوب بنزع الخافض اى ماكان اصله من الطين لاينبغى لمثلى ان يسجدله، لكون اصلى من النار ،وهى اعلى من الطين .

فطغى وأظهرالانانية ولم يلتفت الى انالطين مركب (من الماء) ومنهحيوة كلشيء ( ومن التراب ) وهو مع خضوعه المناسب للعبودية والمحبوب عندالله منشأ الكمالات والحيوة للنباتات و الاشجار بل مقداراً منالحيوانات بل الكلمن حيث البدنية.

ثم طغى طغياناً اعظم فقال من اردت اكرامه واعظامه و تقربه ، اجعل (١) ذراريه موهونة مصغرة بعيدةعنك ، بل بلحاظ الحقيقة والطبيعة على قدر استطاعتي ابعّد عنك من تلك الحقيقة، واجعلها موهونة مصغرة في قبال ارادتك.

(ارأيتك ) اى هل اخبرك مؤكدا (هذا الذى كرمت على)اى لم يكنفىحد ذاته الكرامة بل بدونالسبب كرمته (لئن اخرتن الىيوم القيامة ) اى طولتعمرى وابقيتنىفى الدنيا (لاحتنكن ذريته) اىاجعل فىحنكهم الطوق والحبل لانيكونوا مسخرين لي كتسخيرهم الدواب بذلك ، والاختصاص بالذرية ليأسه من نفس آدم فى هذا المقدار من التسخير (الا قليلا) اى بعضا قليلا منهم الاقوياء في عبوديتك وطردى .

( قال اذهب ) اى من عندى فانك مطرود مبعد عنى (فمن تبعك منهم) اى تعذب معهم ، فكما ان التبعة لك تعذب فيحصل لك التشفى ، فتعذب نفسك ايضاً بسبب المتابعة فلا موقع لفرحك .

على انه بحسب الدقة يكون تابعه من سنخه ، لما قد حققنا ان الانسان هى اللطيفة السيارة التى يكون تمام الحدود مأخوذة فيها على نحو اللا بشرطية ، فلها الوقوف فى كل مرتبة وحدّ فتكون من هذا السنخ ولها التجاوز فالواقف فىحد الشيطنة هو الشيطان ، فلولم يكن الشيطان اعمي و كان بصيراً يرى انه صار سبباً لتعذيب ذريته فـى النظر الدقيق ، و انتساب الله اليهم ( ٢ ) لمجرد الصورة و

(١) بصيغة المتكلم

(٢) اى فى قوله تعالى : (فمن تبعك منهم) اى من ذرية آدم

المماشاة فى التكلّم مع الشيطان على قدر ادراكه ، فان ادراك الشيطان يكـون ضعيفـاً ، و يكون مـن سنخ المتخيلات و الجهـالات المركبة ، لا البرهانيات الصحيحة .

(فان جهنم جزاؤكم جزاءاً موفوراً) اى مكثرة ومزداداً لحصول الولادة فالحسد يولّد الاشد، وكذلك الكبر والعناد والشقاق، وهكذا، وقد قامت العلة مقام الجزاء كما ذكر مراراً .

(و استفزز) اى أجعلهم خفيفاً (من استطعت منهم بصوتك) اى اقسام مناداتك من الاصوات اللهوية الموجبة للخفة والتربص ( واجلب عليهم بخيلك و رجلك ) اى ارفع صوتك عليهم بالصيحة كالصيحة عند عدو الفرس بسبب الركابين من اهل المعصية و المشائين ، اذهـم بمنزلة السائقين فى اغوائهم ( وشـاركهم فى الاموال) ببعثهم على الربا والسرقة (والاولاد) ببعثهم على الزنا حتى يصير ولد الزنا حاصلا وهو من ذرية الشيطان ، ولذا يصير مبغضا للحق والولى المطلق وهو على امير المؤمنين عليه السلام لعدم كونه من ذرية آدم فى الحقيقة حتى يحب خليفة الله وخليفة رسوله صلى الله عليه وآله .

( وعدهم ) بالامن من الوعيد ، اذ الوعيد مقابل الوعد ، فاذا اوعدهم الله بالاخرة فمقابلها الوعد بانه لانار ولا آخرة ولاعقاب حتى يستريح الناس .

وقد ازدادت ذرارى الشيطان فى زماننا، فيضحكون على الوعيد ويصرحون بان المقصد الاصلى هو الدنيا بل هو الدنيا (ومايعدهم الشيطان الاغروراً) اى باطلا لاواقع له .

(ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) اى من شاهد حقيقتى بمقدار من الشهود يرى حقيقة الشيطان فيشمئز منه ويطرده (وكفى بربك وكيلا) اى عبادى يفوضون امرهم الىّ واكفيهم (ربكم الذى يزجى) اى يجرى (لكم الفلك فى البحر لتبتغوا) اى لتطلبوا ( من فضله انه كان بكم رحيما ، و اذا مسكم الضر فى البحر ) اى ما

يوجب النقص (ضل من تدعون) اى يفقد فلا ناصر (الا اياه ) اى الله (فلما نجيكم الى البر اعرضتم) اى لعود شهواتكم وشيطتكم (وكان الانسان كفوراً) اى لوجود الحدود الشيطانية فيه كما سبق .

(افامنتم ان يخسف بكم جانب البر) اى كما فعل بقارون ( اويرسل عليكم حاصبا) اى كما فعل بقوم لوط من وقوع السجيل عليهم (ثم لاتجدوا لكم وكيلا) اى لشهودكم العذاب فلا تقبل توبتكم.

(ام أمنتم ان يعيدكم فيه) اى فى البحر (تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح) اى الشديد منه (فيغرقكم بما كفرتم) اى بسبب كفرانكم (ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعا) اى لاتجدوا -لنفعكم على ضررنا و التقابل معنا بسبب ذلك الفعل- تابعا وناصرا لكم .

اى اسباب الخوف من تمام الجهات خارجة وداخلة من قبل الله تعالى تكون محيطة عليكم، ولااحد يقابل الله، وينصركم فلاجل اى جهة- مع ارادته افاضة الخير عليكم- لاتتوجهون اليه حتى تصيروا مورداللرحمة بل تعرضون انفسكم لهذه الامور السابقة و امثالها .

وقد ظهر مما ذكرنا موافقة تمام ما ذكر من الايات مع الواقع و البراهين وعدم مخالفتها للعقل بوجه من الوجوه ، والله الهادى .

قولة تعالى : ﴿ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم﴾ ﴿من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا(٧٠) يوم ندعو كل اناس﴾ ﴿بامامهم فمن اوتى كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلا (٧١) ﴾ ﴿ ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الاخرة اعمى واضل سبيلا(٧٢) وان كادوا ﴾ ﴿ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا(٧٣)﴾ ﴿ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا(٧٤) اذا لاذقناك ضعف الحيوة﴾ ﴿ وضعف الممات ثم لاتجد لك علينا نصيراً (٧٥) وان كادوا ليستفزونك من ﴾

﴿الارض ليخرجوك منها واذاً لايلبثون خلافك الاقليلا (٧٦) سنة من قد ارسلنا﴾
﴿قبلك من رسلناولاتجد لسنتنا تحويلا(٧٧)اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق﴾
﴿الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهوداً (٧٨) ومن الليل فتهجدبه نافلة لك﴾
﴿عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا (٧٩) و قل رب ادخلنى مدخل صدق﴾
﴿واخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيراً (٨٠) وقل جاء﴾
﴿الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا (٨١)﴾ .

اى لقد كرمنا ابناء آدم وذراريه ، وحيث ان شرافته قد مضت فى غير مقام فلا احتياج الى ذكرها ، واما لاجل انه اذا كانت الشرافة فى تمام الافراد لاتكون من باب العوارض بل لاجل اصل الحقيقة و هو ﷺ ايضا لا يكن خارجا فتكون الشرافة له ايضا .

واما لكون المراد من آدم هو الادم العقلانى والادم الجسمانى من الاول الى الاخر من اولاده والحاصل منه لكونه سببا لايجاد الكل .

و على اى حال ، فالمراد جعل الكرامة بالجعل البسيط لاالمركب ان كان المرادهى الكرامة الذاتية الاستعدادية للبلوغ الى تمام المراد ، فان حقيقة الانسان هى اللطيفة السيارة فى تمام المراتب صاعدةالى فوق الملك ، ونازلة الى ادنى من الشيطان فى البعد .

وان كان المراد الفعليات والخروجات التدريجية بالحركة الجوهريةناقصة وكاملة ، فيمكن جعلها بالجعل التاليفى و التركيبى ، والمراد بالاول ، هو تحقق الشىء وبالثانى تحقق شىء لشىء ( و حملناهم فى البر ) اى بالدواب و غيرها من آلات الحمل ( والبحر ) اى بالسفن بتمام اقسامها (وفضلناهم على كثيرممن خلقنا تفضيلا ) اى رجحناهم بحقائقهم على كثير من ذوى العقول وغيرها لرجحان تلك الحقيقة على حقيقة الملك ايضا الثابتات فى الملكوت بل العرضيات من الجبروت بل الطوليات ايضا ويكفى فى الترجيح وجود بعض المصاديق فى تلك

الحقيقة راجحة على تمام الملائكة اوالمراد من حيث الاستعداد (او)المراد من لفظ (من) هومايراد بلفظ (ما) وتحقيق الحق قدمضى مكرراً فلانعيد .

يوم ندعو كل اناس بامامهم اى اذكرذلك اليوم الذى ندعو كل احد باسم امامهم و هو نبيهم لكون كل نبى اماما لمن بعثوا اليه ومقدما عليهم فنقول يا امّة فلان اوالحافظ للدين والمقدم على الكل بعد زمان النبي فنقول ياشيعة الامامبالحق وهوفلان .

(فمن اوتى كتابه بيمينه) اي ماكتبت اعماله فيه فان الافعال بلحاظ ملكاتها ثابتات في النفس و مكتوبات فيها ، و بلحاظ ذواتها و آثارها لها حقائق خارجية وظهورها(تارة) بالكتابةالنورانية فتعطى بالجهة التى فيهاالميمنة والبركة من مراتب الانسان، فسميت تلك المرتبة، باليمين (فاولئك يقرؤن كتابهم) لاحاطتهمعلىافعالهم بحقائقها (ولايظلمون فتيلا) اىلايتعدىعليهمبمقدار قشرالنواة وقشرالنواة-اىنواة التمرة - ارق من كلشيء وتارةبالمثوبات المضافة اليالجنة من الاشجاروالاثمار وغيرهما .

و من كان في هذه اعمى اى لميكن له الجهة النورانية العقلية من العقائد الحقة والملكات الحسنة فلابصرله (فهوفي الاخرة اعمى) اى لايحدث في الاخرة له البصر العقلانى اذالاخرة دار البروز والنمو لادار الحدوث (واضل سبيلا) اى من حيث الطريقالموصل يكون اضل من الدنيا اذالطرق ، الى الملاذ الدنيويةقد انسدت لارتفـاع موضوعاتها و تحصيل النور ايضا لا يمكن له حتى يسلك الى الملاذ الاخروية و امكان التحصيل ايضا قد زال فهو اضل لفقده الامكان و الملاذ الدّنيوية .

(وان كادواليفتنونك) اى انهم غرموامع رجائهمالحصول قريبا افتتانك عن طريق الحق و استنزالك عن الذى اوحينا اليك لتفترى علينا غيره اى تنسب الينا غيرمااوحيناه اليك (واذا لاتخذوك خليلا) اى قالوا عند انفسهم اوبينهم بانا نظهر

عليه ، ان يبدل بعض ماأوحى اليه حتى نحبه ونصير له خليلاً ونظفر عليه قريبا .

(ولولا ان ثبتناك لقدكدت تركنااليهم شيئا قليلا) اى لولا بلوغك الىمرتبة الثبوت فى الكمــالات ، لانك معصوم وكل معصوم يستحيل صدور الذنب منه ومع الاستحالة لاتغييروعدم التغيير هو الثبوت ، وحيث ان الكمـال كله من الله حدوثاوبقاء فهذا الثبوت منه ايضاً (لقدكدت تركن اليهم) لكثرة تسويلاتهم (شيئا قليلا) اى لو لم يكن الكمال ثابتا بل كان محض الكمال لحصل القليل من الركون لاالكثير لوجود الكمال .

(اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات) اى لو لم يكن الثبوت وكنت مع كما لك تركن اليهم القليل ، لاذقناك ضعف ما على غيرك من العذاب الدنيوى وضعف ما على غيرك من العذاب الاخروى، فحيث لم نذقك العذاب فى الدنيا ، فيعلم انا قدثبتناك وانك لاتركن اليهم وما ركنت ابداً (ثم لاتجدلك علينا نصيراً) اى لو فعلت لم يكن لك الناصر .

(وان كادوا ليستفزونك من الارض) اى يحركونك من ارض المدينة الى الشام حيث قالت اليهود لو كنت نبيا لالحقت بالشام فانه محل الانبياء (ليخرجوك منها واذاً لايلبثون خلافك الاقليلا) اى لو خرجت لما لبثوا فـى المدينة الا قليلا من الزمان وهلكوا ولفظ (ان) مخففة عن مثقلة .

(سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا) اى كسنة الرسل السابقة حيث كنامعذبين لمن يخرجهم (ولانجد لسنتنا تحويلا) اى نقلا وانتقالا .

(اقم الصلوة لدلوك الشمس) اى لاجل الدلوك وهوالزوال وبلوغ الشمس الى دائرة نصف النهار (الى غسق اليل) اى وقت الصلوة مـن حيث النوع يمتدمن اول الزوال الى اشتداد ظلمة الليل وهو النصف ، واما ان الصلوات التى تفعل عددها يبلغ اى مقدار أو الترتيب بينها باى نحو ؟ فلا بدان يعين من الخارج .

والاقوى اختصاص الظهر من الاول بمقدار ادائه على حسب تكليف المكلف

ثم اشتراك العصر معه الى ان يبقى الى الغروب . بمقدار ادائه فيختص بـه ، ثم يدخل وقت المغرب ، ويختص من اول الوقت بمقدار ثلاث ركعات على حسب حال المكلف ، ثم يشترك معه العشاء ويمتد الى نصف الليل ويختص آخر النصف بالعشاء على حسب حال المكلف .

(وقرآن الفجر) اى المقارن للفجر اوّله وهو صلوة الصبح (انّ قرآن الفجر كان مشهوداً) اى للناس لتبين الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر، اولشهود الملائكة بقسميها ملائكة الليل وملائكة النهار وبسط المسئلة في الفقه .

(ومن الليل فتهجد به نافلة لك) اى اقم صلوة الليل وهى الزّائدة على الفرائض للنوع وتكون واجبة على النبى ﷺ دون غيره (عسى ان يبعثك ربك مقاما محموداً) اى مقاما تقع بلحاظه محموداً لكل الموجودات من المدركين لمقامك .

(وقل رب ادخلنى مدخل صدق) اى فى المدينة اوفى كل مرتبة من الكمالات (واخرجنى مخرج صدق) اى مـن مكة اومن كل كمال تتجاوز منه الى الكمال الاخر (واجعل لى من لدنك سلطانا نصيراً) اى حجة من قبلك يكون ناصراً لى .

(وقل جاء الحق وزهق الباطل انّ الباطل كان زهوقا) اى زائلا فـوجودك واجد الحجج من بعدك مـن الحق الذى لابد ان يكون ، والشرك بتمام مراتبه لابدّ ان يزول او لكونه عـدميا يكون زائلا ووجوده توهم صرف ، فزهوقه زوال الوهم ، وحصل كسر الاصنام بيد ولى الله ويده الباسطة علىّ امير المؤمنين عليه السلام بعد فتح مكة وقدوضع رجله على كتف(١) رسول الله ﷺ .

---

(١) الزمخشرى فى الكشاف فى تفسير قوله تعالى : (وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا) فى سورة الاسراء قـال . ولمـا نزلت هذه الاية يوم الفتح قـال جبرئيل لرسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم : خذ مخضرتك ثم ألقها ـ يعنى الاصنام ـ فجعل يأتى صنما صنما وهوينكت بالمخصرة فى عينه ويقول : (جاء الحق وزهق الباطل) فينكب الصنم لوجهه حتى القاها جميعاً وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير الصفر، فقال : ياعلى ارم به فحمله رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم حتى صعد *

وحيث ان غرضنا لم يتعلق الا بعدم مخالفة القرآن مع العقل ولسنا فی صدد التحقيقات ، فنقتصر على ذلك .

وقد ظهر عدم مخالفة تلك الايات مع العقل بوجه من الوجوه، والله الهادی.

قوله تعالى : ﴿ وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين و لا يزيد ﴾ ﴿ الظالمين الاخسارا (٨٢) واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأی بجانبه واذا مسه ﴾ ﴿ الشر كان يؤسا ( ٨٣ ) قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدی ﴾ ﴿ سبيلا (٨٤) ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربی وما اوتيتم من العلم ﴾ الاقليلا (٨٥) ولئن شئنا لنذهبن بالذی اوحينا اليك ثم لاتجد لك به علينا وكيلا ﴾ ﴿ ( ٨٦ ) الارحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا ( ٨٧ ) قل لئن اجتمعت ﴾ ﴿ الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ﴾ ﴿ ظهيرا ( ٨٨ ) ولقد صرفنا للناس فی هذا القرآن من كل مثل فابی اكثر الناس ﴿ الا كفوراً (٨٩) وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا (٩٠) ﴾ ﴿ اوتكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيراً (٩١) او تسقط ﴾ ﴿ السماء كما زعمت علينا كسفا اوتأتی بالله والملائكة قبيلا (٩٢) اويكون لك ﴾ ﴿ بيت من زخرف او ترقی فی السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً ﴾ ﴿ نقرؤه قل سبحان ربی هل كنت الا بشرا رسولا (٩٣) .

ای ننزل من القرآن الذی هو من عالم الكل ونتقدره بالنزول الى العوالم

---

* فرمی به فكسره ، فجعل اهل مكة يتعجبون ويقولون : ما رأينا رجلا اسحر من محمد (فضائل الخمسة ج٢ ص٣٤٢) (وروی ايضا بهذا المضمون من كتاب خصائص النسائی ص٣١ ـ ومن مستدرك الصحيحين للحاكم النيسابوری ج٢ ص٣٦٦ ـ وج ٣ ص ٥ ـ ومن تاريخ الخطيب البغدادی (ج١٣ ص ٣٠٢) ومن مسند احمد ابن حنبل ج١ ص٨٤ـ وص١٥١ ـ (ومن كنز العمال ج٦ ص ٤٠٧) ثم قال :اخرجه ابن ابی شيبة ـ وابو يعلى ـ وابن جرير ـ وذكره المحب الطبری ايضا فی الرياض النضرة ج٢ ص٢٠٠ ـ (المصحح)

حتى يصل الى عالم الملك (ما هـوشفاء) اى رافع للامراض الاعتقادية ـ وهـى الغي باقسامه ـ والاخلاقية ـ وهي الطغيان باقسامه ـ والافعالية ـ وهي الظلم باقسامه ( ورحمة للمؤمنين ) اى يوجب النور الكامل في العقايد مضافا الى رفع الغى ، والعدل في الصفات مضافا الى زوال الطغيان ، والاستقامة في الافعال مضافا الى رفع الظلم والتعدى فيهـا ( ولا يزيد الظالمين ) اى للظالمين ( الاخسـاراً ) اى الضرر والخسران ، لان خبث طينتهم يوجب الاعراض ، فيزداد جهلهم في العقايد من باب العناد ، ويشتد كبرهم وعتوهم في الاخلاق ، ويعارضون مع النبى بحسب اعمالهم وتلك ظلمات ، وخسرانات بعضها فوق بعض .

(واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه) اى اذا وصلت الى الكفار نعمة من الله اعرضوا عن الله لظهور الاستغناء فيهم بزعمهم ويثنى بجانبه من الرأس الى الوركين تبختراً فكأنه لايعتنى بهذا الاعطاء (واذا مسه الشر ّكان يؤساً) اى مأيوساً من الله لعدم رجائه اليه .

( قل كل يعمل على شاكلته ) اى الله يعمل على طبق كرمه وجوده فعلى قدر الاستعداد يفيض وانتم ايتها الكفرة تعملون على شاكلتكم من تقطيع حبلكم مـن ربكم بالمرة وازالـة استعدادكم ( فربكم اعلم بمـن هـو اهدى سبيلا ) اى ايّ الطريقين احسن .

( ويسئلونك عن الروح ) اى اليهود (قل الروح من امرربى ) اى من عالم الامر لا الخلق ، ومن المجردات العالية عن نقائص الملك بل الملكوت في بعض ( وماوتيتم من العلم الا قليلا ) اى قـل لهم ان عدم علمكم بهذا العالم وحقيقته وعدم تصوركم للجبروت بقسميه ، بل الملكوت ايضا كما هو حقّه لايدل على عدم الواقع ، فان علمكم يكون قليلا ولم يعطكم الله من العلم الا القليل على حسب استعدادكم وفحصكم .

ونسبة عدم العلم هنا الى المخاطبين وامره للنبى ﷺ بان يقول للمخاطبين

ذلك ، يدل على انه ﷺ قد اجاب عن مسئلتهم ، وهم لم يفتهموا واظهروا أن أمر هذا المطلب عليناغيرمعلوم ، فيقول النبى ان مجهولاتكم كثيرة ولاتنحصرفىذلك.

ولوكان المراد انى لااعلم ، لكان البيان : وماوتينا من العلم ـ لاما اوتيتم وذلك واضح ، والاعتماد علىبعض شأن النزولات المحكيّة اعتمادعلىغيرالقرآن وهو فى غير محله .

(ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك ) اى لوعلمنا الصلاح فـى ذهـاب القرآن منالبين ، لنذهبن منالكتب والصدور اى محوناه من الجميع ( ثملاتجد لكبه علينا سبيلا ) اىلمتقدر علىالاتيان لعدم وجدانك السبيل علينا حتى تصلاليه ( الارحمة مـن ربك ) اى الشمول الرحمة الثانية ( ان فضله كان عليك كبيرا ) اى لزيادة استعدادك وطلبك ورجوعك لوفرض المحو ثم رجعت يرحم عليك ثانيا ، وقد ذكرنا مكررا : انالشرطية لاتدل على ثبوت المقدم ، فالغرض اظهـار زيادة الاستعداد ورجوعه ؑ وزيادة فضل الله عليه .

( قللئن اجتمعت الخ ) وهذا يكون تحديا بالقرآن الى يوم القيامة لعدم خطاب متوجه الى الآتين حتى يتوهم الاختصاص بالحاضرين ، وعلة عدم الاتيان ، هوقصورهم وكون حدهم ادنى ـ فالعلوم القرآنية وفصاحتها وبلاغتها واحاطتها بالمغيبات والمسائل الشهودية التي فوق العقول ـ صارت سبباً للعجز ، ولايخفى ان المراد الاتيان بالمثل واعلى ، لاخصوص المثل حتى يقال : انكل شيءكذلك واحتمال كون المراد ذلك من الهذيانات .

( ولقد صرفنافى هذا القرآن من كل مثل ) اىجئنابالامثال ، لعلو الحقائق وعدم دركها الا بضرب الامثال والعلماء يعقلونها ( فابى اكثرالناس الاكفوراً )اى من يفقد استعداد الرحمة .

( وقالوا ) اى هذا الاكثر او مستأنفة ( لن نؤمن لك حتى تفجر لنـا مـن الارض ينبوعاً ) وكأن غرضهم الوصول فـى مكة الى الينبوع للالتذاذ لالاتمام الحجة .

( اوتكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا ) وكأن غرضهم كالسابق وجود الانهار في مكة لالتذاذهم ، وانها لوزالت بالتكذيب يحملون وجوده على السحر ، ولولم تزل بالتكذيب بلغوا الى مراداتهم .

( اوتسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ) اى كون السماء غير الهواء انما هوعلى زعمك .

( اوتأتي بالله والملائكة قبيلا ) وكان السابق مقروناً بما مضى وقدمضى الكلام فيه حيث قالوا نحمله على السحرواما استدعاء ذلك لان يكون اقداماً على خلاف معتقده فانه ﷺ يقول ان الله محيط ومعكم ولكن لاترونه بالابصار فاتيانه والملائكة حوله خلاف ذلك .

(اويكون لك بيت من زخرف) اى الذهب فيلتذّون بالمال الدنيوى لان من كان بيته من الذهب فكل شيءله كذلك.

(اوترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك) اى نقول يكون سحراً ( حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ) اى تصرف فينا ايضا حتى نصير عالما بذلك الكتاب فانهم كانوا اميّين .

(قل سبحان ربى) اى منزه ويكون في عين التنزيه مربيا(هل كنت الابشراً رسولا) اى اللازم علّي اتمام الحجة عليكم حتى تعلمون انى رسول من قبل الله ، وقداتممت عليكم الحجة ، والزايد عليها يكون عليكم وبالا و وزراً كما قد سبق آنفا في الايات السابقة ، ان كان الله عالما بعدم ايمانكم اذ الغرض حينئذ ينحصر الى التعذيب ، وان راى فيكم الخير يهديكم بافاضة الرحمة ، وزوال العناد حيث لاتحتاجون الى اتمام الحجة .

وقد ظهر بحمدالله كون تمام الايات المذكورة مطابقة مع العقل بعضها وغير مخالفة للعقل بعضها الاخر، والله الهادى.

قوله تعالى: ﴿ومامنع الناس ان يؤمنوا اذجائهم الهدى الاانقالوا أبعث الله﴾

﴿بشرا رسولا (٩٤) قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من﴾
﴿السماء ملكا رسولا (٩٥) قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم انه كان بعباده خبيراً﴾
﴿بصيراً (٩٦) ومن يهدى الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه﴾
﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً مأواهم جهنم كلما خبت﴾
﴿ زدناهم سعيرا (٩٧) ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما﴾
﴿ورفاتا انا لمبعوثون خلقاً جديداً (٩٨) اولم يروا ان الله الذى خلق السموات﴾
﴿والارض قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لاريب فيه فابى الظالمون﴾
﴿الا كفوراً (٩٩) قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى اذاً لامسكتم خشية﴾
﴿الانفاق وكان الانسان قتوراً (١٠٠) ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فسئل﴾
﴿بني اسرائيل اذجائهم فقال له فرعون انى لاظنك يا موسى مسحوراً (١٠١) قال﴾
﴿لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وانى لاظنك يا﴾
﴿فرعون مثبوراً (١٠٢)﴾ .

اى كم يمنع الناس من قبول الهداية بعد مجيىء الهداية اليهم واتمام الحجة الااظهارهم وقولهم ان البشر ، هل يمكن رسالته اى لايمكن ، فان الداعى لهم على هذا القول الكبر والحسد على ما يكون من نوعهم فما نعهم الحسد والكبر .

( قل لو كان فى الارض الخ ) اى ما تظهرون انه مانع من الرسالة يكون شرطا لها وهى المثلية والسنخية ، فان الرسول لابدان يكون مرتبطا مع من ارسل اليه ، حتى يرونه ، ويتكلمون معه ، ويسئلون عنه ، ويجيبهم وقد مضى انه يشترط فيه الطرف العالى ايضا حتى يأخذ من الله .

( قل كفى بالله شهيداً الخ ) اى الله حاضر وكفى حضوره بينى وبينكم ، وهو الخبير البصير وهو يعلم صدق ماذكرت من اشتراط التماثل واعطـائه العقل وحكم العقل على ذلك يكون دليلا .

( ومن يهدالله فهو المهتد ) اى يؤثـّر فيه الهداية اذرأى الصلاح فى الايصال

بحيث لايخرج عن‌الاختيار ( ومن يضلل الخ ) اى لم يوصله الى الحق لاستلزامه عدم الاختياروالكره لو كان الغرض هوالظاهروالافلايمكن الابعد استعداده‌للقبول ( فلن تجد لهم اولياء من دونه ) اى‌الاصنام والالهة تنقطع ولايتهم بحسب‌انظارهم ايضا ، ونحشرهم يوم‌القيامة على وجوههم اى‌منكبة عليها بدون‌البصر لدرك‌الحقائق والسمع لاستماع اصوات الملكوت واللسان للتكلم بالقرآن ، فهم اعمى من‌رؤية النور ورشحاته والاصم من‌استماع مافيه الكمال يحصل والابكم من‌اداء مافيه‌الخير ( مأويهم جهنم ) لصيرورة ذواتهم مناسبة له ( كلما خبت ) اى خمدت لتمامية الاشتعال من بعض الجهات ( زدناهم سعيراً ) اى لهبه من الجهة الاخرى .

( ذلك ) اى‌الدوام (بانهم كفروا بآياتنا) اى‌بالوسائط وحججهم (وقالواالخ) اى انكار هم المعاد كما سبق قريباً فلا نعيد .

( اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم) اى مثل ابدانهم ، ووجه اطلاق المثل ، ان نظر الكفار كان مقصوراً على البدن ولايلتفتون الى الروح اوقد سمعوا من النبى ﷺ ان الروح يكون باقيا .

فتعجبهم وانكارهم لخلق البدن بعدتفرقه وعود الهيئة فى‌المادة المخصوصة بعد تفرق الهيئة يكون مثلا بالنظر العقلى ، وبنظر العرف يكون عينا ، فالمادة هى العناصر الدنيوية ، وحصل الاجتماع والاتحاد مع النفس بالحركة الجوهرية بعد التفرق والانفصال من البدنية ، والمراد بالمثل ذلك اى‌الله قادر على الجمع ، وجعل المجموع من مراتب النفس حتى يصير بدنا كما حققنا المطلب عن قريب مضى .

( وجعل لهم اجلا لاريب فيه ) اى امداً لايغيراى الدوام ولايريب فيه‌الاحد لصيرورة البصر حديدا فى تلك الدار ( فابى‌الظالمون الا كفوراً ) اى كفراناً لكون المطالب عقلية وقد فوتت العقليات على انفسهم .

(قل لوانتم تملكون خزائن رحمة ربى اذاً لامسكتم ، خشية الانفاق) اى من

باب قصور نظركم على الدنيا و الظواهر لم تكونوا ناظرين الى المبدء ، وانـه لانفادله ، بل تزعمون ان تلك الخزائن بصورها الفعلية الموجودة تفنى بالانفاق والاعطاء ، فتمسكونها ولكنّ العقلاء ينظرون الى الغيب والمبدء ولانهاية الفيض فلايخشون من الانفاق فى سبيل الله .

( وكان الانسـان قتوراً ) اى بخيلا لولا شمول الرحمة الالهية و توجيهه الى الله فمن حيث الذات الفاقدة لاجهة فيه للاعطاء ، وبافاضة الله صفة الجود عليه يخرج ويتحرك من النقص الى الكمال .

(ولقدآتينا موسى تسع آيات بينات) وهي‌اليد البيضاء ، والعصا، والطوفان، والجراد ، والقمل ، والضفادع، والدم، والطمس ( ١ ) اى محو صورة اموالهم ، والسنين وهو القحط او نقص الثمرات (فاسئل بنى اسرائيل) اى منهم (اذجائهم) اى موسى .

(فقال‌له فرعون) : ماقال من المسحورية والمغلوبية على‌العقل، وقول‌موسى له بانك تعلم ان نزول هذه الاشياء من قبل الله من باب الاعتبار واخذ العبرة ، و لكنك من باب العناد لاتأخذ بالحق فتكون هالكا .

وقد ظهر مما ذكر ناهنا و سابقا كون الايات المذكورة اكثرها على طبق العقل ، والبقية غيرمخالفة له ، والله الهادى.

قوله تعالى ﴿فاراد ان يستفزهم‌من الارض‌فاغرقناه ومن معه جميعاً (١٠٣)﴾ ﴿ وقلنا من بعده لبنى اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الاخرة جئنابكم ﴾ ﴿لفيفاً (١٠٤) وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما ارسلناك الامبشراً ونذيراً(١٠٥)﴾ ﴿ وقرآنا فرقناه لتقرأه على‌الناس على‌مكث ونزلناه تنزيلا(١٠٦ ) قل آمنوا به﴾ ﴿اولا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم‌من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان‌سجداً﴾ ﴿(١٠٧) ويقولون سبحان ربنا ان كان‌وعد ربنا لمفعولا (١٠٨) ويخرون‌للاذقان﴾

(١) الطمسة : هى دعاء موسى وتأمين هرون (مجمع البيان)

﴿ يبكون ويزيدهم خشوعاً (١٠٩) قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياً ماتدعوا ﴾
﴿ فله الاسماء الحسنى ولاتجهر بصلوتك ولاتخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا ﴾
﴿ (١١٠) وقل الحمدلله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ولم ﴾
﴿ يكن له ولى من الذل وكبره تكبيراً (١١١) ﴾ .

اى (فاراد ان) يخرجهم (من الارض) اى ارض مصرويتحرك بهم فاغرقناه واتباعه جميعاً (وقلنا لبنى اسرائيل اسكنوا الارض) اى ارض الشامات .

(فاذا جاء وعد الاخرة) اى يوم القيامة (جئنابكم) وبفرعون و اتباعه مجتمعة وملتفة لكون القيامة يوم جمع الجمع وان الاولين والاخرين لمجموعون الى يوم الوقت المعلوم لكون ذلك اليوم كالوعاء للثابتات والعلل وتمام المعاليل وماهى كالوعاء لها حاضرة فى العلة وماهى وعائها .

(وبالحق انزلناه) اى بالنحو الثابت المطابق للواقع الواجد للغاية العقلائية انزلنا القرآن (وبالحق نزل) اى قبل النزول الكذائى ، أو أمرنا بنزوله فقبل واطاع ونزل لكونه من الحقائق العالية او بمصاحبة الحق اى الخير نزل ( وما ارسلناك الامبشراً) بتكميلك وارتفاع النقائص بانذارك فانت المكمل الرافع للنقائص (ونذيراً) اى باتمامك الحجة على ما بشرت به وانذرت منه .

(وقرآنا فرقناه) اى فرقنا القرآن فالفعل محذوف، وذلك بينه اى نزلنا عليك القرآن بالتدريج ، والتفرق فى مدة ثلاث وعشرين سنة .

و قد ذكرنا سابقاً ان مراتب النزول مختلفة و هذا المطلب اى الفرق كان للنزول على سمعه الشريف كصلصلة الدراى ، واما النزول على قلبه فكان فى ليلة القدر باجمعه (اناانزلناه فى ليلة القدر)(لتقراه على الناس على مكث) اى على التدريج حتى يفهموا ويتأملوا وهذا دليل على ان ما يكون للتكميل اى تكميل الغير، يكون كذلك ، لاما كان لتكميله ﷺ وهو النزول على قلبه .

(ونزلناه تنزيلا) اى نحواًوقسماً خاصاً من التنزيل وقد ذكرناالنحو الخاص

(قل آمنوابه اولاتؤمنوا) اى ليس علىّ شيء ونقص وهو فى مقام التهديد.

(ان الذين اوتو العلم من قبله) اىقبل نزول القرآن علىالسمع من مؤمنى اهل الكتاب (اذا يتلى عليهم) اى القرآن (يخرون) اى يقعون (للاذقان) سجدا اى يضعون اذقانهم على الارض .

(ويقولون سبحان ربنا) اىينزهونالله ويتصفونه بالربوبية (ان كان وعد ربنا لمفعولا) اى انه كان وعدالله واقعاً وقد انبأ فيالكتب السابقة عن ارسالذلك النبى مع القرآن ووفى بعهده .

(ويخرون للاذقان يبكون) اى يكررون السجود ويحصل لهم البكاء شوقاً وخوفاً (ويزيدهمخشوعاً) اى تذللا لله تعالى(قلادعوالله اوادعوا الرحمن)اىتعدد الاسملايضر والشرك هوتعددالمسمى والتعبير عنالذاتالواحدة بالالفاظوالمفاهيم المختلفة الناشئة من حدودكم، لاضيرفيه اذ تعلمون بانه غير محدود والاسم علامة وامارة لفهمكم (اياما تدعوا) اى اىّاسم من اسماء الله اذا دعوت به يكون حسناً فان (له الاسماء الحسنى) اى للمسمى .

(ولا تجهر بصلاتك) اى بحيث يسمعها المشركون من البعيد فتسبوك (ولا تخافت بها) اىلاتقرأها سراً بحيث لاتسمعها اصحابك (وابتغ بين ذلك سبيلا) اى اطلب التوسط .

(وقل الحمدلله الذى لم يتخذ ولداً) اى اظهر ان كل الكمال لله ، فلايكون ناقصاً حتى يفتقر الى الزوجة او ينفصل جزء منه و يصير له الولد ( و لم يكن له شريك فيالملك )اى فى السلطنة ، فانتمامالموجودات منتهية اليه تعالى،لاستحاله كون الربط بما هو ربط حافظاً للغير ومستقلا فى الانانية.

( و لم يكن له ولى من الذل ) اى من يتلو تصرفه تصرفالله، اى المعاون الذى ادنى من الشريك، ولكنه مفتقر اليه اى لايكون لله من جهة نقصه و ذله ذلك المطلب ، و انما وليه واوليائه من باب فقرهم الىالله، وزوال انا نياتهم، و اندكاك

وجوداتهم، فتظهر صفات الله فيها بفضل الله (و كبره تكبيراً) ای اتصفه وعظّمه نحواً خاصاً من التكبير ، و هو اللايق بحالك حيث تفنى فترى الذات ، و تجلياته و فناء الكل في الذات وانه لا هو الاهو ولا اله الاالله ولاحول ولاقوة الابالله.

وقد ظهر بحمدالله عدم كون الايات المذكورة مخالفة للعقل، والله الهادى

وقد فرغت يوم الجمعة المطابق للسابع والعشرين اوالثامن والعشرين

من ذى حجة الحرام من عام ١٣٣٦ في قاضى كوى من

اسلامبول مع استماع الاخبار الموحشة و تشتت

البال و تأثير الغربة غاية الامر و نحمدالله

على كل حال و انا الراجى

**نور الدين الحسينى العراقى الايرانى**

من بلدة سلطان آباد

# سورة الكهف (١٨)

مكية

الا آية (واصبر نفسك)

فمدنية

وهي مأةواحدى عشرة آية(١١١)

كتبها في قاضي كوي من اسلامبول

السادس من المحرم

عام ١٣٣٧

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الحمدلله الذى انزل على عبده الكتاب ولم‌يجعل‌له عوجاً (١) قيّما ﴾
﴿ لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم﴾
اجراً حسناً (٢) ماكثين فيه ابداً (٣) وينذرالذين قالوا اتخذالله‌ولداً (٤) مالهم به﴾
﴿ من‌علم ولالابائهم كبرت‌كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا (٥) ﴾
﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان‌لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفاً (٦) اناجعلنا﴾
﴿ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا (٧) وانالجاعلون ما عليها﴾
﴿صعيداً جرزا (٨) ﴾ .

(الحمدلله) قد مضى الكلام فيه، والجملة (اما) خبرية اذاكان المراد الكشف عن الموطن وهوالواقع واما انشائية ان لم‌يكن المراد الكشف عن الواقع ، بل ايجاد العنوان الثانوى بهذا الكلام والجمع بينهما غيرمعقول‌وجمع بين النقيضين.

(الذى انزل على عبده) قد سبقت حقيقة النزول و الضمير راجع الى الله ، فهو ﷺ عبدالله اى الفانى فى المستجمع لتمـام الكمالات، والفناء بهذا اللحاظ بسبب شهودا شراق كل الصفات الكمالية و هولايحصل الا بالسريان فيه ﷺ اذ ليس المراد المبصربالحس الجسمانى و (الكتاب)هوالثابت، وهواللوح‌المحفوظ وأحد مراتب نزوله ، بعض مراتب القرآن .

(ولم يجعل له عوجاً) اى للكتاب المنزل اذالمنسوخات القليلة منه ايضافيها الصلاح موقتة ، فلاعوج فيه اى فى مطالبه ، أما استقامة عقائده والعلوم المنفجرة منه فتكون واضحة عندالعقلاء ، وكذلك الاخلاق الحسنة والاحكام المستكشفةمنه ثابتات مع المصالح وبعضها موقتات .

( قيما ) اى حافظا لاستقامة ما ينشأ منه من باب ان الله يحفظه و حفظه سبب لبقاء مطالبه و بقاء المطالب ببقاء الاثار و الالتفاتات اليها وحينئذ فبتذكر القرآن يحفظ الاثآر الحقة .

( لينذر بأساً شديداً من لدنه ) اى انزله لاجل الانذار بالبأس الشديد ، وهو عذاب الاخرة وذكر العذابات الدنيوية أيضا بلحاظ كونها امارات على العذاب الاخروىعلى حسب مايستفادمنه .

وحيث ان ذلك البأس الشديد لايكون بلحاظ الوسائط البعيدة التى لاتكون فانية ، بل لعظمته ( اما ) تكون صادرة بلا واسطة ( او ) مع الواسطة الفانية التى ، فعلها فعل الله فهذا البأس يكون من لدن الله .

(ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجراً حسناً) اى ولاجل بشارة المعتقدين ، (من) حيث الذات اذا صارالعلم حضورياً لهم وحقيقة ذاتهم (ومن) حيث الصفات فى العلوم البرهانية الحصولية ، الفاعلين للاعمال الصالحة بالاجر الحسن بمراتب الحسن الذاتى والصفاتى والاثارى كل واحد بلحاظ كل واحد (ماكثين فيه أبداً) اى فى الاجرالحسن ، وهوالجنة وفوقها أوالجنة بمراتبها جنة الافعال والصفات والذات وهى لقاء الله والوسائط .

(وينذرالذين قالوا اتخذالله ولداً) اىولينذرهذه الطائفة بالخصوص لحدوث هذه الطائفة بحسب الغلبة بعد زمان المسيح عليه السلام وأول الكتاب بعده هو القرآن ، فاختص من بين سايرالكتب بانذارهذه الطائفة ، وبطلان ذلك القول قد ذكرمراراً من قبل العقل .

( مالهم به من علم ولا لابائهم ) اى مايتكلمون به لايفهمون معناه ، اذ (لو) قالوا بالجسم ، وان الله قد زوج مريم ودخل بها وحصـل منهـا المسيح فخرافته ممالايخفى ، (ولو) لم يقولوا به بل كان المراد من الولد أن الله أوجده ، فكل وجود يكون الله جاعله ، (وان) توهموا ان لشدة الحب جعل الاسم هو الولد ، فالحب لاينحصر به ومحض التسمية لايكون فيه مزيد اهتمام (وان) كان مرادهم الفناء والعبودية فهو غير الابنية ولاتنحصر ايضاً .

والحاصل ان صورة البرهان ايضاً لاتكون لهم فضلا عن البرهان الموجب للعلم .

(كبرت كلمة) اى كبر ذلك القول من حيث كلمتيه واعرابه ، اذ هو معرب عن النقص من الجسم وشبهه أو السفه فى الاختصاص بمايوجب الاغراء بالجهل (تخرج من افواههم) اى تلك الكلمة اللفظية ايضا كبرت لكشفها فضلا عن الاعتقادات القائمة بالاشخاص على طبقها (ان يقولون الا كذباً) اى المتصف بخلاف الواقع من تمام الجهات .

(فلعلك باخع نفسك) اى مهلك لنفسك من الغم (على آثارهم) اى على الافعال الصادرة منهم من التولى والاعراض (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) اى بطلان اتخاذ الله الولد اولم يؤمنوا بانذاراتك (اسفا) اى من باب التأسف عليهم والحزن الحاصل لك من عدم تكميلك اياهم وعدم بلوغهم الى مرتبة الكمال لشدة حرصك على ايمان الناس وحصول الكمال لهم .

( انا جعلنا ماعلى الارض زينة لها لنبلوهم ايهم أحسن عملا ) اى لاتحزن ولاتتأسف لان غرضنا الابتلاء وتميز من يحسن عمله من غيره ، فالمراد هو الوصفى من لفظ (احسن) من باب المقام اى الغرض وصول كل قوة واستعداد الى الكمال فالشقى يوصل نفسه باختيـاره الى الشقاوات ، والسعيد يوصلهـا باختيـاره ، الى الكمالات ، فليس عليك الا البيان واتمام الحجة .

و(انا لجاعلون ماعليها صعيداً جرزا) ای مکسوراً ولانبات لها ای زينة الارض تزول ، والاشياء تتكسر ، والنباتات تتفرق ، والجزاءات تحصل بالانتقال الى دار اخرى لحركة الارض اليه اى الى العالم الاخر.

وحيث انه قد أقمنا البرهان على الجميع ، فلانطيل بالاعادة .

وقد ظهرهنا ومماسبق مطابقة الكل مع البراهين العقلية ، والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿ ام حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا ﴾
﴿عجباً (٩) اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا﴾
﴿من أمرنا رشدا (١٠) فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا (١١) ثم بعثناهم﴾
﴿لنعلم اى الحزبين احصى لما لبثوا أمدا (١٢) نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم﴾
﴿فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى (١٣) وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا﴾
﴿رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذاشططاً (١٤) هؤلاء﴾
﴿قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بيّن فمن أظلم ممن افترى﴾
﴿على الله كذبا (١٥) واذ اعتزلتموهم ومايعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم﴾
﴿ربكم من رحمته ويهيئى لكم من امركم مرفقا (١٦) وترى الشمس اذا طلعت﴾
﴿تزاورعن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه﴾
﴿ذلك من آيات الله من يهدالله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا﴾
﴿ (١٧) وتحسبهم ايقاظاً وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم﴾
﴿باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً﴾
﴿ (١٨) وكذلك بعثنا هم ليتسائلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا﴾
﴿يوماً او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى﴾
﴿المدينة فلينظر ايها ازكى طعاماً فليأتكم برزق منه وليتلطف ولايشعرن بكم﴾
﴿احداً (١٩) انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم اويعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا﴾
﴿اذاً ابداً (٢٠) .

( ام حسبت اناصحاب الكهف ) اى الغار الذى فى الجبل الذى دخلوا فيه ( والرقيم ) اى المرقوم ، وهو اللوح الذى رقم فيه اسماؤهم وانسابهم واحوالهم على ما قيل ( كانوا من آياتنا عجبا ) اى أزعمت ان امر هؤلاء من بين سـاير الامور كان عجبا ؟ والكشف عن ذلك كان أعجب من سايرالايات اى ليس الامر كذلك ، فان كل الايات عجيبة لولا قدرة الله وبلحاظ القدرة على حد سواء .

( اذأوى الفتية الى الكهف ) اى سكنوا وحلوا فى الكهف وجعلوه مأوى لهم بالدخول فيه ( فقالوا ربناآتنا من لدنك رحمة ) اىاعرضوا عن الخلق وطلبوا الرحمة من الله فكأنهم اخذوه وطنا ليعبدوا الله فيه ( وهيئى لنا منامرنا رشداً ) اى هيئى الصلاح والرشد فىامرنا لنا ، بانتكون صاحب البصيرة فىامورنا منحيث الكمالات النفسية .

( فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عدداً ) اى ضربنـا الحجاب عن الاستماع على آذانهم فهم لايسمعون اىسلطنا عليهم النوم فى الكهف سنينعديدة فنا موافيه فى السنين ( ثم بعثناهم ) اى ايقظنـاهم من النوم ( لنعلم اى الحزبين احصى لما لبثوا امداً ) اى ليحصل العلم الحضورى الفعلى فى سجـّل الكون لنا .

وقد ذكرنا سابقا ان لعلم الله مراتب (علم) غير محدود بحد العلم ، وهو عين الذات ، والاشياء حـاضرة لديه بالحضور الاجمالى الذى فى عين الكشف التفصيلى ، وهو السابق على الوجودات العينية .

( وعلم ) وصفى فى مرتبة الصفـات والفيض الاقدس ، وهو ايضـا يكون سابقا على الافعال .

( وعلم ) هو عين الفعل المطلق وهو مع كل شيء عينه وهوالوجود المنبسط والاضافة الاشراقية .

( وعلم ) هو عين الافعال المقيدة من الجبروت بقسميه والملكوت ، وفى هذه المرتبة ايضا يكون العلم بالاشياء قبلها تقدم العلة على المعلول .

(وعلم) عين الافعال الكونية والموجودات فى عالم الكيان ، وهو الموجود مع وجوداتها ، وهذا العلم حادث مع حدوث الموجودات، وان شئت فسّم هذه الدرجة بدرجة التعلق او المراد حصول العلم للملائكة القدرية ولفنائهـا نسب الله الى نفسه .

والمراد بالحزبين على الظاهر،الاكمل والكامل والثـانى قد عينوا مقدار اليوم اوبعضه ، والاول لم يعينوا ووكلوا علمه الى الله فلاجل هذه الشرافة للثانى وعدم الجزم على خلاف الواقع للاول وقع الكمال لهما ، وهذا الكمال بلحاظ كمال الايمان ففائدة بعثهم ذلك الامر ( او) المراد بالحزبين ماحصل فى البعد من التعيين الى ثلاثمأة سنين وتسعاً وغير المعين لذلك .

(نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية) اى الشباب (اما) فى اسنانهم اوفى القوة اى قوة ايمانهم (آمنوا بربهم) اى اولا (وزدناهم هدى) اى ثانياً (وربطنا على قلوبهم) اى قوينا ( اذ قاموا ) اى فى قبال قومهم المشركين .

(فقالوا ربنا رب السموات والارض) اى الجسمانيات منهما او كل عـال وسافل (لن ندعو من دونه الهاً لقد قلنا اذا شططا) اى امرا لا واقع له ويكون شططا وبدون معنى صحيح، وجزافاً من الكلام وهو خلاف العقل .

(هؤلاء قومنـا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين) اى لو كانت الالهة متعددة فى الواقع لكان اللازم اعطائهم البرهان على امكان ذلك ، بل وقوعه ، ولو اعطاهم لبينوا لنا برهانهم وسلطانهم ، فعدم اعطائهم البرهان ، بل كون البرهان العقلى على الخلاف كمامر مرارا ، يدل على عدم تعدد واقعى فى الالهة .

(فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) وحينئذ فاى احد اظلم من هؤلاء المفترين على الله باد عائهم الامر العظيم بدون برهان ،بل كون البرهان على خلافهم ، وعدم ذكر ذلك للمماشاة والاستغناء .

(واذ اعتزلتموهم) اى كانت تلك الكلمات بينهم فقالوا بعد اعتز الكم عن هذه الجماعة (وما يعبدون من دون الله) فاسكنوا فى الكهف والمراد به الجنس ، او كهفا معهودا بينهم يعبدون الله فيه سابقـا ايضا (ينشر لكم من رحمته) اى اذا فعلتم ذلك فالله ايضا ينشر عليكم رحمته ، (ويهيىء لكم من امركم) مـا يكون فيه الرفق والمداراة معكم من دون ضيق عليكم .

(وترى الشمس اذا طلعت تزاور عـن كهفهم ذات اليمين) اى تميل عـن كهفهم جانب اليمين اى تتحرك الشمس نحو اليمين ، ولعل بـاب الكهف مقابل لبين المغرب والجنوب ، والشمس حال الطلوع فى جانب الشمال وتتحرك وتميل نحو اليمين .

(واذا غربت تقرضهم ذات الشمال) اى فى حال الغروب تفارق عنهم جانب الشمال اى مكانهم فى وسط الكهف ، ولاتصل الشمس اليهم ، وتفارق عنهم جانب الشمال اى تكون من الشمال باقيا لكون البـاب بين المغرب والجنوب ، فحال الغروب يكون الشمال باقياً هذا ان لوحظت الشمس وان لو حظت الظل فالباب بين الشمال والمشرق (وهم فى فجوة منه) اى مكان متسع من الكهف فيرد عليهم النسيم والبرودة (ذلك من آيات الله) اى حفظهم فى المدة الطويلة على الصفة المذكورة .

( من يهدى الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا ) اى لايؤثر هداية من لم يرد الله هدايته وأراد اضلاله وحقيقة المعنى، وسببها قد مضى مكرراً فلانعيد .

( وتحسبهم ايقاظاً ) اى لاجل عيونهم حيث ينظرون أو ساير العلامات من الحركات (وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) اى(اما) بتوسيط الملك (او) نحو تقلب النائم (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) اى بفناء الباب (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً) اي من حيث بشريتك لامن حيث الولاية والاحاطة والامامة .

ولعل الرعب منهم (اما) لكون ظهورهم من امارات القيامة ، فالرعب منهم لكونهم كاشفين بذواتهم (او) ان بقائهم بهذه الحالة من امارات قدرة الله والانتقال الى الساعة (او) ذلك من خواصهم لئلايقدم احد على الاطلاع من حالهم .

(وكذلك) اى مثل النائم الذى كاليقظان (بعثناهم) اى نبهناهم (ليتسائلوا بينهم) وليلتفتوا فبعثوا بالورق وهى الفضة وأرادوا شراء الطعـام وأرادوا اخفـاء امرهم خوفا من رجمهم أواعادتهم فى ملتهم .

وقد ظهر مماسبق عدم استحالة شىء من ذلك فلاتكون مخالفة للعقل .

واما كون القضية من الظواهر أوالمرموزات ، فكل منهما محتمل والجمع بينهما ايضا يكون ممكنا .

وكون المراد من الفتية آدم ونوح والخليل وموسى وعيسى صلوات الله عليهم اجمعين ومحمد ﷺ وكون الكهف شرائعهم ورقودهم غيابهم عن عالم الملك وحصول الالتفات لهم به وحفظ أبدانهم حفظ الشريعة للاخر منهم لبشارتهم به ، ففى الحقيقة شريعته ، شريعة الكل ، وكون الباب بين الجهتين كناية عن الاعتدال وكون كلبهم باسطا ذراعيه فى فناء دارهم هوالانذار عن مخالفتهم فلاجل خوف النفوس يتمثل لهم بالصورة الكذائية وحيث أن ذلك بلحاظ الخلافة والنبوة فالرعب الحاصل له صلى الله عليه وآلـه بلحاظ البشرية لايكون عجبا كما ذكر بعض اهل التحقيق ، من الامور ( ١ ) ، الممكنة التى لا نعلم مأخذها ، فان العلم بالمأخذ يحصل لنا اذا وصل الينا من اهل البيت عليهم السلام شيىء من ذلك فى هذا الباب من الاخبار ، والان اكون فاقداً لتمام الاسباب خصوصاً اخبار أهل البيت وآثارهم، والله الهادى .

قوله تعالى ﴿وكذلك اعثرنـا عليهم ليعلموا ان وعدالله حق وان الساعة﴾ ﴿لاريب فيها اذيتنا زعون بينهم امرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال﴾

---

(١) قوله قده : من الامورخبر لقوله قده : وكون المراد من الفتية الخ .

﴿الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجداً (٢١) سيقولون ثـلاثة رابعهم﴾
﴿كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم﴾
﴿كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم مايعلمهم الاقليل فلاتمار فيهم الامراء ظاهراً ولاتستفت﴾
﴿فيهم منهم احداً (٢٢) ولاتقولن لشئي اني فـاعل ذلك غداً (٢٣) الاان يشاء الله﴾
﴿واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشداً (٢٤)﴾
﴿ولبثوا في كهفهم ثلاث ماة سنين واز داد واتسعا (٢٥) قل الله اعلم بما لبثوا له﴾
﴿غيب السموات والارض ابصر به واسمع مالهم من دونه من ولي ولايشرك في حكمه﴾
احداً (٢٦) .

(وكذلك اعثر ناعليهم) اى كما بعثناهم لتكميل نفوسهم في امر القيامة كذلك اطلعنا غيرهم عليهم (ليعلموا انوعدالله حق وان الساعة لاريب فيها) اى لنكمّل غيرهم ايضا في امر القيامة بهذا الاطلاع، فان (المطلع) على ان الله قد حفظهم في المدة الطويلة من دون الطعام والشراب ، والالتفات الى تحفظ نفوسهم بل ابقاهم من دون توسط الاكل والشرب وتحفظ احدلهم يحصل(١) له العلم، بانهذا المطلب لامر عقلائي، ولقدرة تامة، والامر العقلائي هنا حصول العلم بعالم آخر فوق ذلك العالم، وان المقصد الاصلي الوصول اليه على نحوالكمال، وغير ذلك من الامور الدنيوية، لاتصلح لكونها غاية لهذا الرقاد الطويل والتقليب من قبل الله الى اليمين والشمال، فـاذا كـان الامر العقلائي للايصال الى الاخرة والقدرة التامة حاصلة ايضا فيحصل العلم بالساعة لكون الفياض موصلا الى الكمال مع القدرة وله القدرة فالبعث في القيامة يكون حاصلا .

(اذيتنازعون بينهم امرهم) اى ليعلموا حين التنازع في امرهم بعد الاطلاع عليهم ثبوت القيامة واز دياد ايمانهم بها، فـان الناس بعد الاطلاع على حالاتهم جاؤا للاستكشاف، وبعد دخول الخارج منهم في الكهف عادوا الى ماكان فحصل

---

(١) قوله قده : يحصل له العلم خبر اقوله قده : المطلع الخ.

التنازع فى اخراجهم اوابقائهم على حالهم، فاتفقوا على بناء المسجد .

ومحل السجودلله عليهم اما فى باب الكهف (او) فوق الكهف .

(فقالوا ابنوا عليهم بنياناربهم اعلم بهم)اى قالوا انرب هؤلاء اعلم بحالهم لنا (قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجداً) والمراد من الغالبين (اما) الظافرين على الاطلاع اولا اواكثر المجتمعين اوجماعة ممن لهم القدرة والغلبة على الباقى (سيقولون) اى فى زمان النبى ﷺ ان عددهم(ثلاثةرابعهم كلبهم) الى قوله تعالى (قل ربى اعلم بعدتهم) اىالله اعلم.

وقد ذكروا ان ذكر الرجم بالغيب فى الاولين دونالاخير يدل على اختيار الاخير ، والاولان للنصارى من اهل نجراناومطلق النصارى والاخير منالمؤمنين و لكن لفظ (الله اعلم) يدفع الاخير ايضا على التعيين .

ثم ان عدم تعيين الله لعددهم يحتمل ان يكون لاجـل عدم نفع معتد به فى التعيين الاانه يوجب الجدال فى القول مع النبى و انجرار الامـر الى استدعاء اقامة البرهان على صدق ذلك من المعجزات اوعلى نحوالمباهلة ، فحيث لميكن من قبيلالكلام فى المسيح عليه السلام اوسايرالامور العظام ، فالاهتمام فيه ليس فى محله ويحتمل انيكون للاطلاع دخل فى اسرار الساعة .

(مايعلمهم الاقليل) ونقلعن ابنعباس انه قال انا منالقليل (١) وعلى فرض الثبوت يكونعلمهمأخوذاًعنعلىاميرالمؤمنين عليه السلام لكونهمناصحابهوتلامذته(فلاتمار فيهم الامراء ظاهراً) اىلاتجادل الاجدالا واضحا حقيته ، وهوالقول بان الله أعلم اذهومسلم الكل ، وغيره فيه الفساد كما سبق .

(ولاتستفت فيهم منهم احداً) اىلاتقل ان رأيكم وظنكم تعلق بـاى شيء اذ

---

(١) فى مجمع البيان (فى تفسير هذه الاية : الا قليل من الناس عن قتادة ، وقيل، قليل من اهل الكتاب عن عطا. وقال ابن عباس : انا من ذلك القليل هم سبعة وثا منهم كلبهم والا ظهر ان يكون عرف ذلك من جهة النبى صلى الله عليه وآله وسلمانتهى.

يحملونه على جهلك مع انك العالم .

(ولاتقولن لشيء انى فاعل ذلك غداً الا ان يشاء الله) اى مقيداً بمشية الله ، فانه ليس من شأنك الانانية ، و تدرى ان منتهى الامور و فاعل الجميع بالاخرة ، هوالله فلابد من التقييد بمشيةالله (واذكر ربك اذانسيت) اى بعد فنائك عن نفسك و نسيانك لذاتـك توجه الى الله ، اى التوجه التام الذى هو قرة عينك اوالمراد بالنسيـان هو الترك للتشابه ، اى اذا تركت التقييد بالمشية فى اللفظ فتعلق به فى القلب .

(وقل عسى ان يهدين ربى لاقرب من هذا رشداً) اى اقرب من دلالة العلم بقصة الكهف على الرشد ، اى حجتى يكون اعظم و اقرب الى الرشد من العلم بهذا الامر .

(ولبثوا فى كهفهم ثلاث مأة سنين وازدادوا تسعا) اى بعضهم قال : بالاول حملا للسنة على الشمسية ، وبعضهم : بالثانى حملا على القمرية والتفاوت بينهما ماذكر (قل الله اعلم بما لبثوا) اى الواقع مكشوف عنده والفانى فيه علمه علم الله، فعلم النبى علم الله فى المقامين ، وعدم البيان على نحو الجزم للنكتة السابقة .

(له غيب السموات والارض ابصر به) اى بالله بالفناء فيه حتى يصير بصرك بصر الله فبصرت به (واسمع) اى به كما سبق ، وفيهما دلالة على ماذكرنا (مالهم) اى من اهل الكتاب اوالكفار (من دونه من ولى) اى بحسب الواقع الاانهم اختاروا الخلاف (ولايشرك فى حكمه احداً) اى يحرم الشرك فى حكمه على كل احد .

وقد ظهر مماذكرنا عدم دلالة الاية على انتساب جهل اونسيان الى النبى ﷺ وان تمامها اما على طبق العقل اوغير مخالف له: والله الهادى .

قوله تعالى: ﴿واتل مااوحى اليك من كتاب ربك لامبدل لكلماته ولن تجد﴾ ﴿من دونه ملتحداً (٢٧) واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى﴾ ﴿يريدون وجهه ولاتعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا ولاتطع من اغفلنا قلبه﴾

﴿عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا(٢٨)وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن﴾ ﴿ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين ناراً احاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا﴾ ﴿بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب و ساءت مرتفقا (٢٩) ان الذين﴾ ﴿آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضيع اجر من احسن عملا (٣٠)﴾ .

اى اقرء و اتل كل ما اوحى اليك من كتاب ناسخا كان او منسوخا ، فان المنسوخ قد تجاوزت مدة صلاحه لانه نسخت قرائته اذ لامبدل لكلمات الله لكونها تامة صحيحة مشتملة على الحكم والمصالح ، و لاتكون صادرة من باب الغلط او السهو حتى يبدلها الله و حينئذ فلابد من تلاوته ( و لن تجد من دونه ملتحدا ) اى ملجاء اى فاذا انحصر الملجأ اليه فلابد من تبليغ مايوحى فانه لاجل الايصال الى الكمال ولو من جهة القرائة فقط .

(واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) اى صباحا ومساء ولعله لاجل الكناية عن الدوام (يريدون وجهه) اى التقرب اليه تعالى وبقرينة المقابل يعلم انهم الفقراء (ولاتعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا) اى لاتتجاوز عيناك عن الفقراء على نحو تريد زينة الحيوة الدنيا ، وقد ذكرنا سابقا ان النهى عن الشيء لايدل على كون من تعلق اليه النهى مرتكبا وفاعلا للمنهى عنه ، فتوجه النهى عن شرب الخمر او الزناء لايدلان على تحقق الزناء والشرب ، وذلك واضح فلا يلزم ان يكون النبى ﷺ متوجها الى الاغنياء وصارفا عن الفقراء .

وعلى اى حال فينهاه من التعدى على هذا النحو ، ليدل على كون ذلك مبغوضا عند الله ، ليتركه كل من يريد ترك مبغوض الله ، فلسنا محتاجين الى القول بان غرض النبى ﷺ كان لتأليف القلوب وعاتبه الله من باب كونه خلاف الاولى الا ان يكون خبر صحيح دالا على ان الله عاتب رسوله ، وقد ذكر ذلك ان النبى مدحهم بان الله عاتبنى لاجلهم (١) ولم يكن الخبر عندى حاضراً لانظر فيه لفقدى

(١) فى مجمع البيان ج٣ فى تفسير هذه الاية :كان النبى صلى الله عليه وآله

تمام الاسباب .

( ولاتطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هويه ) اى لاتطع من لم يدخل تذكر الله في قلبه ويكون مطيعاً لهوى نفسه كالكفار الغافلين قيل ان عيينة استدعى من النبى ﷺ تبعيدالفقراء من اصحابه لكثافتهم فىزمان يرد ذلك الشخص واصحابه على النبى ﷺ لاجل استماع القرآن واراد النبى ﷺ ذلك حرصاً على زيادة المؤمنين ، فعاتبه الله ( وكان امره فرطا ) اى اسرافاً وتعديا .

(وقل الحق من ربكم) اى هذا القرآن هو الحق ومن قبل ربكم وهو الله ( فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ) اى لايضر الله ولاينفعه وهذا للتهديد (انا اعتدنا للظالمين) اى للمتعدين (ناراً احاط) بهم اى بالظالمين ( سرادقها ) اى ما يجعل حول الخيام من الشيء المحيط (وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل) اى كدردى الزيت اوكالصفر المذاب ( يشوى الوجوه ) اى يحرق الوجوه لشدة الحرارة ( بئس الشراب وساءت مرتفقا ) اى رفاقته ومداراته .

( ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ) اى لهم المثوبة لانا لانضيع اجر من عمل عملا حسناً لان شغلنا الافاضة والايصال الى الخيرات وقد اقمنا البرهان على جميع ذلك فلا نعيد .

وظهر من جميع ما ذكرنا عدم دلالة الايات من حيث هي على صدور ترك الاولى ايضاً من النبى ﷺ ولو ثبت ماورد فى الباب فلا يكون تركا للاولى ايضا ، لان الحرص على الايمان لايكون خلاف الاولى ، الا ان يحمل العتاب على معنى عال ، وهو ان المحب العال لايبعّد- ولوللصلاح- محب محبوبه عنه لاستشمام رائحة المحبوب منهم ، وهو غير ترك الاولى المتعارف عندنا .

---

* حريصاً على ايمان العظماء من المشركين طمعاً فىايمان اتباعهم ولم يمل الى الدنيا وزينتها قط ، ولا الى اهلها ، وانما كان يلين فى بعض الاحايين للرؤساء طمعاً فى ايمانهم، فعوتب بهذه الاية ، وامر بالاقبال على فقراء المؤمنين ، وان لايرفع بصره عنهم مريداً مجالسة الاشراف انتهى

فالايات المذكورة غيرمخالفة للعقل قطعا ، والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿اولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الانهار يحلون﴾ ﴿فيها من اساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين﴾ ﴿فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا (٣١) واضرب لهم مثلا﴾ ﴿رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً﴾ ﴿(٣٢) كلتا الجنتين آتت اكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالهما نهراً (٣٣)﴾ ﴿وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعزنفرا (٣٤)﴾ ﴿ودخل جنته وهوظالم لنفسه قال ماأظن ان تبيد هذه ابداً (٣٥) وماأظن الساعة﴾ ﴿قائمة ولئن رددت الى ربى لاجدن خيراً منها منقلبا (٣٦) قال له صاحبه وهو﴾ ﴿يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا (٣٧) لكنا﴾ ﴿هوالله ربى ولا اشرك بربى احداً (٣٨) ولولا اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله﴾ ﴿لاقوة الا بالله ان ترن انا اقل منك مالا وولداً (٣٩) فعسى ربى ان يؤتين خيراً﴾ ﴿من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السماء فتصبح صعيداً زلقا (٤٠) اويصبح﴾ ﴿ماؤها غورا فلن تستطيع له طلباً (٤١) واحيط بثمره فاصبح يقلب كفيه على﴾ ﴿ماانفق فيها وهى خاوية على عروشها ويقول ياليتنى لم اشرك بربى أحداً (٤٢)﴾ ﴿ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً (٤٣) هنالك الولاية لله﴾ ﴿الحق هو خير ثواباً وخير عقباً (٤٤)﴾ .

(اولئك لهم جنات عدن) اى المؤمنون العاملون للحسنات، لهم جنات عدن اى اقامة ويكون البقاء فيها على الدوام (تجرى من تحتهم الانهار ) اى الانهار في الجريان دائماً وهى واقعة تحتهم ، فان التحت ما به القوام لكونه اصل البنيان والجنة بنيانها على الماء ، ولاجل ذلك تكون دار الحيوة ودار الحيوان (و من الماء كل شيء حى) (١) وهو اثر العلم ونزوله .

---

(١) الانبياء - ٣٠ .

ولما انالايمان ـ وهى العقائدالحقة ـ علم وبلحاظ المتعلقات علوموآثارها الملكات والافعال ، فظهورها الجنات الجارية تحتها الانهار اوجزائها او كلاهما .

(يحلون فيها من أساور من ذهب) فانالمكتسبات بالايادى لهم تظهربصورة الزينة لليدوهى السوارفان زينة اليد تسمى سواراً وهذه الزينة من الذهب الخالص لخلوص الاعمال من الكثافات .

(ويلبسون ثياباً خضراً) اى المؤمنون بسبب ستر عيوبهم بالافعال والاخلاق ومشاهدة الغير كمالاتهم و زينتهم النفسانية المحيطة بأنفسهم ، تظهر كمالاتهم فى صورة اللباس الساتر للعورة والسوئة الذى يصير سبباً لازدياد حسنهم فى الانظار ويكون لون لباسهمأخضر، لان الخضرة بين السوادوالبياض، والاخلاق والافعال بين البدن والروح ، فظهور لونه يصير كذلك ( مـن سندس ) وهو الديباج الرقيق (واستبرق) وهو الديباج الغليظ لاختلاف الافعال والملكات ، ومناسبة بعضها مع الرقة ، وبعضها مع الغلظة (متكئين فيها على الارائك) اى السرر.

فكما حصلت السلطنة لهم على قواهم وهم من اهل التمكين على الصفات الحسنة والافعال بحيث تصدر الافعال منهم عن الشوق والصفات صارت لهم من الملكات ، وليست منالحالات العارضة، حصل لهم الاستقرار والتمكين لصورها العالية ويتكئون على السرر .

(نعم الثواب) اى هذه الوجودات مع كون افاضتها من الله تعالى على العبد بعنوان التعظيم واى شيء أحسن من ذلك ( وحسنت مرتفقا ) اى الجنة من حيث كونهابعنوان الرفقوالمداراة لكونها حية مختارة عاشقة للساكن فيهاوالمالك لها.

(واضرب لهم) اى للكفاروالمؤمنين (مثلا رجلين) فى مقام البدل اى المثل ذلك رجلين (جعلنالاحدهما جنتين) اى بستانين مملوين من الاشجاربحيث صارت الاشجارساترة عن الشمس (من أعناب) اى الاشجار اشجارالاعناب وهى الكروم (وحففنا هما بنخل) اى احاطت النخيل حـول اشجار الاعناب على نحو الكثرة

في الجنتين (وجعلنا بينهما زرعاً) اى انبتنا بين الجنتين زرعا له .

(كلتا الجنتين آتت اكلها) اى الجنتان آتت ولفظ كلتا مبتداء اضيف الى الجنتين ، والخبر ، لفظ (آتت) و(اكلها) تميز اى آتت من حيث ما يؤكل منهما اى الثمرة اى صار أوان ثمرتهما (ولم تظلم) اى لم تنقص (منه شيئاً) اى من الاكل اى الثمرة ، اذكان اول الموسم (وفجرنا خلالهما نهراً) اى اجرينا من الماء فى أواسط الجنتين ، وكان مبدأ الانفجار من الارض فى الجنتين (وكان له ثمر) اى كان لصاحب البستان انواع الاموال ، وقرء ابوعمروبفتح الثاء والميم مع تفسيره بما ذكر ، والمفرد حينئذ مع التاء ، وبدون التاء هو الجمع كتمر وتمرة ، وقرء بضمهما وبضم الاول وسكون الثانى ، والجميع يكون جمعاً، فبالضمتين ككتب ، وبضم الاول وسكون الثانى كبدن وهو جمع بدنة وهى البعير .

(فقال لصاحبه وهو يحاوره) اى يفاخره في القول (انا اكثر منك مالا واعز نفراً) اى الاقارب والعشيرة (ودخل جنته) اى احدهما مع ذلك الشخص ، اذالدخول فى كليهما في الآن الواحد غير ممكن ، وحيث لم يكن الغرض متعلقا بالخصوصية بل من حيث الجنتية لم يؤت بلفظ احدى الجنتين (وهو ظالم لنفسه) اى حال كونه طاغياً على الله ، وهو الظلم على النفس .

(قال ما اظن ان تبيدهذه ابداً) اى تهلك هذه الجنة (وما اظن الساعة قائمة) اى قيام يوم القيامة (ولئن رددت الى ربى لاجدن خيراً منها منقلبا) اى لا اظن على فرض قيام الساعة ان يكونلله خير من هذه الجنة ، فاجده ، وهو بمنزلة ان يقول : ما تطلبونه فى البعد اوتأمرونني بأن اطلبه يكون فى تصرفى فعلا ، فلا داعى لى على التكلف .

(قال له صاحبه) اى المؤمن الذى كان معه (وهو يحاوره) اى يجادله فى الكلام (اكفرت بالذى خلقك من تراب) اى استفهم توبيخاً والخلق من التراب لكون الاغذية التى تصير نطفة منه ( ثم من نطفة ، ثم سواك رجلا لكنا) اى لكن

انا اقول (هو الله ربى ولا اشرك بربى احداً ولولا) اى هلا وهو فى مقام اللوم اى هل لا يمكنك وقت دخول جنتك واعجابك منها (قلت ماشاءالله) اى ان تقول ماشاءالله كان (ولاقوة الا بالله) اى تمام الاستعدادات والقوى منه تعالى.

(ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربى) اى ان رأيتنى كذلك فارجو وهو جزاء (ان يؤتين خيراً من جنتك) اى يعطينى احسن منها (ويرسل عليها) اى على جنتك اى لكفرك وايذائك لى (حسبانا من السماء) اى صاعقة (فتصبح صعيدا) اى ترى فى وقت الصبح جنتك ارضـا املس ولاشىء فيها من الاشجار (زلقا) اى لايثبت فيها القدم وهى كناية عن تحطيط الارض من الانتفاعات لكونها وحلادائما (اويصبح مائها غوراً) اى غائرا و زائلا ( يصبح ) عطف على يرسل (فلن تستطيع له طلبا) اى لم تقدر على ايجاد الماء واجرائه .

(واحيط بثمره) اى بانواع امواله اى وقع الجميع ملتفا عليه (فاصبح يقلب كفيه على ماانفق فيها) اى ما صرف فى تعمير الجنة من الدراهم والدنانير وغيرها (وهى خاوية على عروشها) اى ساقطة على عروشها اى البنائات الخشبية من الكروم من قبيل الخيام .

( ويقول ياليتنى لم اشرك بربى احداً ) اى لم اكن اتكلم بمـا تكلمت ، لتوهمه انّ مجرد القول صار سببا لذلك ، ولادخل للاعتقاد ، فلم يكن يندم حقيقة من الشرك وهو الاعتقاد الباطل بقرينة البعد (ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا ) اى لم تكن له ناصر ولم يكن فيه استعداد ان ينتصر ولو كان نادمـا حقيقة فالله كان ناصره وهو المنتصر من الله .

( هنالك الولاية لله الحق ) اى المرتبة البعيدة عن الاذهان، وهى القيامة تكون ولاية التصرف لله اى يظهر ذلك للجميع والا فكل مقام تكون الولاية لله الحق (هو خير ثواباً وخير عقبا) اى من حيث العاقبة للمؤمنين .

وظهر من جميع ماذكرنا مطابقة بعضها للعقل ، وعدم مخالفة الباقى ، وهى

القصة ، والمثل للعقل ايضا، فالجميع غيرمخالف للعقل ، والله الهادى .

قوله تعالى: ﴿واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيىء مقتدراً (٤٥) المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير املا (٤٦) ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احداً (٤٧) وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم ان لـن نجعل لكم موعداً (٤٨) ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة الااحصيها ووجدوا ماعملوا حاضراً ولايظلم ربك احداً (٤٩) واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه أفتتخذونه وذريته اولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا (٥٠) ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولاخلق انفسهم وماكنت متخذ المضلين عضدا (٥١) ويوم يقول نادوا شركائى الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا (٥٢) ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً (٥٣)﴾ .

( واضرب لهم مثل الحيوة ) اى بين وصير لهم مماثلا للحيوة الدنيوية التى اخذوا بها وانقلب بها وجههم عن الاخرة ( كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض ) اى تكون من قبيل الماء النازل من عندنا مـن السماء اى الجهة العالية ، وهى السحب (او) السماء المقابل للارض لتصرّف السموات فـى عـالم الارض تصرف بعض المقتضيات فيصح اطلاق النزول منها .

( فاختلط به نبـات الارض ) اى تكاثف وغلظ بسبب ذلك المـاء نبـات الارض (او) امتزج معه نبات الارض ، فالباء للمصاحبة بنفوذ مـاء المطر فى خلل النبات ، وصيروزة النباتات مروية وحسنة ( فاصبح ) اى النبات ( هشيماً ) اى

يابساً ( تذروه الرياح ) اى تنشره بعد اليبس والتفرق ( وكان الله على شيء مقتدراً ) اى قادراً فالحيوة الزائلة الدنيوية كالماء الدنيوى نزولها من العالى ، اذتكون من الله ، وبسببها يصير البدن غليظاً متكاثفا اوالحيوة تسرى فى البدن ، فيصير البدن حسنا صاحب الجمال .

وكما ان الغرض من نزول الماء من السماء للافاضة على اقسام الحيوانات من الانسان وغيره ،فكذلك فى افاضة الحيوة يكون الغرض الجود والتكميل للامر العالى .

وكما ان الاول يذهب ، فيصير النبات هشيما متفرقا بالرياح ، فكذلك الحيوة الدنيوية تكمل وتنتقل لكونها من الادراكات التخيّلية او التعلقية الى العالم الاعلى ويبقى البدن بلا روح وحيوة فيصير يابساً ومتفرقا لقدرة الله على كل شيء ،فالامر الدنيوى هو الزائل والباقى هو الامر الاخر .

( المال والبنون زينة الحيوة الدنيا) اى ليسا من زينة الاخرة بوجوداتهما الدنيوية والعلاقة الخاصة، نعم قطع المال باختياره عنه وانفاقه امر اخروى ، وقطع النظر عن نيل الاولاد للشهوات الدنيوية ، وبعثها على التكميل بالعلم والعمل الصالح للانسان ، يوجب التزين فى الدار الاخرة .

(والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا) اى الامور الباقية الحسنة كالعقايد الحقة ، فانّها من المدركات العقلية. وتكون مجردة عن المواد الخسيسة ، فلايطرء الفناء عليها، وكالملكات الراسخة الحسنة ، والاعمال المتكررة فان (الاول) منهما قائم بالنفس وتبقى ببقائها (والثانى) صار بسبب الحركة الجوهرية من الحقائق العالية الباقية ( خير عند ربك) اى حسن عندالله من حيث المثوبة بعنوان التعظيم

(وخيراملا) اى ماينبغى ان يأمله الانسان ويرجوه اويأمله الانسان الكامل فعلا.

وقد ذكرنا سابقا وجود الجنة الكلية الخارجية ، واتصال الجنة الجزئية الحاصلة من الانسان اليها ، والمراد بالكلية والجزئية ايضا السعة والضيق كما هو

مصطلح بعض ارباب المعقول ، لاالكلية والجزئية في علم المنطق ، و كذلك الامر في الجحيم ، وحيث قد ذكرنا الكلام في هذا المقام مفصلا سابقا فلانعيد .

( ويوم نسيّر الجبال ) وفي بعض القراآت تسير بالتاء اى اذكر يوم سيرنـا للجبال عن وجه الارض اويـوم سير الجبال عن وجـه الارض باندكاكها وتشتتها (وترى الارض بارزة) اى ظاهرة ليست عليها الجبال وغيرها ، اوترى تمام اجزاء الارض ظاهرة ، فلاباطن لهاحتى يكون المشهودخصوص وجه الارض وظاهرها لتفرق جميع اجزائها ايضا فتمام الذرّات كالهباء المنثور فالتمام بارزة ظـاهرة (وحشرناهم فلم نغادرمنهم احداً) اى جمعنا هم واجتمعناهم بعد النشر والتفرق فلم نترك منهم احداً اى جمعنا الجميع ، ولم يبق احدلم يكن محشورا.

( وعرضوا على ربك صفـا ) اى عرضتهم الملائك على الله بعنوان الصف فالكل قائمات بين يدى الله كالصف المستطيل ( لقد جئتمونا كمـاخلقنا كم اول مرّة ) اى صارت حالة عودكم من الافتقار لكل شيء وعدم وجدانكم لشيىء اصلا من المأكول والمشروب والملبوس والقدرة والقوة ، كحـال بدءكم ، واخذت العارّيات، وازيلت الاوهام المشتبهة المتخيلة للوجدان ويرى الانسان فقده الدائمى.

( بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعداً ) اى يـوم البعث وكنتم ممن انكره وهذا لكل كافر بالمعاد .

(ووضع الكتاب )اى الكتاب الحـافظ لكـل شيىء وهواللوح المحفوظ يكون هناك موضوعاً من القبل اى في الرتبة لكونه في رتبة العلّية (فترى المجرمين مشفقين مما فيه ) اى خائفين من الامور الموجودة في ذلك الكتاب المرتبطة اليهم.

( ويقولون ياويلتنا ) اى الويل علينا احضر فالزمان زمانك، والويل مصدر لافعل له ( ما لهذا الكتاب ) اى ايّ مرتبة من العظمة المحيطة بتمام الموجودات (لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها) اى ذلك الكتاب لم يشذّ عنه شيىء لاالصغير ولاالكبير، فتمام عقائدى ، وملكاتى وحالاتى وافعـالى من الواجبات والمحرمات

وغيرهما ، صغيرة من حيث المعصية ، اوكبيرة كسائر سيئات الناس ، قد ثبتت في ذلك الكتاب ولم يبق منها شيىء وهو في مقام التعجب .

(ووجدوا ماعملوا حاضراً) اى لايكون ثبت الامورفى هذا الكتاب ثبتاعلى نحو المرآت والحكاية ، من ان فلانا فعل كذلك بل تمام الاشياء وتمام الاعمال باعيانها حاضرة فى ذلك الكتاب ، وهذا عجب فوق العجب .

وحيث ان ذلك الكتاب في مرتبة العلة للتمام والمعاليل بأعيانها حاضرةفى العلة ، على النحو الاعلى ، فالجميع بأمكنتها وازمنتها وحالاتها وصفاتها وتمام خصوصياتها حاضرات ( ولايظلم ربك احداً ) اى هذا لظلمهم باختيارهم على انفسهم تكون السيئات لهم حاضرة ولو حصّلوا العكس لكان العكس حاضراً .

(واذقلناللملائكة اسجدوا) اى اذكرو مضىالكلامفيه (فسجدواالاابليس كان من الجن) اىلميكن منجنس الملائكة فىالحقيقة ، والذات بلبلحاظ امرعرضى به يطلق اسم الملك . وامّا حقيقة الساجدين فحقائق عقلانية غير حقيقة الشيطان وحقيقة الشيطان منالجن اى الخياليات المستورة عن عالم الارض ( ففسق عنامر ربه ) اى خرج عن الطاعة .

( افتتخذونه وذرّيته اولياء من دونى وهم لكم عدوّ) اى مع خروجه عن طاعةالله وكونه وذرّيته عدوّاً لكم ، هل تأخذونهم اولياء من دونى وهو استفهام توبيخى ( بئسللظالمين بدلا ) اى بدل العداوة، المحبة والولاية اذ-قتضى العقل والحزم جعل العدوّ مطروداً ، و اتخاذه عدوّا لاتقريبه واتخاذه وليا وهذا ظلم فاحش فىحق النفس .

( ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولاخلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً ) اى لو كان ذلك الاتخاذ من باب الخوف من قدرة الشياطين وعلمهم لامنباب الحب الذاتى، فلا كمال لهمفىالعلم ، اذ ماعلمتهمخلقالسموات والارض اى لايعلمون كما يعلم آدم عليه السلام ومن يحذو حذوه من الكملين منالانبياء

والاوصياء عليهم السلام والمؤمنين الكاملين ، ولم يكونوا اى الشياطين معاونى فى الخلق حتّى يتوهم قدرتهم العالية ، اذلست آخذاً من اهل الاضلال عضداً ، بل الفانين فى الله، افعالهم افعال الله. فلاوجه للمرابطة مع الشيطان حينئذبوجهوالعذرساقط عن الجميع ، فمن يعطيه ، فانما هو بلحاظ شهوته وغضبه ونكراه .

( ويوم يقول ) اى اذكر يوم يقول الله للمشركين ( نادوا شركائى الذين زعمتم)اى ادعوا الاصنام والشياطين او كل ما عبدتموه ولو كان بريئا من اعتقادكم ( فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ) اى يدعون ببقاء شقوتهم ولايجابون (وجعلنا بينهم موبقا) اى بين العابدين والمعبودين وادى الهلكة اى يحصل الانقطاع .

(ورأى المجرمون النارفظنوا انهم مواقعوها) اى علموا (ولم يجدواعنهامصرفا) اى من الاعراض عنها حيلة ومورد تصرف وانقلاب اذتدعو من ادبروتولى .

وقدظهر بحمدالله من تمام ماذكرنا كون الايات المذكورة جارية عنهابحار الحقائق ، وموافقه اكثرها مع العقل ، و عدم مخالفة الباقى ايضا ، فالجميع غير مخالف للعقل ، والله الهادى .

قوله تعالى: ﴿ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان﴾ ﴿اكثرشىء جدلا (٥٤) ومامنع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم﴾ ﴿الاان تأتيهم سنة الاولين اويأتيهم العذاب قبلا(٥٥) ومانرسل المرسلين الامبشرين﴾ ﴿ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق و اتخذوا آياتى ﴾ ﴿وما انذروا هزواً (٥٦) ومن اظلم ممن ذكربآيات ربه فاعرض عنها و نسى ﴾ ﴿ماقدمت يداه اناجعلنا على قلوبهم اكنةان يفقهوه وفى آذانهم وقراً وان تدعهم﴾ ﴿الى الهدى فلن يهتدوا اذاً ابداً (٥٧) وربك الغفور ذوالرحمة لويؤاخذهم بما﴾ ﴿ كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا مـن دونه موئلا (٥٨) ﴾ ﴿وتلك القرى اهلكناهم لماظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً﴾ (٥٩) .

(ولقدصرفنا فى هذاالقرآن للناس من كل مثل) اى ذكرنا فيه للناس مثلا من

جنس كل مثل ، وقدحذف الموصوف للقرينة لكون القرآن نزولا من عالم الكل اىالسعة الىعالم الجزء اى الضيق ، فلابد للانتقال الى المعانى المشتملة عليهامن كسوتها بلباس الامثال للانتقال ، ويكتفى فى ذلك الاتيان من كل نوع اوجنس بمثل واحد .

و فـائدة المثل تكون عامة للخواص" ، وخاص" الخاص" ، و النوع ، اما للنوع فلانحدهم حدالمحسوسات ودرجة منفوقها فيرون الرقائق، وبسبب ماذكر ينشرح الذهن لهم وينتقلون من سور له باب باطنه فيه الرحمة و ظـاهره من قبله العذاب (١) ان الامر فوق محسوساتهم ومنذكرفيها ماتشتهيه الانفس وتلذالاعين والولدان المخلدين حسنهم وصباوتهم وهكذا .

واماللخواص، فلانهم ينتقلون من كل دانالىعال، ومنه الى الاعلى وهكذا ، فبمقدار التفكر تصعد الافهام من مرتبة الى مرتبة اعلى ، فكان كل درجة توجب حصولالاستعداد لدرجة الفوق ، فاذا وصلت توجب استعداد فوقذلك ، وفى كل صعود تضعف المثلية وتقوى جهة الحقيقة ، وحيثان حقيقته ايضاصاحبالمراتب يحصل الانتقال متدرجا الىمقدار قصعة ادراك ذلك الخاص .

و اما لخاص الخاص فالمثل يكون ، كالمرآت من الاول الا ان التجليات الالهية لدوامها، فمنالمرآت اذا شاهد تجليا فىهذهالخصوصية ، فينتقلالىالاعلى مـن حيث الحقيقة ، و الاضعف من حيث الرقيقة ، فيحصل له التجلى علـى هذه المرآت وهكذا .

فمن كل مثل خاص يحصل الانتقـال الى جنس هذا المثل ، ومن الجنس يتكثر خصوصياته يحصل له التجليات الكثيرة ، اذ كـل خصوصية آية منالآيات فيحصل الانتقال من الفرد الىالكلى نوعاً او جنس ومن النوع او الجنس لهوءلاء

---

(١) اقتباس من قوله تعالى فى : سورة الحديد ـ ١٣ فضرب بينهم بسورله باب باطنه فيه الرحمة الخ .

الكاملين يحصل الانتقال الى تمام وجودات ذلك النوع او الشخص ، و بالانتقال اليها وحضورهـا جميعاً لديه تحضر عنده آيـات كثيرة من آيات الله ويرى من الجميع حسن المحبوب الواحد .

(وكانالانسان اكثر شيء جدلا) اى كان الجدل فى الانسان اكثر شيء اى تغلب هذه الصفة على سـاير صفاته ، فان المجادلة ان كـانت فى الحق ، فسببها ، الظفر على الحق وادراك الواقع، وحيث ان الانساناحد درجاته العقلانيةواشتياقها الى الادراكات كاشتياق العطشان الى الماء او العاشق الى المعشوق ، فتمام همته مصروف فيذلك الجدل والظفر .

و ( كذلك ) اذاكان الجدل فى الخيالات الصالحة الواقعة فى مقام الانتقال الى العالم الاعلى .

و اذا كـانت المجادلة فى الباطل فصـاحبها قد توجهت الى جهة النكرى والشيطنة كالكفار .

وحيث قلناانالانسان لطيفة سيارة، والكون المأخوذ فيهتمام الحدودوالفصول بنحو اللا بشرطية ، ففى النزول الى الشيطنة يصير اعلى من الشيطان ، فالمجادلة له ايضا اكثر ، فالانسان فـى اى درجة كانت يكون الصفة الغالبة عليه المجادلة ، نهايةالامر تختلف باختلاف المراتب منحيث الحسن والقبح، فلاجل ذلك ذكرالله كل مثل لحصول الانتقال والظفر على المطالب الحقة والباطلة ليهلك من هلك عنبينة ويحيى من حيعنبينة (ومامنع الناس انيؤمنوا اذجائهم الهدىويستغفروا ربهم) اى لم يمنع الناس منقبول الهداية والتوجه الى مغفرةالله (الا انتأتيهم سنة الاولين) اى العذاب الدنيوى النازل عليهم كالعذاب على الامم السابقة اى ينتظرون نزول العذاب مثل عذابهم ( اويأتيهم العذاب قبلا ) اى مقابلا لوقرء بكسر القاف وفتح الباء اومن قبائل مختلفة لوقرء بضمهما فيكون جمع القبيلة (١) اى ينتظرون

(١) الذى رايناه فى كتب اللغة : ان القبيلة جمعها القبائل، لاالقبل بضمتين ومعنى القبل بضمتين العيان والمقابلة فراجع كتب اللغة (المصحح) .

قتلهم او اقسام قتلهم فی الغزوات ، كما حصلت من غزوات النبی ﷺ بعدهجرته الی المدينة معهم وقتلهم باقسام القتل .

( وما نرسل المرسلين الامبشرين ومنذرين ) ای الغرض التكميل ، فلابدّ من البشارة حتی تحرك الراجين، والانذار حتی يحرك الخائفين ويتمّ الحجة علی العاصين ويصلون الی ماخلقواله (ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا الحق)ای الكفار جدلهم لابطال الحق ودفعه ( واتخذوا آياتی وماانذروا هزواً ) ای استهزؤا بالحجج النازلة من قبلی من الايات وبانذاراتی

(ومن اظلم ممن ذكربايات ربه فاعرض عنها ونسی ماقدمت يداه)ای لايكون ظلم اعلی علی النفس من الاعراض عن تذكرالله بالايات لغفران ذنوبه ونسيانه معاصيه (اناجعلناعلی قلوبهم اكنة ان يفقهوه)ای لاجل غلبة الشهوة والغضب باختيارهم فلم نفض العقلانية (وفی آذانهم وقرا)ای ثقلا (وان تدعهم الی الهدی فلن يهتدوا ابداً)ای لصيرورة الاخلاق الرذيلة والعقائد الجهلية صورة ذواتهم باختياراتهم.

( وربك الغفور ذوالرحمة لويؤاخذهم بمـا كسبوا العجل لهم العذاب ) ای كانوا مستحقين للنزول بالعجلة الا ان التـاخير لاجل الغفران والرحمة ( بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا ) ای لنزول القتل فی الغزوات موعد لايجدون مرجعاً سوی القتل و ( تلك القری اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً ) ای جعلنا لزمان هلاكتهم زماناً معينا .

وقد ظهر من جميع مـا ذكرنا عدم مخالفة الايـات المذكورة مع العقل بوجه من الوجوه ، والله الهادی .

قوله تعالی : ﴿واذ قال موسی لفتيه لاابرح حتی ابلغ مجمع البحرين﴾ ﴿اوامضی حقباً (٦٠) فلمابلغنا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله فی البحر﴾ ﴿سرباً (٦١) فلما جاوزا قال لفتيه آتنا غدائنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبـاً﴾ ﴿(٦٢) قال ارايت اذاوينا الی الصخرة فانی نسيت الحوت ومانسانيه الاالشيطان﴾

﴿ان اذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا (٦٣) قال ذلك ماكنا نبغ فارتدا على﴾
﴿آثارهما قصصاً (٦٤) فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا و علمناه﴾
من لدنا علماً (٦٥) قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا(٦٦)﴾
﴿قال انك لن تستطيع معي صبراً (٦٧) وكيف تصبر على مـالم تحط به خبرا﴾
﴿(٦٨) قـل ستجدنى ان شاء الله صابراً ولا اعصى لك امراً (٦٩) قال فان اتبعتني﴾
﴿فلا تسئلني عن شيء حتى احدث لك منه ذكراً (٧٠) فانطلقـا حتى اذا ركبا﴾
﴿في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امراً (٧١) قال الم﴾
﴿اقل لك انك لن تستطيع معي صبراً (٧٢) قال لاتؤاخذني بما نسيت ولاترهقني﴾
﴿من امرى عسراً (٧٣) فانطلقا حتى اذا لقيا غلاماً فقتله قال اقتلت نفساً ذكية﴾
﴿بغير نفس لقد جئت شيئانكراً (٧٤) قـال الم اقل لك انك لن تستطيع معى﴾
صبراً (٧٥) قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا﴾
﴿(٧٦) فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فواجد﴾
﴿فيها جداراً يريد ان ينقض فاقامه قال لوشئت لاتخذت عليه اجراً (٧٧) قال هذا﴾
﴿فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبراً (٧٨) امـا السفينة﴾
﴿فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها وكان ورائهم ملك يأخذ﴾
كل سفينة غصبا (٧٩) واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغياناً﴾
﴿وكفراً (٨٠) فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة واقرب رحماً (٨١)﴾
﴿واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنزلهما وكان ابوهما﴾
﴿صالحاً فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك ومـا﴾
﴿فعلته عن امرى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً (٨٢)﴾ .

اعلم انهذه القصة من الاعاجيب ، ويقطع الانسان بان لهذه الايات تأويلات وقد أنبأ العبد الذى وجداه فى بيانه بلفظ التأويل وموسى عليه السلام بـاني لابد لى ان اصل الى مجمع البحرين أوان يمضى دهر طويل فى الطلب للوصول .

وكذا قصة حيوة الحوت وبقاء الماء على حالة الانشقاق وشبه الطاق نحو الكوة .

وكذا قول موسى عليه السلام (ذلك ما كنا نبغ) اى سفرنا كان لاجل ذلك .

وكذا انبأالله باتيان العلم من لدنه لهذا العبد

وكذا اختلاف البيان فى الاتيان فى المرة (الاولى) بمايدل على الاستقلال من لفظ اردت ( وفى الثانية ) بما يدل على التشريك من لفظ اردنا ( وفى الثالثة ) بما يدل على فعل الله وعدم دخل ذلك العبد والحمل على صرف التفنن فىالبيان من الجاهل بالامر .

وجميع ماذكر، يدل على عدم كون المقصود الاطلاع بواقع تلك القضايا الثلاثة باشخاصها ، فان المصالح الجزئية القائمة بالموارد الخاصة الملتفت اليها احد دون الاخر ، ليست مقتضية لكمال معتدبه حتى يقع تلك الامور المذكورة لكشفها ، بل القضايا الشخصية الواردة بمنزلة المرايا لكليات عالية تكون اتصاف النفس بها من الكمالات .

هذا من باب الامارات الداخلة ، واما من الخارجة فكثيرة ولو كانت بالنسبة مختلفة (ففى بعضها) قدحكيت عن النبى صلى الله عليه وآله ان ذلك العالم وهو الخضر عليه السلام قال انى كنت اعـدّ لموسى الف مسئلة ولم يطق الا الثلاثة (وفى بعضها) (١) ان موسى عليه السلام بعد سئوال بنى اسرائيل من أعلم الناس عين نفسه ، فـاوحى الله اليه ان فى

---

(١) فىمجمع البيان فىذيل تفسيرهذه الاية : سعيدبن جبير ، عنابن عباس قال : اخبرنى ابى بن كعب قال:خطبنا رسولالله صلى الله عليهوآله فقال: ان موسى قام خطيباً فى بنى اسرائيل فسئل اى الناس اعلم ؟ قال : انا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه ، فاوحى الله اليه ان لى عبداً بمجمع البحرين هو اعلم منك قال موسى : يا رب فكيف لى به ؟ قال : تأخذ معك حوتاً فتجعله فى مكتل ثم انطلق ، وانطلق معه فتاه يوشع بننون الخ وفى تفسير (برهان ج٢ منصفحة ٤٧٢ الىصفحة ٤٧٧ احاديث فى هذه المعنى فراجع

مجمع البحرين ومحل ملاقات بحر الفارس والروم مما يلي المشرق عبدلي أعلم منك فقال موسى عليه السلام وكيف اصل عنده فجعل الله امارته حيوة الحوت الذي في المكتل لاجل التغدي .

(وفي بعضها) ماروى عن الامام بالحق الناطق جعفربن محمدالصادق صلوات الله عليه وآبائه .

(وقد رأيت ذلك الخبر قبل سفرى وخروجي من وطني ، خائفا يترقب ، الفاقد لتمام الاسباب والاحباء الا القليل ممن معي في مدة ثلث سنين في المحاربة العمومية الميشومة) الا ان تمام مضمون الخبر لا يكون ببالي ، .

وقد استكشف بعض اهل التحقيق والكشف من الخبر المذكور امراً عالياً، قداستوفي في البيان ، ولايكون تمام مطالبه ايضاً ببالي ، وماهو الآن ببالي ، ولعلي ازيد او انقص ، فلا انسبه الى احد وانسبه الى نفسي .

واقول احتمالا : وسر تقديم ذلك وبيان هذا المطلب مع انه لم يكن بنائي في ذلك التفسير ، الكشف من الامور التاويلية ، لاجل ، ان عدم مخالفة ما نسب الى عبدالله وهو الخضر عليه السلام مع العقل بحسب نظر من يتوهم خلاف العقل في القرآن يتوقف على كون المراد ، المعنى التأويلي وعلى هذا فاقول : قد ذكراهل الكشف ان للسالكين الى الله اسفاراً اربعة .

## (السفر الاول)

هو السفر من الخلق الى الحق وهو السفر الاول ، وفي ذلك السفر يكون العبد متزينا بالامور الدنيوية من الشهوة والغضب ، والتخيل لامر المعاش المتعلق قلبه بالمال والعيال والاولاد والاقارب والثروة والتسلط وكل ما هو لازم المعاش كالسفينة المتزينة بتمام ما يلزمها من الادوات والالات .

فاذا تحرك هذا الشخص من الخلق الى الحق، فكل ماسبق ذكره من التعلقات تكون مانعة من التوجه الى الله وحصول الكمال ، فلابدمن كسر سورتها بالرياضات

وان لم تكسر يتصرف فيها الملك الظالم الذى يأخذ كل سفينة صحيحة غصباً وهو الشيطان ، فيملك النفس ومع مالكيته لايحصل التوجه ، فالمرشد الكامل يعالج الانسان بالامربالرياضات لحصول الكسر اى فى هذه السفينة (وحيث) ان السبب يكون قوياً ، قد انتسب الكسر الى السبب وهوالمرشد (وحيث) ان المسترشد لم يقطع المسافة ولايلتفت الى فناء المرشد ويرى المرشد مستقلا فيظهر المرشد على حسب قصور نظر المسترشد الانانية وينسب الكسر والعيب الى نفسه :

## (والسفر الثانى )

هو السفر من الحق الى الحق، فان السفر الاول اذا خلص وقد قطع المسترشد نظره من الخلق وتوجه الى الله فلابد له من الغور فى افعال الله وفى صفاته وبعبارة اخرى مشاهدة التجليات الافعالية و هى الفيض المقدس ، والتجليات الاسمائية والصفاتية وهى الفيض الاقدس

وهذا السفر فيه الخطر العظيم ، اذ فى التجليات الافعالية يقع الاشتباه بين الاستقلال والمرآتية ، ( فقديرى ) الطبايع مستقلات والاثار مترتبة عليها ، فيقع فى الحاد الكفر والزندقة (وقديرى ) التشريك ، فيقع فى الحاد الشرك

وهكذا اذا نظر فى افراد الانسان ( فقديرى ) صدور العجائب من بعض النفوس، فيرى الوهيتها وربوبيتها (اويرى) مشاركتها مع الله بل (قديرى) لحصول بعض النورانيات الحاصلة لنفسه ان فى نفسه العجائب وهى الكون الجامع للكل فيغتر بنفسه ، فيقع فى الحاد دعوى الربوبية و ( قديرى ) حلول الله فى نفسه اوفى غيره ( وقديرى ) الاتحاد ( وقديرى ) جميع ما ذكر لمن يرشده

فالبحر المستوعب بالهلكات، هوذلك السفر واذا خلص من تمام ذلك باعانة المرشد الكامل ونجى بتصرفاته القوية فيه مع رؤية المنكرات العقلية غـاية . الانكـار من المرشد ، اذمع رؤية الانسـان ان هذا الامر العظيم قد صدر من تلك الطبيعة (او) من تلك النفس الكاملة ، (او) من نفسه ، فالقول له بان الكل على خلاف

الواقع ، بل التمام من الآلات يكون عنده من المضاحك .

ثم انه قد يقبل الجميع و يقع فيورطة اخرى من ان الكل من الله ، فاى معنى للدين والجزاء والثواب والعقاب ، فان الفاعل هوالله فيقع فى الحاد الجبر وبطلان الشرائع وهكذا ، و فهم المرآتية مع حفظ المراتب و الانساب التام الى النفس مع كون الانتساب الى الله اولىو اعلى و هو السبب التامّ ، و الجمع بين النفي والاثبات وفهمه (وما رميت اذرميت و لكن الله رمى ) فى غاية (١) ، فافعال المرشد فيهذه السفر فينهاية الانكار بنظر المسترشد .

و امّا من حيث الفيض الاقدس ، فترى الصفات محدودات اومتعددات ، فيقع فيالحاد القدماء من باب الاسماء والصفات، اورفع اليد من الاسماء والصفات والقول بالتعطيل في المعرفة ، وفهم ان الحد بلحاظ فهمك وهوغيرمحدود، ولكن يحصل لك العرفان بقدر قصعة وجودك في كمال الصعوبة .

والغرض ان فى ذلك السفر لابد للمرشد انيشمّر ساعده ، و ينسل السيف لقتل الغلام الزكى فيالانظار ، و يصدر منه الامر العظيم في عصيانه حتى يخلص الابوين للغلام ، و هو النفس و الروح من القلب المتوجه الى الدنيا حيث يصير سببا لانحطاطهما و تبديل النفس التى صارت صالحة ببعض الأفعال و خرجت من ألامارية اليالاماريه الشديدة ثانية ، وتبديل الروح الذى صارعقلا بالفعل الى العقل بالقوة لحصول النسيان من المبادى ايضاله .

فاذا زالت لطافته يلقيالجهالات المركبة بصورة البرهانيات حتى يبدل الله تعالى ذلك الغلام بالقلب المتوجه الى الاخرة ، فيصيرممداً للنفس فى طيمقاماتها، وكذلك الروح .

والفرق بين النفس و الروح يكون بالمرتبة ، فان الروح هو جهة الاتصال

---

(١) هكذا فى نسخة الاصل بخطه قده والظاهر سقوط لفظ (الغموض) او الصعوبة بعد كلمة (فيغاية) فتامل .

بالعقول الفعالة المفـارقة او اعلى منها ، و النفس هي الآخذة منه الموصلة الى القلب وسايرالقوى ، وجهة التعلق الى البدن قدلوحظت فيها .

فاذا سلم الانسان من ذلك السفر الخطير باعانة المرشد الكامل ، تضعف انانيته ، و يرى في المرشد جهة الالوهية من حيث الفنـاء ، فيظهر المرشد بكلمة (فاردنا) ثم يسافر .

(السفر الثالث)

و اذا وصل فيفنى و يقع له المحو . فيرتفع يد الغير عنه لوصوله الى الله فيسافر بالله في الله فهذايكون سفراً بالحق ، اذ لاانانية له ، والمسافرهو الحق وفي الحقبالتجليات العيانية له ، وهو غيرمذكور في تلك الايات لكونه بعد (البينة)(١) وتعشق الذات بالذات واسرارها مكتومة .

و لابد لمن اراد الاطلاع ان يسـافر ثم بعد التكميل في ذلك السفر يحصل الصحو بعد المحو ، وتحصل الافاقة فيسافر بالحق في الخلق ، ولاجل الانس بالله في السفر الثالث ، و كون المشاهد للسلطنة لا يلتفت الى الادنى ، يكون الالتفات الى الخلق له صعبا على عكس السفر الاول والالتذاذات عنده مكروها ، بحيث لولا امرالله والزامه ، لماأكل ، ولمايشرب حتىيموت وهوخلاف الغرض .

فلابد ان يبقى معه المرشد ايضا حتى يبعثه على استعمال اللذائذ حتى يبقى بدنه ولاينتقل الى الدار الاخرى حتى يكمّل النفوس فيقيمالمرشد بدن المسترشد الذي صار بمنزلة الجدار فاقداً لتمام التزينات ومشرفاً على السقوط .

وحيث يكون المسترشد طالبا للقاء يتكلم في توجيه نفسه الىالله لابعنوان التعرض بلبعنوان (لوشئت لاتخذت عليه اجراً) اى بدل اقامة بدنى اخذت الاجر الحقيقي ، وهوايصالي الى ربى فيعلّمه المرشد الاسرار .

ويقول سرّذلك انتحت سربقاء بدنك ، وهوالكنزالذيلااعلىمنهوهويكون

(١) هكذا يقرء من خطه قده .

للنفس والروح ، فانهما غلامان للعقل المفارق اواعلى منه، ويتيمان اى درتان لامقابل لهما في مملكة البدن ، فلوبقى الجدار بقى الكنز و الا فلا ، و الكنز هو افاضتك على النفوس التى هى الذخيرة الكاملة لهذين اليتيمين فلابدمن تعمير بدنك وتلذذك بالملاذ حتى تبقى ، فان يدالشيطان قدانقطع عنك وترك التلذذات في السابق كان لاجل المانعية عن التوجه .

وحيث ان كون فعل المرشد فعل الله يكون ظاهراً للمسترشد يقول: (فاراد ربك) وحيث ان امره صار تماماً يقول : ( هذا فراق بينى وبينك ) اى للافاضات الجديدة الطريقية والا فبعد ذلك هو معه دائماً.

وبعد ما عرفت ما استكشف من الخبر الشريف فلنعد الى بيان الايات و( اذ قال موسى لفتيه ) اى اذكر قول موسى لفتيه اى تابعه وخادمه(لاابرح) اى لا ازال اسير(حتى ابلغ مجمع البحرين) اى ملتقى بحر الروم وبحر فارس ممايلى المشرق (او امضى حقبا) اى دهراً طويلا .

واختلف في ان المراد موسى بن منسى ابن يوسف عليه السلام اوموسى بن عمران عليه السلام ، وكثرة ذكر موسى فى القرآن و ارادة موسى بن عمران وعدم ذكر الاول اصلا يقتضى الظهور فى الثاني والتأويل ايضاً يناسبه، وذكر الاخبار الخارجة ايضاً مؤيد ذلك القول، وكون موسى بن عمران عليه السلام فى نهاية الكمال، لايقتضي للصارفيّة لامكان اعلمية الغير منه عليه السلام فى بعض الجهات من الباطن وهو اكمل في الظاهر و المراد من الفتى هو يوشع بن نون عليه السلام وصيه ، ويحتمل كون المراد بمجمع البحرين بحر الظاهر والباطن اى مورد اتصال العلوم الظاهرية الى العلوم الباطنية كما هو المناسب للتأويل.

( فلما بلغا مجمع بينهما ) اى موضع ملتقى البحرين او فى مرتبة اتصال العلمين نسيا حوتهما فنسى يوشع من حمله وموسى عليه السلام من تذكيره بان يحمله (فاتخذ) الحوت ( سبيله فى البحر سرباً ) اى صار الحوت حياً واخذ فى السبيل

و كلما سلكه صار سرباً ، اى الشق الطويل كالكوّة مثل الماء المنجمد ، ومـن قبيل الطاق .

وعلى التأويل (نسيا حوتهما) اى الحيوة الدنيوية ، ولاجل كونهما التابع والمتبوع قدأتى بالمفرد (او) المراد الجنس ، فاتخذت الحيوة المذكورة، سبيلها الى الاخرة اى بدلت بالحيوة العاليةواخذت سبيلهاعلى نحوالسرب ، والكوّة ، اى المجاور لبدن تلك الحيوة الكاملة صار ذات علامة بحيث لا تمحو تلك العلامة .

(فلما جاوزا ) اى من اول ملتقى البحرين (قـال لفتيه آتنا غدائنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً) اى آتنا بالحوت لنتغدى به اذلقينا المشقة فى هذا السفرفلعلنا نستريح . اى حركتنا صارت طويلة ، فلعلنا قد وصلنا الى مقصودنا ( قال ) يوشع عليه السلام ( ارأيت اذ أوينـا الى الصخرة فانى نسيت الحوت ) اى هل رأيت المكان الذى نزلنا فيه واستقررنا على الصخرة او اعتمدنا اليه ، فانى نسيت حمل الحوت ولم ينسنى حمله اوذكر ماطرء فى البعد ( الا الشيطان) فمابينت لك حاله .

وقد صار حياً (واتخذسبيله فى البحر) على النحو العجيب وهوماسبق وعلى التأويل قال موسى عليه السلام لابدلنا من اتخاذنا بالحيوة الدنيوية حتى نصل الى من يرشدنا فان السلوك بدونه موجب للنصب ولايصل الانسان الا فى دهر طويل، فقال يوشع: انى رأيت أثر الوصول : ولكن الشيطان منعنى من الاستقرار والتمكين، اذ رأيت ان الماء قد جمد ، و العلم قد وقف و اتخذت حيوتنا تمشى فى العلم من دون ان يمضى منهما العلم .

(قال ذلك ماكنانبغ) اى نطلبه فلابد من الرجوع الى اول الملتقى ونتغدفيمامضى منا (فارتدا على آثارهما قصصا) اى رجعا الى الاثار الباقية منهما وبرؤية شبه الطاق والكرة رجعا وتذكرا للسابق على نحو التأمل فوصلا (فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا) اى القوة العمالة المفيضة .

(وعلمناه من لدنا علماً) اى بدون الواسطة (قال له موسى هل اتبعك على ان

تعلمن مما علمت رشداً) ای اتأذن لی ان اتبعك فتفيض علیّ مما قد افاض الله عليك وعدم ذكر الفتى لاندكاكه في موسى عليه السلام.

(قال انك لن تستطيع معی صبراً) ای لاطاقة لك بما تشهد منی، فانك تأخذ بالظواهر على مرتبتك و تكليفك و انا آخذ بالعواقب و البواطن على مرتبتي وتكليفي (وكيف تصبرعلى مالم تحط به خبراً) اذ تكون مأموراً من قبل الله باجراء الظاهر و الانكار على خلاف الظواهر ، فلم تصبر على الخلاف ما لم يقطع لك الامر .

( قال ستجدنی انشاءالله صابراً ولااعصی لك امراً ) اذكما امرت بالظواهر كذلك امرت باتباعك قال (فان اتبعتنی فلا تسئلنی عن شیء) ای كن كالميت بين يدی الغسال وخذبطريقة الادب والذل ولاتعمل بانانيتك (حتی احدث لك منه ذكراً ) ای حتی ابين السر بعد الصبر (فانطلقا حتی اذا ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها لقدجئت شيئا امراً) ای عظيماً منكرا

ولعل هذا المطلب كان لشدة عطشه بالعلم الباطل اذكان طالبه ولم يشربه ، فاراد بهذا القول ان يتغير المرشد ، ويبين له حتی يصل الى المقصود ، ولكن المرشد قدرأى ان اشرابه بالعجل يوجب ضعف عطشه لما بقی فلايجد في الامر غاية الجد.

(قال الم اقل لك انك لن تستطيع معی صبراً) وبهذا القول قد صار عطشه اشد فاظهر الضعف والذل (قال لاتؤاخذنی بمانسيت ولا ترهقنی) ای لاتكلفنی من امری عسراً وعاملنی بالعفو ( فانطلقا حتی اذا لقيا غلاماً ) ای من لم يبلغ الحلم فقتله بان ذبحه بالسكين مضطجعا اواقتلع رأسه ( قال اقتلت نفساً زكية ) ای طاهرة من باب عدم العصيان ( بغير نفس ) ای من غيران يصدرمنه قتل (لقد جئت شيئاً نكرا) ای منكر والسر ما سبق .

(قال الم اقل لك انك لن تستطيع معی صبراً) اوازداد لفظ (لك) لزيادة العطش اواللوم فلما رأى موسى عدم بيانه ( قال ان سألتك عن شیء بعدها فلا تصاحبنی

قدبلغت من لدنى عذرا ) اى قدتم عذرك فىمفارقنى (فانطلقا حتى اذا اتيا أهلقرية استطعما اهلها) وعلى الظاهر واضح، وعلى التأويلمن الطعام المناسب، والمناسب للمرشد الافاضة،ومن المسترشد طلبالروحانيات (فأبواانيضيـّفوهما) وعلى الاول لايخفى وعلى الثانى قيل للمرشد قدتم الامر وللمسترشد يكفيك .

(فوجدا فيها جداراً يريد ان ينقض) و على الظاهرسدّاه وعلى التأويل بيناه ( فاقامه ) اى المرشد (قال لوشئت لاتخذت عليه اجراً قال هذا فراق بينى وبينك) اى وقت الفراق وقد بيّن الامر فلانطيل .

وقد ظهر بحمدالله منتمام ما ذكرناكون الآيات المذكورة على طبق العقل ظاهراً وتأويلا .

(اما الاول) فلان الضر والنفع النوعيـان مقدمان على الشخصيين والاهم مقدم على غير الاهم فى الشخصيين فلا اشكال ( واما الثانى ) فقد بين وجهه وانه يلزم فى مقام التكميل فالايات غير مخالفة للعقل والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿ويسئلونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً (٨٣) ﴿انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كلشيئى سبباً (٨٤) فاتبع سببا (٨٥) حتى﴾ ﴿اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوماً قلنايا﴾ ﴿ذاالقرنين اما ان تعذب واماان تتخذ فيهم حسنا (٨٦) قال امامن ظلم فسوف﴾ ﴿نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذاباً نكرا (٨٧) واما من آمن وعمل صالحاً فله﴾ ﴿جزاء الحسنىوسنقوللهمن امرنايسيراً(٨٨) ثماتبع سببا (٨٩)حتىاذا بلغمطلع﴾ ﴿الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً ( ٩٠ ) كذلك﴾ ﴿وقد احطنـا بما لديه خبرا (٩١) ثم اتبع سببا (٩٢) حتى اذا بلغ بين السدين﴾ وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا (٩٣) قالوا ياذاالقرنين ان يأجوج﴾ ﴿ومأجوج مفسدون فى الارض فهل نجعل لك خرجاً علىان تجعل بيننا وبينهم﴾ ﴿سدا (٩٤) قال ما مكنى فيه ربى خير فاعينونى بقوة اجعل بينكم وبينهمردما﴾

﴿(٩٥) آتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا﴾ ﴿جعله ناراً قال آتوني افرغ عليه قطرا ( ٩٦ ) فما اسطاعوا ان يظهروه وما﴾ ﴿استطاعوا له نقبا (٩٧) قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله كاد﴾ ﴿وكان وعد ربي حقا (٩٨) ﴾ .

(يسئلونك) اى اهل الكتاب (عن ذى القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكراً) وقدوقع الخلاف في ان المسئول عنه من يكون؟ ووجه التسمية لاى جهة ؟ (فقيل) انه الاسكندر الملقب بالكبيرفي هذه الازمنة من اهل مقدونيا الذى حارب مع(دارا) ملك الفرس وغلب عليهوكان والده الفليب وقال بعضهم انهوالدامّه وهواخو(دارا) من الاب .

وعلة تسميته بذى القرنين (اما) لتملكه الفارس والروم وهما قرنا العالم في ذلك الزمان (واما) لانه كانت ذوابتان في مقدم رأسه فسموهما بالقرن (واما) لاجل نتوين(١) فيمقدم رأسه شبه القرن مناللحم اوالعظم (واما) لاجلشرافة قبيلة والده ووالدته (واما) لاجل عكس ذلك من رذالة امه واخته فصارتا بمنزلة القرن .

( وقيل ) انه الملك العادل ( افريدون ) ملك الايران والروم والترك الا ان مقر سلطنته كان في الاول ( وقيل ) انه ملك آخر في زمن الخليل عليه السلام وقالوا : ان الخضر عليه السلام كان في مقدمة جند الافريدون او في مقدمة جيش الملك الاخر في زمان الخليل عليه السلام ،

ووجه تسميته لامتداد سلطنته فيالقرنين (او) لانه اذادعا الناس الىالتوحيد حاربوا معه وتحمل الجراحة فيمقدمرأسه الايمن ، ثم فيمقدم رأسه الايسر(او)لانه ملك المشرق والمغرب اولانه ساربين المشرق والمغرب (او) لانه رأى في المنام انه اخذ بقرنيالشمس

(١) نتا الشيء نتيا بفتحتين نتواً : خرج منموضعه وارتفع من غير ان يبينونتات القرحة ورمت (مجمع البحرين) .

وعلى اىحال ، فيلقب بذىالقرنين الاكبر ، والمناسب لسئوال اهل الكتاب هو الاخير لبعد عهده وذكره فى كتب الانبياء .

وعلى فرض التّساوى ، فبعد انيكون فىالعالم الملقب بذلك اللقب شخصان (احدهما) المؤمن العادل والاخر غيرموصوف بهما لايكون لاحد ان يستشكل بان الاسكندر كان كافراً فاسقاً وقدذكر فى القرآن بالخير، فيجعل من مطاعن القرآن اذيحمل على هذا المؤمن العادل ولميشخص فيه ذلك الشخص الثانى .

مع ان كونه كافراً ممنوع مع كون وزيره ومعلّمه الحكيم الكامل وهو ارسطو اوارسطاليس، وجلالة قدره فىالعلم يكفى فىعدم كفره واماالفسق فحاله كحال ساير السلاطين(انامكناله فىالارض وآتيناه من كل شيىء سببا) اىطريقا موصلا له الى مقصده اى كان واجداً لمايحتاجه لسعة سلطنته (فاتبع سبباً) اىالطريق الموصل الى مقصده قد سلكه (حتى اذا بلغ مغرب الشمس) اى ارض المغرب بلحاظ تقسيم البلاد ، وتقسيمها اىالارض المعمورة،الى القسمين، المشرق، والمغرب، وتقسيم كل منهما الى الجنوب والشمال والا فالانسان فى اى موضع كان (او) البلد فى اى موضع كان وكان الشمس فيه طالعاًوغارباً يطلع من الافق ويغرب الى الافق لافوق الرأس كحال الزوال وهو واضح (وجدها تغرب فى عين حمئة)

وحيث انالعين لها المعانى العديدةالكثيرةاوموارد استعمالها فىغاية الكثرة فلابد من التعيين بلحاظ القرينة ، وحيث ان القرينة هناليست الالفظ (حمئة) وهو الطين الاسود ، فيحتمل(انيكون) المراد من العين هوالذات والحمئة صفةلها ، اى فى ذات هـو الطين الاسوداى مـا يترائى من الافق فى هذا المكـان يكون ارضا وحلة سوداء (او)ان نفس تلك الارض لكونها بملاحظة وسط البلاد المعمورة مغرباً اذا وصل اليها رآها متصفة بتلك الصفة من كونها وحلة سوداء .

(وان يكون) المراد ان المترائى فى الافق يكون ماء قليلا كالعيون الجارية وتغرب الشمس فىالفصل الذى كان ذوالقرنين فى ذلك الفصل فى ذلك المكان ،

ومن سوادمائه ، او تحقيق امره من الخارج يكون ذلك البحر الذى يرى صغيراً في النظر للبعيد مشتملا على الطين الاسود .

وعلى اىّ حال فجعله من موارد الاغلاط غلط بيّن ناش عن العناد ، ولما لم يكن عندي مااتفحص فاقتصر على ذلك المقدار وارجو من الله ان يظفرني بالاسباب المعدّة، فاتفحص في معاني العين وكلمات العلماء لاجل مزيد التوضيح .

( ووجد عندها ) اى عند تلك الارض الحمئة ( قوماً قلنا يا ذا القرنين امـا ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسناً ) اى انك مخير في قتلهم اوهو التعذيب اواسرهم وهو الاحسان في مقابل القتل ، ويظهر انهم كانوا قوماً كافرين ولم يقبلوا الايمان بعد دعوة ذي القرنين ايضا ( قال ) اى ذوالقرنين متوجهاً الى تلك الطائفة ( امامن ظلم فسوف نعذبه ) اى بالقتل في الدنيا ( ثم يردّ الى ربه فيعذبه عذاباً نكراً ) اى في الاخرة ، والمراد بالظالم هو الظالم على النفس بقرينة البعد ( واما من آمن وعمل صالحا فله جزآء الحسنى ) اى نجزيه بالاحسان (وسنقول له من امرنا يسرا) اى نأمره بالامور السهلة .

( ثم اتبع سبباً ) اى بعد انتظام تلك الناحية سلك الطريق الى المشرق والامر فيه كالمغرب ( حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا ) اى ساترهم في وجه الارض هو الشمس وذلك لكون اراضيهم لايستقر فيها البناء فقد جعلوا السرب ، والكوات الكبيرة والسراديب تحت الارض لسكناهم ، فـاذا كان الهواء صالحا ، والشمس طـالعة يخرجون الى الشمس ، فلباسهم نور الشمس من البرودة ، وكذلك سكناهم في وجه الارض ، وهذا يدل على كون المراد من المشرق والمغرب بلحاظ وسط المعمورة ، اذ لفظ( وجد ) يكون الظاهر منه الحضور عندهم الاطلاع من الخارج .

( كذلك وقد احطنا بما لديه خبراً ) الخطـاب متوجه الى النبى ﷺ وان الامر كان كذلك لاحاطتنا بتمام الاشياء في تمام الاوقات وكوننا خبيراً بها .

( ثم اتبع سببا ) اى سلك طريقـا ( حتى اذا بلغ بين السدين ) اى بين الجبلين ( وجد من دونهما) اى الجبلين ( قوماً لايكادون يفقهون قولا ) . اى من كثرة شرارتهم لايفقهون الحق .

(قالوا) اىالاهالى القريبة الى الجبلين منالذين يفقهون القول (ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج) اىتلك القبيلتين وهما اسمان عجميان (مفسدون فىالارض) لشرارتهم ( فهل نجعل الك خرجا ) اى نعاونك بـالمال ( على ان تجعل بيننا و بينهم سدا ) اى حاجزا محكما لعلنا نخلص من شرارتهم .

( قال ما مكنى ربّى خيرفاعينونى بقوة ) اى لااحتاج الى المال بل كان عونكم بالافعال والاعمال بكمال سعيكم وقوتكم ( اجعل بينكم وبينهم ردماً ) اى حاجزاً حصينا .

( آتونى زبر الحديد ) اى القطعات نحو الحجارات وقيل كانت الاحجار معدن الحديد فاخرج الحديد اوجعل نفس الاحجار الصلبة نحو الحديد ( حتى اذا ساوى بينالصدفين ) اى جانبى الجبلين فالجبلان ومافى بينهما صارتمتساوية (قالانفخوا)بالقاء المؤججات وآلاتالاحراق (حتى اذاجعله ناراً) اى بينالجبلين وحصار البين كقطعة من النار .

( قال آتونى افرغ عليه قطراً ) اى النحاس المذاب على الحديد المحمى فدخل بين زبره فصار كالشيء الواحد ( فما اسطاعوا ) اىالاشرار (ان يظهروه) اى يغلبوا عليه بالتخريب او يأتوا من ظهره لارتفاعه وملاسته ( ومـا استطاعوا له نقبا ) اى مناخراج الكوة والدخول منها (قال) اى ذوالقرنين (هذا رحمةمنربى فاذا جاء وعد ربى) اى يومالقيامة اوقبلها فىاى زمان ارادالله انيخربه (جعلهدكاء) مدكوكا مبسوطا (وكان وعد ربىحقا) اى انلكل شيء اجلااوخصوصيومالقيامة

وقد ظهرمن تمام ذلك عدم اشتمال تلك الايات على مخالفة العقل ،وآثار السّد تكون موجودة .

وعلى فرض العدم فقد ذكرنا احتمال كون المراد اذا جاء الموعد من قبل الله ولو قبل القيامة يخربه و يجعله أملس فعدم الرؤية لايدل على العدم، لانه كان ورفع على فرض تسليم العدم واحاطة الناس بتمام العالم، و كلاهما ممنوعان ، والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض ونفخ فى الصور﴾ ﴿فجمعناهم جمعاً(٩٩) وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً (١٠٠) الذين كانت﴾ ﴿اعينهم فى غطاء عن ذكرى و كانوا لايستطيعون سمعاً (١٠١) افحسب الذين﴾ ﴿كفروا ان يتخذوا عبادى من دونى اولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا (١٠٢)﴾ ﴿قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا (١٠٣) الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا﴾ ﴿وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا (١٠٤) اولئك الذين كفروا بآيات ربهم و﴾ ﴿لقائه فحبطت اعمالهم فلا يقيم لهم يوم القيامة وزناً (١٠٥) ذلك جزاؤهم جهنم بما﴾ ﴿كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزواً (١٠٦) ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ ﴿كانت لهم جنات الفردوس نزلا(١٠٧) خالدين فيها لايبغون عنها حولا(١٠٨)﴾ ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا﴾ ﴿بمثله مدداً (١٠٩) قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فمن﴾ ﴿كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احداً (١١٠)﴾ .

( وتركنا يومئذ يموج فى بعض ) اى بعد انقضاء أجل بقاء السّد وخرابه نترك البعض مخلوطين من الكثرة فى البعض الآخر اى تصدر منهم الشرارات وذلك دليل على ان الاجل غير القيامة ( ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعاً ) اى وقعت النفخة الالهية فى الصور وهو كالقرن .

فجمعنا جميع الناس وغيرهم نحواً خاصا من الجمع وقد ذكرنا ان فى امثال المقام بعضهم يقولون ان تحقق الوقوع صار سببا لارادة المضارع من الماضى وهم الاكثر .

و ( قلنا ) يحتمل ان يكون المراد هو التقدم الرتبى لاالزمانى كتقدم العلة

على المعلول، فان القيامة، فى عالم الصعود تقع فى العالم الاعلى، وهو فوق الملكوت، وهو من حيث الكلية مقدم على عالم الملك، وهو عالم الزمان وعلى عالم الملكوت وهو روح الزمان، وهو العالم الثالث، وهو عالم روح روح الزمان.

والاشياء باجمعها تتحرك نحوه وتصل اليه، (فمن) جهة المتحرك والحركة يكون منتهى السير وآخراً، (ومن) حيث المتحرك اليه والساكن عنده يكون علة و مقدمة بالطبع، فكما ان الله هو المنتهى وانتهائه عين اوليته، فكذلك ماهو الفانى فيه وقريب اليه.

فالجنات الجزئية التى هى صورة الاعمال اوجزائها تتحرك مع الانسان، و تحدث بحدوث الاعمال الحسنة وتبقى وتتحرك الى ان تتصل بالجنة الكلية المخلوقة من القبل، و كذلك الجحيمات الجزئية، فاتصال الجزئيات الى الكل يكون متأخرا والكل يكون مقدما، وحيث ان النفخة من قبل الفاعل، فالنفخة النشرية مظهرة للفناءات، من حيث الذات، والنفخة الحشرية هى البقائات بالله، فالنفخ والجمع والعرض فى المرتبة المتقدمة على ما ذكرنا.

( وعرضنا جهنم للكافرين عرضاً ) اى نشاهدهم بان يروا عذاب الجحيم (الذين كانت اعينهم فى غطاء) اى لاترى عيونهم من باب الحاجب النفسانى الايات الكاشفة عن الله، وهى ذكر الله لانه بها يرى الله(وكانوا لايستطيعون سمعاً) اى تتنفر اسماعهم عن قرائة القرآن وكل امور الهية فلم يقدروا الاستماع باختيارهم.

(أفحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادى من دونى اوليـاء) اى هل زعموا أنّ باتخاذهم عبادى شركاء لى كعيسى و عزير والملائكة انى لا اعذبهم وقد حذف للقرينة (انا اعتدنا جهنم للكـافرين نزلا) اى اعذبهم لان جهنم معتدة لكل كافر بالله وهو تشريفات ورودهم.

(قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا، الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيـا) اى بسوء الاختيار فقد منهم الكمال (وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً) اى يظنون

من باب حب الانانية حسن افعالهم (اولئك الذين كفروا بايآت ربهم) اى لكونها على خلاف ارائهم فى امر التوحيد (ولقائه) اى فى امر المعاد (فحبطت اعمالهم ) اى لاشتراط الاعمال بالموافاة على الايمان كما سبق (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنـا) اى لايحتاج الى التوازن لبطلان اعمالهم .

(ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آيـاتى ورسلى هزواً) اى العلة هذه الامور .

(ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس) اى الوسط والا على (نزلا) اى منزلا شريفا (خالدين فيها لايبغون عنهـا حولا) اى لايطلبون النقل .

(قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى) اى مما يكتب بها (لنفد البحر) اى تم (قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً) اى بمثل البحر لعدم نهاية كلمات الله (قل انما انا بشر مثلكم) اى فى الحقيقة (يوحى الىّ) اى قد بلغت الكمال بسبب سيرى برحمة الله فى مراتب التوحيد .

(فمن كان يرجو لقاء ربه) اى فى المعاد (فليعمل عملا صالحا) حتى
تصير له الملكة حـاصلة وتسرى الى ذاته (ولايشرك بعبادة ربه
احداً) اى يصير موحداً ، وحيث ان تحقيق الكل
بـالبراهين قـد مضى منـا فلا نعيد
فظهر بحمدالله مطابقة بعضهـا مع
العقل وعدم مخالفة الباقى له ،
وانا الراجى .

**نورالدين الحسينى العراقى الايرانى**

فى قاضى كوى من اسلامبول فى٦ محرم ١٣٣٧ عام

# سورة مريم «ع» (١٩)

مكيّة

ثمان و تسعون آية

كتبها في قاضي كوى من اسلامبول

٢٥ محرم الحرام

من عام ١٣٣٧ من الهجرة

على هاجرها آلاف التحية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿كهيعص (١) ذكر رحمة ربك عبده زكريا (٢) اذ نادى ربه نداء خفيا﴾
﴿(٣) قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً ولم اكن بدعائك رب﴾
﴿شقياً (٤) وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقراً فهب لى من﴾
﴿لدنك ولياً (٥) يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً (٦) يا زكريا﴾
﴿انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا (٧) قال رب انى يكون﴾
﴿لى غلام وكانت امرأتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً (٨) قال كذلك قال﴾
﴿ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً (٩) .

قد سبق الكلام فى فواتح السور ، وقد ذكرت فى اخبار اهل العصمة عليهم السلام هنا كون الكاف اشارة الى كربلا ، والهاء اشارة الى هلاكة ابن بنت النبى صلى الله عليه وآله وهو الحسين بن على عليهما السلام والياء اشارة الى قاتله اى السلطان الجائر الذى قتل الحسين عليه السلام بامره وهو يزيد بن معويه لعنه الله والعين اشارة الى عطشه عليه السلام والصاد اشارة الى صبره .

فقد انبأ الله النبى صلى الله عليه وآله بما يجرى على ريحانته بعده صلى الله عليه وآله وان من يدعى الاسلام يصدر منه ذلك حتى يبكى النبى ، ويجزع على المقتول فى سبيل احياء دين الله فيحصل له الدرجة فوق الدرجة .

فان النبي ﷺ في حالة الوحي لاتكون له الانانية فنظره ﷺ الى الحسين ؏ ليس نظر الوالدالي ولده ، بل نظره اليه نظر من يرى المفتون في حب الله المتجاوز في حبه من النفس والمال والعرض والاقارب والاولاد ، فالبكاء عليه هو البكاء على هذالشخص .

وحيث ان منشأ هذا البكاء هوالحب ، وحب المحب من حيث انه محب ، حب المحبوب ، فيصير هذا الامر كاشفاً عن شدة الحب الى الله بل البكاء .

(ذكررحمة ربك عبده ذكريا) (١) اىهذاالذى يتلى ذكررحمة ربكوهوالله، والعبد مفعولللرحمة وزكريا بيانه اىتذكروا رحمةالله على زكريا فيحال خضوعه وعبوديته (اذ نادى ربه نداء خفيا) اىحين نادىالله وهوربه بالنداء الخفي، يحتمل ان يكون المراد هو تعلق قلب زكريا وتوجهه الى الله بايتائه ما يدعوه .

وحيث انالتوجه اذا تميحصل للمتوجه الهمة الىالحصولوهواظهار للمقصد فيكون دعاءاً لله ونداءاً لعدم حصول القرب التام اذتوجهه ؏ كان لمشاهدة مريم عليهاالسلامواجابة دعاءالله لامرأة عمران كماسبق فيسورةآل عمران .

قوله تعالى: (هنالك دعا زكريا) وقدذكرنا انالمرادانتقاله ؏ من مشاهدة مريم الىصيرورة دعاء امرأة عمران مستجاباً وعلى اى حال فمشاهدة الغير مع الله في حال دعوة الله مانعة من القرب التام ( قال رب اني وهن العظم مني و اشتعل الرأس شيباً) اى اظهر ، و قد ذكرنا سابقا ان القول هو اظهار المقصد ، و اشتداد التوجه وحصول الهمة ايضا يكون قولا ، فاظهر مقصده و هو ضعفه ؏ من حيث البدن حتى صارت عظامه ؏ موهونة رخوة و ذهبت صلابتها ، و ان الرأس من حيث أشعاره صارا بيضاً بالتمام ، وان البياض قد انتشرفيتمامه كانتشارشعاع النار فيتمام الحطب من باب الشيخوخية .

---

(١) زكريا اسم نبي منانبياء بنياسرائيل كان مناولاد هرون بنعمران اخيموسى بن عمران (مجمع البيان).

( و لم اكن بدعائك رب شقيا ) اىلم اكن بدعائى اياك فى السابق بعيداً وخائبا فلا تخيبنّى بعدذلك ايضا ولاتحرمنى من استجابة دعائى.

(وانى خفت الموالى من ورائىو كانت امرأتى عاقرا فهبلىمن لدنكوليا) اى قدصارالخوف حاصلالى من ابناء عمومتى ، ومن يتولى امورى بعدى من باب القرابة لكونهم فساقاً على الدين بعدموتى بالتضييع والتبديل، (وكانت امرأتى) الى الان متصفةبصفةالعقر وعدم قابلية الحمل (فهب لى) من قبلك على خلاف ماودعته فىالطبايع (وليا) اى اجعل رجائى فىاجابة دعائى وخوفى من الموالى من تضييع الدين و حصول اليأس من قبل ما هو المتعارف من الطبيعة اسبابا للهبة من قبلك على خلاف الطبيعة وليا اى الوارث .

(يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله ربرضيا) اى كان هذا الوارث متصفاً بهذهالصفة بان يرثنى من علمى ويرث من آليعقوب عليه السلام وهو جدى العلموالنبوة هذا علىقرائة الرفع فى(يرثنى) و(يرث) وعلىقرائة الجزم فيهماعلى جواب الامر هبلى يرث منى ومن آل يعقوب واجعله مرضيّا عندك بحيث ترضى عن صفاته وافعاله .

(يازكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لمنجعلله من قبل سميا) اى بعدهمته ودعائه نودى بالبشارة منقبلنا بولد يكون قدسمى وعلـّم بيحيى ولميكن من قبل الله من يسمى بهذاالاسم قبله .

و قدذكر بعض اهل التحقيق المستكشف للحقائق من الالفاظ القرآنية بان يحيى عليه السلام كان من مظاهر الجلال والوحدة الاطلاقية وهى الهوية الغيبيةالمستلزمة للاولية والخفاء ، وكان فى يحيى عليه السلام هذه الوحدة حتى لايغاير بين اسمه وصفته وصورته ومعناه .

فبلحاظ مظهريته للاولية لميكن له سمى قبله اذ هو الاول فلم يكن قبله شىء وكان الغالب على حاله احكام الجلال والقهر من الخشية ومقتوليته ، و مقتولية سبعين الفاً فى اخذثاره .

وبلحاظ وحدته كان اسمه دالا على ذاته وصفته وفعله (اما) على ذاته لكونه وجودا وهوالحيوة (واما) على صفته فلاتصافه بصفة زكريا الموجب لاحياء ذكر زكريا (واما) على فعله فلكونه جملة فعلية دالة علىاحيائه عليه السلام ذكرزكريا، ولكونه مظهراً للوحدة لم يلد وجعل حصوراً فان همة زكريا لاجل اعجابه من مريم عليها السلام و حصانتها صارت سبباً لافاضة يحيى عليه السلام فاتصف بصفتها من الحصانةو هى فى الرجل صيرورته حصوراً .

وذلك استكشاف لطيف ، ولكنا لانجزم به لعدم حجية استكشافه ، ولانمنعه ايضا لعدم كون البرهان العقلى او الدليل السمعى على خلافه .

(قال رب انى يكون لىغلام وكانت امرأتى عاقرا وقدبلغت من الكبرعتياً) اى التجاوز فى السن من الكبارة و سرّهذه الكلمة لو قعة فى مقام التعجب مع ان نفسه عليه السلام قددعى ورجى واهتم به ، لعله من باب شدة الفرح فرحا روحانيا ، من اجابة الله و احياء دين الله بوجود ولده . وكون الولد موصوفاً بالكمالات العالية الماضية اوغيرها ، فتكلم بكلمة التعجب حتى يسمع منقبل الله البشارة بالاجابةثانيا.

(قال كذلك قال ربك هو علىّ هيّن) اى افاضة القوة عليك والاستعداد على زوجتك (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً) اى قد اوجدتك وكنت معدوما ، والموجود اقربالى قبول الكمال من المعدوم للوجود او لم تكن شيئا يعتنى بك من كونك نطفة اوقبلها، وهى ابعداستعداداً من حالتكوحالامرأتك بالنظر التحقيقى والفرق بالعادات والله يفعل على خلاف العادات لاتمام الحجج .

وقد ظهر من جميع ما ذكر عدم كون مخالفة عقل فى الايات المذكورة للعقلومن يعتقد بالمعجزات وصدور خلافالعادات من الله لايتكلم على طبقالعقل وقد ذكرناسابقا حقيقة المعجزات باقسامها وصحة التمام وامكانها ووقوعها فلانعيد والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿قال رب اجعل لى آية قال آيتك ان لاتكلم الناس ثلاث﴾

﴿ليال سويا (١٠) فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم انسبحوا بكرة﴾
﴿وعشيا ( ١١ ) يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا ( ١٢ ) و حناناً ﴾
﴿من لدنا وزكوة وكان تقيـا (١٣) وبراً بوالديه ولم يكن جبـاراً عصيا (١٤)﴾
﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا (١٥) ﴾ .

اى لما اطمئن عليه السلام بهبة الله اراد تعيين الوقت ،اىالعلم بان النطفة استقرت واستعدت لان تصير ذلك الولد، فاراد الاية الالهية على ذلك(قال آيتك الاتكلم الناس ثلاث ليال سويا) اى الايةانك لاتقدر على التكلم مع الناس فى مدة ثلاث ليال وثلاثة ايام كما سبقفيآل عمران حال كونك صحيحا سالمامن دونوقوع فلج او مرض ، ولذلك كان يقدر على ذكر اللهولم يقدر على التكلم مع الناس .

(فخرج على قومه من المحراب) اى المسجد (فاوحى اليهم) اىاشاراليهم (ان سبحوا) فى الصبح والعشاء اى يصلون فعلم عليه السلام بالاستقرار المذكور حيث لم يقدر على التكلم ، ولعل الناس ايضا صاروا عالمين بوقوع امر عجيب .

(يا يحيى خذ الكتاب بقوة) اى التوراة بالقوة الالهية فان تكونه اذا صـار على خلاف الطبيعة ، وللدلالة على قوة لله وقدرته ، فالجهة الروحانية بل الجسم المستعد للافاضة تصير قوية ويصير قويا ، ولاجل الاول يحكم باخذ الكتاب بقوة، ولاجل الثانى يحصل الاستعداد فى الصبى (وآتيناه الحكم صبيا) اى الاتقان وهى النبوة اذالنبيوهيالواسطة متقنمن تمامالجهات ، وحصول تلكالقوة من اسبابه، همة زكريا عليه السلام.

(وحناناً من لدنا) اى آتينا الرأفة والرحمة من لدنا ، فكـان رؤفاً وعطوفاً ورحيماً على الناس (وزكوة)اىآتيناه الزكوة عليهماى الصدقة عليهم والمراد منه يحتمل ان يكون مزكيا للناس و مطهراً لهم من الارجاس فانه عليه السلام كان يغسل الناس غسل التعميد ، بل يقولون ان المسيح عليه السلام قد غسله يحيى عليه السلام فىاول امره بهذا الغسل ، بل اليهود كانوا قائلين بان صدور بعض الاثار من المسيح عليه السلامكان

بسبب ذلك الغسل وحيث ان الزكوة تسمى بالزكوة لمطهريته للمال فكـان عليه السلام زكوة .

ويحتمل ان الصدقة التي جعلها الله للناس كان من باب التفضل ووجود يحيى كان تفضلا على الناس .

(وكان تقيا) اى خائفا من الله وحافظا لنفسه ، حتى قالوا ان الهم بالمعصية ايضا لم يصدر منه ، ومن غيره عليه السلام وقع الهم ، وهذا على خلاف اعتقادنا ، فـان اعتقادنا فى حق جميع الانبياء ، العصمة ، واستحالة صدور الذنب منهم ، والمحال من العاقل كيف يمكن ان يهتم به او كان واقيا لله ومتخذ لله وقاية وجنة له (وبراً بوالديه) اى آتيناه البر بالوالدين و الاحسان اليهما (ولم يكن جباراً) اى متكبرا (عصيا) اى لله.

(وسلام عليه) اى سلام الله من العيوب والنقصانات ومايوجب للعتاب او العقاب (يوم ولد) اى يوم ولادته فانه عليه السلام كان فى بطن امه متكلما معه وله الكمال ، فينبغى لافاضة سلام الله عليه يوم ولادته (ويوم يموت) اى ينتقل من هذا العالم الى الملكوت فى مقابل الحيوة الدنيوية لا مقابل القتل فانه عليه السلام قتل ، وحيث ان المراد من السلام ماذكرنا من السلامة يجتمع مع الموت والقتل (ويوم يبعث حيا) اى الحيوة الحقيقية الابدية وهى فى عالم القيامة .

وقد ذكر بعض ان هذا القسم من السلام اعلى مما ذكر فى حق المسيح فانه يقول والسلام علىّ ، وذلك سلام من الله ، وحيث ان المسيح عليه السلام افضل قطعاً منه فيقال ان المراد هنا ايضا ، والسلام من الله علىّ ، وحيث لايحتمل كذبه فالمطلب واحد : والله الهادى

وقد ظهر عدم مخالفة الايات المذكورة ايضا مع العقل

قوله تعالى : ﴿واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكاناً شرقيا (١٦)﴾ ﴿ فاتخذت من دونهم حجاباً فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا (١٧) ﴾ ﴿قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقياً (١٨) قال انما انا رسول ربك لاهب لك﴾

﴿ غلاماً زكيا (١٩) قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم اك بغيا (٢٠) ﴾
﴿ قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة مناوكان امرا ﴾
﴿ مقضيا (٢١) فحملته فانتبذت به مكانا قصيا (٢٢) فاجائها المخاض الى جذع ﴾
﴿ النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا (٢٣) فناديها من تحتها ﴾
﴿ الاتحزنى قد جعل ربك تحتك سريا (٢٤) وهزى اليك بجذع النخلة تساقط ﴾
عليك رطباً جنيا (٢٥) فكلى واشربى وقرى عيناًفاما ترين من البشر احداً فقولى ﴾
﴿ انى نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا (٢٦) ﴾

( واذكر فى الكتاب ) اى القرآن ( مريم اذا نتبذت ) اى وقت اعتزالها فان كمالها لأجل الاعتزال والسفر من الخلق الى الحق (من اهلها مكاناً شرقيا) اى فى سمت المشرق .

ويحتمل ان يكون اشارة الى حصول الكمال لها فى الاعتزال وصارت فى الرتبة الى درجة اشراق شمس الحقيقة اليها فان اطلاق المكان على المرتبة يكون صحيحاً بل على حسب ماذكرناه سابقا تكون احد مصاديقه ( فاتخذت من دونهم ) اى من عند القوم ( حجاباً ) اى ساتراً لاجل غسل رأسها اوالاغتسال من الحيض او لغسل ثيابها ، ويحتمل ان يكون المراد وصولها الى درجة لايدركها القوم من الكمال كما لايرى وراء الحجاب

( فارسلنا اليها روحنا ) اى جبرائيل ( فتمثل لها بشراً سويـا ) اى تجسد بالجسد الانسانى فان مريم عليها السلام قد وصلت الى درجة الملكوت الايمن ، ولهذا تأكل الرزق من هذا العالم دائماً اوغالبا ، واما جبرئيل عليه السلام فهو من الجبروت وهوفوق الملكوت فلابد فى مقام مشاهدة مريم عليها السلام له اى للروح انيتنزل الروح ويتجسد كالملائكة القدرية، واما بالجسد لانسانى ، فلكونه ارفع من الكل اوبلحاظ السنخية ( سويا ) اى معتدلا من تمام الجهات .

( قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ) اى لوكنت خائفا من الله

فاني عائذ الى الله فلاتقربني ، ويحتمل كون استعاذتها بالرحمن من باب انخفاض نفسها ، فان الاستعاذة لابد ان تكون بما فيه اشراب الرحمة من اسماء الله وصفاته والربط بين المستعيذ والمستعاذبه يكون لازما ، وحيث ان الرحمة الرحمانية رحمة عامة بخلاف الرحمة الرحيمية فغرضها ﷺ ان الرحمة الرحمانية شاملة لي وان لم اكن مستحقة للرحمة الرحيمية .

ويحتمل ايضاان يكون سرّ استعاذتها ﷺ مع كونها - متمكنة في الملكوت الايمن ومرزوقة منه ، ومعها لاينبغي حصول الريب لعرفانهـا الحقيقة الملكوتية ، فلاتشتبه عليها بالملكيةـانها علمت بان التمثل في صورة البشر انما يكون بلحاظ امر متعلق بعالم الملك من افاضة الولد الجامع للملكوت والنا سوت لها ، وهي من باب ناسوتيتها حيث انها لم تندك بالتمام ، بل كان الغالب عليها الملكوت كانت خـائفة من ذلك الامر ، فلم تتوجه الى الرحيم لاقضائه افـاضة تلك الرحمة بل توجه الى الرحمة العامة لكل احد وهي الرحمانية حتى تنقطع عنها هذه الرحمة الرحيمية المخصوصة .

( قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاماً زكيا ) اي تمثلي بهذه الصورة لهذه الرسالة المخصوصة ، وهي موهبة الغلام الزكي الطاهر لك فاستعاذتك في غير محلها لكونها من الامور المحتومة الغير المتبدلة فبينت سرخوفها واستعاذتها.

( قالت اني يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا ) اي اهل عالم الملك يعتقدون : ان الولد لابد له من والد جسمـاني فلا بد مـن مس المرأة بالتزويج مع البشر او بالزناء ولاثـالث عندهم ، فحيث لازوج لي بحيث دخل عليّ فينحصر امري عندهم بالزنـاء ، وهو مورد الشتم واللعن وهتك العرض ، فاستعاذتي من هذه الجهة .

(قال كذلك قال ربك هوعليّ هيّن ولنجعله آية للناس ورحمة منا) اي قال جبرئيل مخبراً عن الله تعالى : انه قال : ان افـاضة الولد من دون والد جسمـاني

مطلقا بالنكاح او بالسفاح يكون مقدوراً لي" اى اخبرى النـاس بهذا ، وقولى : انولدى على خلاف الطبع من باب القدرة الالهية فلقدرتى وظهورها افيض ذلك الولد .

( ولنجعله آية للناس ) اى لاجل بروز القدرة وجعله آية وحجة على الناس نفعل ذلك وبسبب الاخير تظهربرائتك ( ورحمة منا ) اى لنجعله رحمة منا (وكان امراً مقضيا ) اى ثـابتا فى عالم القضـاء ، فلا يتبدل بخوفك وجزعك من الهتك (فحملته) اىبالافاضة من الله بتوسط جبرئيل حملت مريم لعيسى عليه السلام ( فانتبذت به مكانا قصياً ) اى اعتزلت بمصاحبة حملها مكانا بعيداً من القوم .

( فاجائها المخاض الى جذع النخلة ) اى الجأهاالان تعتمد على جذع النخلة اى النخلة فالاضافة بيانية ( قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً ) اى قد تمنت الموت ونسيان الناس لها لاشتداد ألمها بالهتك فى عالم الملك ، فـان الغالبعليه الملكوت قد يغلب عليه الملك ، فبهذا اللحاظ قد تمنّت ما تمنّت .

ويحتمل ان يكون ذلك فرحاً وكان المراد بالموت هوالاختيارى ونسيان غيرالله ، والمنسى عندغيرالله حتى لايشغلوها ، فان هذه الموهبة وقعت بعدالموت الاختيارى لهـا ، فتقول بعد الوصول الى تلك الدرجة : ليتنى كنت قبل ذلك واصلة حتى تظهر رحمة الله بسبب ولدى على الناس وحصل النسيان لغير الله لى وكنت منسية .

( فناديها من تحتها الاتحزنى قد جعل ربك تحتك سريا ) اى نوديت من المكان الاسفل من النخلة ان لاتحزنى بفقدك اللوازم وقد ذكرنا مراراً ان النهى لايقضى حصول المنهى فى القبل فضلا عما هوفىصورة النهىوتكون للاستيناس والمنادى اما البشر المتمثل اوعيسى عليه السلام وانالله قداجرى نهرالماء الذى كان قد انقطع فىهذاالمكان الاخفض من مكانك .

( و هزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ) اى حرّكى النخلة

نحوك تساقط عليك الرطب الجنى ، لا الباقي من السابق ، فهذا مأكولك ( فكلى و اشربى) اى من تلك النخلة ومن ذلك الماء ( و قرى عيناً ) اى افرحى بولدك ( فاما ترين من البشر احداً ) اى ان رأيت فالما زائدة من البشر احداً ( فقولى ) اى بالاشارة ( انى نذرت للرحمن صوما) اى الصوم المأخوذ فيه السكوت ، فانه كان مشروعا فى شريعة موسى عليه السلام ( فلن اكلم اليوم انسيا ) اى لاجل هذا النذر لااتكلم مع احد من البشر .

وحيث قدذكرنا سابقاً باب المعجزات وخلاف العادات ، وقلنا فى سورة آل عمران ( ١ ) ان البدن اذا كانت النفس غالبة عليها الملكوت يأكل و يشرب وينمومن ثمرات الملكوت، فيمكن ان يكون بالرؤية الملكوتية ايضا ، تتحرك ماء المرأةويستقرفى رحمها ويؤثر الملكوت فيه مايؤثرماءالمرءفيحصل البدن الملكوتى الغالب عليه الملكوت بالذات ويفاض عليه من عالم الجبروت .

فحقيقة عيسى عليه السلام من حيث الروح من الجبروت بالذات لا بالكسب ، وبدنه من الملكوت بالذات اى الجهة الغالبة عليه ، حتى لاينافى ظهوره فى عالم الملك على الجميع، فصعوده عليه السلام ببدنه الى الملكوت لامانع منه ابداً ولااستحالة فى شىء من ذلك .

فظهر بحمدالله عدم كون الايات المذكورة مخالفة مع العقل و الله الهادى .

قوله تعالى: ﴿فاتت به قومها تحمله قالوا يامريم لقدجئت شيئاً فريا (٢٧)﴾ ﴿يااخت هارون ما كان ابوك امرء سوء وما كانت امك بغيا(٢٨) فاشارت اليه قالوا﴾ ﴿كيف نكلم من كان فى المهدصبيا (٢٩) قال انى عبدالله آتانى الكتاب وجعلنى﴾ ﴿نبيا (٣٠) وجعلنى مباركاً اين ما كنت و اوصانى بالصلوة والزكوة ما دمت﴾ ﴿حياً(٣١) وبراً بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقيا (٣٢) والسلام علىّ يوم ولدت﴾ ﴿ ويوم اموت و يوم ابعث حيا ( ٣٣ ) ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى ﴾

---

(١) راجع المجلد الاول من هذا التفسير ص ٢١٢ الى ٢١٣ .

﴿فيه يمترون (٣٤) ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون (٣٥) وان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم (٣٦)﴾ .

(فاتت به قومها) اي مريم عليها السلام صارت سببا بسبب الحمل ، لاتيان قبيلتها (١) فجائت تحمله اى حالكون المرأة وهى مريم آخذة لعيسى عليه السلام فى حجرها بحيث كان الحمل صادقا فعيّروها (قالوا يامريم لقد جئت شيئاً فريا) اى عظيما من حيث القبح باتيانك الولد قبل دخول زوجك .

(يا اخت هارون ) اى فى الصفة (قيل) انه كان رجلا صالحاً عفيفاً اى كنت قبل ذلك مثله فى العفة (وقيل) انه كان رجلا فاسقا اى باطنك كان مثله .

وعلى اى حال فعلى فرض ان يكون المراد بكون هارون اخاه فى النسب، لا يلزم ان يكون المراد هو اخو موسى عليه السلام لحصول الاشتراك فى الاسماء بل يقع الاشتراك فى الاسم من تمام الجهات ، والداً واماً واخاً واختاً ، فكونها مريم و بنت عمران واخت هارون غير منافية مع كون اخت موسى عليه السلام ايضا مريم وبنت عمران واخت هـارون ، و لايلزم ان يكون المتكلم مشتبها فى كلامه ، و من يذكر قصص انبياء بني اسرائيل جماعة منها لايشتبه عليه ذلك الامر و لايشتبه عليه ان زمان عيسى عليه السلام غير متصل بزمان موسى عليه السلام فناسب الجهل تكون نفسه من اجهل الجهلة حيث لايلتفت بوقوع الاشتراك فى الاسماء .

وعلى فرض عدم التسمية فى الانجيل أو ساير الكتب أو ذكر الخلاف ، لايصير سببا للحكم بغلطية القرآن ، بل كون الاناجيل اربعة اوازيد ووقوع المناقضات فى الوقايع المحكية فيها، و كونها قصة عيسى عليه السلام وعدم اشتمالها الاقليلا فى النصايح يحصل القطع للانسان بكون الانجيل لو كان منه فى هذه الاناجيل هى تلك النصايح للباقى .

---

(١) هكذا بخطه قدس سره ولكن الاصوب ان تكون العبارة هكذا : اى الحمل صار سببا لاتيان مريم قبيلتها .

وقد افردنا في بعض المقامات المناقضات بينها والامر اوضح من ان يخفى .

(ما كان ابوك امرء سوء وما كانت امك بغيا ) اى كنت من اهل التقوى فلم صرت زانية؟ (فاشارت اليه) اى اسئلوه اى عيسى عليه السلام (قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ) اى هذا غير ممكن فلما رأى المسيح عليه السلام انهم لا يسئلونه .

( قال انى عبدالله ) اى الفانى فى الله المستجمع لتمام الكمالات ( آتانى الكتاب ) اى علم الكتاب وهو التوراة او الانجيل (وجعلنى نبيـا) واسطة بين الله والخلق ( وجعلنى مباركاً ) اى ما يصير سببا للبركة اذ النهر قدجرى والنخلة قد ساقطت ببركته وكذا فى البعد ( اين مـا كنت ) اى فى اىّ محل فى الملك او الملكوت يصل بركتى الى الناس ( واوصانى بالصلوة والزكوة ) اى تطهير النفس او الغير ( مادمت حيا ) فى عالم الملك اوفى الملكوت، اذالترقى فيه ايضا يحصل بل قد ذكرنا قبل ذلك ان لغير الحق الحركة والصعود مطلقا وتطهير الغير بوجود الاخلاق المودعـة فى الملك لتهذيب النـاس ( وبرأ بوالدتى ) اى مريم عليها السلام ( ولم يجعلنى جباراً ) اى متكبرا بان ادعى الالوهية او ابن الله ( شقيا ) اى بعيداً من رحمةالله .

( والسلام علىّ ) اى من الله ( يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا ) وقد مضى الكلام فى ذلك .

( ذلك عيسى ابن مريم قول الحق ) اى المذكور هوعيسى عليه السلام وهو كلمة الحق وقوله ، بناء على قرائة الرفع ، وبناء على النصب بتقدير قلت اى قلت قول الحق (الذى فيه يمترون) اى يشكون ويقولون بما فيه الرّيب والشك (ما كان لله ان يتخذ من ولد) قدمضى الكلام فى استحالته ( سبحانه ) اى منزه من ذلك الامر (اذا قضى امراً) اى اراد ايجاد شيىء ، ( فانما يقول له كن فيكون ) وقد سبق ان المراد افاضة الوجود لاالخطاب القولى (وان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ) وقد سبقت براهين التوحيد فلا نعيد .

فمطابقة بعض الايات المذكورة مع العقل وعدم مخالفة الباقي منها معه ، من الواضحات ، والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد﴾ ﴿يوم عظيم (٣٧) اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم فى ضلال﴾ ﴿مبين (٣٨) وانذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون (٣٩)﴾ ﴿انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون (٤٠) واذكر فى الكتاب ابراهيم﴾ ﴿انه كان صديقا نبيا (٤١) اذقال لابيه يا ابت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا﴾ ﴿يغنى عنك شيئا (٤٢) يا ابت انى قدجائنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى اهدك﴾ ﴿صراطا سويا (٤٣) ياابت لاتعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا (٤٤)﴾ ﴿يا ابت انى اخاف ان يمسّك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا (٤٥)﴾ ﴿قال اراغب انت عن آلهتى ياابرهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرنى مليّا﴾ ﴿(٤٦) قال سلام عليك ساستغفر لك ربى انه كان بى حفيا (٤٧) واعتز لكم﴾ ﴿وما تدعون من دون الله وادعو ربى عسى ان لااكون بدعاء ربى شقيا (٤٨)﴾ ﴿فلما اعتز لهم وما يعبدون من دون الله وهبناله اسحاق ويعقوب وكلاجعلنا نبيا﴾ ﴿(٤٩) ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا (٥٠)﴾ .

( فاختلف الاحزاب ) اى الاصناف (من بينهم) اى نصارى فى امر عيسى فقال بعضهم انه ابن الله ، وبعضهم انه شريك مع الله ، وبعضهم انه ثالث ثلاثة من الله وعيسى وروح القدس ، وبعضهم بتبديل روح القدس بالام .

(فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) اى جميع ماسبق من الاختلافات كفرو قسم من الشرك ويكون الويل والعذاب على المشرك من الشهود والحضور فى اليوم العظيم ، وهو القيامة بين يدى الله .

( اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين ) اى ما اسمع بهم وما ابصر وهو افعل التعجب اى يسمعون العجب ويبصرون العجب

في يوم القيامة الذي يأتوننا فيه وينتقلون ، لكنهم اليوم في الضلال والجهالة الواضحة

( واندزهم يوم الحسرة ) اى من يوم يكون موجباً للحسرة اذيرون مافات عنهم من الكمالات وما ورد عليهم من النقائص ( اذقضى الامـر وهم فى غفلة ) اى قدفرغ وخلص يوم التحصيل والعمل حالكونهم فى الغفلة ( وهم لايؤمنون ) اى من باب غفلتهم مـن الواقع ( انا نحن نـرث الارض ومن عليها ) اى تخرب صورة الملك وتتحرك وتجيىء الاشياء الينا ، فتظهر ما لكيتنا على الجميع وهو الارث بحسب الاعين اوالمرتبة (والينا يرجعون) بـاندكاكات الانانيّـات جميعاً ( واذكر فـى الكتاب ابرهيم انـه كان صديقا ) اى كثير الصدق (نبياً ) اى منبئا عن الله .

(اذقال) اى اذكر ذلك الوقت (لابيه) وهوعمه آذر ، وقد سبق صحة اطلاق الاب عليه (يا ابت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولايغنى عنك شيئاً) اى الاصنـام وهي الجمادات (يا ابت انى قدجائنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى اهدك صراطاً سويا) ونهاه عن عبادة الشيطان لكونه عاصياً عندالله ، وقـال اخـاف عليك من عذاب الرحمن ، وولاية الشيطان ، فتكون معه قريناً فى الجحيم .

(قال اراغب انت عن آلهتى ياابراهيم لئن لم تنته لارجمنك) اى بالاحجار او بالكلام الخشن (واهجرنى مليا) اى زماناً طويلا (قال) اى ابراهيم (سلام عليك ساستغفرلك ربى) اى اطلب لك منه الغفران (انه كان بى حفياً) اى شفيقا .

(واعتزلكم وما تدعون من دون الله) اى اجتنب وابعد عنكم (وادعو ربى عسى انلااكون بدعاء ربى شقيا) اى بعيداً من خدمته وعبادته .

( فلمـا اعتزلهم و مـا يعبدون مـن دون الله وهبنا لـه اسحاق و يعقوب و كـلا جعلنـا نبياً ) اى الاعتزال صار سببا لتلك النعمة فى وقتهـا ( و وهبنا لهم ) اى ابراهيم عليه السلام و اسحـاق عليه السلام و يعقوب عليه السلام ( من رحمتنا ) من العلم والحكمة ( وجعلنا لهم لسان صدق عليا ) اى رفيعا فان

لهم الثناء الجميل فى الاديان من اليهود والنصارى والاسلام .

وقد ظهر عدم مخالفة ما ذكر من الايات مع العقل بوجه ، والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا﴾ ﴿نبيا (٥١) وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا (٥٢) ووهبنا له من﴾ ﴿رحمتنا اخاه هارون نبيا (٥٣) واذكرفى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد﴾ ﴿وكان رسولا نبيا (٥٤) وكان يأمر اهله بالصلوة والزكوة وكان عند ربه مرضيا﴾ ﴿(٥٥) واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا (٥٦) ورفعناه مكاناً عليا﴾ ﴿(٥٧) اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنامع﴾ ﴿نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات﴾ ﴿الرحمن خروا سجدا وبكيا (٥٨) فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة﴾ ﴿واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا (٥٩) الا من تاب وآمن وعمل صالحا﴾ ﴿فاولئك يدخلون الجنة ولايظلمون شيئاً (٦٠) جنات عدن التى وعد الرحمن﴾ ﴿عباده بالغيب انه كان وعده مأتيا (٦١) ﴾ .

(واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصاً) اى اخلص نفسه من تمام مراتب الشرك فعلا وصفة وذاتاً فبتوفيق الله رفض انانيته واندكت حقائق الاشياء عنده حتى رأى رؤية الشهود انه لافعل الافعله فعبدالله مخلصا، ولاصفة الاصفته فنظر الى تجلياته ولا ذات الاذاته فصعق ومحى ، هذا على قرائة الكسر فى اللام ، وعلى قرائة الفتح يكون المراد ان التوفيق الالهى جعله كذلك والمطلب يكون واحداً (وكان رسولا) اى ارسله الله لان يكمّل الناس ويبين لهم الحقائق وما ينبغى للانسان من الافعال والصفات وما يتوجه اليه (نبيا) اى انبأ الناس بعد ارساله واتم عليهم الحجة فما هو الغرض من الرسالة قد حصل .

(وناديناه من جانب الطور الايمن) اى الجبل الواقع فى جانب يمينه حال كونه يمشى من طرف مدين الى جانب آخر فالجبل يكون واقعا لمن يكون خلفه نحو

مدين في جانب اليمين .

ويحتمل ان يكون المراد ان النداء كانت من الجهة الملكوتية اليمنى وهو عالم الملائكة القدرية ، وحيث ان النفس الواصلة الى تلك الدرجة لاستقامة ملكاتها وثباتها تستحق لاطلاق الجبل عليها قال الله تعالى وان النداء كانت من هذه الجهة، لامن الملكوت الايسر ، فانه عالم الاجنة والشياطين ، ولامن جانب حصول بعض الحالات الطارية الزائلة ، بل من جانب الملكات الراسخة .

و احتمال كون المراد ما فيه اليمن والبركة (او) ما هومأمون من الزلات والشكوك ، يكون صحيحا وراجعاً الى ما ذكر ، وكون المراد هو المعنى الكلى الذي جميع تلك الامور من مصاديقه يكون اقوى كما بينا سابقاً فلا نعيد .

( وقربناه نجياً ) اى من الملكوت الايمن الى فوقه بمثابة كون التكلم معه بالنجوى ، والالصاق لوكان لله جسم ومكان اى ارتفع البعد ، و حصل القرب ولو كان من حيث البدن في عالم الملك.

(و وهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبياً) اى كانت هذه الموهبة باستدعاء موسى عليه السلام فان حصول كمال النفس ـ بحيث يتصل الى العالى وان لم يكن باستدعاء احد من الله ، اذ افعاله لاتكون جزافة ـ الا انه يمكن ان يكون هارون واصلا الى درجة الاتصال ومأموراً بالعمل في نفسه ايضاً بشريعة موسى عليه السلام الا ان تبليغه لشريعة موسى عليه السلام الذي به يكون نبيا و منبئاً ، امر تكليفى غير تكميل النفس فموسى عليه السلام لاجل عقد لسانه، اولاجل عظمة مأموريته، استدعى من الله جعل هارون شريكاً له في التبليغ لشريعة موسى عليه السلام وهذا لايكون جزافاً كمالا يخفى ، فهذا الامر من قبل الله بهرون كان لاجل موسى عليه السلام.

(واذكر في الكتاب اسماعيل) اى اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام ( لما ) يظهر من بعض الايات القريبة الاتية (ولما) يظهر من بعض اهل التحقيق والكشف (ولما) يظهر من بعض المفسرين من كتب الجماعة (ولما) ذكرنا سابقا انه اذا لم

يذكر اسم نبي مشترك مع الانبياء المذكورة في القرآن و تكرر ذلك النبي يحمل عند الاطلاق على النبي المذكور اسمه .

وان ورد (١) من اخبار آل العصمة عليهم السلام تعيين الغير فهو المتبع ، الا انّي في حين الكتابة فاقد للاسباب ، فلا ادري .

( انه كان صادق الوعد ) اى اذا وعد يثبت على الوفاء ثبوتا على خلاف المتعارف (وكان رسولا) اى البالغ الى درجة الوساطة على قبيلة جرهم(نبياً) اى انبأهم بالاحكام الالهية .

( وكان يأمر اهله بالصلوة والزكوة وكان عندربه مرضياً ) اى في الصفات والافعال .

(واذكر في الكتاب ادريس) و هو جد نوح عليه السلام ( انه كان صديقاً) اى كثير الصدق وكان عليه السلام معلماً في العقليات والمطالب العالية ، وحيث ان كلّها كان مطابقاً للواقع فهو عليه السلام كثير الصدق (نبيا) اى منبأ من قبل الله الاحكام للناس .

(ورفعناه مكاناً عليا) اى المرتبة العالية من النفس و قد نقل بعض الحكماء عنه عليه السلام انهرمس الهرامسة- وهو لقبه عليه السلام عند اهل المعقول قال : ان ذاتاً روحانيا القى الىّ المعارف ،فقلت: من انت فقال : انا طباعك التام ويقولون

---

(١) في تفسير مجمع البيان ج٥ ص٥١٨ بعد تفسيره بـ (اسماعيل بن ابراهيم ) قال : ما هذا لفظه :

و قيل : ان اسماعيل بن ابراهيم مات قبل ابيه ابراهيم عليه السلام ، و ان هذا هو اسماعيل بن حزقيل بعثه الله الى قومه فسلخوا جلدة وجهه وفروة رأسه فخيره الله فيما شاء من عذابهم فاستعفاه و رضى بثوابه ، و فوض امرهم الى الله تعالى ، في عفوه وعقابه و رواه اصحابنا ، عن ابي عبدالله عليه السلام - ثم قال في آخره : اتاه ملك من ربه يقرئه السلام ويقول : قد رأيت ماصنع بك وقد امرني بطاعتك فمرني بماشئت فقال يكون لي بالحسين عليه السلام اسوة انتهى .

ان المراد به هورب نوع الانسان فهو عليه السلام قد وصل الى تلك الا رجةوذكر انه عليه السلام ببدنه يكون في السماءالرابعة او فوقها وهو انه عليه السلام بعدذوق الموت رد روحه الى البدن وصعد الى السماء.

وحيث انه لا امتناع بنظرنا عند العقل احياء الموتى، ولا دخول البدن العنصرى في السموات ، فلا امتناع في ذلك ، و اما الوقوع فيتوقف على ما يصل من آل العصمة عليهم السلام على نحو التواتر المعنوى ولكونى فقد الكتب الاخبار من اهل البيت عليهم السلام يكون سكوتي اولى (اولئك) اى المذكورون هم (الذين انعم الله عليهم) من الانبياء (من ذرية آدم) اى بعضهم يصل الى آدم فقط ، وهو ادريس عليه السلام (وممن حملنا مع نوح) اى من ذرية نوح عليه السلام فقط وهو ابراهيم عليه السلام (ومن ذرية ابراهيم ) و هو اسحاق ويعقوب عليها السلام و اسماعيل عليه السلام الذى هو صادق الوعد فهؤلاء من ذرية ابراهيم عليه السلام ( واسرائيل ) اى يعقوب وهو موسى وهارون عليها السلام .

(وممن هديناواجتبينا) اى المذكورون مهديون ، ولهم الاجتباء والاصطفاء ( اذا تتلى عليهم آيات الرحمن ) اى الامور العلمية والعملية النازلة من الله (خروا سجدا) اى وقعوا في هيئة السجود من باب الخضوع وحصل لهم البكاء من الخوف والخشية والمحبة والرجاء .

( فخلف من بعدهم خلف ) اى من ذراريهم (او) من جاء بعدهم في عالم الملك ( اضاعوا الصلوة ) اى بتركها كما هو حقه بان تركوا او اتوا غير صحيح شرعا او اتوا بلا روح وحقيقة .

(واتبعوا الشهوات) اى ما تميل اليه نفوسهم (فسوف يلقون غياً) اى ظهور الضلالة في الاخرة ، فان لكل شيء صورة اخروية، وللغى أيضاً صورة وهى أشد عذاباً من كثير اقسام العذاب ، ولذا ذكر انه يكون وادياً يتأذى منه اهل النار .

( الا من تاب وآمن وعمل صالحاً ) فان الرجوع الى الله والايمان به والاطاعة مكفرة للذنوب وقد سبق في التوبة ( فاولئك يدخلون الجنة ) بالايمان

والافعال بعد زوال الموانع بالتوبة (ولايظلمون شيئاً جنات عدن) اى الاقامة التى (وعد الرحمن عباده بالغيب) عن عالم الشهادة اى حال كون الجنة غائباً عن عالـم الشهادة (انه كان وعده مأتياً) اى وعده بالجنة يصل الى مقام التنجز باتيان يوم الجمع وحركة الاشياء اليه .

وعدم مخالفة تلك الايات مع العقل يكون واضحاً والله الهادى .

قوله تعالى: ﴿لايسمعون فيها لغواً الاسلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾
﴿ (٦٢) تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا (٦٣) وما نتنزل الا بامر ﴾
﴿ربك له مـا بين ايدينا وما خلفنا ومـا بين ذلك وما كان ربك نسيا (٦٤) رب﴾
﴿السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا (٦٥)﴾
﴿ويقول الانسان ءاذا مامت لسوف اخرج حيا (٦٦) اولايذكرالانسان اناخلقناه﴾
﴿من قبل ولم يك شيئاً (٦٧) فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول﴾
﴿جهنم جثياً (٦٨) ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا (٦٩) ثم﴾
﴿لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا (٧٠) وان منكم الاواردها كان على ربك﴾
﴿حتماً مقضيا (٧١) ثم ننجى الذين اتقوا و نذر الظالمين فيها جثيا (٧٢) و اذا﴾
﴿تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا اى الفريقين خير مقاماً﴾
﴿واحسن نديا (٧٣) وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا (٧٤) قل﴾
﴿من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى اذا رأوا مايوعدون اماالعذاب﴾
﴿واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكاناً واضعف جندا (٧٥) ويزيد الله الذين﴾
﴿اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيرمردا (٧٦)﴾ .

(لايسمعون فيها) اى فى الجنة (لغواً) اى مالافائدة فيه فائدة عقلائية ممايوجب الايذاء من قبيل اظهار اعلائية الدرجة او التقريع او الشتم ، فان كل ذلك لايترتب عليها امر عقلانى لانقطاع دار العمل حتى يصير سببا للازدياد ، وتفاوت المراتب أيضاً مشهود ، وحال الباقى يكون واضحاً (الا سلاما) اى لكن يسمعون سلاماً من

الملائكة عليهم ومن بعضهم على بعض لان حصول الفرح فوق الفرح فرحاً الهيا راجعاً الى التجليات الفعلية والصفتية امر عقلائي .

( ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ) اى فى الجنة بكرة وعشيا اى لو كان مختلفاً بالنور والظلمة اى ما يحتاجون وهو محمول (اما) على الكناية عن الدوام (او) على الاستحقاق وقوله تعالى اكلها دائم على التفضل ( او ) المراد من الرزق هنا تجل مخصوص (او) يكون لمن كان مستوعباً في محو الجلال ، وفي حال الافاقة والالتفات يأتي اليه الرزق المناسب لحال الافاقة .

(تلك الجنة التى نورث من عبادنا) اى يلى تصرفهم تصرفنا ويتصرفون فيها بافاضتنا التصرف الغير المنفكة من قبيل تصرف المالك الحقيقى فى الملك، فقيام الجنة بصاحبها من قبل الله ، والزوال والانتقال منه محال ، وهذا لعباد الله الفانين فيه (من كان تقيا) اى كان فى الدنيا متخذاً لله وقاية له، وجنة من تمام الشرور اومن كان خائفاً .

(وما نتنزل الا بأمر ربك ) اى قال جبرئيل لايكون نزولنا عليك من قبلنا ، وانما يكون بامر الله لكونه عبداً محضا وادراكاً صرفاً والتذاذه بالتوجه الى الله ، ولا يغفل من الله ولا يسبق الله لكونه معلولا في امر من الامور ومنها النزول .

وقد ذكرنا سابقا ان امثال ذلك لايستلزم سبق شيء من تأخير النزول او تشكّي النبى ﷺ اليه كما ان النهي عن الشيء لايستلزم كون المنهي مرتكباً للمنهي عنه سابقاً ، بل شأن جبرائيل افاضة العلوم ، وذلك المطلب من العلوم ، فما يذكره بعض الجماعة فى شأن النزول ـ ان كان ثابتاً من طريق اهل البيت على نحو التواتر المعنوى ـ فهو الحق الذى لامحيص عنه ، و الا فنذره فى بقعة الامكان وليس عندى شيء فى ذلك .

(له ما بين ايدينا) اى الا على منا وما خلفنا اى الادنى منا وما بين ذلك من نفوسنا و الكل ملك قائم بالحق كما سبق الا ان جبرئيل عليه السلام وفوقه يلتفتون ،

ولا يسبقونه بالقول ، والادنى الغير الملتفت لايلتفت الى ذلك (وما كان ربك نسياً) اى لاينسى من احد والا فمع محاليته ينتفى ذلك الشيء لان البقاء ايضا كالحدوث من الله .

(رب السموات والارض وما بينهما) اى تربية تمام العاليات والسافلات منه وكذلك المتوسطات (فاعبده) اى لعدم شريك له فى الملك (واصطبر لعبادته) اى على ما يؤذونك واما عبادة الله له ﷺ عين الراحة والفوز كما ينقل من قوله ﷺ ارحنى يا بلال فى وقت الاذان ويحتمل لبعض المراتب ايضا كالبدن (هل تعلم له سمياً) اى من كان موسوما حقيقة بسمته وعلاماته وهومحال ، فالاستفهام انكارى .

(ويقول الانسان ءاذا مامت لسوف اخرج حيا) اى الانسان المعهود وهوابى ابن خلف اومثله اوفى ذلك النوع يكون من يقول ذلك ويستفهم انكاراً من الحيوة بعد الموت فى القيامة .

( او لايذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً ) اى لايلتفت بقدرتنا التامة وهو ايجاده مع كونه معدوما والقدرة ما سلبت منا وكذلك العلم وقد اقمنا البراهين على بطلان الشبهات فى امر المعاد فلا نعيد .

(فوربك لنحشرنهم والشياطين) اى لاتصال سلسلتهما ففى الحشر والجمع ايضا تكون سلسلتهما واحدة ، اذ الغائب عن الاعين يصير ظاهراً فى ذلك اليوم ، والابصار حديدة ، فالاجتماع المخفى يصير واضحا .

(ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) اى الماشين على ركبهم فى اطراف جهنم

(ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا ) اى نخرج من كل فرقة من كان عتوه ونفوره اشد لاشديّة عذابه (ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا) اى اولى بالدخول فى جهنم وروداً واحتراقا .

( وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ) اى وارد النار فلايكون منكم الا انه يرد على النار وكان ذلك امراً حتميا ثابتا فى كتاب القضاء فلايتغير.

و اعلم ان الورود لا يلازم التأثير وان النار يحرق ، بل كما ان الشروط والمعدات ، بل المقتضيات مع تحقق المانع غير مؤثرة، فالنار المقتضية للاحراق ايضا كذلك ، وسر الورود و كونه حتميا انما يكون لبقاء المقتضيات مع النفس من الشهوة والغضب والانانية وغيرها ، الا ان الايمان والاعمال الصالحة ( او ) التوبة ، انما صارت سببالعدم تأثيرها في المعصية (او) ترك الطاعة (او)على فرض الصدور وقد ارتفع اثرها .

ولما ان القيامة دارالكمال والترقي الى العالم العالى ، فلابدمن المرور على الحقائق ، ومـن الحقائق صور ملكاته الغير المؤثرة فيه ، فلا بد من التجاوز عليها ومشاهدة كونها من حيث حقائقها شهوداً عيانيا لاعلميا، فلا بد من الوصول الا انها تكون مسخرة له ، كتسخير مقتضياتها ، في الدنيا للمسلط عليهـا اى على القوى .

فمن يكون اميراً او بحكم الامير و لو من باب التوازن ، لاتؤثر النار فيه ، ويصير ذلك سببا لفرح فوق الفرح .

(ثم ننجى) اى بعد الورود نخلص اى من ذلك السير ، فان هذا السير بالنسبة الى سير العاليات يكون دانيا وسير العاليات يكون خلاصا ونجاة (ونذر الظالمين فيها جثيا) اى بأن تؤثر النار فيهم على الصفة المذكورة فلا مخالفة للعقل فى الاية بل على طبق البرهان العقلى .

( واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ) اى الحجج من طريق العقل لكونها على طبقها ( قـال الذين كفروا للذين آمنو اى الفريقين خير مقاماً ) اى الاخذ ون بالدنيا المنكرون لذلك الامر حتى يأمنوا ويتلذذوا ام مثلكم فانكم لاتلتذون لاجل خوفكم ( واحسن نديا ) اى مجمع التكلم ، والاستيناس فاننا فى الفرح دونكم .

( وكم اهلكنا قبلهم من قرن ) اى على خلاف العادة للتعذيب ( هم احسن اثاثاً ) اى مالا ومتاعاً ( ورئياً ) اى منظراً .

( قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ) اى فى الدنيا حتى يصير وزراً عليهم وسببا لازدياد محركاتهم لاختيارهم ذلك (حتى اذا رأوا ما يوعدون) وهو الا سروالقتل لكفار مكة وهوالمراد بقوله تعالى (اما العذاب واما الساعة) ى القيامة (فسيعلمون من هوشر مكاناً) اى الفرح الزائل فى الدنيا وعدم الخوف من الاخرةاوالفرح الدائمىمع الخوفمن الله فىالدنيا(واضعف جنداً) اىالناصروالتابع

( ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ) اى قبول الهداية العالية يصيرسببا للهداية التىهى اعلى (والباقيات الصالحات)اى الامور الدائمية الحسنة والخيرية الصالحة (خيرعند ربك ثوابا) اى ما يعطى من الله بعنوان التعظيم (وخير مرداً) اى من حيث الرجوع الى الله والله الهادى .

وقد ظهر تطابق بعضها مع البراهين العقلية ، وعدم مخالفة البقية ايضا معه

قوله تعالى ﴿ افرأيت الذى كفر باياتنا وقال لاوتين مالا و ولداً (٧٧) ﴾ ﴿اطلع الغيب ام اتخذ عندالرحمن عهداً (٧٨) كلاسنكتب مايقول ونمدّله من﴾ ﴿العذاب مداً (٧٩) ونرثه مايقول ويأتينا فرداً (٨٠) واتخذوا من دون الله آلهة﴾ ﴿ليكونوا لهم عزا (٨١) كلا سيكفرون بعبادتهمويكونون عليهم ضداً(٨٢) ألم﴾ ﴿ترانا ارسلنا الشياطين على الكافرينتؤزهم أزاً (٨٣) فلاتعجل عليهم انما نعد﴾ ﴿لهم عداً (٨٤) يوم نحشرالمتقين الى الرحمن وفداً (٨٥) ونسوق المجرمين ﴾ ﴿الى جهنم ورداً (٨٦) لايملكون الشفاعة الامن اتخذ عندالرحمن عهداً (٨٧)﴾ ﴿ و قـالوا اتخذ الرحمن ولداً (٨٨) لقد جئتم شيئـاً اداً (٨٩) تكاد السموات ﴾ ﴿يتفطرن منه وتنشق الارض وتخرالجبالهداً (٩٠) ان دعواللرحمن ولداً (٩١)﴾ ﴿ومااينبغى للرحمن ان يتخذ ولداً (٩٢) انكل من فى السموات والارض الا ﴾ ﴿آتىالرحمن عبداً (٩٣) لقد احصيهموعدّهم عداً( ٩٤) وكلهمآتيه يومالقيامة﴾ ﴿فرداً (٩٥) ان الذين آمنواوعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمنوداً (٩٦)﴾ ﴿ فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين و تنذربه قوماً لداً (٩٧) وكم اهلكنا ﴾

﴿ قبلهم من قرن هل تحس منهم من احد اوتسمع لهم ركزاً (٩٨) .

( افرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولداً ) اى الكافر المنكر للبعث ، و هو عاص بن وائل على ما ذكروا حيث قال لخباب ـ بعدان طالب منه اداء دينه وكان قائلا بالبعث ومهدداً به ـ انى على قولك لاعطى فى البعث اموالى واولادى البتة ، أى الله منفرداً اومع شركائه ليعطوننى فى القيامة اموالى واولادى فاردّ عليك دينك فى القيامة ، وكان غرضه الزام الخباب .

( اطلع الغيب أم اتخذ عندالرحمن عهداً ) أى هل يكون على هذا الفرض مطلعا على حال القيامة وهوالغيب ، وقدحذفت همزة الاستفهام ، وانه يعطى المال بصورة المالية له مع ان الامر لا يكون كذلك ، اذ المالية المرتبطة أيضا تتحرك ، وبحسب ملكة المالك وانه قد شكر لله بالمال او كفر ، تختلف صورتها ، فللكافر تصير بصورة اقسام العذاب ، وللشاكر بصورة أقسام النعمة ام أخذ العهد من الله حتى يكون الله ملتزماً بالوفاء بالعهد على الفرض على نحومراده أى لم يقل الله بانى على فرض البعث أرد اموالك وأولادك اليك بصورة تريد .

( كلا ) أى هو مرتدع عما يقول وليس الامر الفرضى بزعمه كما اراد نعم هذاالقول ايضاعليه وزروو بال حيث انه بصورة السخرية و الاستهزاء ( سنكتب ما يقول) أى فى صحيفة اعماله (ونمد له من العذاب مداً) أى نزدادله .

( ونرثه مايقول) أى الاموال والاولاد بصورتها الفعلية ترجع الينا كرجوع ساير الامور و نردها بعنوان النعمة او النقمة فالامر بيدنا ( ويأتينا فرداً ) أى خالية من الكمالات وفريداً من الوجوديات، واما صورة الشقاوات، فهى على نحواعدام الملكات، فهو يحشرفريداً عن مقصده من كونه صاحب الكمال بالاموال والاولاد .

( واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا ) اى شفيعاً عندالله و موجباً لعزتهم .

( كلا ) اى يرتدعون ( سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً ) اى الالهة الموهومة سواء كانت نفس الاصنام اواجسام الكواكب اونفوسها ، فان

الظاهر ان عبادة الاصنام ، بلحاظ تشكلها بروحانية الكواكب عندهم ، والشفعاء عند الكواكب ، وعلى اىّ حال فهم ينطقون ولو من باب ان الحيوة تسرى فى تمام الاشياء ويكفرون بعبادة هذه العبدة ويقولون انكم لم تكونوا عابدين لنا بل كنتم عابدين لاهوائكم (ويكونون) على ضررهم (ضداً) .

(الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازاً ) اى تهيّجهم هيجانا على الكفر والشقاوه فـالمرجع الى باطنهم وهى الشيطنة الموجودة لهم المتصلة بالشيطان الخارجى .

( فلا تعجل ) اى انت يا نبى الله ( انما نعد لهم عدا )اى نحاسبهم حسابا وافياً .

( يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً ) اى راكبين علىالمراكب النورية من اعمالهم وملكاتهم .

( ونسوق المجرمين الى جهنم ورداً ) اى ماشين عطشانين بغير ركوب وراجلين .

( لايملكون الشفاعة ) اى من يشفع ليس له ان يشفع ( الا لمن اتخذ عند الرحمن عهدا ) اىالموحد القائل بالتوحيد الذاتى ، وهولا هوالاهو ، والصفاتى وهو لااله الا الله والافعالى ، وهو لاحول ولا قوة الا بـالله اوخصوص الاخيرين حتى تشمل الشفاعة للاواسط ايضا وهو المذكور اى الاخيران فى بعض كتب الجماعة .

( وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ) كقول من يقول بـان الملائكة بنـات الله والنصارى واليهود ( لقد جئتم شيئا ادا ) اى منكراً عظيماً .

( تكاد السموات يتفطرن منه ) اى من هذا الكلام المنكر ( وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ) اى تقع عليهم ( ان دعوا للرحمن ولداً ومـا ينبغى للرحمن ان يتخذ ولداً ) اى لايمكن ، وقد ذكرنا الوجه ، فلا نعيد .

(ان كل من في السموات والارض الا آتى الرحمن عبداً) اى مملوكا لايقدر على شيىء وهو قائم بمالكه .

(لقد احصاهم وعدهم عداً وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً) اى من حيث الذات لاكمال معهم وهم فقراء، وبفضل الله عليهم وافاضته لهم الاشياء لابالاستقلال ايضا .

( ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً ) اى ودادا حبا للآخر فهم احباء مع الاخر .

( فانما يسرناه بلسانك لتبشربه المتقين ) اى بالقرآن ( وتنذر به قوماً لداً ) وهو جمع الالدوهوالمجادل بالباطل والغرض اهل مكة .

( وكم اهلكنا قبلهم من قرن ) اى بالعذاب وعلى خلاف الطبيعة ( هل تحس منهم من احدا وتسمع لهم ركزاً ) اى صوتا خفيا ، فلينتظر اهل مكة ايضا للقتل والاسر وصار ما وقع عليهم .

وقد ظهر عدم مخالفة الايات المذكورة مع العقل واكثرها مطابقة
للبراهين العقلية كما سبق والبقية غير مخالفة كما لايخفى والله
الهادى وقدتم فى قاضى كوى من اسلامبول يوم
الاثنين لخامس عشر من محرم
الحرام من عام ١٣٣٧
وانا الراجى
نورالدين الحسينى من بلدة سلطان آباد
العراق من ايران

# سورة طه (٢٠)

مكية

مأة واربعون آية

كتبها في قاضي كوي من اسلامبول

ثلاث وعشرين من محرم الحرام

من عام ١٣٣٧

من الهجرة النبوية على هاجرها

آلاف التحية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طه (١) ما انزلنا عليك القرآن لتشقى (٢) الا تذكرة لمن يخشى (٣)﴾
﴿تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى (٤) الرحمن على العرش استوى (٥)﴾
﴿له مافي السموات ومافي الارض ومابينهما وماتحت الثرى (٦) وان تجهر بالقول﴾
﴿فانه يعلم السر واخفى (٧) الله لااله الا هو له الاسمآء الحسنى (٨)﴾ .

الكلام في فواتح السور قدمضى ويحتمل ان يكون المراد من الطاء ، هو الطاهر اى من العيوب الزائدة على الامكان الذاتى فى الذات والصفات والافعال و كان حرف النداء محذوفاً ، وكان المنادى وجوده اى النبي ﷺ فان الحقيقة المحمدية هي حقيقة الصادر الاول، فلانقص فيه، غير الامكان الذاتي، فلادنس ولا كثافة في ذاته وصفاته وافعاله .

(ومن الهاء) هو الهادى اى كما انك طاهر ذاتا كذلك تكون هاديا ، ومطهراً لمن يقبل من الارجاس الاعتقادية والملكات الرذيلة والافعال السيئة ، ففي الحقيقة حقيقته حقيقة الماء الذي يكون كل شئى به حيا ، واخذ كل واد من هذا الماء بقدر استعداده .

(ويحتمل) ان يكون طه لقبه ﷺ كما يقال : ان من القابه ، طه ، ويس وان آله ﷺ آل طه ويس .

(ما انزلنا عليك القرآن) قدمضى الكلام في حقيقة النزول ومراتبه فلانعيد ، وكذا في حقيقة القرآن ومراتبه (لتشقى) اى لتتعب بأن يكون الياء بدلا من القاف المقلوب منه في الاعتلال بان كان الاصل لتشقق فانه ﷺ كان يجدّ في اتعاب نفسه بان يقوم على اصابع الرجلين ، اوخصوص ابهامهما حتى تورّمت قدماه.

فتكون الاية اشارة الى ماذكرنا سابقا في الكهف ، من ان الاتعاب الكثير ، انما هولكسر سورة الشهوات و الملكات الرذيلات حتى يحصل التوجه الى الله ، وبعدالوصول الى السفرالثالث ، و الخروج منه الى السفر الرابع ، يكون التوجه غالبا ، فلحفظ الكنز ، و هو نفسه الشريفة للايتام ، أي الامة المحتاجون الىالقيم ، يلزم اقامة الجدران حتى يبقى البدن ، فتبقى النفس فيالدنيا للانتفاع بها ، والاتعاب الكثير مع تعلق الـروح بالعالي يوجب اضمحلال البدن ، والارتحال منـه فغاية نزول القرآن، وهوالاهداء، هوالبقاء فيالدنيا لهﷺ لا الارتحال ، والمشقات الغير العاديّة تكون كذلك .

وقد ذكرنا سابقـا ان النفي اوالنهي لايستلزمان سبق الوجود ، بل يصحان للاعلام والطلب ، وعلى فرض كون شأن النزول ما ذكر فالمعنى ماسبق .

(ويحتمل) عندى عدم المقلوبية ، وكون الشقاء بمعنى البعد كما هواصل معناه ، والمعنى ان المشقة المولمة فـي العبادة موجبة لالتفات النفس الـى الالم الناشي من الطبيعة ، والالتفات الحضوريّ المتأثر منه الانسان موجب للبعد عـن المبدء واشتغالا بغيره في الجملة وهو خلاف المقصود في عبادة الكاملين ، فانّ المحبوب استغراقهم في التوجه الى المبدء ، والكلام في شأن النزول كماسبق .

( الا تذكرة لمن يخشى) اى بل انزلناه تذكرة وتذكراً لمن يخشى من الله اى مادته النفسانية مستعدّة للتذكّر والالتفات ، لاجل وجدانه الخشية فعلا او قوة قريبة منه .

( تنزيلاممن خلقالارض والسموات العلى ) اى انزلناالقرآن تنزيلايكون

من خالق الارض والسموات العاليات ، فجهة الارضية واقسام السماء ملحوظة في نزول القرآن ، ولذلك يكون للقرآن مراتب ، والظاهر منه واحد ، وهو الارض والبطون سبعة وهي السموات العلى ، وهوجمع عليا، ككبر يكون جمع كبرى .

(الرحمن على العرش استوى) اى معطي الوجود العام من باب عموم رحمته على سرير السلطنة المطلقة ، تمكـن واستولى ، والعرش للاجسـام هـو السرير الجسماني الجالس عليه صاحب العرش ، ويكون اقرب الاجسام اليه ، ويتصرف فيه بالمباشرة ، من دون التوسيط لاتصاله ولله تعالى (١) يكون اقرب الموجودات من حيث المرتبة اليه تعالى ، وهو الصادر الاول المحيط بتمام الاشياء ، والمفيض على كلها، والحق المتعال لكونه رحماناً ومعطياً لكل وجود مسلط عليه ، والصادر الاول وجوده وبقائه منه ، والفيض منه اليه يستمرّ دائماً ، والتسلط عليه تسلط على الباقي لكون الباقي معلولا له وعلة العلة علة للمعلول كمالايخفى .

والفعل المقابل للاسم والحرف موضوع بازاء الفعل الصادر المقابل للذات والصفة ، فلو كان في صقع الزمان يكون زمانيا ، ولو كان فـوق الزمان لايكون زمانيا .

وحيث ان الصادر الاول فـوق الزمان ، بل ولو كان المراد اقرب الاجسام مرتبة من حيث الاحاطة مـن العرش يكون خارجاً من الزمان ، فليس في الفعل ( وهو لفظ استوى ) دلالة على الزمان مطلقا ، بل ولو كان مضارعاً ايضا ، لما كان فيه الدلالة على الزمان من اجل عدم كون المادة فيه هنا زمانيا .

وقد ظهر احتمال كون المراد من العرش، العرش الجسماني وهى الواسطة بين الله وساير الاجسام وتكون خارجة عن صقع الزمان .

(له ما في السموات وما فـي الارض وما بينهما ) اى الملكية الحاصلة بين الفاعل الذى هو العلة التامة وفعله القائم به فيكون الفعل ربطاً اليه وقد تقدم فلانعيد

(١) الظاهر ان قوله قده (ولله تعالى) عطف على قوله للاجسام .

(وماتحت الثرى) اى التراب الندى من ساير الطبقات اوساير الارضين لاختصاص هذه الارض بالنداوة اوبهذا الاسم .

( وان تجهر بالقول ) اى فهو غير محتاج اليه وقد حذف وقامت العلة مقامه وهو قوله تعالى ( فانه يعلم السر واخفى ) اى اخفى من السر لاحاطته القيومية(الله لااله الاهو) قد اقمناالبراهين العقلية على التوحيد بتمام مراتبه (لهالاسماء الحسنى) اى التجليات الصفاتية ، وهي اسماء حقيقية غيرمحتاجة الى الوضع وقدذكرنا سابقاان التجليات من حيث حدودها بلحاظ حدود الممكنات وعدم احاطتها ، والا فالحد لايكون فى ساحة الكبرياء واتصافها بالحسنى لعدم كون الشر وجوديا منسوباً اليه تعالى فالجميع خير محض وحسنة محضة .

و يحتمل كون المراد الالفاظ الموضوعة كل واحد منها بلحاظ كمال من الكمالات كالرحيم ، والغفور، والودود. والعليم، والقدير وهكذا ، وهي باختلاف الالسنة اكثر من ان تحصى وبلحاظ لغة العرب تصل الى الالف اوفوقه .

وقد ظهر مما ذكرنا كون الايات المذكورة كلهاعلى طبق البراهين العقلية والله الهادى .

قوله تعالى ﴿ وهل اتيك حديث موسى (٩) اذرأى ناراً فقال لاهله امكثوا﴾ ﴿انى آنست ناراً لعلى آتيكم منها بقبس اواجد على النار هدى (١٠) فلما اتاها﴾ ﴿نودى ياموسى(١١) انى انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى (١٢)﴾ ﴿ وانا اخترتك فاستمع لما يوحى (١٣) اننى اناالله لااله الا انا فاعبدنى واقم﴾ ﴿ الصلوة لذكرى (١٤) انّ الساعة آتية اكاد اخفيهالتجزى كل نفس بماتسعى﴾ ﴿ (١٥) فلايصدّنك عنهامن لايؤمن بها واتبع هويه فتردى (١٦) وما تلك بيمينك﴾ ﴿يا موسى (١٧) قال هى عصاى اتوكؤ عليها واهشّ بها على غنمى ولى فيها﴾ ﴿ مآرب اخرى (١٨) قال القها ياموسى (١٩) فالقاها فاذا هى حية تسعى (٢٠)﴾ ﴿قال خذها ولاتخف سنعيدها سيرتها الاولى (٢١)﴾ .

( وهل اتاك حديث موسى ) اى قد اتاك قبل هذا او هذا هوحديثه ( اذراى ناراً ) اى مايكون بصورة النار .

اعلم اناقداثبتنا بالبرهان انالله جلجلاله وجود محض وصرف ، ولايخالطه العدم والنقص وحينئذ فلايشذ عنه شيىء ، وكل محدود مجعول منقبله ومنشئونه وان الصفات المحدودة تجلياته فـى الفيض الاقدس ، وان الوجود المنبسط على تمام الممكنات هو التجلى فى مرتبة الفعل ، وهو الفيض المقدس ، وهـو الذى يكون مع كل شيءعينه ، وهى المشية والاضافة الاشراقية وكلمة(كن) النورية.

وهذا هوالتجلى الاجمالى ، واما التجليات الفعلية المقيدة فغير متناهية عدداً وقد اثبتنا فى موضعه ايضا أن الجهة الانانية اذازالت ، فالاثار المرتبة علىالشيىء والامور الصادرة منه كالكلام والايجاد ، آثار مترتبة على الله فتعظيمه مثلا تعظيم الله ، واهانته اهانة الله ، وكلامه كلام الله ، ويده يدالله ، وفعله فعله .

وحينئذ فنقول ان فيقوس الصعود ايضا اذا حصلت الرياضات وزالت عن النفس،الدنائس ، وبعدت عنها الشياطين ، فمايصل اليه من الخير ويقيم بحوائجه هو من الله .

وحيث ان الحب الشديد الى الله نار يحرق الانانية و يتلاشيها فى آخر الامر ، و الحب مرآت المحبوب ، فبه يرى المحبوب ، وفى اول الامر يلتفت المحب الى حبه والاشتعال الحاصلمنه، ولكنبعد الاستغراق والاستيعاب، لايدرك الحب ولاالالتفات الىالمحبوب بل لايدرك الاالمحبوب .

واذا عرفت جميع ذلك فنقول : انموسى عليه السلام كان لاجلالله ، يخدم اهله ويقوم بحاجتهم ، وقد زالت الارجاس منه عليه السلام ولا يطلب شيئاً الامنالله، وفىالليلة الظلماء مع البرودة وقع الاحتياج الى النار من الجهتين من حيثالنورية والحرارة. وتوجه موسى عليه السلام فى همته الىالله فى طلب النار فبالتوجه ازداد حبه الى محبوبه واشتعل النار التى فيه عليه السلام فتجلى الله له فى صورة

النار المحبوبة المقيمة لحوائج الاهل من قبل الله ، والتي ممدة للنار الداخلية والاشتعال الداخلى ، فهذا التجلى الفعلى المقيد ، على صورة ، مراد المتجلى له ، على صورة وحقيقة ارادته وهو الحب المشتعل.

وحيث انه لم يضمحل بالمرة ويلتفت الى الحب والى محبوبه العارضى (فقال لاهله امكثوا انى آنست ناراً) اى ابصرت .

وحيث ان مقصده كان واحداً حيث ان النار للاهل ايضا كان لله وحبه لله ايضا كان لله فلايكون بين النارين فرق له عليه السلام ( لعلى آتيكم منها بقبس ) اى انى امشى نحوه ولكنك او لكنكم تبقون هنا اى الاهل ومن معها من الرفقة والخدام لعلى اجيء بشعلة من النار فى رأس فتيلة اوعود اوخشب ( اواجد على النار هدى ) اى حول النار هاديا الى الطريق .

( فلما اتاها نودى يا موسى ) اى نودى بكلمة ياموسى اوبيا موسى ، فخفف الباء للقرينة فلما تحرك من جانب الاهل والعيال اليه وكان فى قلبه الحب الشديد الى الله فاشتد الشوق والحب ، فاعلمه الله بكون هذه النار هى النار المتجلية المرآتية لاالمستقلة ، فالمتكلم هوالله فى هذا التجلى لاالنار من حيث انها نار.

(انى انا ربك) وكلمة ان للتحقيق واعادة ضمير المتكلم منفصلا ايضا يفيد التحقيق، وهذه التاكيدات مفيدة وموجبة لازدياد العلم لموسى عليه السلام وتبديل المرتبة الدانية بالعالية لموسى عليه السلام اذ فى مقام الارادة التكوينية صدرت هذه الكلمات ، فلابد من التاثير فزال الانتقال الى درك الحب ، بل صار مشاهداً للمحبوب ومستمعا للصوت الصادر منه وذكر الرب لازدياد الانس والارتباط خصوصاً فى حال الاضافة الى كاف الخطاب .

وحيث ان المكان الذى تجلى الله فيه بصورة النار ، قد تشرف بسبب ذلك الامر ، فلابد من مراعات الادب فيه وخلع النعلين فى الامكنة الشريفة ، بل فى حضور سلطان السلاطين من الآداب، فامره الله بخلع النعلين ، ولاينا فيه ان يكون موسى عليه السلام متوجها توجها ضعيفا الى عياله وطفله فى هذه البادية ، فاراد الله تكميله

بقطع النظر عما سوى الله فامره بذلك الخلع لكونه فى المرتبة المقدسة (فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى) .

ولفظ (طوى) بالضم وبالكسر اسم موضع بـالشام يستعمل منصرفاً وغير منصرف ، فمن جعله اسم واد ومكان وجعله نكرةيقول : بانه يكون منصرفاً ،ومن يقول بانه علم لبلدة ويكون معرفة يقول : بـانه يكون غير منصرف ، ويطلق على الشيء المثنى ايضا فالمقصود ان ذلك المكـان قدقدس مرتين ، مرة للخليل عليه السلام ومرة للكليم .

ونقل عن الحسن (١) انه قال ثنيت فيه البركة والتقديس اى الشرافة الظاهرية بكثرة النعم ، والباطنية بالتقديس ، وعلى اى تقدير فيكون الموجب والعلة للخلع المذكور كونه عليه السلام فى ذلك الواد المقدس من الجهات المذكورة .

(وانا اخترتك فاستمع لما يوحى) اى اخترتك من بين بنى اسرائيل او من بين تمام الناس للدرجة العالية ، وهى النبوة العظيمة، فهيّىء لاستماع وحيي اليك، وهذا الامر فائدته الافاقة والالتفات الى الكلام ، اذمع المحو فى المحبوب لاالتفات الى الكلام بما هو كلام بل من قبيل المرآت ، ولكن فى النبوة، لما يلزم تكميل الغير ، فيلزم الالتفات الى الكلام للتبليغ .

(اننى انا الله لااله الا انا فاعبدنى واقم الصلوة لذكرى) فاول الوحى الذى لابد من تبليغه ثبوت المبدء ثبوتا تاما مؤكدا ، وهو الواجب وهو الوجود الشديد، وهو الذى هو الصرف ولاحدفيه والا لم يكن مؤكدا وشديداً ، وحيث انه صرف ولايكون محدوداً ، فلا تكرر فيه ، فهو الاحد المتوغل فى الوحدانية .

ثم بعده التوحيد فى الا لوهية وانه لا اله الا الذات المتوغل فى الوحدانية وهو هو .

---

(١) عن ابن عباس بورك فيه بسعة الرزق والخصب (الى انقال) وقيل:سمي به لان الوادى قدس مرتين فكانه طوى بالبركة مرتين، عن الحسن (مجمع البيان) ج٤

ثم بعده لزوم عبادته متفردا اذ لامنعم الاهو ، وبيان ان العبادة لاتكون بدون الغاية ولا جزافة في افعال الله بان يأمر بشيء بدون ترتب الغاية عليه ، وغاية عبادة الله هو ذكره وتذكره ، فانه حضور الانسان لديه وهو غاية الغايات .

( واقم الصلوة لذكرى ) وحيث ان القيد متعلق بها فلاضير في تقديمه وان صدر مني سهواً (١) .

وعلى اى حال فاقامة الصلوة وهى الاسطوانة والرابطة بين الرب والعبد تكون لازمة وداخلة فيما اوحى ولكونها مظهر ولاية ولى الامر كما سبق منايكون هذا الامرامراً بالاخذ بالواسطة حتى يوصل الانسانالىذكرالله، ولمـّا انه لاواسطة لموسى عليه السلام وهو الواسطة للغير فموصله هـو الله والمبدء له عين الواسطة وعين الغاية .

(ان الساعة آتية اكاد اخفيها) اى مطلق العبادة وخصوص الصلوة المهتمة بها لتذكرالله، لزومها لكون الساعة آتية ، وان الانسان لايفنى ، بل كل شيء يبقى بابقاء الله.

وحيثان الوصول اليها يومجمع الجمع وحصول الاستعداد لجميعالاشياء بـان يصل اليه ، وكل آن يصير اقرب لكون الحركات والخروج من القوة الى الفعل بالتدريج والامكان الاستعدادى ، يكون له المراتب ويشتد ويزداد ، وبـاى درجة تصل بالتدريج تصير الساعة اقرب فهى آتية وواصلة بعد تمام الاستعدادات

---

(١) وحيث ان هذه العبارة مجملة غير معلومة المراد ، ننقل تفسير هذه الآية مـن (تفسير مجمع البيان) قال عند قوله تعالى (اقم الصلاة لذكرى) ما هذا لفظه : اى لان تذكرني فيها بالتسبيح والتعظيم ، لان الصلاة لاتكون الا بذكرالله ، عن الحسن ومجاهد ، وقيل معناه : لان اذكرك بالمدح والثناء ، وقيل : ان معناه صل لى ولا تصل لغيرى كما يفعله المشركون ، عن ابى مسلم ، وقيل : معناه (أقم الصلاة) متى ذكرت ان عليك صلاة كنت في وقتها اولم تكن ، عن اكثر المفسرين ، وهو المروى عن ابيجعفر عليه السلام ـ انتهى موضع الحاجة ـ .

فوصولها الينا آتية لكونها الفعل بالنسبة الى قوى العوالم ، والفعل الذى يتحرك الشيء نحوه ، يكون بعد الشيء لامحالة ، ووصوله آتيا.

ولاتنافى بين كون العالم من حيث المحل والمرتبة من الجنات العالية والجحيم موجوداً ، وكون بلوغها الى المستعدات ، واتصال الجحيمات الجزئية والجنات الجزئية الى جنة الكل وجحيم الكل آتيا ، وفى البعد والساعة المذكورة تكون قريبة باخفائى اياها من الناس اى لااظهرها على الناس بحقيقتها وكنهها، بل بالعلامات ماتظهر فلاتكون مخفية بالمرة لوجود الامارات، ولاظاهرة بالكنه، فتكون قريبة من الاخفاء.

والعلة عدم درك الناس لحقيقتها كما هى اذهى يوم بروز فعليات تمام الاشياء، فلبعض النفوس الوصل التام ، وللبعض الوصل ببعض التجليات ، والتجليات ايضا قد مرت بعدم تناهيها اى كثرتها فى الافعال الالهية ، وهى الموجودات الوسيطه، فما لم يصل الانسان اليها لايدركها ، بل اذا وصل ايضا يدرك بقدر قصعته فكيف يمكن اظهار ذلك الامر بالكنه والحقيقة بل لابد من البيان بالامثال والامارات

(لتجزى كل نفس بما تسعى) والجار والمجرور يكون متعلقا باسم الفاعل وهى(آتية) اى العلة للاتيان، وصول كل عمل الى حقيقته الاصلية بالحركة الجوهرية كما ذكرنا كراراً فكل نفس تصل الى حقيقة ملكاتها كما سبق ذكر ذلك اوالى الجزاء الخارج من حقيقتها

(فلايصدنك عنها من لايؤمن بها) اى بعد ماعلمت ان البرهان وصول كل شيء الى كماله وهو مقتضى افاضة الله فلايمنعك منها من لايعلم ومن باب الجهالة اوالتجهل لايؤمن بها (واتبع هويه فتردى) اى لايمنعك عنه قول من تابع هواه فى التكذيب ولميله بالفسوق ينكرها ، فتهلك بالصد ومتابعة ذلك وبعد تمام الحقايق من المبدء والواسطة والمعاد سئل الله عنه مقدمة وتوطئة

(وما تلك بيمينك ياموسى) اى ما فى يدك اليمنى اى شيء (قال هى عصاى اتوكؤ عليها واهش بها على غنمى ولى فيها مآرب اخرى) اى هى عصاى اعتمد

عليها واجعلها متكئاً لى لان استريح ، واخبط بها (١) ورق الشجر على غنمى اى اضرب بهذه العصاء على اوراق الاشجار لتسقط الاوراق ويأكل منها غنمى ولى فى هذه العصاء حوائج اخرى كحمل الزاد على رأسه من الخبز والماء ثم وضع العصاء على الكتف كما هو الدأب والديدن الآن ايضا ودفع السباع بهـا ، ودفع الهوام بها ، وتهديد الاغنام ، وجمعها بها

وهذه البيانات الطويلة مع علمه بان الله محيط لشدة المحبة وحب اطالة الكلام مع المحبوب الحقيقى (قال القها ياموسى) وهى بحسب بادى النظر موهمة لقطع العلقة منها حيث استند رفع الحوائج اليها

(فالقاها) وقطع النظر عمن سوى الله حتى نفسه اذقطع النظر عن مايقام بها حوائجه (فاذا هى حية تسعى) اى حية عظيمة وهو الثعبان تتحرك وتمشى

( قال خذها ) وقد ذكر بعض الفقرات فى موارد اخر كما ذكرنا السرّ فى الجميع (ولاتخف) من انها حية وثعبان وموذية فانها مسخرة لك و(سنعيدها سيرتها الاولى) اى الصورة العصائية

وقدظهر بحمدالله كون تمام الايات المذكورة مطابقة للبراهين العقلية العالية والله الهادى

قوله تعالى: ﴿واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية﴾
﴿اخرى (٢٢) لنريك من آياتنا الكبرى (٢٣) اذهب الى فرعون انه طغى (٢٤)﴾
﴿قال رب اشرح لى صدرى(٢٥)ويسر لى امرى(٢٦) واحلل عقدة من لسانى(٢٧)﴾
﴿يفقهوا قولى (٢٨) واجعل لى وزيراً من اهلى (٢٩) هرون اخى (٣٠) اشدد به﴾
﴿ازرى (٣١) واشركه فى امرى (٣٢) كى نسبحك كثيرا(٣٣) ونذكرك كثيراً(٣٤)﴾
﴿انك كنت بنا بصيراً (٣٥) قـال قد اوتيت سؤلك ياموسى (٣٦) ولقد مننا﴾
﴿عليك مرة اخرى (٣٧) اذاوحينا الى امك مايوحى (٣٨) ان اقذفيه فى التابوت﴾
﴿فاقذفيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدولى وعدوله والقيت عليك محبة﴾

(١) خبطه خبطاً : ضربه شديداً (اقرب الموارد) .

﴿مني ولتصنع على عيني (٣٩) اذتمشى اختك فتقول هل ادلكم على من يكفله﴾
﴿فرجعناك الى امك كي تقرّ عينها ولاتحزن وقتلت نفساً فنجيناك من الغم وفتناك﴾
﴿فتونا فلبثت سنين في اهل مدين ثم جئت على قدريا موسى (٤٠) واصطنعتك﴾
﴿لنفسي﴾ (٤١)

ولما امر الله تعالى باخذ الحية والجانّ اى الثعبان الصغير والثعبان (الكبير-ظ) والجميع واحد ، فان العصاء كانت تصير بشكل الحية الكبيرة ، وهي بلحاظ الثعبانية صغيرة يطلق عليها الجان ، وبلحاظ جنس الثعبان ثعبان مبين اى واضح ، فلاتضاد بين الآيات ، مع ان التشكل باشكال مختلفة في المحال المتعددة يكون جائزا من دون التضاد ، بل في مجلس واحد باختلاف الآنات .

وعلى اى حال فاطاع موسى عليه السلام ومديده نحو العصاء، وادخل في فمه فانقلب عصاء وموضع الفم الى ما كان ياخذ به من موضع التشعب فيه، وهذا الالقاء والاخذ كان لاجل تمكن موسى عليه السلام بان لايضطرب في مقام الاتيان بالمعجزة في محضر فرعون واتباعه .

(واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء) اى ادخل كفك من من اليد اليمنى الى تحت ابطك اليسرى وجواب الامر وهو (تخرج) مجزوم به اى يترتب على ضم يدك اليمنى تحت ابطك اتصافها بصفة البياض من غير مرض وعلة، فتخرج بيضاء وهي حال اى تخرج يدك حال كونها بيضاء فيها الشعاع كالشمس من غير علة البرص (آية اخرى) اى حال كون ذلك الاخراج آية اخرى

فهما اى بيضاء و آية حالان من المفعول في لفظ تخرج، فالآية الاولى هي انقلاب العصاء الى الحية، والأخرى هي اتصاف اليد بذلك الامر، واذااراد الارتفاع يفعل كمافعله اولا، فيزول ماعرض على يده

(لنريك من آياتنا الكبرى) اى امرناك بهذين المطلبين لترى بعض الآيات الكبرى من الآيات الالهية وحيث انذلك الموضع مبدء السفر الرابع، فلابد- بعد

الانتهاء الی‌الله بقدرالقصعة الرجوع الی الخلق من‌قبله تعالی، فبالرجوع ینظر الی الآیات‌الکبری بالضرورة، منتهی الامر، انوعاء موسی علیه‌السلام فی‌هذا المقام‌علی قدرشهود الآیتین

ویحتمل کون‌الاول من‌رشحات الحیوة، والثانی من‌رشحات النورای‌العلم، فالحیوة الالهیة صارت سببا لسریانها الی موسی‌عليه السلام بحیث تحیی الجماد وتنقلب العصاء حیوانا، والنوریة الآلهیة التی هی‌مبدء کشف الظلام قدسرت الی موسی‌عليه السلام وصارت نفس موسی‌عليه السلام منیرة للکف (اذهب الی فرعون انه طغی) ، ولما حصلت الجذبة لموسی‌عليه السلام فنسی امر الاهل‌والعیال فلم‌یذکر الله امرهما ولم‌یسئل موسی‌عليه السلام من‌امرهما ای‌العیال والولد ، وامره‌الله بارشاد فرعون ورفع ظلمه عن بنی‌اسرائیل

فقال ( اذهب الی فرعون ) ای لان تتم الحجة علیه ( انه طغی ) ای لاجل انه قد طغی وحصل له الطغیان والغرور وادعی الالوهیة ، فارغام انفه واظهار ذله علی الناس ونجاة المظلومین منه یکون لازماً .

( قال رب اشرح لی صدری ) قد ذکرنا سابقا ان الصدر هو القلب بلحاظ توجهه الی الدانیة ، وهی الامور الدنیویة ، وبلحاظ التوجه الی‌العالی یطلق‌القلب وحیث ان الواصل الی الله بالتجلیات یتنفر عن شهود السافلات ، خصوصاً ما هو فی انتهاء الخسّة والسافلیة کمرتبة فرعون واتباعه ، فطلب من الله شرح هذه المرتبة وسعة تلك المرتبة بحیث لاتضیق تلك المرتبة ولاتحصل النفرة والفرار .

واذا شرح‌الله الصدر، یشاهدان شهود تلك الاشخاص واتمام الحجة علیهم من‌التجلیات الافعالیة ، فالتوجه الیهم بهذا اللحاظ توجّه الی الله ، فیری الوحدة فی تلك الکثرة ، فیشاهد الله معها ، فیستریح صدره وینبسط ویفرح قلبه .

( ویسرلی امری ) ای سهل علیّ التبلیغ بالشهود المذکور ( واحلل عقدة من لسانی یفقهوا قولی ) ای ازل المانع وهو عقد اللسان ، ویحتمل کون ذلك العقد هو الحاصل من جمرة النار ، ولاجله یشتبه علی الناس الحروف الصادرة

منه عليه السلام فيقع الاشتباه في الكلمة والكلام ، فلا يفقهون مراداته عليه السلام الا من استأنس أنساً تاما ، وذلك غير متيسر للنوع خصوصاً في اول المرحلة ، فطلب من الله ذلك وحصلت الاستجابة .

ويحتمل كون ذلك ـ لاجل علو المطالب وبيان المطالب العالية بـالالفاظ الموضوعة لها من دون تنزيلها بكسوةالامثال ـ موجبة لعدم فهمالنوع فدعا الله على القدرة بالنازلات حتى يبين العاليات بها فاستجيبت دعوته .

(واجعللي وزيرا من اهلي) اى حاملالثقلوالمشقة اى المعاون فانالمعاون يخفف الثقلعمن يعاونه فانه يحمل بعض الثقل ، فيحصل التخفيف للاخر قهراً .

وطلب ان يكون ذلك من اقاربه ثم بينه عليه السلام (هرون اخى) اى ذلك الوزير اجعله اخي هرون ( اشدد به ازرى ) اى استحكم بهظهرى بانيكون محلاعتمادى في المطالب والاسرار ( واشركه في امرى ) اىفي التبليغات وهو بان يلقى موسى عليه السلام اليه الامر وهو يوصل الى الناس .

( كي نسبحك كثيراً ) اى هذه المعاونة وساير الامور المسئولة من بـاب حصول زمان فراغ لما نراجع اليك ونسبحك ونظهر تنزيهك من النقصان كثيراً اى من تجليتله لايمكنه انيفارقك دائماً اوكثيراً بليطيق المفارقة القليلة وحصول الانس الكثير ، وذلك لايمكن الا بـاجابتك لمسئولاتي ( ونذكرك كثيراً ) اى بالصفات الجمالية ، فان ما يحد باللسان هو من الصفات الكمالية ( انك كنت بنا بصيراً ) اى تعلم وتبصر انه لولا الاجابة لميقدر لنا القيام بذلك الامرا .

( قـال قد اوتيت سؤلك ) اى اعطيت تمام مسئولاتك واستجبنا الجميع فشرحنا صدرك ، ويسرنا امرك ، وحللنا عقدة لسانك ، وجعلنا الوزير من اهلك وهوهرون ، وشددنا ازرك وظهرك به ، واشركناه في امرك .

ثم ذكرالله ما منّ به في السابق ، وذلكلاجلماشاهد من كثرة عشق موسى، عليه السلام ولذا يطيلالكلام ، فاراد الله تعالى وصوله الي مراده، فاطال ايضا في الكلام .

( ولقد مننا عليك مرة اخرى ) وهي هذه ( اذ اوحينا الى امّك ما يوحى ) اى ما كان لازما ان تفهم ، والمراد ( اما ) الوحي بالكلام لكونهاوعاء لموسى عليه السلام (واما) النكت في القلب (١) وبيان ما يوحى هو ذلك (ان اقذفيه) اى موسى عليه السلام ( في التابوت ) اى ألقيه في وعاء وصندوق ( فاقذفيه ) اى الق الصندوق (في اليم) اى بحر النيل ( فليلقه اليم بالساحل ) اما يكون الانشاء هنا بمعنى الاخبار ، اى يلقيه ماء البحر بالساحل ، وهو القريب من الماء على وجه الارض ، فان بالموج يحصل ذلك خصوصاً في النيل بحسب الجزر والمد .

ويمكن ان يكون ذلك امراً تسخيريا من الله ويترتب عليه المطلوب قهراً .

(يأخذه عدوٌ لي وعدوٌ له) ، وهو جواب الامر ومجزوم به ، ويحتمل ترتبه وكونه جوابا لامرامّه بـالقذف والالقاء وللامر التسخيرى الى البحر وهو فليلقه ( والقيت عليك محبة مني ) اى بعد اخذ العدو لك جعلت من قبلي محبوبية عليك واوجدت فيك صفة المحبوبية بحيث يحبك من يراك ، ولذا حصل حبك في قلب العدو ايضا وهو فرعون ، والغـاية محذوفة للقرينة اى جعلت فيك تلك المحبوبية لتصير محبوبا عند الكل ومنهم فرعون .

( ولتصنع على عيني ) اى لاجل ان تربّى على عيني، وهوعطف على الغاية المحذوفة اى جعلتك محبوبا لتصير محبوبا ولتربّى على عيني ، وحيث ان تربية من قتل الاطفال الكثيرة لحفظ نفسه ومملكته من خوف موسى عليه السلام المهلك له ولاتباعه ، والمسخر لمملكته بيده، ومباشرته من رشحات جلال الله، وقهاريته وانتقامه لاخذ ثار الاطفال الصغار ، واخذ حق المظلومين من الظالمين بأشد الانتقـام من اضمحلا لهم بيد من ربّوه، ذكر الله تعالى لفظ العين، وقال (ولتصنع على عيني) فلا يتعجب السالك بعد ملاحظة ذلك .

(١) في حديث وصف اهل البيت عليهم السلام : من جملة علومهم نكت في القلوب ونقر في الاسماع اما النكت في القلوب بالهام ، واما النقر في الاسماع فامر الملك (مجمع البحرين)

فقول الشيخ محمود الشبستري قده (١) في اجوبة الاسئولة بالفارسية المسماة بگلشن راز اي محل الاوراد من الاسرار والبستان الذي فيه كل وردة (منها) ان العقل يتعجب من ذكر العين والحال ان النوم والسنة ليستا في عينه تعالى ، والممكن (اما) نوم وما سنة ، فالعين من صفات الجلال .

وكلامه بالفارسي

خرد دارد ازاين صدگونه اشگفت　　　　كه ولتصنع على عيني چرا گفت

يمكن ان يقال (٢) له قده بان السر ما ذكر ، وهذا سريان اثر العين في السنة والنوم ، لاسريان النوم والسنة في عينه تعالى .

( اذ تمشي اختك ) اي لاجل انه تمشي اختك في طلبك وهي ايضا من احد العلل ولا مانع من التعدد ( فتقول هل ادلكم على من يكفله ) فان فرعون قد جمع له المرضعات ولايقبل موسى ثديهن ( فرجعناك الى امك ) فان اخت موسى قد جائت بامها واخذ موسى ثدي امها فجعلوه عندها فصار الرجوع عندها حاصلا ( كي تقر عينها ولاتحزن ) اي ام موسى عليه السلام :

( وقتلت نفساً ) وهو القبطي ( فنجيناك من الغم ) بدلالة رجل مؤمن من آل فرعون ( وفتناك فتوناً ) اي امتحنّاك بالامتحانات ( فلبثت سنين ) اي العشرة في اهل مدين اي عند شعيب عليه السلام .

( ثم جئت على قدر يا موسى ) اي على المقدار المستعد لاعطاء النبوة لك من بلوغك اربعين سنة اوازيد ( واصطنعتك لنفسي ) اي اخترتك بالرسالة من قبلي على الناس .

وقد ظهر بحمدالله عدم مخالفة شيء من ذلك مع العقل ، بل كون الجميع

---

(١) سعدالدين محمود بن امين الدين التبريزي الحكيم العارف صاحب كتاب گلشن راز الذي فرغ منه سنة ٧١٧ شرحه جماعة منهم شمس الدين محمد الشيرازي اللاهيجي المتخلص بالاسيري (الكنى ج٢ ص ٣١٩)

(٢) خبر لقوله قده فقول الشيخ الخ

على طبقه ، والله الهادى .

قوله تعالى: ﴿اذهب انت واخوك بآياتى ولاتنيا فىذكرى(٤٢) اذهباالى﴾ ﴿فرعون انه طغى(٤٣) فقولاله قولا لينا لعله يتذكرا ويخشى (٤٤) قالا ربنا اننا﴾ ﴿نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى (٤٥) قال لاتخافا اننى معكما اسمع وارى﴾ ﴿(٤٦) فاتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بنىاسرائيل ولاتعذبهم قدجئناك﴾ ﴿بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى (٤٧) انا قداوحى الينا انالعذاب﴾ ﴿على من كذب وتولى (٤٨) قال فمن ربكما يا موسى (٤٩) قال ربنا الذى﴾ ﴿اعطى كل شىء خلقه ثم هدى (٥٠) قال فما بال القرون الاولى ( ٥١ ) قال﴾ ﴿علمها عند ربى فى كتاب لايضل ربى ولا ينسى (٥٢) الذى جعل لكم الارض﴾ ﴿مهداً وسلك لكم فيها سبلا وانزل منالسمآء ماء فاخرجنا به ازواجاً من نبات﴾ ﴿شتى (٥٣) كلوا وارعوا أنعامكم ان فى ذلك لآيات لاولى النهى (٥٤)﴾ ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى (٥٥)﴾ .

(اذهب انت واخوك) فان الاصلهوموسى عليه السلام ، وهارون عليهالسلام يكون معاونا (بآياتى) اىبمصاحبة آياتى التسع التى اسبقنا ذكرهاوهى ماأتى بها موسى عليه السلام فى مصر ، مـن الدم ، والطوفـان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والبيضاء ، والعصاء ،والقحط ، ونقص الاموال والثمرات ( ولاتنيا فى ذكرى ) اى لاتفترا فى ذكرى ، ومايدل على صفاتى من الكمال والتنزيه .

فان من صحى بعد المحولوحصل منه الفتور ، لزالت الحالة الحاصلة له ، فالمواظبة لازمة حتى يبقى او يطول ، فيحصل القطع بان الاتصال لاينقطع ، وهو مرتبة رؤية الكثرة فى الوحدة ، والوحدة فى الكثرة دائماً بحيث لايشغل احدهما له عن الاخر

(اذهباالى فرعونانه طغى) وهو تأكيد لما ذكره سابقا حتى يحصل الاهتمام لهما اوان السابقكان خطاباً لخصوص موسى عليهالسلام وبعد شركة هرون يكون الخطاب متوجها اليهما فلايكون تكراراً (فقولا لـه قولا لينا لعله يتذكر اويخشى)

اى قولا لفرعون المدعى للربوبية بان يعبدالله ويوحده ، ولايظلم ، ولكن كان ذلك علـى النحواللـّين حتى يكون متمـّا للحجة بحيث يكون المقتضى تامـا والمانع الخارجي ايضا مفقوداً لينحصرالمانع بالمانع الداخلي الذى رفعه باختيار من اليه الرسالة والتبليغ

وبيان ذلك المطلب في الخارج انما يكون بصورةالترجى لكون الغالب عدم تأثير هذا القسم من المانع ، فالراجح، التأثير، وحيث ان اتمام الحجة يكون له الفائدة ولـولانزال العذاب وخلاص الناس وحصول الهداية لبعض ولـو بالنقل لسايرالطبقات ، فمع العلم بعدم التاثيرلهذا الشخص الخاص يلزم الارسال والمراد حصول المحبة بسبب ذكر كمالات الله ، والخشية هي حصول الخوف من العذاب

(قـالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا) اى يعجل علينا بالعذاب والقتل(اوان يطغى) اى يتكبر علينا ولايعتنى بنا(قال لاتخافا) اى لايعجل بالعذاب ولايتكبر بعدم الاعتناء (انني معكما اسمع) كلامكما وكلامه (وارى) اى نفسكما ونفسه فلايقدر على ما ذكرتما بل لسريان جمال الله وجلال الله فيكما يعتني ويخاف منكما (فأتياه) اى اذهبا عند فرعون وبلـّغا اليه ( فقولا انا رسولا ربك ) اى اعلم ان لك الرب فلاتطغ في الارض (فارسل معنا بنى اسرائيل) اى الى ارض الشام (ولا تعذبهم) اى بحمل الافعال الشاقة عليهم (قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى) وهو كناية عن عدم السلامة لمن لايتبع الهداية اى لو آمنت تسلم والا تهلك (انا قد اوحى اليناان العذاب على من كذب وتولى) اى ادبر عن الحق

(قال فمن ربكما) اى جاءا ووصلا الى فرعون وارسلا رسالات الله التى امرهما بتبليغها (فقال من ربكما) اى اىّ احد واى شيىء ( ياموسى ) اى توجه الى موسى عليه السلام اذحصل له العلم بانه الاصل

(قال ربنا الذى اعطى كل شيىء خلقه ثم هدى) اى قال موسى ان ربنا هو الذى اعطى وجود كل مخلوق وكل شيىء خلقه بالاعطاء البسيط والجعل البسيط ، فلوقرء بفتح اللام

يكون المعنى ماذكر، ولو قرء بالسكون فالمعنى انه اعطى كل شيىء على حسب قابليته واستعداده، ثم بعد الخلق يهديه الى خيره وشره، فان البقاء ايضا يكون منه، وهداية كل شيىء بحسبه، وللحيوان باعطاء الادراك، وللنبات باعطاء الروح النباتي وهكذا

(قال فما بال القرون الاولى) اى ماحال عبدة الاصنام فى القرون السابقة، ولعله سئل حتى يقول موسى عليه‌السلام بكونهم معذبين وهم آبائه وآباء اتباعه، فتحصل للقوم تنفر من موسى عليه‌السلام

(قال علمها عند ربى فى كتاب لايضل ربى ولاينسى) اى قال ان علمها عندالله وقد كتب فى اللوح المحفوظ الثابت، ولايعزب عن علم ربى شيىء بان لايعلمه اولا، ولاينسى بان يعرض عليه النسيان، فهو عليه‌السلام ايضا قد عارضه بالمثل حتى لايصير كلامه سببا للتنفر

مع ان الامر بحسب الواقع ايضا على قسمين، فان القاصر لا يعذب، و المقصر يعذب، والظاهر وجود القاصر فى العالم ثم وصف الله ايضا بانه (الذى جعل لكم الارض مهداً) اى محل الراحة (وسلك لكم فيها سبلا) اى طرقا الى البلدان والقرى والجبال والاودية لقضاء الحوائج (وانزل من السماء ماء) اى المطر و الى هنا كان نقل قول موسى عليه السلام لفرعون

ثم اضاف الله البيان لاهل مكة (فاخرجنا به ازواجاً من نبات شتى) اى اخرجنا بسبب الماء ازواجاً من اقسام النبات، وقد ذكرنا سابقا الكلام فى الازواج، وان جهته القوة والفعل او كون كل النباتات من قبيل مافى النخل من اللقاح والتأبير وقد ذكروا ان فى الجميع حيوانات صغاراً مختلفة بالتذكير والتأنيث ولم نشاهدها ولا نمنعها ايضا لامكانها

(كلوا وارعوا انعامكم) اى بعضها مأكولات لكم كالثمار وبعض اقسام النبات والخضروات، وبعضها مأكولات انعامكم (ان فى ذلك لآيات لاولى النهى) اى حصول هذه المأكولات من الارض والمطر فى التطورات المختلفة لأمارات

على الله كما ذكرناسابقا كرارا لمن يكون له النهية واللّب ويسمى العقل نهية وجمعها النهى لكون العقل ينهى عن الفحشاء

(منها خلقناكم) سواء كان المراد هو آدم عليه السلام وبتوسطه او ان كل احد اصله من التراب (وفيها نعيدكم) بالموت ودفن الاجساد في القبور (ومنها نخرجكم تارة أخرى) اى فى القيامة بالحركة الجوهرية واتحادها مع الروح ، واما الروح فهو خلق آخر كما قال الله تعالى ثـم انشاناه خلقا آخر) (١) ويتحرك فى العوالم ويكون فى الدنيا مع البدن الدنيوى ، وفى البرزخ مع البدن العنصرى المتحرك بالحركة الجوهرية الى العالم الاعلى ، فاتحدمع الروح وصارت مرتبة نازلة من مراتبه كما فصلّناه فى بيان المعاد ، والله الهادى

فظهر بحمدالله عدم مخالفة شيىء مما ذكر من الايات للعقل

قوله تعالى: ﴿ولقد اريناه آياتنا كلها فكذب وابى(٥٦) قال اجئتنا لتخرجنا﴾
﴿من ارضنا بسحرك يا موسى (٥٧) فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعداً﴾
﴿لانخلفه نحن ولا انت مكاناً سوى (٥٨) قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر﴾
﴿الناس ضحى (٥٩) فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى (٦٠) قال لهم موسى﴾
﴿ويلكم لاتفتروا على الله كذبـا فيسحتكم بعذاب وقد خـاب من افترى (٦١)﴾
﴿فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى (٦٢) قالوا ان هذان لساحران يريدان﴾
﴿ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى (٦٣) فاجمعوا﴾
﴿كيدكم ثم ائتوا صفا وقد افلح من استعلى (٦٤) قالوا يا موسى اما ان تلقى﴾
﴿واما ان نكون اول من القى (٦٥) قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه﴾
﴿من سحرهم انها تسعى (٦٦) فاوجس فى نفسه خيفة موسى (٦٧) قلنا لاتخف﴾
﴿انك انت الاعلى (٦٨) ﴾ .

وقد ذكرنا سابقا نزول الايـات على النبى منجمات ، وعلى التدريج وان

(١) المؤمنون ــ ١٤

اغلب المكيات فى اواخر القرآن فليس النزول بترتيب ماهوالمجتمع الآنوحينئذ نقول .

(ولقد اريناه آياتنا كلها فكذب وابى) يحتمل ان يكون من هذا القبيل اى كان نزوله على النبى ﷺ بعد ذكر الايات الدالة على الآيات التسع ، فوضعها هنا من اول الامرعلى خلاف الترتيب النازل والآيات الواردة متصلة بما سبق اولها قال اجئتنا .

(ويحتمل) ان يكون المراد : انا اريناه الآيـات الدالة على التوحيد بمراتبه التوحيد(فى الذات) بكون المبدء لاشريك له فى ذاته (وفى الصفات) بكون الكمالات الوجدانية لاتوجد فى غيره الا منه (وفى الافعال) بكون الملك والسلطنة والتأثيرات راجعة بتمامها الى الواحد ، وهذا يناسب مع افراد الضمير ، وعلى اى حال ، فلا يرد عليه ان كل الايات التسع قبل المطالب الاتية لم يكن فرعون قدرآها .

(فكذب) اى فرعون(وابى) اى امتنع واستكبر من قبول التوحيد (قال اجئتنا) اى أجئت الينا (لتخرجنا من ارضنا) اى مملكتنا (بسحرك) اى بسبب سحرك .

(فلنأ تينك بسحر مثله) اى مثل ما ذكرت انك قد جبئت به (فـاجعل بيننا وبينك موعداً) اى يوماً معينا للوفاء بالعهداى الاتيان بما ذكرت واتياننا بما ذكرنا (لانخلفه) اى لانتخلف من ذلك اليوم (نحن) يكون تـاكيداً (ولا انت مكاناً) اى فى مكان فنصبه بنزع الخافض وهو لفظ فى(سوى) بكسر السين والضم اى موضعا مستويا من حيث المجيىء والذهاب بحيث يجيئون اليه من الاطراف .

(قال موعدكم يوم الزينة) وهو يوم عيد لهم (وان يحشر الناس ضحى) اى يجتمعون فى النهار .

( فتولى فرعون ) اى ادبر الى موسى و ذهب بعد هذه التكلمات ( فجمع كيده ) اى ذوى الكيد من السحرة من اتباعه ومن كان ماهراً فى السحر (ثم اتى) اى فى ذلك اليوم وفى المجمع المعين قد اتى فرعون اتبـاعه والسحرة .

(قـال لهم موسى) اى للسحرة (ويلكم لاتفتروا على الله كذبا) اى الويل يلزمكم لاتقولوا بالوهية فرعون ولاتأتوا بالسحر بعنوان انه او الاصنام شركـاء الله في الالوهية اذ اتيانكم السحر بهذا العنوان افتراء على الله بـان له الشريك وهو كذب ( فيسحتكم بعذاب ) اى يهلككم بعذابه ( وقد خاب من افترى) اى خسر ولم يبلغ مقصده من كذب على الله .

(فتنا زعوا امرهم بينهم واسروا النجوى) اى السحرة بعد استماع كلمـات موسى عليه السلام وقع النزاع القولى بينهم في ان الصلاح هي المعارضة مع موسى عليه السلام وانهم يغلبون عليه لكون موسى وهارون ايضا سـاحرين مثلهم وهم اكثر فيغلبون عليهما او الامر بالعكس وهم يصيرون مغلوبين واخفوا في نجويهم غاية الاخفـاء واستقر رأيهم على المعارضة.

(قالوا ان هذان لساحران) وقرء ابو عمروان هذين لساحران ، وحجة ابى عمرو ، ان النصب لابد ان يكون باليا وحجة غيره ان التثنية في اسماء الاشـارة جميع حالاتها بالالف رفعاً ونصبا وجرا .

وعلى اىّ حال فقالوا انهما مثلكم (يريدان انيخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى) اى يريدان الغلبة عليكم بـالسحر ، واخراجكم مـن ارضكم به ، واذهـاب طريقة شرافتكم ومتبوعيتكم ، ويريدان ان يصيرا متبوعين شريفين .

(فاجمعوا كيدكم) اى اعزموا على سحركم عزماً ثابتاً غيرمتزلزل و شاوروا في نحو استعلائكم (ثم ائتوا صفاً) اى حالكونكم مصطفين اذهو سبب لشوكتكم وخوف موسى منكم .

(وقد افلح اليوم من استعلى) اى قد فازبالدرجات العلى والشرافة من غلب على آلاخر (قالوا ياموسى اما ان تلقى) اى عصاك (واما ان نكون اول من القى) اى عصيّنا وحبالنا اى كـان وقت الالقاء معينا حتى لا يشتبه الامر ان الغالب اى واحد منّا .

(قال بل القوا) أى ماالقى اولا بل القوا اولا وحذف للقرينة و كان سر ذلك أن يشاهدالناس كليهما ، اذ لو فر وابسبب العصاء لقالت السحرة كناقادرين ( فاذا حبالهم وعصيهم) أى القوا والحذف للقرينة ، فاذا حبالهم وعصاثاتهم(يخيل اليه من سحرهم انها تسعى) أى كانت متحركة على نحو يتخيل من لم يطلع بحقيقة الحال انها تتحرك و تكون حيسات و قيل لاجل الزيبق و حرارة الشمس تقع فيها الحركة .

(فاوجس فى نفسه خيفة موسى) أى أحس موسى فى نفسه خوفا من اشتباه الامر على الناس بان لايدركوا الفرق بين الحيوة الحقيقية والحية الحقيقية مع الشبهية بهم. ا .

(قلنا لاتخف انك الاعلى) أى فى نظر الناس أيضاً ، فانا نجعل الامر بحيث يزول الاشتباه بل لايشتبه من الاول الامر على الناس .

وعدم مخالفة شيء مما ذكر من الايات مع العقل يكون واضحاً والله الهادى ،

قوله تعالى : ﴿والق مافى يمينك تلقف ماصنعوا انما صنعوا كيد ساحر ﴾ ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى (٦٩) فالقى السحرة سجداً قالوا آمنا برب هارون﴾ ﴿وموسى (٧٠) قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر﴾ ﴿فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولاصلبنكم فى جذوع النخل ولتعلمن﴾ ﴿ أينا أشد عذاباً وابقى (٧١) قالوا لن نؤثرك على ما جائنا من البينات والذى﴾ ﴿ فطرنا فاقض ماانت قاض انما تقضى هذه الحيوة الدنيا (٧٢) انا آمنا بربنا ﴾ ﴿ ليغفرلنا خطايانا وماأكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى (٧٣) انه من يأت﴾ ﴿ ربه مجرماً فان له جهنم لا يموت فيها ولايحيى (٧٤) ومن يأته مؤمناً قد عمل﴾ ﴿ الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى (٧٥) جنات عدن تجرى من تحتها ﴾ ﴿الانهار خالدين فيها وذلك جزاؤ من تزكى (٧٦) ﴾ .

(والق ما فى يمينك تلقف) اى تبتلع وهو جواب الامر ويكون مجزوماً به

(ماصنعوا) أى الاجسام المتشكلة بهذه الاشكال بسبب صنعهم فالمراد ماصنعوافيها (ان ماصنعوا كيدساحر) أى هو كيد ساحر، فالمبتداء محذوف ، والمراد هوجنس الكيد للساحر و لايكون اعلى من هذاالجنس و الجملة تكون خبراً لان ، أى ما صنعوا ، هو من جنس كيد الساحر (ولايفلح الساحر حيث أتى) أى لايفوز ولا يبلغ مراده بعداتيانه بسحره .

(فالقى السحرة سجدا ) أى ألقى موسى عليه السلام عصاه و هى تلقف ماصنعوا ، فابتلعت تمام الحبال والعصى ، والحذف للقرينة من باب الاختصار فوقعت السحرة فى الارض ساجدين لله ، فانهم كانوا من علماء السحرة و عالمين بانحاء السحر ، ومميزين بين الواقع و غير الواقع ، فمن ابتلاع الجميع علموا ان حيوة العصاء حيوة حقيقية وتكون حية ، وجانا وثعبانا كما ذكرنا سابقا على نحوالتحقيق .

وهذا الاكل والابتلاع أيضاً على الحقيقة ، ولايمكن للساحر أن يأتى بمثل ذلك ، و ليس فى علم السحر مايدل على امكان الوصول بتلك المرتبة ، بل فيه مايدل على خلافه ، وان من طريق السحر لايمكن ذلك فحصل لهم القطع بكون هذاالمطلب من قبل الله و من عظمة ذلك العمل بهتوا بحيث لم يعتنوا الى فرعون واتباعه والناس ووقعوالله ساجدين .

واما غيرالماهر وغير الخبير ، يحتمل انيكون للسحر مراتب ، و هذا ايضا احدأقسامه ، ولذاذكروا ان كون المعجزة من جنس ما يكون لهم المهارة فيه أتقن و أعلى .

(قالوا آمنا برب هارون وموسى) أى هذه الاعمال العجيبة ليست منهما ، فانهما بشران بل من قبل ربهما الذى قال موسى فى اول الامر : لاتفتروا على الله الكذب .

( قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبير كم الذى علمكم السحر ) اى ايمانكم بهما قبل ان تظهروا على ، ان هذا العمل ليس من قبيل السحر ، ونحن

لانقدر على الاتيان بمثله والاستيذان منى فى الايمـان ، قد دل على كون موسى كبير كم الذى تعلمتم عنده وان هذا الامر مـن قبولكم المعـارضة ثم التصديق والخضوع كان من توطئتكم السابقة .

( فلا قطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ) اى اليمين من احدهما واليسار من الاخر (ولاصلبنكم فى جذوع النخل) اى عليها (ولتعلمن اينا اشد عذاباً وابقى) اى موسى عليه السلام وربه على ما اخبر به ( او ) انا الذى اعذبكم الان اى موسى قد خوفكم بهذا الامراى العذاب ، وانا اورد عليكم العذاب ، اي رجحوني وارجعوا عن ايمانكم .

( قالوا لن نؤثرك على ما جائنا من البينات ) اى لانختارك على الامورالتى جائتنا من البينات فانه قد جائتنا من قبل الله فى هذه المعجزة آيات عظيمة متعددة من تبديل مادة الخشب باللحم والعظم والجلد والشعر ، اى كل ما يلزم فى الحية والثعبان من المواد ، وكل قسم من هذه التبديلات يكون آية .

( ثم ) افاضة الروح عليها بحيث تتحرك وتأكل آية اعظم من الكل ( ثم ) كون اكلها بنحو الابتلاع ( ثم ) كون ما ابتلعها الاشياء الكثيرة من بلوغ عدد كل واحد مـن الحبال والعصى الى الاثنين والسبعين ، وهذا لايمكن الا بـافاضة قوة شديدة محرقة لجميعها فى بطنها كما ذكرنا سابقا (ثم) تبديل الجميع الىالخشبية وقبض روحها ، فالبينات المتعددة الكثيرة قد جائتنا

ومن هنا يمكن ان يقال ( ولقد أريناه آياتنا كلها ) ( ١ ) يكون المراد به ارائة الايات المودعة فى العصاء ولكثرتها يصح التاكيد بلفظ الكل فى الموضع الخاص .

(والذى فطرنا) اى قسما بالذى فطرنا لن نرجحك من خوف عذابك علىهذه الامورالتى جائتنا (فاقض ما انت قاض) اى احكم ماتحكم باى قسم تريد منالعذاب

(١) طه ـ ٥٦ .

(انما تقضى هذه الحيوة الدنيا) اى نفوذ قضائك وحكمك انما تكون فى هذه الحيوة الدنيا والمراد فى هذه الحيوة الدنيا فحذف لفظ فى .

( انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا ) اى لايكون ايماننا وخضوعنا لاجل الدنيا حتى نخاف من عذابك بل كـان لاجل الاخرة وليس لحكمك نفوذ فيها ( ومـا اكرهتنا عليه من السحر ) اى فى اصل السحر وتعليمه أوفى الاعمال والاقدام فى مقابل موسى عليه السلام ومن هنـا يعلم ان فى حال المشورة قد هدد عليهم من جـانب فرعون على ترك الاقدام ، اى غرضنا غفران ما صدر منا من الذنوب سابقا ، و من هذا الذنب الخاص ( والله خير وابقى ) اى الترجيح فى الاخذبه فانه القادر المطلق والمنعم المطلق والاخرة تبقى بخلاف عذابك فانه يزول بموتنا.

والى هنا تم ماحكى الله هنا من القصة والبقية مـن الله فى مقابل اهل مكة اوساير الكفار .

( انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لايموت فيها ولايحيى ) اى من حضر يوم القيامة حالكونه مقصرا وكافراً اى خارجاً من الدنيا بصفة الجرم ، وبحسب الايات الاخر تقيد بالكافر والمشرك ، لظهور الخلود من هذه الاية ، ولان المقابل لها هو المؤمن ، فالمراد هنا غير المؤمن قطعاً (لايموت) بان يفنى، فلايدرك العذاب (ولايحيى) بالحيوة الطيبة الاخروية ، لكون الجهالات المركبة حقيقتها كذلك ، فليست عدمية صرفة ، ولا وجود صحيح من باب عدم المطابقة ، وحيث انها صارت صورة النفس فصارت ذاتية فلا تتبدل .

( ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات ) اى آمن بالله وعمل بـالحسنات اى الواجبات (فأؤلئك لهم الدرجـات العلى) اى العاليات ولعل السر ان الحسنـات يذهبن السيئات كما سبق وقلنا انه بالتوازن فلايكون مخالفا للعقل لحصول التحطيط

(جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى)

اى جنات الاقامة الجارية مـن تحتها المياه ويبقون ابداً ، وقد مر بيان ذلك مكررا

وجزاء من قبل التطهير بالايمان وبالاعمال الصالحة ، هو ذلك ولعل في هذا ايضا ايماءاً الى كون التطهيرمن قبل الله باذهاب الحسنات، الدناسات اويشملها ايضا

وقد ظهر عدم مخالفة ماذكر من الاياتَ مع العقل والله الهادى

قوله تعالى : ﴿ولقد اوحيناالى موسى اناسر بعبادى فاضرب لهم طريقا﴾ ﴿فى البحر يبسا لاتخاف دركاً ولاتخشى (٧٧) فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم﴾ ﴿من اليم ما غشيهم (٧٨) واضل فرعون قومه ومـا هدى (٧٩) يابنى اسرائيل﴾ ﴿قـد انجيناكم مـن عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم﴾ ﴿المن والسلوى (٨٠) كلوا مـن طيبات ما رزقناكم ولاتطغوا فيه فيحل عليكم﴾ ﴿غضبى ومـن يحلل عليه غضبى فقد هوى (٨١) وانى لغفار لمن تاب وآمن﴾ ﴿وعمل صالحا ثم اهتدى (٨٢) وما اعجلك عن قومك يا موسى (٨٣) قال هم﴾ ﴿اولاء على اثرى وعجلت اليك رب لترضى (٨٤) قال فانا قـد فتنا قومك من﴾ بعدك واضلهم السامرى (٨٥) فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال ياقوم الم﴾ ﴿يعدكم ربكم وعداً حسنا أفطال عليكم العهدام اردتم ان يحل عليكم غضب﴾ ﴿من ربكم فاخلفتم موعدى (٨٦)﴾

( ولقد اوحينا الـى موسى ان اسر بعبادى ) اى حركهم واسربهم وكن معهم سائرا بالليل ( فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا ) اى فاضرب بعصاك البحر و اجعل لهم بسبب ضربك طريقا يابساً فى البحراى نجعل ذلك الاثر فى ضربك بالعصا (لاتخاف دركاً) اى بعد هذا العمل لاتخف من ان يدركك فرعون واتباعه اى لايدركونكم فالنفى استعمل فى النهى الارشادى ( ولاتخشى ) اى لاتخش من الغرق بسبب ذلك العمل اى مادمتم فـى الطريق لايتصل مـاء البحر بعضه ببعض ويكون طريقكم يابسا واذا جزتم ودخل فرعون واتباعه يحصل الاتصال

(فاتبعهم فرعون بجنوده) اى جاء مع جنوده عقيبهم فاذا رأوا ذلك توهموا ان الماء يبقى على حاله فدخلوا البحر (فغشيهم من اليم ما غشيهم) اى احاطه بهم

ماء البحر بمقدار لـزوم ان يغشيهم ويحيط بهم ، فهلك فرعون واتباعه (واضل فرعون قومه وما هدى) اى صار وعده لقومه ( ومـا اهديكم الاسبيل الرشاد ) (١) باطلا واوجب فعله اضلال قومه فى الدنيا بالغرق ، وفى الاخرة بالعذاب

(يا بنى‌اسرائيل قدانجيناكم من عدوكم) اى فرعون واتباعه ، (وواعدناكم جانب الطور الايمن) اى‌بنزول التوراة فى ذلك الارض‌على‌موسى عليه السلام لعمل‌القوم بها وهى الارض‌المقدسة (ونزلنا عليكم المن) وهو الترنجبين (والسلوى) اى‌الطير السمان ، و الخطاب متوجه الى بنى اسرائيل من حيث النوع لاالافراد الموجودة فى زمان النبى صلى الله عليه وآله من حيث انها افراد .

(كلوا من طيبات ما رزقناكم) اى ممايرغب اليها الطباع ، و هذا الخطاب الامرى (يحتمل) ان يكون متوجهاً الى الموجودين فى زمن النبى صلى الله عليه وآله (ويحتمل) ان يكون متوجهاً الى النوع ايضاً ، فيشمل الموجودين ايضاً ( و يحتمل ) تقدير وقلنالهم (ولا تطغوا فيه) اى فيما رزقناكم بظلم بعضكم على بعض ( فيحل عليكم غضبى) اى يحل عليكم الغضب ، و لم يمنعه شىء و قـرء بكسر اللام وضمّها (ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى) اى سقط ونزل الى جهنم .

(وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل‌صالحاً) اى كثير الستر لذنوبه‌والكلام فى التوبة والايمان ، واشتراط العمل اوعدم اشتراطه قد مضى فلا نعيد (ثم‌اهتدى) اى تميل لكل هداية توجهت اليه ولم‌يعرض ولم يكن بنائه على التبعيض والاخذ بالبعض دون البعض .

( وما اعجلك عن قومك يا موسى ) قد ذكرنا سابقاً ان المقصود بالحكاية فى كل موضع يكون مقداراً منه، فيحذف الباقى ويذكر من البقية ما يلزم‌ذكرها تبعا ، فجعل ميعادالله وذهاب‌موسى الى‌الطور واغواء السامرى لم يذكرهناوذكرت فى مقامات أخر ، وعلى اى حال ، فقال الله ما بعثك على عجلتك فى اتيانك‌الىّ ومفارقتك من قومك .

---

(١) غافر ــ ٢٩ .

( قال هم اولاء على اثرى ) اى يحصل المفارقة بيننا ( و عجلت اليك رب لترضى ) اى سبقتهم لزيادة الشوق لاخذ التوراة .

(قال فانا قد فتنا قومك ) اى امتحناهم وابتليناهم ، وقدمضى سر الامتحان والابتلاء ، وانه لاجل وصول ما بالقوة الى الفعل على حسب الارادة (من بعدك) اى بعد مفارقتك من القوم ، ومن هنا يمكن ان يستكشف انه يلزم أن يكون السالك كالميت و يكون فانياً لايسبق الله بالقول ، و لعل هذا المقدار من العجلة واظهار الانانية موجب لهذا الامر الفظيع ( و اضلهم السامرى ) اى اخرجهم عن التوحيد والهداية .

(فرجع موسى الى قومه غضبان) اى على القوم (اسفا) على عجلته وعلى ما وقع ( قال ياقوم الم يعدكم ربكم وعداً حسناً ) اى اعطاء التوراة ( افطال عليكم العهد) اى مضى من هذا الوعد بمقدار حصول اليأس لكم (ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم ) اى كان غرضكم جعل انفسكم فى معرض الغضب ( فاخلفتم موعدى) اى خالفتم ماعهدت اليكم .

وعدم مخالفة ما ذكر من الايات للعقل يكون واضحاً ، والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿ قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا و لكنا حملنا او زاراً من ﴾
﴿ زينة القوم فقد فناها فكذلك القى السامرى (٨٧) فاخرج لهم عجلا جسداً له ﴾
﴿ خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسى ( ٨٨ ) افلا يرون ان لايرجع ﴾
﴿ اليهم قولا ولايملك لهم ضراً ولانفعاً (٨٩) ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم ﴾
﴿ انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى واطيعوا امرى (٩٠) قالوا لن نبرح ﴾
﴿ عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى (٩١) قال ياهارون ما منعك اذا رأيتهم ﴾
﴿ ضلوا (٩٢) الا تتبعن افعصيت امرى (٩٣) قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتى ولا ﴾
﴿ برأسى انى خشيت ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى (٩٤) قال ﴾
﴿ فما خطبك ياسامرى (٩٥) قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر ﴾

﴿الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى (٩٦) قال فاذهب فان لك فى الحيوة﴾
﴿ان تقول لامساس وان لك موعداً لن تخلفه وانظر الى الهك الذى ظلت عليه﴾
﴿عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفاً (٩٧) انما الهكم الله الذى لااله الاهو﴾
﴿وسع كل شىء علماً (٩٨)﴾ .

(قالوا) اى قوم موسى (ماخلفنا موعدك بملكنا) اى ماخلفنا ذلك الميعـاد بقدرتنا (ولكنا حملنا اوزاراً من زينة القوم) اى الصادر منا هذا ، و هو ان حين الخروج من المصر استعرنا الحلى من اقسام زينة قوم فرعون (فقذفناها فكذلك القى السامرى) اى بامر السامرى قذفنا فى النار والقينا فيها تلك الزينة ففعل السامرى ايضاً مثلنا .

(فاخرج لهم عجلا جسداً له خوار) اى السامرى لكونه صائغا، قدسوى للقوم من تلك الزنية اى الذهب جسد عجل (له خوار) وهو اسم صوت العجل اى فى الحقيقة صار الذهب عجلا من الجلد واللحم والعظم ، فان الجسد هو البدن الذى من مراتب النفس انساناً كان اوغيره من الحيوانات ، ومن فسر باللحم والدم مراده ذلك وجسداً يرى اى لايحصل الشك فى صيرورته عجلا

(فقالوا) اى السامرى واتباعه (هذا الهكم واله موسى فنسى) اى الاله يكون هناك ، وقد نسى موسى الهه ، وانه فى هذا المقام فذهب الى الطور فى طلب الاله اى هذا الامر صار سبب اعتقادنا بألوهية العجل قهراً ، فاعتقادنا لكونه قهريا لايكون بملكنا ، وهذا صار سببا للخلف فلم يكن الخلف فى قدرتنا فان صيرورة الذهب حيواناً امر عجيب ولو لم يكن هو الله لم يصر كذلك

(افلا يرون الا يرجع اليهم قولا) اى كيف يكون ذلك الامر موجباً لاعتقادهم بالالوهية بمجرد صيرورة الذهب عجلا له خوار مع ان الله قد اعطاهم العقل وعلى فرض عدم ادراكهم، لاستحالة كون الله جسماً فلامحالة يدركون أن الله يقدر على ان يتكلم ولو بخلق الصوت، وانه لو كان جسماً يتكلم باللسان .

وحيث انه ليس للعجل الا الخوار ولا يرجع اليهم القول، بان يجيب عن سئوالاتهم، فلا يكون الهاً بالبرهان العقلي الواضح ، فالاعتقاد بالالوهية قد نشأ عن عدم التفكر فيكون باختيارهم ، ولايكون على خلاف اختيار هم ( ولايملك لهم ضرا و لانفعاً ) اى يرون ذلك بلحاظ الاتباع للسامرى وغيرهم ، فلا ينفع العجل للسامرى واتباعه ولا يضر بمن خالفهم فكيف يكون الهاً ما لاقدرة له على ذلك و لو كانت عقولهم ضعيفة فهارون قد بين لهم ذلك المطلب .

( ولقد قال لهم هارون من قبل ياقوم انما فتنتم به ) اى بالعجل ( وان ربكم الرحمن ) اى معطى الوجود لمطلق الاشياء ، وقدمضى سرّ التعبير بالرحمن دون ساير الاسماء في تلك المواضع فلا نعيد (فاتبعونى واطيعوا امرى) .

(قالوا لن نبرح عليه عاكفين) اى لايزال ومستمرا نقيم على خدمته (حتى يرجع الينا موسى) اى يرجع ويبيّن لنا ان هذا الهه ام لا ، وقدظهر ان السامرى غير هارون عليه السلام ، وان هارون عليه السلام كان مانعا من ذلك الامر ، والانتساب الى هارون كما فى التوراة المحرّفة وغيرها، مما لاينبغي ان يصغى اليه لاعظمية شأن النبى والكامل ، لاصل الاغواء فضلا عن هذا النحو من الاغواء فى امر الالوهية .

(قال ياهارون ما منعك الاتتبعن) اى قال موسى عليه السلام له ما منعك من متابعتى ومجيئك الى و(لا) تكون زائدة (افعصيت امرى) وهو استفهام انكارى اى مع عدم عصيانك ما وجه تأخيرك .

(قال يا بن ام) والتعبير به لاجل تحريك الاشفاق (لاتأخذ بلحيتي ولابرأسى) اى موسى عليه السلام كان من شدة الغضب آخذاً بلحيته واشعار رأسه اونفس رأسه فقال لاتفعل معى ذلك (انى خشيت ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل) اى لما لم يكن الناس بتمامهم آخذين بقول السامرى وبتوجهى اليك تتوجه جماعة كثيرة نحوك ، فيحصل التفرق بين بنى اسرائيل ، فخشيت ان تقول انك صرت سببا لتفرقهم لسبب مجيئك الى (ولم ترقب قولى) اى تقول انك لم تواظب على قولى وامرى ، ثم توجه

موسى عليه السلام نحو السامرى .

(قال فما خطبك يا سامرى) اى ما شأنك الداعى الى مثل ذلك اى من اىّ سبب صرت قادراً على ذلك ولا جل اى شيئى فعلت ذلك ؟

(قال بصرت بما لم يبصروا فقبضت قبضة من اثر الرسول) اى علة اقدارى على ذلك التفاتى وابصارى بشيئى لم يبصروا به ولم يلتفتوا اليه ، وهو ان الحيوة تكون فى أثر الرسول وموضع قدمه وشاهدت موضع القدم ، واخذت قبضة من ذلك التراب الذى من اثر الرسول ، فنبذتها وألقيتها فى صورة العجل فصارت صاحبة الحيوة واما انه لاجل اىداع فعلت ذلك فلبلوغى الى هوى نفسى من الرياسة ، فالداعى لى هو تسويل نفسى .

اعلم ان النفس قد تتصل بالملكوت الايسر وتصدر منها بعض الامور العجيبة، واذ ادعى صاحب ذلك الامر شيئاً مخالفا للعقل خصوصا البديهيات ، لايكون اللازم على الله تعجيزه ، اذ كذب المدعى أمارة قطعية على كون اتصاله بالملكوت الايسر كالموضع المبحوث عنه ، فان عدم كون الله جسماً غير قادر على شيىء مما يحكم به العقل بديهة ، فالتعجيز غير لازم خصوصا مع علم الله بكشف الامر واعتراف صاحب الامر بالبطلان .

وحينئذ فنقول : ان السامرى لاجل الرياضات والمشاق قد وصل الى درجة درك ما اثّر فيه جبرئيل عليه السلام اوموسى عليه السلام حين الفناء والاتصال ، فاخذ ما فيه اثر وضع القدم على النحو المناسب لقدم جبرئيل او موسى عليه السلام فى تلك الحالة ، واما ان ذلك الشيء اى شيء اواذا كان ترابا اى تراب؟ فتفصيله لايلزم علينا بيانه.

ولكن المعلوم بالاجمال ان جبرئيل عليه السلام لكونه روحا يكون اثر قدمه بالمعنى المناسب له موجباً للحيوة وصيرورة المادة الملقاة فيه ذلك الشيء حيا كما اثر فى عيسى عليه السلام بجعله الطين طيرا وهكذا حال موسى فالنفس قد سولته واعمل ذلك فى غير المورد ، ولادعائه على خلاف العقل ، لم يلزم على الله رفع تأثير

ذلك في الحيوة ، فجعل الذهب حيواناً بهذا السبب ، ولا اشكال فيه عقلا ، لامن باب ان الناقص كيف يوجد الحيوة ، فانها كانت من اثر الروح او الكليم ، ولا ان الاجراء على يد الكاذب يكون قبيحاً لما ذكرنا من الوجه .

(قال فاذهب فان لك في الحيوة ان تقول لامساس) اى فارق من ذلك ، ويكفيك من العذاب الاخذ بخلاف مقصدك واعتزال الناس عنك وعدم التبرك بمسّك، فانه اذا مسك احد يحصل لك الحمّى فتقول لمن قرب اليك: لاتمسسني ( وان لك موعدا لن تخلفه ) وهو انتقالك الى الاخرة ووصول العذاب اليك (وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا) اى اقمت بخدمته ( لنحرقنه ثم لننسفنه ) اى لنسقطنه ولنذرينه في الهواء في البحر (نسفا) اى نحواً خاصا من الذر.

(انما الهكم الله الذى لااله الا هو وسع كل شيء علما) اى تمام الاشياء حاضر عنده نحو حضور المعلول لدى العلة ، ولا يكون عين الاشياء بان يكون مع كل شيء هو فيكون مع العجل عجلا ، ومع البقر بقرا وهكذا ، بل هو مع كل شيء اله ، والاشياء قائمات به ، فهو قيم الاشياء لاعينها كما سبق .

وقد ظهر مما ذكرنا عدم مخالفة شيء مما ذكر من الايآت مع العقل ، ومخالفة ما وقع فيه التحريف معها لايوجب نقصا فيها كماهو ظاهر والله الهادى.

قوله تعالى:﴿كذلك نقص عليك من انباء ماقدسبق وقدآتيناك من لدنا ذكرا﴾ ﴿(٩٩) من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا (١٠٠) خالدين فيه وساءلهم﴾ ﴿يوم القيامة حملا (١٠١) يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا﴾ ﴿(١٠٢) يتخافتون بينهم ان لبثتم الاعشرا (١٠٣) نحن اعلم بما يقولون اذ﴾ ﴿يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما (١٠٤) ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها﴾ ﴿ربى نسفا (١٠٥) فيذرها قاعا صفصفا (١٠٦) لاترى فيها عوجاً ولاامتا (١٠٧)﴾ ﴿ يومئذ يتبعون الداعى لاعوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع ﴾ ﴿الا همساً (١٠٨) يومئذ لاتنفع الشفاعة الامن اذن له الرحمن ورضى له قولا﴾

﴿(١٠٩) يعلم مابين ايديهم وماخلفهم ولايحيطون به علماً (١١٠)وعنت الوجوه﴾
﴿للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما (١١١) ومن يعمل من الصالحات وهو﴾
﴿مؤمن فلايخاف ظلما ولاهضماً (١١٢) وكذلك انزلناه قرآنا عربيا وصرفنا﴾
﴿فيه من الوعيد لعلهم يتقون اويحدث لهم ذكرا (١١٣) فتعالى الله الملك الحق﴾
﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما (١١٤)﴾.

(كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق) اى كما قصصنا عليك قصة موسى وبينالك وكانت فيها آيات على قدرة الله و صفاته الكمالية و كذا كانت مشتملة على الامور العقلية والفوائد العظيمة ، نقص عليك بعض الانباء الاخر من السابقين حيث كانت القصة مشتملة على فائدة عظيمة ، من التوحيد ، والرسالة ، والمعاد ، وساير الامور الخطيرة (وقد اتيناك من لدنا ذكراً) .

أى قداعطيناك من قبلنا ماهوذكر للوقايع والامورالموجودة فان الذكرهو الاعلام والعلم والحضور . فمن المذكرللشيء يكون الذكر الاعلام ، ومن الآخذ هوالعلم، والعلم امابالحصول وهوعلم مجازاً ، واما بالحضور وهوالعلم الحقيقى والقرآن لاشتماله على تمام الاشياء ذكرلتمام الاشياء ، و لذا أطلق عليه الذكر من دون المتعلق وبنحوالاطلاق .

( من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزراً) أى من ادبر عن القرآن ولم يعتن به ولم يأخذ باحكامهاعراضاً والجواب قد حذف أى لاتحزن أولاتتأسف اولاتعتن وامثال ذلك ، والجواب قدقام مقامه وهوفانه يحمل الخ أى عدم التاسف مثلا لاجل ان المعرض يحمل فى القيامة الوزر و الوبال فاعراضه يصير محمولا ثقيلاعليه .

فكما ان الحمل يوجب الانصدام فالاعراض بصورتها الاخروية او بجزائه يكون امراً ثقيلا غاية الثقل ، و كيف و هو اعراض عن الله ، و الاعراض من القرآن لايكون غيرالاعراض عن الله ، اذمن لم يقصّر يفهم انه من الله ، ومن قصرفلم

يعتن بـالله حقيقة أی قصر فی‌الفحص ، ولوفرض قـاصر فالاية غير شـاملة له لان التخصيص العقلی أو التقييد العقلی كاللفظی ، و المخالة هی المخالفة بالتباين ، وذلك يكون واضحاً ، وهولايكون هناك علی هذاالفرض أيضاً ، مع ان كثيراً من اهل العلم منعوا من تحقق القاصر فی اصول العقائد ،وكون القرآن من اللهداخلا فی اصول العقائد ، وذكرنا الجواب علی فرض وجود القاصر أيضاً .

(خالدين فيه) أی فی هذاالحمل وهذا الوزر ، فانه عذاب و صار الاعراض أيضاً فی الدنيا ملكة و صورة للنفس لهذاالشخص ، فلاينفك عنه فی الاخرة ، ففی هذاالعذاب يكون مخلداً بالبرهان العقلی(وساء لهم يوم القيامة حملا) أی ساءذلك الاعراض للمعرضين فی ذلك اليوم من حيث الحمل وثقل الورز .

(يوم ينفخ فی الصور) أی النفخة الثانية ( ونحشر المجرمين ) أی نجمعهم فی ذلك اليوم أی يوم القيامة (زرقا) أی عيونهم تكون أزرق ، و هو فی مقام‌تغير اشكالهم ، فالمراد الزرقة القبيحة بحسب المنظر ، لا الزرقة اذا كانت حسنة فی المنظر .

(يتخافتون بينهم) أی المجرمون يتكلـّمون فی‌غاية الخفاء مع الاخر لشدة الخوف فيهم (ويقولون ان لبثتم الاعشرا) أی مدة مكثنا فی الدنيا كانت عشرة أی العشرمن الليالی بايامها .

( نحن اعلم بمايقولون اذيقول امثلهم طريقة) أی الاتقن منهم (ان لبثتم الا يوماً) وذلك لكون الدنيا قليلا بالنسبة الی‌الاخرة بحيث تری يوماً أواياماًومن‌تعقل عدم نهاية الاخرة يقول ان الدنيا لا يكون بمقدار آن بالنسبة الـی الاخرة لكونها ممالايتناهی ولايقاس المتناهی بغيرالمتناهی .

(ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربی‌نسفا) أی يجعلها كالرمل السائل ثم يطيـّرهابالريح .

(فيذرها قـاعاً)أی ارضـاً منبسطة (صفصفا) مستوياً(لاتری فيهـا عوجاً) أی

بالانخفاض (ولاامتا) أى بالارتفاع وهذاالمقدار قبل التدكدك و بعد ما ذكر دكت الارض دكأدكا أى ضربت بعضها ببعض و كسرت .

وقدذكرناان تمامعالمالكيانلابدان تتحرك وتجئى الى عالم القيامة بالحركة الجوهزية ، فانها تبدل الارض غير الارض و السموات مطويات ( يومئذ يتبيعون الداعى) وهواسرافيل واتباعه فانه الباسط والقابض للكليات أى الامور التى فيها سعة الوجود ، وهواعظم منالثلثة الاخر بحسب المرتبة (لاعوج له) أى فىالداعى لكونه منالله فأفعالهوملكاته مستقيمة ومن يدعوه يكون مقهوراً فى متابعته (وخشعت الاصوات للرحمن) أى الله و قدذكر تخصيص الرحمن فى النحو من المقامات ، و الخشوع فى الصوت للخوف السارى فى الجميع ( فلا تسمع الا همساً ) أى كصوت اخفاف الابل فى مشيها .

(يومئذ لاتنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن) أى بان يشفع له ( ورضىله قولا ) أى من حيث القول بانكان قائلا بالتوحيد او بالتوحيد و الرسالة و الولاية والمعـاد .

(يعلم مابين ايديهم) أى من مرتبة الحشر الى الابد ( وماخلفهم)أى مافعلوا فىالدنيا (ولايحيطون به علما)أى لايحيط علمهم بالله لاستحالة احاطة المتناهىبغير المتناهى .

(وعنت الوجوه للحىالقيوم) اى خضعت ، اذ القيام بالحى القيوم ، والكل ربط قائم به وتابع ، فالخضوع ذاتى، نهاية الامر كانت الغطاء على الاعينوتكشف الغطاء فى القيامة (وقد خاب من حمل ظلما) اى خسر منحمل الشرك ، فان الظلم المطلق ، هو الشرك (١) وهو الذى لايغفر.

(ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً) اى مـن

---

(١) يؤيد هذا المعنى بما حكاه الله تعالى عن لقمان مخاطبا لابنه : واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم (لقمان ـ ١٢).

آمـن وعمل بالحسنات لايخاف مـن اضافة سيئة على سيئاته ولانقص حسنة مـن حسناته ، فانالله فيّاض ولا يظلم

(وكذلك انزلناه) اى القرآن (قرآنـاً عربياً) اى بلسان قومك وهو العرب (وصر فنافيه من الوعيد ) اى كررنا مايدل على الوعيد اخرويا كان اودنيويا (لعلهم يتقون) اى يحصل لهم التقوى ولايشركون (اويحدث لهم ذكراً) اى اعتباراً حتى يتركوا المشي على طبق الاهوية خوفاًمن الهلكات الدنيوية

( فتعالىالله ) اى الذات المستجمع للكمالات يكون متعاليا عن كل نقص (الملك) اى السلطان المطلق (الحق) اى الثابت الغير المتغير (ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه) اى اقرء للناس بعد فراغ جبرئيل من القرائة (وقل رب زدني علماً) اى بسبب نزول القرآن زدني علماً ، فانالمتناهى يستدعى الفيض من غير المتناهى دائماً

وقد ذكرنا سابقا انه لايلزم في النهى او النفى التلبس ، فلا يلزم ان يكون صلىاللهعليهوآله قارياً قبل الانقضاء فنهى ، الا ان بعضهم قـد ذكروا ذلك ، فـان ثبت فلا ضير فيه ، والا فلا نحتاج

وقدظهرمما ذكرنا مطابقة بعض الايات المذكورة مع البرهان العقلى وعدم مخالفة البقية ايضا للعقل والله الهادى

قوله تعالى : ﴿ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجدله عزماً(١١٥)﴾ ﴿ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى (١١٦) فقلنا ياآدم ان ﴾ ﴿هذا عدوّلك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى (١١٧)انالك الاتجوع﴾ ﴿فيها ولاتعرى (١١٨) وانك لاتظمؤفيهاولاتضحى(١١٩) فوسوس اليه الشيطان﴾ ﴿قال ياآدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لايبلى(١٢٠) فاكلامنهافبدت لهما﴾ ﴿سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدمربه فغوى (١٢١)﴾ ﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ( ١٢٢ ) قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض ﴾

﴿عدوفاما يأتيتكم مني هدى فمن اتبع هداى فلايضل ولايشقى(١٢٣) ومن اعرض﴾
﴿ عن ذكرى فان له معيشة ضنكا و نحشره يوم القيامة اعمى (١٢٤) قال رب ﴾
﴿لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيراً(١٢٥)﴾

( ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ) اى عاهدنا معه ان لايأكل من شجرة مخصوصة فترك عهدنا واكل منها باغواء الشيطان ، وكون المراد من الشجرة المنهية شجرة الحسد اى لاتحسد على من كان فوقك في الكمال فبا لاغواء حصل له الحسد على اعلى منه وهومحمدواله اى الائمة الاثنا عشر عليهم السلام و كذلك الحوا حسدت على الصديقة الطاهرة فاطمة بنت محمد ﷺ

(او) شجرة الانانية (او) شجرة عالم الكيان اى المتدلية نحوه بالنزول اليه (او) شجرة الحنطة (او) الجامع للكل اى كل ماذكر، كشفه محتاج الى التتبع في الاخبار ، وعلى فرض التواتر المعنوى يحصل القطع منها ، والا فلا ولايلزم علينا الا اثبات الامكان (١)

فنقول: ان كلما ذكر يكون ممكنا ، فان من يغلب عليه الملكوت بل الجبروت يأكل ويشرب من الملكوت الايمن اى البرزخ والمثال والجنة المتوسطة كما بينا فى آل عمران فى حق مريم (٢) ومن يكون كذلك لا يفتقر الى ما يأكل من عالم الملك والكيان فلا يفتقر الى تحصيل الاسباب الدنيوية و صدماتها ، و يشتغل فى العلوم والمعارف العالية و العبادات وكان آدم عليه السلام و حوا عليها السلام فى اول امرهما كذلك ، وحيث ان المتخيلة كانت فيهما وصافيتها ممدة للعقلانية والعبادات، ولكن نزولها فيها استعداد ما للشيطنة المتصلة بالشيطان الخارجي .

والاكل من شجرة الحسد اى التوجه اليها وجعلها نصب العين واظهار التنفر

---

(١) وقد مر سابقا من المفسر قده بيان وجيز فى ذلك فى سورة البقرة فراجع المجلد الاول ص ٣٥

(٢) راجع ص ٢١٢ من المجلد الاول من هذا التفسير .

وكذلك من شجرة الانانية واظهار التبختر ونظائرهما ، مما ( ١ ) يوجب تحطيط الدرجة ، وزوال الاتصال وانقطاع الاكل من الجنة المتوسطة ، فلو كان مكانهما في جنة من جنات الارض ، و كان هوائها صالحة في تمام السنة ، و لم يكن لهما الاحتياج الى اللباس و لم يلتفتا الى غير التوجه الى الله ، فالاكل من امثال ذلك يوجب التوجه الى الدنيا ، و عدم كفاية هذه الجنة الجبلّية لتمام الاوقات ، وانقطاع ثمرات الجنة المتوسطة عنهما ، فيلزمهما الخروج من هذه الجنة لتحصيل بقية المعاش ، ويلتفتان الى سوءاتهما ويحتاجان الى الستر باوراق اشجارها .

و هكذا من شجرة متوجهة الى الدنيا من الحنطة وغيرها ، فان الاكل منها مسبوقة بالتوجه الى الدنيا وانقطاع الحالة السابقة ، فيلزم ما ذكر ، وهذا امرممكن غير مستحيل .

و هذا على فرض كون محلهما في الجنة الدنيوية ( و امـا ) اذا قلنا بان المراد كونهما في الجنة المتوسطة بابدانهما البرزخية في قوس النزول وكان اللازم في الواقع نزولهما الا انهما باختيارهما نزلا بالتوجه .

(او) قلنا ( بان المراد وجودهما نحو وجود آخر ، و هو الوجود العقلاني والامكان الاستعدادى لحقيقتهما السيارة ، نقصهما ، و خطيئتهما ، وبسبب ذلـك قد نزلا ليصعدا ، فالكلام ( ٢ ) ينجرّ في مقام آخر ، و لا استحالة ، فـي أيّ واحد منها .

وعلى اى حال ، فذلك العهد عهد في التوجه التام الى الله والنهي عن الاكل يكون نهياً تنزيهياً ارشادياً فتركه آدم فلم يكن فيه العزم والثبات ، والا لبقى على ما كان من الاتصال في اول الامر .

(و اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى ) اى اذكر ، و هذا

---

(١) خبر لقوله قده والاكل من شجرة الحسد .

(٢) جواب لقوله قده : واما اذ اقلنا الخ .

المقدار هنا يكون توطئة (فقلنا يا آدم ان هذا عدولك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى) ایقد بينا لادمعداوة الشيطان الخارج معه ومعزوجهاحوا،وارشدناه بانه لا يصير سبباً لخروجكما عن الجنة اى المتوسطة بسلب اتصا لكما ، او الجنة الدنيوية لاجل تحصيل المعاش ، بعد سلب اتصالكما فتبعد عن الله بسبب زوال الاتّصال .

(ان لك الاتجوع فيها ولا تعرى) اى لك ما دمت على تلك الحالة انلاتدرك الم الجوع وكنت شبعاناً ، اوانا كلك كان من قبيل اكل اهل الجنة كالتفكه لابعد حصول الجوع ( ولا تعرى )اى كنت مستوراً ذالباس .

ومن هنا يظهر انهما قبل الخطيئة كانا ذا لباس وساتروبسبب الخطيئة سقط عنهما و ذلك ايضاً امر ممكن اذلا فرق بين المأكول و الملبوس ، فكما يمكن ان يأكل من غلب عليه الملكوت من اثمار الجنة المتوسطة ، كذلك يمكن ان يصير متلبسا بالبستها ، و كما ان مع الانفصال عن تلك الحالة تنقطع الاثمار ، كـذلك تغيب الالبسة .

(وانكلا تظمؤفيها ) اى لاتصير عطشانا( ولا تضحى) اى لاتؤثر فيكحرارة الشمس (فوسوس اليه الشيطان ) من باب القوة المتخيلة بتوسط حوا ، و المراد بالمتخيلة اى الرابطة بين ابليس وبينها ، كانت بسبب تلك السنخية لا العاقلة،لاان المراد فقد الابليس الخارجى ، اذ قلنا يستحيل عدم وجود العالم الكبيرالذىيكون العالم الصغيرواجداً لتمام مراتبه ، فحيث كان فى العالم الصغير النكرى والشيطنة فلا بد ان يكون فى العالم الكبير ايضاً شيطان كانمن اجزاء العالم الكبير، كما ان عقولنا كاشفة عن المجردات العلوية، و تمام تلك المطالب قد اقمنا البرهان عليها فلا نحتاج الىذكرها .

( قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لايبلى ) اى اعرّفكشجرة الديمومة و السلطنة الغير البالية التى لا تفنى و لا تضمحل ، فذكر جهات الخلود ودوام السلطنة.

مثلا يحتمل بناءاً على كون المراد شجرة الحسد اوالانانية ، بانالحسد على تلك الدرجة موجب للاستدعاء من الله تلك الدرجة ، ولفياضية الله وتلطفه عليك يعطيك ، فثمرتك باقية و علمك يكون باقيا ، وسلطنتك سلطنة دائمية لكونها باقية فيالاخرى ايضاً ، وقد غفل بسبب حب النفس ان الاعطاء لايكون على نحو الجزاف ، والله قد اعطى كل ذى حق حقه ، فالوصول الى درجة محمد ﷺ والائمة الاثناعشرعليهم السلام ليس ممكنا بمجرد الاستدعاء

وبان الانانية تكون التفاتا اليالعبودية واذا رأيت عبود يتك تقوم بوظيفتها احسنفالتفت الىنفسه وغفل عليه السلام انه محضالربط ورؤية نفسه منحيث هو،خلاف الواقع فانه يكون حينئذ مستقلا وهوخلافالعبودية

وعلى كون المنهى شجرة الحنطة او المتعلق بالدنيا ، بان بقاء روحك ونفسك للتكميليكون لازماً فلوا كلتوالتذذت باللذاتالدنيوية يدوم بدنك ويصير اتباعك اكثر ، فسلطنتك تصير دائمية في الاخرة خالدة ، والا فتضعف وغفل عليه السلام عن كونذلك لمن لايشغلهشيئىعنشىء، ومادام النهيموجوداً لميصلالىتلك المرتبة والالمانهاه

هذا كله علىفرض كون الجنة جنة دنيوية ، واما على غيرذلك ، فالامكان اوضح ، بل النزول مستلزم لذلك و قدحقق ذلك فى محله و بينا ايضا فى ذيل آية اخذ الميثاق من بنى آدم .

(فاكلامنها فبدت لهماسوآتهما) ايعورتهما لسقوط لباسالجنة المتوسطة عنهما ويقال للعورة السوئة لان صاحبها يسوء من كشفها استحياء (وطفقا يخصفان عليهما من ورقالجنة) اى شرعا يلزقان اوراق الجنة بعضها ببعض ليسترا عورتهما

(وعصى آدم ربه فغوى) اى فقد طريق الكمال اوخاب وخسر .

(ثم اجتباه ربه) اى اصطفاه الله بعد توبته ، وقبل توبته (وهدى) اى وصل الى الطريق ثانيا .

(قال اهبطا منها جميعاً ) اى الشيطان وهما اما نزول آدم وحوا فى صورة كونالجنة هىالجنة المتوسطة فيكون واضحاً، وكذالو كان المراد الجنة الدنيوية اذينزلان من حالة الاتصال وغلبة الملكوت بالانفصال ، وغلبة الملك ، فطرده عن الرحمة بالمرة بجعل العداوة بينه وبين من يكمل حتى يهوى الى البعدبكل اغواء ويحتمل الهبوط من بعض السماويات وعلى اى حال فلايكون فيه خلاف عقل (بعضكم لبعض عدو) اى لوجود القوة العاقلة فى الانسان تكون العداوة والتطارد بين الشيطان وافراد بنى آدم واقعاً دائماً فقديغلب الشيطان ، وقديغلب الانسان .

وعلى هذا لايكون من ذهب عقله بالمرة ويتبع الشيطان من بنى آدم لما ذكرنا من كونه لطيفة سيارة واجدة لتمام الحدود على نحو اللابشرطية وامكان التجاوز ، فلو وقف بالاختيار فى مرتبة تصير من اهل تلك المرتبة ، ومن وقف فى الشيطنة يكونشيطانابشكل البشر ،اوالمرادمنالعداوة،العداوةالحقيقية وانكانبحسب النظر كمال الالفة بينهما ، فالشيطان عداوته لمن يطيعه اكثر فى الحقيقة واطاعة ذلكالشخص ايضا عداوة فى حق الشيطان لان بسببها تشتد دركات الشيطان

(فاما يأتينكم منى هدى) اى فان يأتكم الهدى اى الهدايات من قبلى ولفظ ما زائدة (فمن اتبع هداى) اى اطاع واخذ بالهدايات (فلا يضل) اى لايفقد طريق الوصول (ولايشقى) اى لايتعب او لايبعد .

(ومن اعرض عن ذكرى) اى القرآن اوكل كتاب فى زمانه (فان له معيشة ضنكا) اى ضيّقة فى الآخرة (ونحشره يوم القيامة اعمى قال رب لمحشرتنىاعمى وقد كنت بصيراً) والظاهر ان المراد العمى فى المطالب العقلية العالية ، فكانه يلتفت الى انالنجاة والدرجات صارت بسبب العقائد الحقة التىمنبركات العاقلة فالعاقلة حصادها هذه الامور ، وهو ايضاً يقول : ان ذلك البذر معى فلم لا يؤثر هناك اى فى الدنيا كأن المانع من تأثيرها هى المزاحمات من القوى الدنية وهنا قد زالت تلك الموانع ، فلاجل اى ّجهة لاتؤثر أثرها ؟ ولكنه لايدرى انالوصول

الى الفعلية فى العقائد تكون مؤثرة فى الكمالات لاماصار سببا للعكس ايضاًيكون مؤثراً فيها ، فهو قد ابطل ذلك الاستعداد.

فظهر بحمدالله كون تمام الآيات المذكورات على طبق العقل اوغير مخالف له ، والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى (١٢٦) ﴾ ﴿وكذلك نجزى من اسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الاخرة اشد وابقى﴾ ﴿(١٢٧) افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى﴾ ﴿ذلك لآيات لاولى النهى (١٢٨) ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً واجل﴾ ﴿مسمى (١٢٩) فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس﴾ ﴿وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى (١٣٠) ولاتمدن﴾ ﴿عينيك الى ما متعنا به ازواجاً منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك﴾ ﴿خيروابقى (١٣١) وامراهلك بـالصلوة واصطبر عليها لانسئلك رزقـا نحن﴾ ﴿نزرقك و العاقبة للتقوى (١٣٢) وقالو الولا ياتينا بآية من ربه او لم تأتهم ﴾ ﴿بينة ما فى الصحف الاولى (١٣٣) ولو انا اهلكنا هم بعذاب من قبله لقالوا﴾ ﴿ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آيـاتك من قبل ان نذل ونخزى (١٣٤)﴾ ﴿قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوى ومن اهتدى﴾ ﴿(١٣٥) ﴾ .

(كذلك اتتك آيـاتنا فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى) اى بقـائك على عدم وصولك الى الكمالات من الجنة ولوازمها ، الذى هومن لوازم فقد العقايد الحقة، يكون لاجل نسيانك وتركك الاخذ بـالايـات الالهية وعدم التفكر فى الانفس والافاق حتى تعلم ان الله حق ، وكذا ما يكون من قبله ، فاضمحل باختيارك مبدء تلك العقائد وبدّل بمبدء الجحيم والشرور لاستحالة ارتفاع النقيضين ، فاذا لم يكن احدهما فالاخر ثابت اذا المطابقة للواقع و عدم المطابقة نقيضان .

وحيث ان القيامة دارنماء ما كان وظهور الحقائق ، فاليوم تنسى وتترك في الجحيم ولاتصل الى المقامات العالية ولاتراها،فتكون اعمى لاختيارك مبدء الجهل المركب والعمى .

(وكذلك نجزى من اسرف ولم يؤمن بآيات ربه) اى اخذاً بالعدل واعطاء كل احد لما اختاره نجزى من وضع المبادى في غير محلها فحصل الشرك وساير الكفريات باتباع عاقلته للمتخيلة الغير الصافية، وعدم الايمان بآيات الله من نتائج ذلك اى الا سراف (ولعذاب الاخرة اشد وابقى) اى مايصل الى ذلك المسرف بعد اول امره من القبر او العالم المتوسط او اول العالم الآخر اشد مما وصل اليه الآن وابقى لعدم الانتهاء له.

(افلم يهد لهم)اى اهل مكة (كم هلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم) اى كثرة ما اهلكنا من القرون الذين يمشون اى اهل مكة في مساكنهم في اسفارهم الى الشام وحذف لفظ (الذين) او ترك الاتيان بلفظ (بأن) حتى يكون المعنى بمشيهم في مساكنهم، للوضوح (ان في ذلك لآيات لاولى النهى) اى صاحب النهية والعقل اذا رأى تلك الا ثار تكون لهم الآيات اذهلاكة كل فرقة منهم آية على الله القادر ، وانه اشد المعاقبين في موضع النكال والنقمة كما انه ارحم الراحمين في موضع العفو و الرحمة (١)

(ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً) اى لولا سبقة رحمة الله على غضبه فالرحمة اى التجلى بالرحيمية كلمة من كلمات الله لاعرابها عن الذات الواجد للتجلى والتجلى بالغضب ايضا كلمة معربة عن الذات الواجد، نهاية الأمر ان الاول من شئون الجمال والثاني من شئون القهر والجلال ، وفي مرتبة التأثير يكون الاول سابقا ، بل قالوا ان الاول ذاتى والثانى عرضى ، وعلى اى حال فلولا ذلك الترتب

(١) هاتان الجملتان مأخوذتان من دعاء الافتتاح المستحب في كل ليلة من شهر رمضان .

(لكان) عذاب اهل مكة (ازاما) ای لازما لشركهم وعدم متابعتهم النبی ﷺ (واجل مسمی) يكون عطفا على المستتر فی(كان) ای لكان اجل مسمی لزامـا ای مايلزم لهم ولازمه تعجيل العقوبة ، والمراد ان المسمی فی اللوح المحفوظ هـو ملازمة العذاب معهم فالتاخير بسبب سبق الرحمة على الغضب

(فاصبر على مايقولون) ای من تكذيبك (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس) ای صل صلوة الصبح فآخر وقتها اول الطلوع واطلاق التسبيح على الصلوة لكونها مشتملة على الحمد الذی فيه انحصار العبادة والاستعانة من الله ولازم ذلك، التنزيه عن الشرك وكذلك التشهد فيها ، الدال على تنزيه الله من الشرك ، وكذا اذكار الركوع والسجود سواء فی ذلك التسبيحة الكبری او الصغری (وقبل غروبها) ای صلوة العصر فان آخر وقتها اول الغروب (ومن آنـاء الليل فسبح) أی صل صلوة المغرب و العشاء واطراف النهار .

ولعل المراد من الاطراف الاول والوسط والاخر ، و كأن المراد من اقامة الصلوة فی الوسط ، ان صلوة الظهر مبدئها من الوسط ونفس الاول والاخر ايضا اذا ادرك الانسان ركعة من قبلهما تصح الصلوة فيهما لان من ادرك ركعة من الوقت فكانما ادرك كله(١) فهما وقتان للزائد من الركعة من الصلوة (لعلك ترضی) أی لاجل حصول محبوبك ورضائك فی الصلوة وهو لقاء الله وشهوده وهو قرة عينك او لما يصل اليك من المثوبات .

( ولاتمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجاً ) أی لاتجعل همك مشاهدة اقسام التمتعات ، فانا متعنا بها اصنافا من اهل الدنيا ( منهم زهرة الحيوة الدنيا ) ای من هذه الاصناف زينة الحيوة الدنيوية وبهجتها أی درك هذه الاشخاص ومحط

(١) لم نعثر فی كتب الاحاديث على هذا التعبير، نعم قد ورد من ادرك ركعة مـن الصلاة اومن صلاة الصبح اومن صلاة العصر فقد ادرك الوقت فراجع الوسائل باب ٣٠ من ابواب المواقيت من كتاب الصلاة .

نظرهم هؤلاء الاشياء فكانها لهم (ورزق ربك خير وابقى) اى مما فى يدهؤلاء .

و قد ذكرنا كراراً ان النهى لا يلازم كون المنهى مرتكبا بل النهى لاجل ان لا يرتكب .

وقدذكر بعض فى شأن النزول ان النبى ﷺ طلب لاجل ضيافته مقداراً من الدقيق من شخص من اليهود سلفا فطلب الرهن فقال النبى ﷺ والله انى لامين و كانه اهتم ونزل .

وقال بعض : كان شأن النزول لاجل اهل الصفة وان النبى ﷺ احترم بعض المؤلفة لاجل ان يؤمنوا وليصل منهم الخير الى اهل الصفة و ساير الفقراء ، ولفقدى الاسباب لا اطمئن حتى ارى من اخبار اهل البيت عليهم السلام (١) ( و أمر اهلك بالصلوة واصطبر عليها) أى على الصلوة ولعل اطلاق الصبر بلحاظ تبعية الاهل له ﷺ وصبرهم صبره ( لانسئلك رزقا ) اى تحصيل الرزق لنفسك ولعيالك حتى تكون كثرة الصلوة مانعة من التحصيل (نحن نرزقك) أى نوصل اليك رزقك بالسهولة بحيث لاتكون الصلوة الكثيرة مانعة عنه (والعاقبة للتقوى) أى الاخرة لاجل الاتقاء من الله .

(وقالوا لو لاياتينا بآية من ربه) أى هلاياتينا ، و هى مركبة من هل ، و لا ، فالمراد هل لا ياتينا فيفيد التحضيض أى الترغيب أى فليأتنا بآية من ربه كما نريد ( اولم تأتهم بينة ما فى الصحف الاولى ) أى هل لا يكفيهم ماجاء من الاية ، و هو الموضح لما فى الصحف الاولى ، والمبين لها والايضاح تارة بانباء مافيها (وتارة)

---

(١) قال ابو رافع : نزل برسول الله صلى الله عليه وآله ضيف فبعثنى الى يهودى فقال : قل : ان رسول الله يقول : بعنى كذا وكذا من الدقيق او اسلفنى الى هلال رجب فأتيته فقلت له فقال : والله لا ابيعه ولا اسلفه الا برهن فاتيت رسول الله صلى الله عليه وآله فاخبرته فقال : والله لو باعنى او اسلفنى لقضيته ، وانى لامين فى السماء وامين فى الارض، اذهب بدرعى الحديد اليه فنزلت هذه الاية تسلية له عن الدنيا (مجمع البيان ج٤ ص٣٦).

باثبات مطالبها معاينة في الخارج .

وحيث ان الاول يكون وجه صيرورته آية بالامور العرضية من قبيل كونه ﷺ اميـًا او كون البيان على نحو تعجيز الغير عن الاتيان بمثله اوبعضه كماسبق، والظاهر انه ﷺ قداتى بالاية وهى البينة ، فنفس البينة آية لاغيرها ، فالظاهر هوالثانى من انه قدأتى بمايثبت مطالب مافى الصحف الاولى بالعيان أى قداتى بالمعجزات المحسوسة كثيرا بحيث قالوا لن نؤمن حتى نوتى مثل ما اوتى رسل الله (١) أى بلغ طمعهم من كثرة معجزات النبى ﷺ بمقدار ان طلبوا منه جعلهم بمثابة الانبياء باقدارهم لاتيان أنفسهم بـالمعجزات ، فالمراد ان الاقتراحيات بعد اتمام الحجة غير لازمة ، بل ذكرناسابقا انها غيرجائزةوغيرصحيحة الا فى بعض المواردالخاصة من القصور العرضى من باب التفـّضـّل فراجع .

(ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله) أى قبل اتيان محمـّد ﷺ ( لقالوا ربنا لولاارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من ان نذل ونخزى) أى لاورد واعلينا ، بانه لم لم ترسل الينا الرسول حتى نتبع حججك الجارية على يده حتى لا يحصل لنا الذل و الخزى ، فالمعنى انا قطعنا ايرادهم بارسال الرسول و هو محمـّد ﷺ مع الايات أى الحجج وهى المعجزات الصادرة منه ﷺ التى اتمها وابقاها القرآن اذ غيره من قبيل انشقاق القمر المذكور فى القرآن ، و الاسراء فى ليلة واحدة الى المسجد الاقصى المذكورة فى القرآن أيضاً ، و غلبة الروم على الفرس فى بضع سنين ، و سـائر المعجزات من تسبيح الحصى ، وشهادة الضب ، وتكلم الذئب ، واطعام الكثير من القليل ، وغيرها من المعجزات الكثيرة لاتكون باقية .

فحيث جائتهم بالايات ، فلناان نذلهم ونخزيهم وقد فعل الله ذلك بهم فى البدر وبعده (قل كل متربص) اى انتم منتظرون لانقراض امرى وهلاكى وانقطاع ذكرى ونحن ايضا منتظرون فيمن لايؤمن منكم بالذل والخزى والهلاكة فى الدنيا والاخرة (فتربصوا) اى انتظروا وذلك تهديد لهم بنزول العذاب عليهم فى الدنيا

(١) الانعام - ١٢٤

بحيث يظهر صدق كلامه ﷺ وقدحصل وصار اهل مكة (اما) مقتولين (او) اسراء اوبعد الفتح من الطلقاء بعد ايمانهم وهذا ايضاانباء غيبي داخل في الايات والحجج ( فستعلمون ) اي قريبا فالمراد في الدينا والا كان المناسب لفظ سوف ( من اصحاب الصراط السوى) اى الطريق الذى لاعوج فيه لافي الدنيا لحصول الغلبة والسلطنة ولافي الاخرة وقدحصل ذلك للنبي ﷺ واتباعه (ومن اهتدى ) اى قبل الهداية من الله فاهل مكة قدعلموا من بقي منهم ان الهادي هو الله ، والمهتدى هو النبي ﷺ واتباعه .

وقدظهر بحمدالله كون تمام تلك الايات اما مطابقة للعقل وامّا غير مخالفة له ، والله الهادي .

قدتم يوم الثلثاء المطابق للاثنين والعشرين اوالثلاث والعشرين من

محرم الحرام من عام ١٣٣٧ في قاضي كوى من

اسلامبول ، وانا الراجي

**نورالدين الحسيني الايراني من بلدة عراق**

وهو سلطان آباد وننتظر حركة الوابور الى ايران

لنتحرك انشاء الله اللهم اجعل عاقبة امرنا خيراً بمحمدوآله

صلوات الله عليهم اجمعين

# سورة الانبياء (٢١)

مكية

مأة واثنتا عشرة آية

كتب اكثر السورة فى قاضى كوى اسلامبول

الاالورق الاخير

فكتبه حين حركته

الى سمت الايران

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون (١) ما يأتيهم من ذكر من﴾
﴿ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون (٢) لاهية قلوبهم واسروا النجوى﴾
﴿الذين ظلموا هل هذا الابشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون (٣) قال ربي﴾
﴿يعلم القول في السماء والارض وهو السميع العليم (٤) بل قالوا اضغاث احلام﴾
﴿بل افتريه بل هو شاعر فلياتنا بآية كما ارسل الاولون (٥) ما آمنت قبلهم من﴾
﴿قرية اهلكناها افهم يؤمنون (٦) وما ارسلنا قبلك الارجالا نوحي اليهم فاسئلوا﴾
﴿اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون (٧) وما جعلنا هم جسداً لايأكلون الطعام وما﴾
﴿كانوا خالدين (٨) ثم صدقنا هم الوعد فانجيناهم ومن نشاء واهلكنا المسرفين﴾
﴿(٩) لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون (١٠) وكم قصمنا من قرية﴾
﴿كانت ظالمة وانشأنا بعدها قوماً آخرين (١١)﴾ .

(اقترب للناس حسابهم) اى قرب لاهل مكة الذين ينكرون البعث حسابهم وما يأخذونهم به في العالم الاخر فان اول الموت يشاهدون الامارات ويحاسبون بمقدار، وهم يشرفون ، وذلك تهديد لهم بقرب آجالهم وصار الامر كذلك من قرب، بقتل رؤسائهم .

(وهم في غفلة معرضون) اى يكونون غافلين عما توجه اليهم ، ويوصلهم

الى العالم الاخر للمشاهدة لامارات الاخرة ويكونون معرضين عن الخير المتوجه اليهم بدعوة النبي ﷺ وانهم لو اخذوا به يصلون الى الكمالات .

(ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون) اى لم يأتهم من آيات القرآن وهو الذكر من قبل ربهم ، وهو الله على التجديد وموصوفة بكونها محدثا اذ آيات القرآن كانت تتنزل على نحو التنجيم والتدريج (الا استمعوه) ويصغون اليه في حال كونهم لاعبين به اى لايتفكرون في صفاته من الفصاحة والبلاغة المعجزة عن الاتيان بمثله، ومن اشتماله على المعاني العالية المحيرة لعقول العظماء بل من دون تروّ من اجل شهواتهم يلعبون معه .

( لاهية قلوبهم ) اى في حالة كون قلوبهم لاهية ومشغولة الى الامور اللاغية المفرحة لشهواتهم ( واسروا النجوى ) اى اخفوا في نجويهم ( الذين ظلموا ) و هو بدل عن الضمير اى اخفى الذين ظلموا في النجوى (هل هذا الابشر مثلكم) اى قالوا معهم اى بعضهم لبعض : هل هذا الشخص الامثلكم ، واستفهامهم على زعمهم تقريري اى هو مثلكم (افتأتون السحر وانتم تبصرون) اى هل تتبعون سحره والحال انكم تشاهدون سحره،وهذا الاستفهام بزعمهم للتقريع اى الانسان لاينبغي ان يتبع السحر ويطيع الساحر مع علمه عياناً بالسحر .

ولايتاملون في ان السحر امر لا واقع له ، ويكون له مأخذ خفي اذا اطلع اليه يرفع العجب ، ( فان )كان مرادهم من السحر المرئي هو القرآن فالاتيان بما يعجز عن الاتيان بمثله لفظا ومعنى في جميع الاوقات وفي جميع الامكنة لايمكن الا باتصال الى الله ، وهو ينا في السحر لانه الواقع ( وان ) كان غير ذلك من المعجزات فالاخبار بالمغيبات والمطابقه (او) اشباع الكثير من القليل (او) شهادة الضب المأخوذ من البر (او) شهادة الذئب في البر مع عدم حضوره له ﷺ (و) تسبيح الحصى، لايمكن كونها من باب السحر كما هو واضح .

( قل ربي يعلم القول في السماء والارض وهو السميع العليم ) اى اظهر

لهم ان الله عالم بهذا النجوى وهذا القول بل كل قول في اي مكان في السماء والارض لاحاطته وهويسمع لكونه سميعاًويعلم لكونه عالماً بتمام الاشياء فاخبرني بذلك وهذا الانباء ايضا من الايات ومن خوارق العادات فانمكالمتهم كانت بينهم على سبيل النجوى واطلع النبي ﷺ عليه وانبأهم بنجويهم .

( بل قالوا اضغاث احلام ) اى ما ينبأبه وما يقرأه امورات مختلطة يراها في المنام فهم اضربوا عن قولهم بالسحر ، وقالوا : اناخباره بالمغيبات من باب النوم وكذلك الاتيان بآيات القرآن ، ولم يدروا ان الاختلاط مع هذا الاتقـان ، ومع المطابقة الدائمية في الانباء عن المغيبات لايجتمـع .

( بل افتريه ) اى اضربوا عن السابق وقالوا انها مجعولات ، ولميدروا ان التعجيز مع كونه من المجعولات لايجتمعان خصوصاً تعجيز جماعة كثيرة كانت لهم الاجتماع والاتيان بالمثل على نحو الاجتماع ، وقد ذكرنـا تلك المطـالب سابقا فلا نعيد .

( بل هو شاعر ) اى اضربوا وقالوا ان ما يقول تخييلات شعرية وغفلوا عن حقيقة الشعر مع كونهم من الشعراء فالاشخاص الذين يناقضون في كلماتهم لايكون غرضهم الوصول الى الواقع خصوصاً وقد ذكرنا سابقا ان المشرك لكونهمتمسكا بخلاف العقل لايستحق للاتيان بالمعجزة ابداً الا في بعض الصور للتفضل عليهم .

(فليأتنابآية كما ارسل الأولون) اىلو كان صادقا فليأت بمثل معجزات ساير الانبياء ، ولميشعروا ان الاعتراف بذلك يوجب عليهم القول بالتوحيد الذى انباؤا بـه اى الانبياء الجاؤن بما يقولون ، فعدم قولهم بـالتوحيد دليل على ان الأتيان بمثل ماجاء به الانبياء لايصيرسببا لهدايتهم فانما يقولون بهذا لجاجاً واقتراحاً

(ما آمنت قبلهم مـن قرية اهلكناها افهم يؤمنون) اى لـم يؤمنوا بالآيات التىيستدعون اى هؤلاء من كان قبلهم من اهل القرى ولاجل عدم ايمانهم اهلكناهم أهؤلاء مع كونهم أسوء واخبث يؤمنون بها اى بالأولوية القطعية هؤلاء لايؤمنون

بها ، اذمع اعترافهم بـها لايؤمنون بالله الواحد والانبياء المتقدمين لبقائهم على عبادة الاصنام والشرك، فمع عدم ايمانهم باللهوالسابقين مععدم مانعية الكبر لاتباع الله ومن مضى ولايكون موجوداً فلا يؤمنون بالنبى ﷺ لوجود المانع بالنسبة الى الايمان بـه ، اذهو يلازم اتباع الشاهد ، وهو ينافـى مـع شهوتهم وكبرهم، فالاتيانبهذه الامور لهذه الأشخاص المعترفين فىغير محله مع بقائهم على الشرك

(وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم) وفى قرائة (يوحى اليهم)(فاسئلوا اهل الذكران كنتم لا تعلمون) اى من ايراداتهم ان الرسول من جانبالله لابد ان يكون ملكا ولم نرسل الى الآن الا رجالا يتصلون الىالله فيصل اليهم الوحى ، (فاسئلوا) يا اهل مكة من اهل العلم ان كنتم غير عالمين بذلك ، فـان اهل العلم يبينون لكم ان الواسطة لو غلب عليه الملك وكان من اهل الدنيا لايمكن انيكون ملكاً لعدم السنخية والربط ان لم تتجسدوا ، وان تتجسدوا بلباس ، فمن يصدقهم على ذلك فلابد مـن اتيانهم بخرق العادات والأنبياء ايضا يأتون بذلك ، وباطنهم باطن الملك، بلبعضهم اعلى،ويحتمل كون علماء اهلالكتابايضاً داخلا فى اهل الذكر فى بيان هذا المطلب ، وان الانبياءكانوا بشرا

(وما جعلنا هم جسداً لايأكلون الطعام) اى ابدانهم محتاجة بقائها الى الأكل اذ غلبة الملكوت والمحو فيه ينا فى مع التبليغ فلابد من التوجه الى عالم الملك للتبليغ فيفتقرالبدن حينئذالىأكل مافىالملك (وماكانوا خالدين) اى لعدم اعتنائهم بالدنيا لانجعلهم مخلديـن فـى الارض اذ المقصد الاصلى ، العالم الاخر فبقائهم بمقدار اتمام الحجة والتبليغ وعلى مقدار ما تقتضى العادة بقائهم

(ثـم صدقناهم الوعد فانجيناهم ومن نشأ وأهلكنا المسرفين) اى رتبنا اثر الصدق على اقـوالهم فخلصنا الانبياء واتباعهم مـن الهلاكـة الغير المعتادة التى بعنوان العذاب واهلكنا المخالفين لاسرافهم وبذلهم ما اودعالله فيهم من الاستعداد لتحصيل الكمال فى غيرموضعه

(لقد انزلنا اليكم كتاباً فيه ذكركم افلا تعقلون) اى قد انزلنا اليكم قرآنا بلغتكم حتى تكونوا ماهرين فيه ، فانكم يااهل مكة من الفصحاء والبلغاء حتى ترون انه فوق حدّ البشر لعدم امكان الاتيان بمثله من جميعكم فتفهمون كونه من عندالله كما فهمت السحرة انّ العصا من قبل الله ، فآمنوا سريعاً فكان الحق عليكم سرعة الايمان بهذا الكتاب ، وكونه معجزة عالية لكم بحيث اذا جيىء لكم بغيره تعلمونه «افلاتعقلون) ولاتتفكرون فى ذلك المطلب العالى .

( وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة) اى اهلكنا بالشدّة اهلها لظلمها (و انشأنا بعدها قوماً آخرين ) اى بعد هلاكتهم على خلاف المتعارف بحيث كان بعنوان العذاب انشأنا بعدهم اشخاصاً آخرين أسكناهم مساكنهم اى الظالمون من اهل مكة ايضا يصيرون كذلك وقد صاروا فى مدة سنوات قليلة .

فقد ظهر بحمدالله كون الايات المذكورة ، بعضها على طبق البراهين العقلية وبعضها الاخر غير مخالف لها ، والله الهادى .

قوله تعالى :﴿ فلما احسوا بأسنا اذاهم منهم يركضون (١٢) لاتركضوا﴾ ﴿ وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون (١٣) قالوا يا ويلنا انا﴾ ﴿ كنا ظالمين (١٤) فمازالت تلك دعويهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين (١٥)﴾ ﴿ وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين (١٦) لواردنا ان نتخذ لهواً﴾ ﴿لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين (١٧) بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه ﴾ ﴿فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون (١٨) وله من فى السموات والارض﴾ ﴿ومن عنده لايستكبرون عن عبادته ولايستحسرون (١٩) يسبحون الليل والنهار﴾ ﴿ لايفترون (٢٠) ام اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون (٢١) لوكان فيهما﴾ ﴿ آلهة الاالله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون (٢٢) لايسئل عمايفعل﴾ ﴿ وهم يسئلون (٢٣)ام اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكرمن﴾ ﴿معى وذكر من قبلى بل اكثرهم لايعلمون الحق فهم معرضون (٢٤) .

(فلما احسوا بأسنا اذا هم منها يركضون ) اى لما ادرك اهل القرى عذابنا اذاهم اى بغتة هم من العذاب والبأس يهربون بالسرعة .

(لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون ) اى الملائكة الموكلين بانزال العذاب يقولون من باب التقريع : لاتهربوا بهذه السرعة وارجعوا الى ما انعمتم فيه ، اى الى محلّ اعطاكم الله النعمة فيه ، والى محلّ سكناكم لعل اهاليكم يسئلون عن علة عدم الذهاب عندهم لانجاح مطالبهم اى اذهبوا عندهم لاجل انجاح مطالبهم .

( قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين ) اى الويل وصلت الينا لظلمنا فوا اسفاه

( فما زالت تلك دعويهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين ) اى لايزال وعلى الدوام يتكلمون مع انفسهم تلك الكلمات حتى صيرناهم كالزرع الذى حصد، ثم احرق فى النار ، فاطفاء النار بعد احراقهم .

( وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين ) اى لايكون خلق العاليات والسافلات والمتوسطات اوخصوص الجسمانيات حال كوننا لاعبين فى خلقنا ، اى بدون فائدة عالية ، من ايصالها الى الكمالات الثابتة بالحركات الجوهريةالى العوالم الثابتة .

(لواردنا ان نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين) اى لما تكون السنخية بين الفاعل والفعل ثابتة ، اذ الفعل من رشحات فاعل الوجود لا فاعل الحركة ، فلوكان فعلنا لهواً و غيرثابت من حيث الغاية لكان ذاتنا ايضا كذلك وهو مخالف مع الوجوب الذاتى . فانه كمال محض ثابت ، وما فيه النقص او الانقطاع يخالفه فلواردنا اللهو لانزلناه من عندنا ان كنا فاعلين (للّهو وهو باطل فلابد ان يكون الخلق لاجل الامر الدائم الكمالى ، فلايكون الا لاجل التحريك الى عالم الاخرة والقيامة ، فالتوجه الى لله والرجوع اليه هو الغاية ، فغاية الخلق العبادة وعرفان الله تعالى .

( بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هوزاهق ) اى بل نضرب بالحق على ضرر الباطل اى نسلط الحق عليه ، فيضرب على امّ الدماغ للباطل فيهلكه ( فاذا هو) اى الباطل ( زاهق) وزائل ، فان الدنيا ينقطع ، والاخرة تدوم ، والباطل فى العذاب لايموت ولايحيى ، والحق ظاهر واضح واهله فى النعمة الدائمة .

(ولكم الويل مما تصفون) اى تصفون الله به باخذ الزوجة من الحورو الولد مـن الملائكة فانه الغنى المطلق والموجد للكل فكيف يفتقر الى الزوجة ؟ وكيف ينفصل عنه الشيئى ؟ .

(وله من في السموات والارض ومن عنده لايستكبرون ) اى الجميع ملك وربط كما سبق ولايستكبرون اى كل من انكشفت له حقيقته لايستكبر ، اذ رأى نفسه مجرد الفقر والربط وليس من عنده شيىء (عن عبادته) اى الخضوع والطاعة له (ولايستحسرون) اى الملائكة وكل من انكشفت له حقيقته ، لايكلّون ولايملّون، بل على نحو العشق والشوق يأتون بالعبادة ، ويتروحون بها كتروّحنا بانفاسنا .

(يسبحون الليل والنهار ) اى فـى الليل والنهار (لايفترون ) اى ليس لهم الفتور من تنزيه الله .

( ام اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون ) اى بل اتخذوا من المتكونات من الارض آلهة كالذهب والفضة وغيرهما من موادّ اصنامهم هم ينشرون اى لان يكون نشرهم وجمعهم بيدها وهذا من العجائب .

(لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ) اى لو كان في السموات والارض آلهة سوى الله لفسدتا وانعدمتا ، وهو خلف لوجودهما واجتماع الوجود والعدم محال

( بيان الملازمة ) ان الله كما بيّنا هوالوجود الغير المتناهى اى الوجود الصرف ، فلو كان الا له الاخر ايضا هوالوجود الصرف ، فلا يتعقل ، لان تمام الوجود اذا فرض هنا لايكون وجود آخر فضلا عن تمام الوجود فى الاله الاخر ولو كان الاخرمحدوداً ووجودا ضعيفاً، لكان من رشحات الوجود المطلق وقائمابه

فلا يكون الهاً ، فينحصران يكون الاله الاخر من غيرسنخ هذا الاله ، وحيث لاتركيب في الاله لكونه من خواص الممكن، فالتعاند بين تمام ذاتهما، ولااشتراك بينهما ، فمقتضاهما على خلاف الاخر ، فكل شيىء يقتضي احدهما وجوده يقتضي الاخر عدمه ، فتأثيرهما يقتضي اجتماع النقيضين ، و تأثير احدهما دون الاخر يقتضي بطلان الهية الاخر ، فلابد من عدم تاثيرهما ، وحيث لامؤثر في السموات والارض لانتفتا ،لبطلان تحقق الممكن من دون علة ،وفسادهما وانتفائهما خلاف المشهود .

وبعبارة اخرى بعدبطلان التركيب، ان التماثل فيهما۔ مع عدم تعددالمكان والزمان والعوارض لان الجميع من قبل الله ، ولايمكن اخذها في الله ، اواحتياج الله اليها من تمام الجهات ـ لامعنى له ، لاستحالة التعدد حينئذ ، فلابد من التعاند واثر المتعاندين متعاند ، وهوموجب لما سبق سواءكان الاصل الوجود او المهية.

(فسبحان الله رب العرش عما يصفون) اى يكون الله السربّي للعرش ، وهو الصادر الاول ، او اعظم الاجسام عن النقائص التى يصفونه بها .

(لايسئل عما يفعل) لانه لااعلى منه وكل ما يفعله على طبق الصلاح (وهم يسئلون) اى غيرالله مما له الادراك ، لكونهم عبيدين .

( ام اتخذوا من دونه آلهة ) اى هل اتخذوا آلهة غير الله ؟ وهو استفهام توبيخى .

(قل هاتوا برهانكم) اى ايتوابدليلكم وبرهانكم اذالاله المتبع لابدله من برهان، وهويعرّفكم البرهان ( هذا ذكر من معى ) اى المؤمنون ايضا يقولون بذلك ، ويستدعون منكم البرهان على وجود الهكم من غيرالله (وذكرمن قبلى) اى الانبياء واتباعهم ( بل اكثرهم لايعلمون الحق فهم معرضون) اى البرهان على اصل الاله وعلى توحيده وهم معرضون عن الادراك ولايطلبون انيفهموا الحق ، وغيرالطالب للواقع كيف يصل .

فظهر من جميع مـا ذكرنا بحمدالله ،ان اكثر الآيات المذكورة مطابقة للبراهين العقلية والبقية غيرمخالفة لها ، والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿ وما ارسلنا من قبلك مـن رسول الانوحى اليه انه لااله﴾
﴿الا انا فاعبدون ( ٢٥ ) وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون﴾
﴿(٢٦) لايسبقونه بالقول وهمبامره يعملون (٢٧) يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم﴾
﴿ ولايشفعون الالمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون (٢٨) ومن يقل منهم انّى﴾
﴿ اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين (٢٩) أولميرالذين﴾
﴿كفروا ان السموات والارض كانتارتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾
﴿افلا يؤمنون (٣٠) وجعلنا فى الارض رواسى ان تميدبهم وجعلنـا فيها فجاجا﴾
﴿ سبلا لعلهم يهتدون (٣١) وجعلناالسماء سقفامحفوظا وهم عن آياتهامعرضون﴾
﴿(٣٢) وهوالذى خلقالليل والنهار والشمس والقمر كل فى فلك يسبحون(٣٣)﴾
﴿وماجعلنالبشر من قبلكالخلد افان متفهم الخالدون (٣٤) كل نفس ذائقة الموت﴾
ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون (٣٥) ﴾ .

(وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه ) و فى قرائة يوحى اليه(انه لااله الاانا فـاعبدون) اى الامور الاعتقادية والواقعية لا تختلف فى ألسنة الانبياء ، والكل مرتضعون من ثدى واحد ، فالملة تكون ثابتة وليس فيها ناسخ و منسوخ ، وانماالنسخ فىبعض الاحكام ، لتغييرالمصالح والمفاسد بحسب الامزجةوالامكنة والازمنة ، كـاختلاف ادوية الاطبـاء للمرضى بلالمريض الواحد مع تغيرحاله ، وقد مضى الكلامفيه .

و حيث انالعقائد لاتختلفـ ومن اعظم العقائد توحيد الله ، و انه لااله الا هو ، و ان السلطنة له وحده لا شريك له فى الملـك ـ فـالواجب عبادته خاصة من دون الغير فيجب التوحيد فى العبادة ، فتمام الرسل يشتركون فى ذلكويبلغون هذا الامر .

( و قالوا اتخذ الرحمن ولداً)ای قال المشركون ان الاله الاكبر اتخذالولد من الملائكة والملائكة اولاده ( سبحانه بل عباد مكرمون ) ایالله منزه من النقص والولد نقص ،لاستلزامه الافتقار الی الزوجة ، وانفصال شیء من الوالد ، وكلاهما نقص والنقص عليه محال ، لمـا سبق البرهان عليـه مكررا ، بـل الملائكة عباد ومملوكون وروابط محضة ، ولالتفاتهم بذلك يكونون مكرمين محترمين .

( لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون ) ای من باب تأدّبهم بدون اذن الله لايتكلمون و بعد الاذن يتكلمون ، فقول الله سابق على قولهم ، و يمتثلون اوامره و يطيعونه .

( يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم) ای يكونون محدودين فلهم العلة ، و هی ارادة الله وهم المعلول ، والله محيط بالجميع، فلوكانوا اولاداً لكانوا من حقيقة الوالد ، وهو الوجوب الغير المحدود وهو ينافي الحد والولدية، فالولديةبالذات يكون منافياً مع الوجوب ، و مع كونهم من الممكنات ومفتقرات ، لا معنى له الا المخلوق .

( و لا يشفعون الالمن ارتضى ) ای شفاعتهم موقوفة على رضى الله و اذنه (وهم من خشيته مشفقون ) ای من عظمة الله و سطوته يضطربون و يخشون ، وقد ذكروا ان الخشية غيرالخوف، فالخوف من العذاب، والخشية من الهيبةوالسطوة والاشفاق هی الخشية او الخوف ، فالخشية هو الحصول لها و بعدها ، ایتكون ملكة لهم .

( ومن يقل منهم انی اله فذلك نجزيه جهنم ) ای لوفرض ان واحداً منهم ادعى الالوهية فنعذبه فی جهنم ، و قد سبق ان القضية الشرطية لا تستلزم تحقـق المقدم ابداً ، ولو فی آن من الانات ، فلا يلزم ان نقول ان المراد به ابليس .

( كذلك نجزی الظالمين ) ای من يدعی الالوهية يكون ظالماً ، و الظالم من اهل الجحيم ، و ليست افعالنا جزافة حتى نفرّق بين الملك و غير الملك فی ذلك .

( او لم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقاً ففتقنا هما ) اى أو لم يشاهد الكفار انجماد السموات من اتيان المطر منها ، والمراد جهة العلو اى السحب ، ففتقناها باتيان المطر منها وكذلك الارض فى فصل الشتاء مثلا كانت منجمدة، ففتقناها بحصول الفرج لاخراج النباتات منها فى الربيع مثلا .

وهذا الرتق والفتق دليلان على التوحيد لما ذكرنا سابقاً ان الحركة - وهى الخروج من القوة الى الفعل - لا بد من انتهائها الى محرك غير متحرك اى الفعل المحض والواجد الخالص ، ولو كان الله متعدداً لكان كل واحد منهما او منها فاقداً للاخر، فيكون فيه القوة والاستعداد ، لتحصيل ما ليس فيه و يكون فى الاخر والالكان الواجب اسوء من الممكن، واذا كانت فيه القوة، فيفتقر الى محرك آخر حذراً من تحقق الممكن من دون علة ، اوكون المعطى فاقداً .

و ان كان المراد بالسماوات السموات السبع وكان الغرض ان فى ابتداء الخلقة كانت جوهرة جامدة،فحصلت بالقدرة فيها الميعان كميعان الفلزات وصيرها الله سبعاً ، و كذلك الارض، فلا بد من كون المراد من الرؤية العلم ، و الغرض من الاستفهام الاعلام اى فاعلموا ان الامر كذلك ، اذلا يكون ذلك المطلب من الامور البديهية حتى يعلمها الكفار .

(وجعلنا من الماء كل شىء حى) اى حيوة تمام الاشياء فى الدنيا بالماء كما هو المحسوس ، ووجود تمام الاشياء بالماء الحقيقى،وهى الحيوة السارية من علم الله و قدرته فى الاشياء ( افلا يؤمنون ) اى مع مشاهدة هذه الامور و حركة الاشياء من الموت الى الحيوة، لايعتقدون بوجود المفيض على الكل الغير المحتاج كما سبق مع برهانه .

(وجعلنا فى الارض رواسى ان تميدبهم) اى جعلنا فى الارض جبالا كراهة ان تضطرب الزلازل اياهم، اذالزلازل الصغار الحاصلة لبعض قطعات الارض من حبس الابخرة فى تلك القطعات تصير سبباً ، لان تميد بهم هذه القطعات ، وبسبب

الجبال لا يحصل الخسف ، فى تلك القطعات ( و جعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون ) اى جعلنا فى الجبال طرقاً وسبلا ـ وهو بدل ـ لاجل اهتداء الناس الى مقاصدهم .

( وجعلنا السماء سقفا ) اى فوقا ، اذ الفوق هى الاقربية الى المحيط او نفس المحيط ، والسماء كذلك ومن ينكر وجود السماء لعدم دركه بحس بصره بالالات لايعتنى بقوله ، لان عدم الدرك بالآلات لايكون دليلا على العدم ، لامكان اللطافة الغير المدركة بهذه الآلات فيها ( محفوظا ) من الزوال وهى باقية للافاضة ( وهم عن آياتها معرضون ) اى الكفار عن هذه الامور الخارجة من القوة الى الفعل دائماً المستلزمة لانتهاء امرها الى الله الواحد ، معرضون ولايتأملون ولا يتفكرون .

( وهو الذى خلق الليل ) اى بتحريك الشمس ووصولها الى غير افق ذلك المكان والنهار بايصالها الى هذا الافق ( والشمس والقمر كل فى فلك ) اى شىء مستدير ( يسبحون ) اى يسيرون بالسرعة كسير السمك فى الماء او الماهر فى السباحة فى الماء ، وقال بعض: انهما يسبّحان اى المراد فى الاية ذلك ، والافتسبيحهما بل تسبيح تمام الاشياء يكون محققا عندنا .

( وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ) قال بعض الكفار انمحمداً ﷺ يموت والمراد ان كل من كان قبلك من البشر قد مات وذلك لايكون نقصا عليك ، فان سلطنتك فى الاخرة ، ومن تكلم بهذا هل يكون غرضه انه يبقى ويخلد .

(افان مت فهم الخالدون) اى اذامت هل يبقون لا ؟ فانهم يموتون ويدركون مساويهم .

(كل نفس ذائقة الموت) اى قبل القيامة ، فان عالم الملك لابد من حركتها الى العالم العالى (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) اى ابتلائكم بالامرين لاجل امتحانكم وخروج استعداداتكم الى الفعليات ( والينا ترجعون ) ومرجع الكل الى الله اى

يرون فقرهم ، وانهم صرف الربط كما حققنا تمام ذلك في القبل .

فقد ظهر بحمدالله كون غير الحكاية منها اي من الايات مطابقة كلها للبراهين العقلية ، والحكاية غير مخالفة للعقل ، والله الهادى .

قوله تعالى: ﴿ واذارآك الذين كفروا ان يتخذونك الاهزوا أهذا الذى﴾ ﴿يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كافرون (٣٦) خلق الانسان من عجل﴾ ﴿ سأريكم آياتي فلا تستعجلون (٣٧) ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين﴾ ﴿(٣٨) لويعلم الذين كفروا حين لايكفون عن وجوههم النار ولاعن ظهورهم﴾ ﴿ولاهم ينصرون (٣٩) بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلايستطيعون ردها ولاهم ينظرون﴾ ﴿(٤٠) ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به﴾ ﴿يستهزؤن (٤١) قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم﴾ ﴿معرضون (٤٢) ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا لايستطيعون نصر انفسهم ولاهم﴾ ﴿منا يصحبون (٤٣) بل متعنا هؤلاء وآبائهم حتى طال عليهم العمرأ فلا يرون﴾ ﴿انانأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون (٤٤) قل انما انذركم بالوحى﴾ ﴿ولايسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون (٤٥)﴾ .

(واذارآك الذين كفروا ان يتخذونك الاهزوا) اى المشركون من اهل مكة اذا راوك مايتخذون في حقك الاالاستهزاء ، وليس شغلهم معك الا السخرية (أهذا الذى يذكر آلهتكم) اى يقولون بعنوان التخفيف أهذا الرجل يذكر آلهتكم بالسوء (وهم) بذكر الرحمن هم كافرون) اى هؤلاء بذكر الرحمن لهم كافرون ويقولون لانعرف الرحمن اى مفيض الرحمة العامة .

( خلق الانسان من عجل سأريكم آياتي فلاتستعجلون ) اى اهل مكة يطلبون تعجيل نزول العذاب عليهم بظن انك تكذب واصل طبيعة الانسان مجبول على الاستعجال (سأريكم آياتي) الخطاب الى اهل مكة ، عن قريب وهو تعذيبهم وقتلهم يوم البدر الواقع في البعد قليلا ، وهذا ايضا وعد غيبي تحقق صدقه بالعجل ،

فلاتطلبون الاستعجال منّي اذ يصل اليكم مالابد ان يصل اليكم.

( ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ) اى البعث والقيامة .

( لو يعلم الذين كفروا حين لايكفّون عن وجوههم النـار ولاعن ظهورهم ولاهم ينصرون ) اى لو علم الكفار وشاهدوا زماناً يتوجه الـى وجوههم النـار ولاتقف ولايكف عنهم ، وكذابا لنّسبة الى ظهورهم ، وبعبارة أخرى احاطة النار بهم بمقاديمهم وخلفهم من الظهور وغيرها لم يقولوا هذا القول، اى قول متى هذا الوعد .

(بل تأتيهم بغتة فتبهتهم) اى الساعة تـأتى بغتة فتتحيرون وتصيرون مبهوتين (فلايستطيعون ردّها ولاهم ينظرون) اى لايقدرون على تأخير القيامة وردها ولامهلة لهم بان يتوبوا او يفعلوا الخير لانقضاء دارالعمل (١) .

( قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن ) اى من انكر الرحمن هل له احد يحفظه من الرحمن فى الليل والنهار ان اراد تعذيبهم ( بل هم عن ذكر ربهم معرضون ) اى لاينكرون خصوص الرحمان بل عن ذكر من يربيهم ويخلقهم مطلقا باىّ اسم تجلّى يكونون معرضين .

( ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا ) اى اتكون لهم آلهة تمنعهم من الشّرور غيرنا وهو استفهام انكارىّ ( ولايستطيعون نصر انفسهم ) اى والحال انّ الآلهة التى يدعونها لايقدرون على نصر أنفسهم فكيف يقدرون على نصر المشركين (ولاهم منّا يصحبون ) اى يجارون فلا مجير لهم ولاملاذ .

( بل متعنا هؤلاء وآبائهم حتى طال عليهم العمر) اى اوجدنـا لهم اسباب التلذذ حتى مكثوا كثيراً فحصل لهـم الاغترار اى لمشركى مكّة بسبب امهـالهم ( افلايرون انانأتى الارض ننقصها من اطرافها ) وذلك بعد الهجرة اى الم يشاهدوا

---

(١) لقد سقط من المفسر قدس سره تفسير آية (٤٠) من قوله تعالى ولقد استهزى الى قوله (يستهزءون) فلا تغفل .

أمارة غلبة المسلمين عليهم بخروج أطراف أراضيهم من يد اهلها السابق وسلطنة المسلمين على هـذه الاراضى ( افهم الغالبون ) اى هـل يظنون انهم يغلبون على النبى مع مشاهدة امارة مغلوبيتهم لايكون كذلك ، بل النبى هو الغالب ، وهـذا ايضا من الانباثات الغيبية .

( قل انماانذركمبالوحى ) اى مااقول لكم من مغلوبيتكم وقتلكم واسركم وفتح بلادكمللمسلمين وانذركمبه منقبلاللهلامن قبلنفسى، وهذا جزموانباء حتمى (ولايسمع الصمّ الدّعاء ) اى انتم اصمّ من باب الكبر والشهوة فلاتسمعون صوتى والاّفاناديكم بالصوت العال (اذا ما ينذرون) اى حين الانذارتصيرون اصمّ بحيث لاتسمعون .

وقد ظهر بحمد الله مماذكرنامطابقة الآيات المذكورة مع الواقع ، وكونها من المغيبات الواقعة فى الواقع على طبقهـا الامور ، فهـى براهين على الصدق ، وساير ما اشتملت عليه الايات المذكورة غير مخالف للعقل ، والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين (٤٦) ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلاتظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينابها وكفى بناحاسبين (٤٧) ولقدآتيناموسى وهرون الفرقان وضياء وذكراً للمتقين (٤٨) الذين يخشون ربهم بالغيب وهـم من الساعة مشفقون (٤٩) وهذا ذكر مبارك أنزلناه افانتم لـه منكرون (٥٠) ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنّا به عالمين (٥١) اذقال لابيه وقومه ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون (٥٢) قالوا وجدنا آبائنا لها عابدين (٥٣) قال لقد كنتم انتم وآباؤكم فى ضلال مبين (٥٤) قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين (٥٥) قال بل ربكم ربّ السّموات والارض ألذى فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين (٥٦) وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين (٥٧) فجعلهم جذاذاً الا كبيراً لهم لعلهم اليه يرجعون (٥٨)﴾ .

(ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك) اى شيئاً خفيفاً من عذاب الاخرة الانه غير ممكن، لاستلزام مجيئه بدون النزول(١) حرقة عالم الكون ، فلا بد من النزول فيخرج عن مرتبة الشدة ( ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين ) اى ليقولن اهل مكة محققاً ياويل ، قد ادركتنا لكوننا ظالمين فى حقنا بترك التوحيد ، وفي حق محمد ﷺ بعدم الاطاعة ، و فى حق القرآن بعدم تصديقه ، والعمل على طبقه ، الا ان الحجة على وجود ذلك العذاب بسبب المعجزات الكثيرة قدتمت عليهم، مع كفاية القرآن وحده لهم لمهارتهم في الكلام كما سبق.

( ونضع الموازين القسط ) اى العدل ليوم القيامة اى يوم قيام الناس عند رب العالمين ويوم كشف الحقائق ورفع الانانيات وقيام الكل بالله على نحوظاهر (فلاتظلم نفس شيئاً) من تحطيط حسنة اوزيادة عقاب .

( و ان كان مثقال حبة من خردل انينابها ) اى لو كـان مقدار ثقل الخردل الصغيروزناً ـ حسناً كان اوقبيحاـ نأتي بذلك المقدار للتوازن ولايشذعنا شيء (و كفى بنا حاسبين) اى يكفى فى صحة المطلب أن الله هو المحاسب ، اذ هو محيط بالكل ولايكون غرضه التعدى و لا يكون فى افعاله جزاف ، فيحصل التوازن بين الكل فى ادنى من طرف عين والامتداد للظهور على الاخرين اذا لم يبلغوا حدالعقليات والاحاطة .

( و لقد آتينا موسى و هرون الفرقان ) اى التوراة التى يفـرق بين الحق والباطل ( وضياءاً ) اى نوراً من حيث الكمال و العلم ، فالفرقان بلحاظ العمل ، و النور بلحاظ العلم ( وذكراً للمتقين ) اى تذكاراً لاهل الخوف او التوكل كما ذكرنا مراراً .

( الذين يخشون ربهم بالغيب ) اى اهل التقوى، من يخاف الله فى الخلوة والغائب عن الناس، لا من يظهر الخوف عند الناس ولايخاف ربه فى الغيب(وهم

---

(١) اى بدون تنزل شدة مرتبة العذاب يلزم احتراق عالم الكون .

من الساعة ) اى القيامة ( مشفقون ) اى خائفون اىلاجل علمهم باحوال القيامة او شهودهم لها .

( و هذا ذكر مبارك انزلناه ) اى القرآن ذكرلله و اظهار للذّات والصفات والافعال فمبيّن للمصالح والمفاسد بسبب احكامه وسايرالامور وهو من عندنا الاّ انا كسوناه صورة الالفاظ ونزّلناه وهوالمبارك (افانتم له منكرون ) اى هل يليق انكاركم لهذا الامر العالى الذى قبل النزول والتحطيط لاجلكم .

( و لقد آتينا ابراهيم رشده ) اى اعطيناه ما يرشده الى الحق والكمال .

(من قبل )(١) اى قبل هذا النبى صلىاللهعليهوآله(وكنابه عالمين)اىبحقيقة ذاتهلاحاطتنا به .

(اذ قال لابيه وقومه ماهذه التماثيل التى انتم لها عاكفون) اى حين قاللعمه و يطلق عليه الاب كما سبق و الا فابوه تارخ و عمه آذر ـ و للقوم اى شىء هذه الاشكال التى انتم تقيمون فى عبادتها ، اى لاى جهة تعبدونها ولاى كمال ؟

(قالوا وجدنا آبائنا لها عابدين ) اى لاندرى انّ ايّ كمال فيها الا ان آبائنا كانوا عاقلين، وعبدوها فنحن ايضا نتبعهم (قال لقد كنتم انتم وآباؤكم فى ضلال مبين) اىقال : انى ادرى عدم الكمال فيها بالحس والعقل وانتم ايضا ترون ، فانتم وآباؤكم قد اخذتم بطريق غلط واضح .

(قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين) يحتمل ان يكون مرادهم السؤال من ان هذا الكلام الصادر منك هل كان من الجدّ والحق اى الحقعندك امتكلمت من باب المزاح ( و يحتمل ) ان يكون ان على هذا المطلب ، لك دليل ام بدون دليل تتكلم؟

(قال بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن وانا على ذلكم مـن

---

(١) اى من قبل موسىعليه السلام وقيل : من قبل محمد صلىالله عليه وآله والقرآن وقيل : من قبل بلوغه (مجمع البيان) .

الشاهدين) اى ما اقوله يكون جدا ، ويكون البرهان عليه قائماً ، فانكم فى التغيير دائمـاً من الصبى الى الشباب ، ومنه الـى الشيخوخية وساير التغبيرات الواردة فيكم ولابد من انتهاء امركم الى المخرج لكم من القوة الى الفعل ، وان يكون هوفعلا محضاً ، والايلزم تحقق الممكن من دون علة ، اوكون المعطى فاقدا ، ومن هو فعل محض لايكون الاخالقكم ، وخالق السموات والارض ، وفاطر السموات والارض، ومبتدعها ومخترعها اوجاعل الاصنام ايضا واناعالم بذلك علما شهوديا عيانيا لابمجرد البرهان العقلى

( وتالله لاكيدن اصنامكم بعد انتولوا مدبرين ) اى اقسم بالله واتعجب من فعلكم لاكسرن اصنامكم بعد غيابكم وادباركم الى

( فجعلهم جذاذا الاكبيراً لهم لعلهم اليه يرجعون ) اى جعلهم مكسورات بالكسرات الصغاركـالدقيق بالفأس الاالصنم الكبير لعلهم اليه يرجعون اى القوم يرجعون الى الكبير ويرون انه لايقدرعلى شيء ، فيحصل لهم الانتباه

وعدم مخالفة شى من الايات المذكورة مع العقل ومطابقة بعضهامع البراهين العقلية كماذكرنا من الواضح ، بعدما اسبقناما عندنا، والله الهادى

قوله تعالى: ﴿قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين(٥٩) قالوا سمعنافتى﴾ ﴿يذكرهم يقال له ابراهيم (٦٠) قالوا فأتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون﴾ ﴿(٦١) قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا ياابراهيم(٦٢) قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم﴾ ﴿ان كانوا ينطقون (٦٣) فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون (٦٤)﴾ ﴿ ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ماهؤلاء ينطقون (٦٥) قال افتعبدون من﴾ ﴿دون الله ما لاينفعكم شيئاً ولا يضركم (٦٦) اف لكم ولما تعبدون من دون الله﴾ ﴿افلا تعقلون (٦٧) قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين (٦٨) قلنايانار﴾ ﴿كونى برداً وسلاماً على ابراهيم (٦٩) وارادوابه كيداًفجعلناهم الاخسرين(٧٠)﴾ ﴿ونجيناه ولوطاً الى الارض التى باركنا فيها للعالمين (٧١) ووهبناله اسحق﴾

﴿ويعقوب نافلة و كلا جعلنا صالحين (٧٢)﴾ .

(قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين) اى من كسرها يكون متعديا عليها وعلينا لاهانتنا (قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم) اى قال بعضهم مع بعض انا سمعنا ذكرها بالعيب من شاب يسمى بابراهيم وحيث ان هذا المطلب تكون حكاية فليس المراد بالفتى اى صاحب الفتوة والمروئية والكمال بل ماسبق اى المظنون انه فعل اذهو كان يذكرهم بالعيب

(قالوا فأتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون) اى ذكروا بان يأتوه فـي محضر الناس لعل من سمع منه يشهد على ما سمع، حتى يظهر انه الفاعل ويحتمل ان يكون المراد ان الاصنام تحصل لهم قدرة النطق فيشهدون ثم احضروه عليه السلام .

(قالوا ءانت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم) فاعرض عليه السلام عن القول بلاأونعم.

(وقال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون) ثم اعلم ان قبح الكذب لو كان من باب الاغراء والجهل ، فحيث لا اغراء بالجهل هنا لوضوح الامر على الجميع ، فـلا يكون قبيحاً حتى يستشكل صدوره منه عليه السلام وان قلنا ان قبحه من حيث هو ، ويكون مقتضيا للقبح ، الاان يرفعه رافع من خوف او مصلحة، فحيث لايكون هناك هذا المطلب لافشائه للمطلب ، فلابد من التأويل ( اما ) بكون الفعل صادراً عـن الكبير على فرض تنطّق الاصنام اى ان كانوا ينطقون ففعله كبيرهم ، لكونه حينئذ صاحب الادراك ، فيقدر على الكسر ، والمراد انـه لما لاينطقون فما فعله الكبير ولا قدرة له (فاسئلوهم) او المراد بكبيرهم هو رب النوع من موادهم وهي العاليات ، فـانها المحركة للخليل عليه السلام بـان يكسرها والاشارة حينئذ منقطعة لامر آخر .

( فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون ) اى انتقلوا الـى بطلان طريقتهم .

(ثم نكسوا على رؤسهم) وطأطأوا ، وغلب عليهم الشيطان وعادوا على مطلبهم

الاول ، وصاروا مؤاخذين للخليل عليه السلام (لقد علمت ماهؤلاء ينطقون) اى تعلم عدم نطقهم فقولك هذا تدل على استهزائك وانك الفاعل .

(قال افتعبدون من دون الله مالاينفعكم ولايضركم) اى هل تعظمون وتحترمون مالا ضرر فيه ولا نفع (اف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) اى القبح والشنيع عليكم وعلى آلهتكم او لاعقل لكم ولاادراك ، حيث تعبدون هذه الاشياء، فلما سب آلهتهم .

( قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين ) اى لو اردتم نصر الالهة واهلاكه فحرقوه حتى تكونوا مشتركين في قتله، وانصروا وعاونوا آلهتكم فاوقدوا النار والقوه في النار .

(قلنا يا نار كونى برداً) فتوجه الامر التسخيرى الى اخذ الحرارة من النار، فان الحرارة عارضة على النار ، اذ هى من مقولة الكيف ، وهى عرض ، والنار من مقولة الجوهر ، فتفكيك الحرارة من النار ليس امراً غيرمعقول ، فالحرارة صارت منفكة ، والبرودة حاصلة ، ولاجل عدم تأثير البرودة فى الهلاكة قال الله تعالى (سلاماً) حتى يسلم الخليل عليه السلام من البرد .

(وارادوا به كيداً) اى من الاهلاك بالاحراق (فجعلناهم الاخسرين) اذ رأوا نجاته عليه السلام من النار فصار هذا له كرامة ، وحصل الخسران عليهم .

(ونجيناه ولوطاً) اى من ارض العراق اوبابل (الى الارض التى باركنافيها للعالمين) اى الشام فذهب الخليل عليه السلام الى فلسطين ، وابن اخيه ـ وهو لوط ـ الى المؤتفكة وكان بينهما مسافة يوم على ما ذكروا .

(ووهبنا له اسحاق) اى من سارة (ويعقوب نافلة) اى ولد الولد ، او زائداً على الولد الذى استدعاه (وكلا جعلنا صالحين) من اعطائهم النبوة .

وعدم مخالفة ما ذكرمن الايات مع العقل يكون واضحاً بعد مابينا من عدم استحالة جعل النار برداً ، وما حققنا قبل ذلك فى تحقيق المعجزة ، والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿وجعلناهم ائمة يهدون بأمره واوحينا اليهم فعل الخيرات﴾
﴿واقام الصلوة وايتاء الزكوة وكانوا لنا عابدين (٧٣) ولوطاً آتيناه حكما وعلما﴾
﴿ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين (٧٤)﴾
﴿وادخلناه فى رحمتنا انه من الصالحين (٧٥) ونوحاً اذ نادى من قبل فاستجبنا﴾
﴿ له فنجيناه واهله من الكرب العظيم ( ٧٦ ) ونصرناه من القوم الذين كذبوا ﴾
﴿بآياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين (٧٧) وداود وسليمان اذ يحكمان﴾
﴿فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين (٧٨) ففهمناها سليمان﴾
﴿وكلا آتينا حكما وعلما وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين﴾
﴿(٧٩) وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل انتم شاكرون (٨٠)﴾
﴿ولسليمان الريح عاصفة تجرى بامره الى الارض التى باركنا فيها و كنا بكل﴾
﴿شىء عالمين (٨١)﴾ .

(وجعلنا هم ائمة يهدون بامره) اى جعلنا هم ممن يقتدى بهم ويتابعونهم فان الخليل عليه السلام صاحب الشريعة وله الاتباع واسحاق حافظ لشريعة الخليل عليه السلام وكذا يعقوب بعد اسحاق و كان من يتبع شريعة الخليل يرجع اليهما عليهما السلام ومن صفتهم انهم يهدون الى الخير بأمر الله .

( و اوحينا اليهم فعل الخيرات ) اى الى كل واحد منهما اتيان كل خير وحسن ، والمراد بالوحى هنا (اما ) ما يشمل الاعلام بسبب التذكر (واما ) لابدان نختار بان الشريعة العمومية اوالاكثرية للستة، او السبعة باضافة رسول الفرس ، فانه جاء فى الاخبار : ان كتابه قد دوّن فى جلود كثيرة (واما) فى الاحكام الشخصية (او) لبعض الخواص ايضاً يمكن ان تكون للانبياء اختصاصات باضافة بعض الاحكام لهم ، بالوحى اليهم (او) لخواصهم (او ) للوقايع الخاصة من قبيل الفصل بين الخصوم، فالوحى باتيان الخيرات لاسحاق وليعقوب عليهما السلام لامانع منه ، مع كونهما من اتباع الخليل عليه السلام فى الشريعة ، وعدم كونهما صاحب الشريعة والثانى هو اظهر

فالمراد الوحي الحقيقي .

(واقام الصلوة وايتاء الزكوة) اى اتيان الصلوة على نحو المأمور به لهم ، ولخواصهم ولخصوص الخليل عليه السلام ما هو المأمور به لنوع اتباعه (وكانوا لنا عابدين ) اى غير مشركين ، ولا مستنكفين عن عبادتنا .

(ولوطاآتيناه حكماوعلما) اى اعطيناله عليه السلام حكما اى بأن يفصل بين الناس (او) كما ذكرنا بعض الاحكام الخاصة لنفسه (او) لبعض خواصه ايضا ، واعطيناه العلم .

(ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث ) اى خلصناه من تلك القريه باهلاك اهلها التى تعمل المنكرات كالاكتفاء بالرجال ، وترك النسوان مع كونه ظلماً ، وكونهم آتين للرجال بالعنف ، وعدم الرضاية وقطع السبل ، وهوظلم عظيم وافتضاح ، واما ما ذكر من الرمي بالبنادق ، و اللعب بـالطيور ، فاطلاق الفاحشة التى تكون الظاهر منها فى امثال المقام ، الفاحشة العقلية، على خلاف الظاهر(انهم كانوا قوم سوء فاسقين ) اى ملكاتهم سيئة ، و افعالهم خارجة عـن طاعـة الله ، (وادخلناه فى رحمتنا انه من الصالحين ) اى انزلنا رحمتنا على لوط لكونه صالحاً

(ونوحا اذ نادى) اى اذكر نوحاً حيث نادى الله للتخليص من يدقومه(من قبل) اى قبل ابراهيم ولوط (فاستجبنا له) اى لنوح (فنجيناه و اهله) الحقيقى لا العمل الغير الصالح (من الكرب العظيم) اى الغرق وتكذيب القوم .

(و نصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوم سوء) اى نصرناه على القوم و نجيناه وهم المكذبون بآيات الله و حججه على التوحيد لانهم كانوا سيئات السريرة والملكات ، فالنورلا ينفذ فيها فلم يحصل لهم التوفيق .

( فاغرقناهم اجمعين ) اى بعد الصلاح و تميز اصلابهم من الموحدين ، و علم الله بانهم لا يوحدون بعد ذلك ، وليست وجوداتهم الا موذيات شيطانية .

(وداود وسليمان) اى اذكرهما ( اذ يحكمان فى الحرث) اى الزراعة، وقيل

بانه يشمل البستان ايضاً فبيّن الفصل كل واحد منهما (اذ نفشت فيه غنم القوم) اى رعى الغنم في الليل بلاراع في الحرث ، ومعنى النفش هو الرعى بدون راع في الليل ، وطريق حكمهما مابيّن في القرآن على حسب الظاهر .

و المذكور في الخارج ان داود عليه السلام حكم بكون رقاب الاغنام لصاحب الزرع ، او البستان من الكروم من باب الاتلاف ، و سليمان عليه السلام حكم بان الاغنام كانت عند صاحب البستان اوالزرع لو كان اصله محفوظاً مثل الكروم .

ومن هنا قالوا ان المراد من الحرث هو البستان فيأكل صاحب البستان من لبن الاغنام اى حليبها و يجزّ صوفها و اشعارها الى ان يصير البستان في الصلاح كالاول ، ثم يردّ الاغنام الى صاحبها ، فكأن هذا جمع بين الحقين ، اذ كما ان أصل البستان يكون باقيا لصاحبه كانت الاغنام ايضاً باقية لصاحبها ، و كما ان ثمرات البستان والمنافع الحاصلة منه ، قد تلفت على صاحب البستان كانت منافع الاغنام له ، بدلا عن منافع البستان .

(وكنا لحكمهم شاهدين) اى حاضرين ومحيطين على حكمهما واطلق الجمع على التثنية ، فيكون اقل الجمع في مقام الاستعمال جائزاً كونه الاثنين .

(ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما) اى تلك الجهة التى تكون مناطاً لماحكم به سليمان القينا فهمها الى سليمان ، ولولاذكر بعده ، لكان الظاهر افهامامن قبيل النكت في القلب ، لامن قبيل الوحى بمشاهدة الملك اوسماع صوته ، وبلحاظ البعد يكون الظاهر من اتيان الله الحكم و العلم لهما ان كلّها كان بوحى الا ان لداود عليه السلام كان في السابق واول النسخ والتغيير من حكم سليمان ، ويحكى رجوع داود عليه السلام عما حكم به.

وقد ذكرنا انه لو كان بعنوان الوحى لكان من القضايا الخاصة حتى يصلح اختصاصهما بالوحى ، والافالحكم الثابت في زمانهما هو حكم التورية ، وهما من اتباع التوراة فلو قلنا بانهما من غير الوحى بل بالاستنباط من التوراة فخطاء داود عليه السلام غير صحيح ،

اذليس في التوراة حكمان في ذلك الباب فلابد من القول بالوحي كما ذكرنا (او) ان حكم بعض الاشياء لم يبين في التوراة ، والانبياء من باب الاستنباطات العقلية الصافية يحكمون في تلك الموارد ، وكون شريعة خاتم النبيين واجداً للتمام لايستلزم كون الشريعة الموسوية ايضا واجداً للكل

ففي هذا النحو من الاستنباطات قد يحصل امضاء البعض من الله بالوحي وكان هناك ايضا كذلك

وعلى اي حال فبهذا النحو يصح ، وعلى نحو الوحي كما قلنا ايضا يصح ، ولاينافي مع نبوتهما بحسب العقل وعدم كونهما صاحبين للشريعة العامة

(وسخرنا مع داود الجبال يسبحن) اي الجبال قدسخرت لداود فيصدر التسبيح منها متابعة لتسبيح داود عليه السلام

فلو قلنا بان المراد الاشخاص العظيمة الشأن كالجبال الراسخة ، وداود عليه السلام صار بمرتبة من الكمال بحيث قدتبعه تلك الرجال (او) من كانت قلوبهم كالاحجار صارت قلوبهم ملينة بتسبيح داود فتوصيف داود ، بالعظمة من تلك الجهة اي القوة المتصرفة في هذه الاشخاص ، والافلابد ان نقول بما يقول اهل الكشف ، بان كل موجود له الادراك ولكل واحد تسبيح.

والانسان اذا اشتغل بالرياضة ادرك من الموجودات الاشتغال بالذكر الذي هو مشغول فيه ولم يصل بعدالي درجة الكمال اذذلك بلحاظ سريان ذكره اليها ولم يصل الي حقائقها وان رآها مشغولة باذكار مختلفة وتسبيحات متعددة فليعلم انه قد وصل الى الكمال وادرك كل الحقائق وذلك امر مبرهن عليه - اي ادراك تمام الاشيا واذكارها - بالبرهان العقلي ايضا، مضافاً الى الكشف، فلامخالفة للعقل من هذة الجهة

(والطير) اي سخرنا هاله في التسبيح والامر في الطير اسهل ، وبعد صحة السابق لا اشكال في ما يتعلق به ( وكنا فاعلين ) ى تمام التأثيرات منا، و هو من البديهيات العقلية

(وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم)اى جعل اللباس من الحديد، وهو الدرع لاجل الحفظ من السيوف والرمـاح ، لان الحفظ منها فى ذلك الزمان كان لازماً ، ولم يكن اللازم ، الحفظ من الامور الحاصلة بعد الالفين- من قبيل المرميات- من المدافع فى تلك الازمنة (فهل انتم شاكرون) اى لكون الآثار باقية فى زمان النبى ﷺ يخاطبهم الله تعالى بانكم تشكرون لهذه النعمة املا

( ولسليمان الريح عاصفة ) اى سخرنا لسليمان الريح ( تجرى بامره الى الارض التى باركنا فيها ) اى فى الارض التى باركناها وهى ارض فلسطين ، والشامات التى كانت مقر حكومتهما، وهى مملوة من النعماء من الاشجار والاثمار والمياه .

وتعجب تسخير الرياح لابد ان يضعف فى تلك الازمنة ، اذ بعد اعطاء الله قوة التسخير بالقوة المتفكرة لاعمال الطيارات المعمولة باعانة النار ، فتسخير الريح لنبى من الانبياء بالقوة العلمية أيضاً فى كمال السهولة ، فضلا عن قوة النفس ، والتصرف بقوة نفسه .

وتمام التعجباب فى المعجزات ، من باب ان كل محدود بحد ، يتوهم ان غيره ايضا الابدان يكون مثله محدوداً فى العلم والقوة العمالة ، والامر ليس كذلك، فكما ان مراتب العلم ومراتب الحدس والذكاء من المشهودات، سواء كان بالذات او بالتحصيل ، فمراتب القوة الفعالة بالهمة ، وتصرف النفس أيضا كذلك ، باعانة الرياضات والتوجهات الى الله ، وصفاء الطينة ، والاحمق لايؤثر فيه شىء من بيان تلك الامـور ، ولايصدق الا مـا رآى ، ولم يكن فيه الزام عليه بترك الشهوات ، والافيقول انه سحر أونظيره.

(وكنا بكل شىء عالمين) اى عالمين علما حضوريا وقد ذكرنا مراتب علمه تعالى فلا نعيد .

وعدم مخالفة شىء من الايات المذكورة مع العقل بعد بياننا من الواضحات والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك﴾
﴿وكنالهم حافظين(٨٢) وايوب اذنادى ربه انى مسّنى الضروانت ارحم الراحمين ﴾
﴿(٨٣) فاستجبنا له فكشفنا ما بهمن ضرّ وآتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من ﴾
﴿عندنا وذكرى للعابدين (٨٤) واسمعيل وادريس وذاالكفل كل من الصابرين ﴾
﴿ (٨٥) وادخلنا هم في رحمتنا انهم من الصالحين (٨٦) وذا النون اذ ذهب ﴾
﴿ مغاضبا فظن ان لن نقدرعليه فنادى في الظلمات ان لااله الا انت سبحانك انى ﴾
﴿ كنت من الظالمين (٨٧) فاستجبناله ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ﴾
﴿ (٨٨) و زكريا اذ نادى ربه رب لاتذرنى فرداً و انت خير الوارثين (٨٩) ﴾
﴿فاستجبناله ووهبناله يحيى واصلحنا لهزوجهانهم كانوا يسارعون فى الخيرات﴾
﴿ ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوالنا خاشعين (٩٠) ﴾ .

( ومن الشياطين من يغوصون له ) اعلم انه قد حقق في محله ـ وقد ذكرنا ايضاً ـ انه كما يكون فى العالم الصغيرـ وهو الانسان ـ القوة المتخيلة وهى قدتكون ممدة للامور العالية ، ومحركة للانسان الى المصالح الدنيوية، والاجتناب عن مفاسدها على قدر الكفاية من غيران يكون ضارا بالاخر ، وكذلك تكون محركة للقلب والاعضاء نحو الجنة المتوسطة باطاعةالله للفوز اليها وترك المعاصى الموجبة لجحيمها وتعذيب مناسب للعالم المتوسط :

وقدتكون باعثة على الشرور والاذيّات والحرص الشديد والشهوة المفرطة والغضب المنجرّ الى الظلم فى حق الغيرو الانهماك فى المعاصى والتلذذات ترجيحا للعاجل على الا جل .

ففى العالم الكبير لابدان يكون مماثلالها بان كان الربطبينهما حاصلا ، وما للعالم الكبير جهة تفوّق تصل الى الفاعلية المعدة لمافى العالم الصغير .

فمايكون القسم الاول من المتخيلة مرتبطة اليه هى الملائكة القدرية،(والقسم الاول ) منه يكون ملائكة ارضية قدرية ( و القسم الثانى منه يكون ملائكة سماوية

قدريّة و ما يكون القسم الثاني من المتخيلة ـ وهي الفاسدة ـ مرتبطة اليه هي الاجنة والشديد منها في الشرور . تسمى بالشياطين .

وحدنفوسها حدالخيال ولايتجاوزون الى العقليات ، بل يقفون عندالعقليات كاغلب اهل زماننا وابدان هؤلاء يكون العنصرالغالب فيها النار ، كما ان الغالب فيناالطين اى الارض والماء ، فحيث ان اجسامها لطيفة قابلة للتطورات والتشكلات بسهولة كالشمعة اللينة ، فان الانسان قديجعلها مستطيلا شبه الخط ، وقد يجعلها شبه الحية ، وقد يجعلها شكل الفيلة ، وهكذا فقديزداد فى الطول ، وقد يزداد فى العرض ، وقديزداد فى العمق مع ان الجسم الطبيعي باق على حاله هذا حال ابدانهم و نفوسهم قوية فى مقدار حدهم فمن اجل قوة نفوسهم و سهولة التشكل المختلف فى عناصرهم يتشكلون باشكال مختلفة ، وهى قدتكون شديدة فى الشرور فتسمى بالعفريت اوالشيطان .

وحينئذ نقول ان الشياطين ، منهم كانوا مسخرين لسليمان عليه السلام ويغوصون له ويخرجون الدر والمرجان واللؤلؤ ، وساير الاقسام من البحار

(ويعملون عملا دون ذلك) يحتمل انيكون المراد غير ذلك ، بان كان لفظ دون بمعنى الغير ، كما ذكر بعضهم (ويحتمل) انيكون بمعنى الدنائة والانحطاط اى مايكون أسهل من ذلك وادنى ، وقيل فى وجهه : ان كل الاعمال تكون عليهم اسهل من الغوص ، فان حقيقتهم من النار وهى في كمال التعاند مع الماء اذ الماء يخمد النار ويطفيها ، فتمام الاعمال دون الغوص المستلزم دخولهم فى الماء

(و كنالهم حافظين) اى من هربهم اومن فسادهم بالتخريب اوتخريب خصوص مابنوا اذا فرغوا من الامرولم يكن بايديهم عمل آخر كحال من غلب عليه الخيال فانه لايزال يتخيل ولايقف

(وايوب اذنادى ربه انى مسنى الضروانت ارحم الراحمين) اى اذكر ايوب حيث نادى الله تعالى ربه بعد ابتلائه باقسام البليات فى ماله ، واولاده واهله من حيث

المسكنة والذل ، وعرضه بانتساب خواصه اليه ان بلائه يكون لاجل معصية خفية واستغاث بان الضرقد مسّني اي احاط علي" فارحمني لانك ارحم الراحمين، فحذف ارحمني وقام العلة للترحم مقامه وهو كونه ارحم الراحمين

(فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر") اي ادركناه واجبنـا دعوته ورفعنا بليته (وآتيناه اهله) اي بالرد اليه صحيحا من العيوب اوتمام من مات منه من أولاده بان احيينا الجميع، اذ التشفي انما يحصل بذلك ، واعطاء الولد الجديد لايوجب رفع هم" مافات منه بالمرة ، وبيّنا امكان ذلك .

وحيث ان موتهم كان بالقسر وعدم تكميلهم لمراتبهم الكمالية ، فلا يكون خلاف الفيض ، واللطف ان يحييهم الله تعالى للوصول الى تلك الكمـالات ، اذ في الاخرة لاتحصل الكمالات بدواً ولذا ذكرنا في مقامه ان الرجعة الخـاصة في الدنيا لمن مات قسراً ولم يكمل مقدار استعداده ، يكون لطفا وواقعا قبل القيامة .

(ومثلهم معهم رحمة من عندنا) اي آتيناه مثلهم ايضا فتضاعف مـامات منه في مقام الاحياء وذلك من باب الرحمة على ايوب (وذكرى للعابدين) اي تذكراً لمن يعبدالله ويوحده ، بان الصبر والثبات على العبادة من الامور العالية .

(واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصـابرين) اي اذكر الجميع فان الجميع صبروا وثبتوا (وادخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين) اي ادخلنا الجميع في الرحمة الخاصة النبوية لكونهم من الصالحين ، والمستحقين لاعطاء هذه الرحمة او الرحمة الكاملة ولولم تكن نبوة ، بناء على عدم كون ذي الكفل نبيا ، كما قد يقال بانه ليس بنبي ، ووجه تسميته بذلك (اما) من باب انه كفل المديونين ( او ) كفل معاش جمع أو غير ذلك .

(وذا النون اذذهب مغاضباً) اي اذكر صاحب النون وهوالحوت اي يونس عليه السلام فانه صاحب الحوت (اذ ذهب مغاضباً) اي من بين القوم قد خرج من غيراذن من الله له بالخروج اي لم يستأذن في ذلك ، وهو خلاف الكمال ، وكان حال

الخروج مغاضباً على القوم المستحقين لنزول البلاء (فظن ان لن نقدر عليه) اى ظن ان الله لايضيّق عليه لاجل خروجه من بين القوم من غير اذن ، فاخذناه بترك كماله حتى يكمل فوق ما كمل ، لان ابتلاء الانبياء لاجل التكميل ، فحبسناه فى بطن الحوت .

( فنادى فى الظلمات ان لااله الاانت سبحانك انى كنت من الظالمين )اى نادى يونس فى ظلمات البحر والبطن والليل كما قيل ، ويحتمل ايضا ظلمات غم القوم الذين هلكوا بزعمه والانفعال من عدم صبره ، والحبس بهذه الكلمات لا اله الا انت اى لا جامع للكمالات الا انت فقد حضر عند ربّه بقرينة لفظ انت .

( سبحانك ) اى تكون منزّها من تمام الحدود ولذا تقهر وتعامل بالجلال ايضا كما تعامل بالكمال ، وهذه الكلمات حيث انها فى مقام الاستغاثة والدعاء تكون متضمنة لما يطلبه ، وهو قدحذف وقامت علّته مقامه اى اغ ض عما صدرمنى فانى كنت بالخروج من غير استيذان منك من الظالمين اى المعتدين من مرتبة الكمال .

( فاستجبنا له ونجيناه من الغم ) اى خلصناه ووصلناه الى القوم ، فرآهم سالماً وصار محترماً فيهم فزال الغم بسببهم ومن انفعاله بسبب التوبة ، وكذا من الحبس ، وكذا من البحر والبطن والليل (وكذلك ننجى المؤمنين) اى من حضر نفسه عندالله واعترف بالتوحيد والتنزيه وعصيانه(او)تكلم بخصوص هذه الكلمات وكان مؤمنا نخلصه من كربه .

الهى (١) لايصل مقام الحضور يدنا اليه لـ ـنـائتنا ، ولكن نعترف بالتوحيد والتنزيه والذنوب الكثيره ، فخلصنا من الغم الذى نحن فيه، من الطرد من الوطن مدة ثلاث سنين ، وعدم الاطلاع من الاهل والعيال ، فاقول هذه الكلمات ايضا

(١) مناجات المفسر قدس سره ( الى قوله ) انى كنت من الظالمين

باللسان ، واكتب ، بالقلم لااله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين .

(وزكريا اذ نادى ربه رب لاتذرنى فرداً وانت خير الوارثين ) اى اذكر زكريا حين ندائه وطلبه من الله بقوله واستدعـائه ان لايدعه بدون الولد وان يعطيه ولداً يرث منه ، فان الله خير الوارثين .

وانا اقول ايضا لبقاء ولدى : ( رب لاتذرنى فرداً وانت خير الوارثين ) (فاستجبنا له)اى قضينا حاجته (ووهبنا له يحيى) اى ولده ( واصلحنا له زوجه ) اى زوجته (انهم كانوا يسارعون في الخيرات) اى كـل امر خير من العبادات وغيرها (ويدعوننا رغبا) اى بالطوع والرغبة (ورهباً) اى خوفا وسطوة (وكانوا لنا خاشعين) اى خاضعين

وقديقال : ان كل مقام استجيب فيه الدعاء كان اتصاف الله فيه بصفة الرب ، فليدع كل احد فى مقام الدعاء باتصاف الله تعالى بالربوبية

وقد ظهر بحمدالله من تمام ماذكرنا عدم مخالفة شيء من الآيات المذكورة مع العقل ، والله الهادى

قوله تعالى:﴿والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها﴾ ﴿ آية للعالمين (٩١) ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون (٩٢) وتقطعوا﴾ ﴿ امرهم بينهم كل الينا يرجعون (٩٣) فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن ﴾ ﴿فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون (٩٤) وحرام على قرية اهلكناها انهم لايرجعون﴾ ﴿(٩٥) حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون (٩٦) واقترب﴾ ﴿الوعد الحق فاذا هى شاخصة ابصار الذين كفروا ياويلنا قد كنا فى غفلة من ﴾ ﴿هذا بل كنا ظالمين (٩٧) انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها﴾ ﴿واردون (٩٨) لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها وكل فيها خالدون (٩٩) لهم فيها﴾ ﴿زفير وهم فيها لايسمعون (١٠٠) ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها﴾ مبعدون (١٠١)﴾ .

( والتى احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا ) اى اذكر مريم الموصوفة بانها حفظت فرجها فترتبنا على ذلك الحفظ النفخ من روحنا فيها والذى اظن - بملاحظة المورد وبملاحظة الفاء الذى ليس هنا للتعقيب بلا مهل من الزمان ، بل هو فاء التفريع والترتب - ان المراد بالفرج مطلق الفرجة فى بدنها اى حفظت عينها وفمها واذنها وبطنها والطرفين، من معصية الله

فمن اجل ذلك تشرفت بهذه الشرافة ، وصرف حفظ الفرج من الزناء وان كان فيه الكمال ، الا ان هذا الكمال لعله موجود فى كثير من النجباء ، فاختصاص مريم عليها السلام بتلك الشرافة حينئذ ترجيح من دون المرجح ، وكذلك ماورد فى حق الصديقة الطاهرة فاطمة عليها السلام بنت محمد صلى الله عليه وآله ان فاطمة احصنت فرجها ، فحرم الله ذريتها على النار ، يكون المراد ذلك و الكلام فى نفخ الروح قد مضى فى سورة مريم عليها السلام .

( وجعلناها وابنها آية للعالمين ) اى جعلناهما الاية على تمام العوالم من الجن و الانس و الملك ، حيث علم للناظرين منهم ان العبادة تؤثر فى الانسان ، بحيث يغلب الملكوت على البدن، ويرتبط البدن بالملكوت ، فتؤثر الملكوت فيه بحيث يفاض من الروح فيها ، فيرتبط بالجبروت كماذكرنا ذلك .

(ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون) والخطاب الى اهل مكة والأمة بمعنى الدين يقال: فلان لا امة له، اى لادين له اى طريقة الاسلام، ودين الاسلام دينكم الذى يجب عليكم اتباعها وهى امّة واحدة اى دين واحد لاشركة له

والتوصيف بالوحدة (اما) بلحاظ البقاء الى القيامة (واما) بلحاظ كونه لازم الاتباع على تمام الملل، والله ربكم فاعبدونى من دون شركة احد (وتقطعوا امرهم بينهم) اى حصول التقطيع فى الدين والاختلاف واخذ كل صنف بدين، امر مجعول بينهم، وصادر منهم على حسب اهوائهم، وليس من الله (كل الينا راجعون) اى مرجع الكل الينا، فنخبرهم بما فعلوا اخبارا فعليا بالحركات اوالمجازات، والكلام فى

الرجوع ووصول الاعمال قدبينا في موضعه .

(فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه) اى من آمن وعمل فلاينكر ولايجحد فعله اى بدون الايمان يجحد لعدم قبوله (وانا له كاتبون) اى لأجل صحته وتأثيره في النفس .

( وحرام على قرية اهلكناها انهم لايرجعون ) قيل : ان لازائدة ، وكذا من قبيل ارادتهم الرجوع او يريدون الرجوع ، او ارادوا الرجوع وامثالها اى حرام على من اهلكناهم وارادوا الرجوع، انهم يرجعون اى لايرجعون .

( ويحتمل ) كفاية حذف الرجوع وقيام العلة مقامه كما هو كثير في القرآن بان كان المراد وحرام على اهل القرية الهالكة الرجوع لانهم لايرجعون والحرام ماله المانع والعلة قيام المانع فى مطلق الرجوع فى هذه الطائفة الهالكة وغيرهم ممن مات .

(حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج) قيل ان المراد فتح سد يأجوج ومأجوج وان السد باق الى قرب القيامة ، وعند قربهـا ينفتح السد ، ثم بعد ذلك يرجعون الى الدنيا ولازم ذلك ان تكون القيامة هي الرجوع الى الدنيا وليس الامر كذلك بل ذهاب عالم الدنيا من السموات والارض والشمس والقمر وساير الكواكب الى العالم العالى كما بيناه وحينئذ .

فنقول : ان المراد الرجعة وذكرنا قبيل ذلك ، وفى بعض المقامات الاخر ان الرجعة وغلبة الملكوت على عالم الملك بالتمام تكون لازمة مطابقة بين العالمين الصغير والكبير ، ولاجل عدم حصول الطفرة بوصول الملك الى العالم الثـالث قبل الوصول الى العالم الثاني اوالوصول الى العالم الثانى من غير تدريج لبعد المرتبة فلا بدمن غلبة الملكوت على الملك بالتدريج.

واولها فى زمن المهدى عليه السلام ثم يشتد فى رجعة آل محمد صلى الله عليه وآله وفى الرجعة يرجـع بعض الاشقياء وبعض السعداء مع موتهما بالقسر للتكميل ، وهذا عود الى الدنيا

غير القيامة الكبرى ، وغاية فتح سد يأجوج ومأجوج فى هذالوقت .

فالتعليل الذى قلنـا يمكن ان يكون فرقـه مع المعلل بالتوقيت ، اى لأنهم لايرجعون الى ذلك الوقت وحينئد فيمكن ان يقال ان يأجوج ومأجوج قبيلتان من الجن ، وسدهما وجود المانع فى اصل عالم الملك من ظهورهما ، ولكن اذاغلب الملكوت فكما يظهر بعض اقسام الملك ، كذلك يظهر بعض شياطين الجن ، وهما اى القبيلتان المذكورتان تظهران

وشركتهما بلحاظ صفة رذيلة مع الطائفتين اللتين جعل لهما السد من قبل ذى القرنين لايلازم وحدتهما حقيقة وكون المراد بالسدذلك السد وعلى اى حال فعلى فرض عدم وجود السد الموصوف فى هذا الزمان لايلزم اشكال ولو كان فهو المطلوب

(وهم من كل حدب ينسلون) اى من كل مرتفع من الجبال وغيرها من الاراضى يسرعون (واقترب الوعد الحق) اى الثابت وهو القيامة وفى الرجعة كذلك (فـاذا هـى شاخصة ابصار الذين كفروا) اى بعد الاقتراب يحصل الوصول اليه ، وعند الوصول تشخص ابصار الكفار بحيث لايحركونها خوفاً ( يـاويلنا قد كنا فى غفلة من هذا) اى هذا الذى وصلنا اليه (بل كنا ظالمين) اى كنا ملتفتين لكن ظلمنا على انفسنا وانا كنا من شهواتنا وصلنا الى ذلك

(انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ) والخطاب الـى اهل مكة اى انكم واصنامكم مـن حصى الجحيم (اما) عذاب التابعين فيكون واضحاً ( واما ) الجمادات فليست تتألم حتى يكون عليها ظلماً واتيانها فى الجحيم لاحراق قلوب عبدتهم فهو ايضاً عذاب عليهم ( انتم لها واردون) اى تردون الجحيم

(لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها) والظاهر انه يقال لهم للتقريع ان هذه الاشياء لو كانت الهة لم تدخل الجحيم (وكل فيها خالدون) اى على الدوام وسر الخلود قد سبق منا .

(لهم فيها زفير) اى الصوت العالى ( وهم فيها لايسمعون ) اى غير صوت النار واصحابها لشدة تلك الاصوات فالاصوات الاخر مندكة ( ان الذين سبقت

لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون) اى كل من شملته الرحمة وصدر منه مايستحق الحسنى من الله لايدخل النار وهم مبعدون عنها ، فمثل عيسى عليه السلام وغيره كعزير وامثالها لايدخلون النار ، لعدم صدور تقصير منهم ، وليس الله بظالم فلا تزر وازرة وزر اخرى

وقد ظهر بحمدالله عدم مخالفة الآيات المذكورة مع العقل والله الهادى

قوله تعالى: ﴿لايسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون(١٠٢)﴾ ﴿لايحزنهم الفزع الاكبر وتتلقيهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون﴾ ﴿(١٠٣) يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا﴾ ﴿علينا اناكنا فاعلين (١٠٤) ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض﴾ ﴿يرثها عبادى الصالحون (١٠٥) ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين (١٠٦) وما﴾ ﴿ارسلناك الارحمة للعالمين (١٠٧ ) قل انما يوحى الىّ انما الهكم اله واحد﴾ ﴿فهل انتم مسلمون (١٠٨) فان تولوا فقل آذنتكم على سواء وان ادرى اقريب ام﴾ ﴿بعيدما توعدون (١٠٩) انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون (١١٠) وان﴾ ﴿ادرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين (١١١) قال رب احكم بالحق وربنا﴾ ﴿الرحمن المستعان على ما تصفون (١١٢)﴾

(لايسمعون حسيسها) اى صوت النار لبعدهم عنها (وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون) اى فيما يتوجه اليه ويميل به قلوبهم وذواتهم من لقاءالله اولقاء سائر الصفات اوالو سائط اوالجنة على حسب مراتبهم

( لايحزنهم الفزع الاكبر ) اى لاطمينانهم بأنفسهم ، ودركهم لما يحبونه ولايفارقون عنه والنار وغيرها من قبل محبوبهم فلا يتوجه اليهم بسوء ، ويخرج حب من حقت عليه كلمة العذاب عن قلوبهم (وتتلقاهم الملائكة) اى بالبشارة بهذا القول (هذا يومكم الذى كنتم توعدون) اى بالوصول فيه فقد وصلتم

( يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب ) اى اذكر ذلك اليوم ، والسجل

( اما ) اسم لنوع الملائكة الموكلة على بنى آدم لكتب اعمالهم ، اى كما ان تلك الملائكة يحيطون بتمام الاعمال ، وتمام الاعمال مجتمعة حاضرة عندهم ، كاجتماع تمام المتفرقات من شيء اذا اجتمع فى يد انسان ، كذلك تحصل للسموات بسبب الحركة الجوهرية صورة الاجتماع، وتحضرون عندها بعنوان اجتماع المتفرقات من اجزائها ، والا فالسموات وغيرها حاضرة عند الله دائما .

فالغرض حصول الاجتماع ، لما ذكرنا سابقا ، ان العالم الثانى اعلى من الملك ، فالمتفرقات فى الملك مجتمعات فيه ، والمتفرقات فى الثانى - من باب الحدود والنقائص - مجتمعات فى العالم الثالث ، والاجتماع هو الطى .

او السجل ما يكتب فيه اسماء الكتب والاضافة اضافة الى المفعول اى طى من بيده السجل ، السجل للكتب ، او غير ذلك مما يناسبه .

وبعد ما ذكرنا ان المرادات القرآنية على نحو الكلية والسعة لاشكال ، اذ تمام اقسام الجمع ، الجسمانى وغير الجسمانى على نحو واحد ومعنى فارد .

و التخصيص بالسموات - لو كانت الجسمانيات - لعظمتها وشرافتها عند الناس ، والله تعالى ينبأ بأن ما يشاهدون منها ويدركون من مراتب نقصها وهى ناقصة ولم تكمل بعد، وان الكمال لها بعد جمعها وطيّها ، اذ متفرقاتها تجتمع ، كما ان متفرقات عالم الصغير أيضاً تجتمع ، فالبصر يحصل له القوى العشر ، وكذلك السمع وساير القوى .

ولو كانت العاليات مقصودة ، فالمراد ان للعاليات أيضاً حركات وتخرج من القوة الى الفعل، لعدم تناهي المبدأ والمراتب، وهي محدودة، ونسبة المحدود الى غير المحدود وتفاوته بدون النهاية ، فلها أيضاً مرتبة الجمع والترقى كما (ان الارض تبدل غير الارض ) ( ١ ) اى من حيث المرتبة من حيث الكمال و النقص

---

(١) اقتباس من قوله تعالى فى سورة ابراهيم - ٤٨ : يوم تبدل الارض غير الارض .

لا من حيث الحقيقة ، ولكن ارض الجنة وساير متعلقاتها كلياتها كانت من الاصل كما ذكرنا ، والاضافات بسبب حركة الملك اليها ووصول الملك اليها .

(كما بدأنا اول خلق نعيده وعداً علينا) اى كماان في قوس النزول كان اول النزول امرأ عاليا وبمراتب النزول اتخذ الحدود و النقائص ، فكذلك فـي قوس الصعود اذ جاوز من كل درجة ، يرتفع عنه حدتلك الدرجة ونقصها حتى بلـغ الى درجة ما نزل منه .

و قد ذكرنا أيضاً ان عالم الملك بتمام موادها يتحرك ، والا بدان الانسانية ـ لشرافتهابعناصرها ـ تتحرك وتصل الى العالم الثالث، وتصيرمرتبة نازلة لنفوسها وابداناً لها ، كصيرورة المأكولات السوقية مثلا بدنالها فى الدنيا، وذلك الامراى العود و الرجوع الى عالم الجمع وعد يجب علينا الوفاء به ، فان الله تعالى وعد نبيه بقوله : ( قل ان الاولين والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم ) (١) وبضميمة ما ذكره تعالى، في السموات والارض ، والكواكب والشمس والقمر، وحقايق الاعمال تظهر الكلية .

بل يحتمل ان يكون المرادمن الاية المذكورة الجميع والاتيان بالياء والنون لاجل التغليب (٢) أو لاجل ان فى تلك الدار تكون للجميع ادراك عال .

وكذا قوله تعالى : ( ما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ) ( ٣ ) (ولو اردنا ان نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا) ( ٤ ) وقوله تعالى : (ما خلقناهما الا

---

(١) الواقعة ـ ٥٠ .

(٢) قوله قدس سره: (والاتيان بالياء والنون) يعنى فى قوله تعالى: قل ان الاولين والاخرين لمجموعون الخ فان المراد جمع جميع الموجودات الجسمانية وغيرها مـن قبيل حقائق الاعمال وهى شاملة لذوى العقول وغيرها، فالاتيان بصيغة ذوى العقول لاجل التغليب ، او لاجل ان فى تلك الدار الخ :

(٣) الدخان ـ ٣٨ :

(٤) الانبياء ـ ١٧ .

بالحق)(١) يكون وعداً على اكتساب الجميع مرتبة الكمال ومرتبة الثبوت خصوصاً بسبب ذكر العلة العقلية وهو قوله تعالى : ( لاتخذناه من لدنا ) كما سبق في القبل القريب .

(انا كنا فاعلين) اى لجميع ما ذكر من الوجه المذكور ولكونه تعالى فياضا وبمحض حصول الاستعداد يفيض .

(ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر) اى النازل بعد الذكر ، وهو التوراة أو بعد ذكر الله ذكرنا ذلك لتناسب المبدء والمعاد ( ان الارض ) لله اى الارض الباقية بقرينة الملكية الظاهرة منها الحقيقية ، و هو الربط المحض الذى ظهوره فى عالم الاخرة ، وبلحاظ قرينة ارثها للصلحاء (يرثها عبادى الصالحون) للسنخية، فان الارض العالية تناسب مع عباد الله ، واماأرض الجحيم فمن السافلات، وظهور الظلمه المحضة ، ولذا تكون لمن لايموت من باب الظهور ولايحيى من باب فقدها للكمالات .

( ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين ) اى كون الارض الكاملة الباقية للعباد واعلام الله تعالى ذلك يكون تبليغا لاهل العبادة حتى يشكروا الله ، وفى الحقيقة اصل الادراك على حقيقته مخصوص بهم لصيرورتهم فى الدنيا عبداً وربطاً ورائياً لحقائقهم .

( وما ارسلناك الارحمة للعالمين ) اى لتمام العوالم من اقسام الجبروت والملكوت والجن والانس ، لانه الصادر الاول ، فكل الموجودات تحت لوائه ومرتبط به ﷺ وبتوسطه يصل الخيرات الى الكل فيكون رحمة على الجميع .

(قل انما يوحى الىّ انما الهكم اله واحد) اى فى حالة الاتصال قدا وحى الى ان جميع الكمالات بدون النهاية فى ذات الواجب ، فهو الاله الجامع والالهية ـوهى الجامعية مع التعددـ تكون خلفا، لعدم جامعية كل منها، فالجامع واحد وغير

(١) الدخان ــ ٣٩ .

محدود ، و اذالم يكن محدوداً فهو الواجب بالذات لكون غير المحدود و اجبا والمحدود مجعولا ممكنا كما بيناه سابقا (فهل انتم مسلمون ) اى منقا دون فيما اخبركم به وآخذون على طبقه بان تعبدوا الله مخلصين له الدين اى غير جاعلين فى عباد تكم الشركة .

( فان تولوافقل آذنتكم على سواء ) اى ان ادبر اهل مكة اوغير هم من الكفار ايضاً ، فاظهرلهم ان اعلامي لجميعكم على سواء ، لافاضتي من قبل الله واتمام الحجة عليكم ، فمن يأخذ يأخذ لنفسه ، ومن يترك فضرره على نفسه .

(وان ادرى أقريب ام بعيد ماتوعدون) اى مادرى فى مقام نفسي ومن قبلى، ومن حيث نبوتى ان الساعة ، اوالعالم المتوسط قريب لكم ام بعيد واما من حيث الفناء والولاية، فعلمه ﷺ علم‌الله، وتصرفه تصرف لله لاتصرفه، والنبوة غيرمقتضية الانباء ماءاخذ فى‌حال الاتصال والتكلمات مع‌الناس بهذا اللحاظ لابلحاظ الولاية، وبلحاظ الولاية التصرفات فى تمام الآنات على تمام موجودات منه، وانباء حقيقتها للخواص .

(انه يعلم الجهرمن القول ويعلم ماتكتمون) اى الله عالم باظهاراتكم‌القولية جهاراً وما تخفون عندكم من الاقوال ، فما يصدرمنكم من سخرية أوغيرهايكتب، لعلم الله علم احاطة حضورية .

( وان ادرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ) اى ما ادرى من نفسى ، فلعل مااعلمكم امتحان عظيم ، وتمتع الى‌زمان قليل ، بان‌كان‌تنكيرالحين للتقليل اى لعل زمان نزول العذاب عليكم قد قرب .

( قل رب احكم بالحق ) اى استدع من الله الحكم بالحق اى المطابق للواقع أو الخير ، أو على نحو الثبوت (وربنا الرحمن المستعان على ماتصفون) اى أظهر ان رب الجميع هو الواهب للوجود العام على كل موجود ، و هو المعاون لى على خلاف ما تذكرون وتتصفون . اما فى حق الله فبان له الشريك واتخذوا ولداً و اما فى حقى فهو اتصافى بالساحرية و الكذب ، و امـا فـى

حق القرآن ، فبانه مجعول ، و من اساطير الاولين ، فالله يعاوننى ويخلصنى منكم من تمام هذه الامور و دعائه ﷺ قد أثر أثره فـى البدر وساير الغزوات ، والله الموفق .

وقد ظهر مما ذكرنا عدم مخالفة ما ذكر من الآيات مع العقل .

قد تم ماكتب فى قاضى كوى الآالورق الاخير ومقداراً من السابق
عليه ، فقد كتبته بعد نقل المكان الى اسلامبول ، لاجل الحركة
الى سمت الايران لو لم يحصل المانع ، واراد الله ذلك،
مع كمال اغتشاش البال، وازدياد الغموم والهموم
لضعف المسلمين ، والله الهادى ، بيده
الملك ، يعزمن يشاء ويذل من
يشاء ، وينزع الملك ممن
يشاء ويعطى من يشاء،
وانا الراجى

**نورالدين الحسينى من بلدة سلطان آباد**

العراق من اهل ايران

# سورة الحج (٢٢)

تذكر

و من الاسف انه قد سقط

من المفسر قدس سره تفسير هذه السورة

# سورة المؤمنون (٢٣)

مكية

مأة وثمانى عشرة آية

كتبها فى اسلامبول

١٨ - ١٧ صفر المظفر

عام ١٣٣٧ من الهجرية النبوية

على هاجرها آلاف التحية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قد افلح المؤمنون (١) الذين هم فی صلوتهم خاشعون (٢) والذين هم ﴾
﴿ عن اللغو معرضون (٣) والذين هم للزكوة فاعلون (٤) والذين هم لفروجهم ﴾
﴿ حافظون (٥) الاعلى ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غيرملومين (٦) فمن ﴾
﴿ ابتغى ورآء ذلك فاولئك هم العادون (٧) والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ﴾
﴿ (٨) والذين هم على صلواتهم يحافظون (٩) اولئك هم الوارثون (١٠) ﴾
﴿ الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون (١١) ﴾

(قد افلح المؤمنون) اى فازوبلغ الى المقام العالى من آمن بما يلزم الايمان به ، من المبدء وصفاته وافعاله والواسطة من الملائكة والكتب والرسل ، واليوم الاخر اى المعاد ، اذاى فوز و نجاح اعلى من التخلّص من العذاب الدائم ، و الوصول اى الثواب الدائم من الدخول فی الجنة التى فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين ؟ .

(الذين هم فى صلوتهم خاشعون) اى من او صافهم انهم يخضعون فى الصلوة) اذ يعرفون الله ويعلمون انهم فی الصلوة ، قائمون بين يدى الله ويحضرون عنده ، ويتكلّمون معه وهو مالك الملوك ، ومن التفت الى ذلك يخضع قطعا .

(والذين هم عن اللغو معرضون) اى اومن صافهم الاعراض من اللغو ، اى ما

لافائدة عقلائية فيه ، اذيدرون انهم خلقوا للبقاء لاللفناء ، وتحصيل دار البقاء على نحو الكمال يتوقف على الاعراض من الباطل واللغو .

(والذين هم للزكوة فاعلون ) اى يخرجون من اموالهم ما يلزم اخراجه ، وجعله الله في الاموال ، اذ من عرف الله يرجّح اوامرالله على ماله ، و يعلم بان مايخرجه لايكون متلفا، بل يكون مخزونا ومحفوظا فى العالم الاعلى، وينمو ويؤثر مالايؤثر الباقي عنده .

( والذين هم لفروجهم حافظون الاعلي ازواجهم او ماملكت ايمانهم ) اى ومن اوصافهم انهم يحفظون آلتهم من الدخول ، وحصول الماء بالدخول من الزنا وغيره الا الدخول في ازواجهم اوامائهم (فانهم غير ملومين) بهذا الادخال ، اذفيه اعطاء الشهوية حقها وسبب لبقاء النسل ، ففيه فائدة مهمة

(فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون) اى من طلب الدخول مع غير الازواج والسرارى، اى ادخل فى الغير فقد جاوز عن حد الاعتدال ، وعن اعطاء الشهوية حقها ، اذ الاعطاء يحصل بالاول فالتعدى فى غيرمحله .

(والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) اى من اوصافهم انهم يردون أمانات الغير ولايخونون فيها ، اذفيالخيانة ظلم وسد لباب الاستيناس والالتيام ، وايراث للبغض الشديد ، فان من وثق باحد وودّع عنده شيئا ، ثم خان فيه يتنفرعنه تنفراً اشد من ساير اقسام أكل ماله ، وكذلك يراعى عهود الله او ما نذره او عهده او حلف عليه ، لعظمة الله عنده .

(والذين هم على صلواتهم يحافظون) اى من اوصافهم انهم يتحفظون انفسهم من وقوع النقص فى صلوتهم ولونسيانا ، اذ النسيان قد يحصل من عدم المبالات وترك التحفظ ، والمؤمن لايصدر ذلك النسيان فى الصلوة منه .

(اولئك هم الوارثون) اى يوصلون تصرفاتهم الدنيوية بالتصرفات الاخروية فافعالهم تتحرك وتصيرجنة متصلة بجنة الكل، فالوارث لهذه الصور، هم الموجدة

لها من قبل الله (١) (هم فيهما خالدون) لدوام الفيض .

وعدم مخالفة تلك الآيات مع العقل من الواضحات ، والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين (١٢) ثم جعلناه نطفة﴾ ﴿فى قرار مكين (١٣) ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً﴾ ﴿فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين (١٤) ثم انكم﴾ ﴿بعد ذلك لميتون (١٥) ثم انكم يوم القيامة تبعثون (١٦) ولقد خلقنا فوقكم سبع﴾ ﴿طرائق وما كنا عن الخلق غافلين (١٧) وانزلنا من السمآء ماء بقدر فاسكناه فى﴾ ﴿الارض وانا على ذهاب به لقادرون (١٨)﴾ .

( ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ) اى اوجدنا الانسان بالوجود الخلقى النازل من الامر ، من خلاصة وجوهرة وصافية من الطين .

فان الانسان جسمانى الحدوث ، وروحانى البقاء ، فالدرجة الاولى درجة البدن ، واصل بدن الانسان يكون حاصلا من الصفوة من الطين ، اذ من التراب المحض ومن الماء المحض لاتحصل النباتات والاثمار والفواكه ، بل تحصل من الممتزج منهما وهو الطين ، فاذا اكل الماكولات انسان تحصل النطفة من صفوتها، ولو كان المراد من الانسان ابو البشر، وهو آدم عليه السلام فصفوته من الطين كانت بيد القدرة واخذ الله بيد القدرة الجوهرة من الطين وبعد التسوية نفخ فيها الروح كما سبق، ثم بعد خلقه جاء امر النطفة لانعقاد نسله .

(ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين) اى جعلنا وصيرنا ماهو الحاصل من الطين ، نطفة اى انتزعنا منه صورة المأكولية، وافضنا عليه صورة المنوية والنطفة، هذا بناء على الاول من كون المراد بالانسان تلك الطبيعة، واما على الثانى، فالمراد لابدان يكون جعلنا منه نطفة، والاول احسن كما لايخفى، واستقررنا تلك النطفة فى محل صالح متمكن من الاستقرار فيه وهو الرحم.

---

(١) الظاهر انه قد سقط من المفسر قده تفسير (جملة) (الذين يرثون الفردوس)

(ثم خلقنا النطفة علقة) ای صیّرناوقلبنا النطفة بصورة العلقة ای الدم المنجمد فخلعنا منه صورة السنوية وكسونـا عليه صورة الدموية ( فخلقنا العلقة مضغة ) ای صیرناهابشكل اللحم الممضوغ (فخلقنا المضغة عظاماً) ای صیرناها (فكسوناالعظام لحماً) ای انبتنااللحم عليها كاللباس (ثم أنشاناه خلقا آخر) ای اخترعنا فيهاالروح من عالم الامر ، ولذا يكون من عالم الامر ، فهو خلق بالمعنى العام .

وعلى النحو الآخر ای لایکون من عالم الكيان وعالم الماديات ، بل هو من عالم الامروالجبروت اوالملكوت اوفوقهما ، فالبدن اذاصارقابلالان يفاض عليه تلك الجوهرة تفاض عليه ، والادراك بمقدار الالتفات الـى النفس ، والتألم مـن المولمات . والملائمة مع الملائمات من اول الامريكون حاصلا

وكون الادراك من غير مقولة الماديات بتمامها من الواضحات عند العقول الصافية . وقد ذكرنا سابقا ان الجوهرة الانسانية واجدة لاستعداد تمام مافى العالم الكبير، وفصول تمام الاشياء مـأخوذة فيها بنحو اللا بشرطية ، فلها الوقوف فـي سيرها في حد كل واحد من الحيوانات والاجنة ، بل الملائكة ، ولها التجاوز عن الكل . ففي اول الأمريكون عقله هيولانيا ای مجرد القوة ثم يصير عقلا بالملكة ، ای القوة الراسخة ، ثم بالفعل ، ثم خلاقاً للفعليات والمصاديق ، ثم متصلا بالعالی ومفاضاً منه والمستفاد من العالی

(فتبارك الله) ای یکون عاليا وقدنزل منه الفيوضات (احسن الخالقين) ای في تلك الخلقة التی اولها الدرجة النازلة وآخرها تنتهی الى الدرجات العلی

(ثم انكم بعد ذلك لميتون) ای تخلعون البدن وتنتقلون الى الملكوت مع البدن التخلقی

(ثم انكم يوم القيامة تبعثون) ای تتحرك ابدانكم الدنيوية ، وتصل اليكم وتتحد معكم اتحاد النفس مع البدن ، بكون المرتبة النازلة هوالبدن

(ولقدخلقنا فوقكم سبع طرائق) ای السموات العاليات، حيث ان استطراقكم

في قوس الصعود منهـا ، وكذلك الملائكة التى فيها ومن مرتبتها (وماكنا عن الخلق غافلين) اى نحيط بالجميع دائماً ونفيض على كـل واحد مايناسب حالهم

(وانزلنا من السماء ماء بقدر) اى ماء الـوجود على قـدراستعداد كل مهية ، اوالماء المحسوس وهو المطر على قدر يكون صلاحاً (فاسكناه فـىالأرض) اى ارض القابليات ، اوالارض المحسوسة (وانـا على ذهاب بهلقادرون ) اى بـاخذ الصور من القابليات اوبا جفاف الماء من الارض

وعدم مخالفة ماذكر من الآيات مع العقل من الواضحات ، والله الهادى

قولهتعالى :﴿ فانشأنا لكم بهجنات مننخيل واعناب لكمفيها فواكه كثيرة﴾ ﴿ومنها تأكلون(١٩) وشجرة تخرج منطور سيناءتنبت بالدهن وصبغ للاكلين﴾ ﴿(٢٠) وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها ولكم فيها منافع كثيرة﴾ ﴿ومنها تأكلون (٢١) وعليها وعلى الفلك تحملون (٢٢) ولقد ارسلنا نوحاً الى﴾ ﴿ قومـه فقال ياقوم اعبدوالله مالكم مـن اله غيره افلا تتقون (٢٣) فقالالملاء﴾ ﴿ الذين كفروا من قومه ماهذا الابشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولوشاءالله﴾ ﴿ لأنزل ملائكة مـاسمعنا بهذا فى آبائنا الاولين (٢٤) ان هو الارجل به جنة ﴾ ﴿فتربصوا به حتى حين(٢٥) قال ربانصرنى بماكذبون (٢٦) فاوحينا اليه ان﴾ ﴿اصنع الفلكباعيننا ووحينا فاذاجاء امرنا وفارالتنور فاسلكفيها فن كل زوجين﴾ ﴿ اثنين واهلك الامن سبق عليه القول منهمولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم﴾ ﴿ مغرقون (٢٧)﴾

(فانشأنا لكم به جنات من نخيل واعناب)اى اوجدنا لكم بالوجود المنبسط اى بسريانه فيالاشياء اوبالماء المحسوس ، البساطين مـن النخيل ومـن الكروم (لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون )اى فـى تلك البساطين اثمار متشتة واشجار شتى ، تتفكهون منها وتأكلون

(وشجرة تخرج مـنطور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للاكلين) اى انشأنا

بالماء، سواءكان المراد الوجود اوالماء المحسوس شجرة تكون غالب وجودها في الجبل خصوصاً في جبل سيناء ، وهي شجرة الزيتون اذأغلب وجوداتها فى الشامات ، وفيطور سيناء (تنبت بالدهن) اى تلك الشجرة تكون منشأ للثمرة التى فيها الدهن . وحيثان الثمرة والدهن منها ، فالشجرة منبتة لهمااى الثمرة والدهن فـالباء زائدة على هذا ، اى على القرائة بالمزيد ، وهو باب الافعال . وعلى قرائة اخرى وهـى المجرد ، فالباء للتعدية ، والمعنى يكون واحداً (وصبغ للاكلين ) اى وادا ما تصبغ اللقمة للاكلين ، فيحصل اللادام والدهن مـن تلك الشجرة ، والصبغ عطف على الدهن ، فيكون مفعولا بالواسطة

( وان لكم فيالانعام لعبرة) اى لوتفكرتم فيها لتعتبرون منها ( نسقيكم مما فى بطونها) اى من الحليب ، وهواللبن ، فان التخليص من الفرث والدم ، بهذه اللطافة و الخواص ، و منشأ اغلب اللذائذ المأكولة من الدهن و الزبد و الجبن واللبن الجاف واللبن الحامض ، وساير الاقسام المستخرجة عند اهل التدبر ، فى كمالالحكمة والاتقان والقدرة والعلم (ولكم فيهامنافع كثيرة) اى منحيثالاكل والخواص العائدة اليالبدن .

(وعليها وعلى الفلك تحملون) اى على الانعام من اقسام البقر و الجاموس والابل باقسامه تركبون . و تحملون الاشياء عليها ، و كذلك على الفلك تحملون بانفسكم واموالكم .

(ولقدارسلنانوحاً اليقومه فقال ياقوم اعبدواالله مالكم من اله غيره) ايدعا قومه الى التوحيد ( افلاتتقون ) اى الاتخافون من الشرك ، او ألاتجعلون الا له الواحد جنة لكم ، والدليل قدمضى مكررا ، فلانعيد .

(فقال الملؤالذين كفروا منقومه ماهذا الابشرمثلكم) اى لايكون اعلىمنكم حتى تقبل الوساطة له ( يريد ان يتفضل عليكم ) اى بدون المزية الواقعية يريد اظهار التفضل عليكم والاعلائية منكم (و لوشاءالله لانزل ملائكة) اى لوشاءالله ان

لايعبد غيره ، و كانت العبادة له وحده ، لانزل ملائكته فی الارض فيدعوكم الى التوحيد ، فحيث لم يرسل ، فالشرك حق ، والتوحيد باطل (ماسمعنا بهذا فی آبائنا الاوّلين) .

وهذادليل ثان لهم ای لو كان التوحيدحقا لكانت آباؤنا آخذة به ومنبئة لنا فحيث لم يوحدوا فالشرك حق، وجواب الدليل الاول قدمضى بان الواسطة لابدمن انيكون مرتبطا بمن يكون واسطة له، فيلزم التشكل بشكل البشر، والانبياء شكلهم شكل ساير الناس ، وحقيقتهم ملك أوفوق الملك .

وجواب الدليل الثانی ايضا قدمضى ، بان فعل الاباء لايعارض مع العقل ، والدليل العقلی قائم على التوحيد ، بل الادلة كماسبق .

(ان هو الارجل به جنة فتربصوابه حتى حين) ای هومجنون فانتظروا موته ، ولاتتكلموا معه ولاتعتنوا به .

( قال رب انصرنی بما كذبون فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا ) ای للقهر على الناس اذالغرض هلاك غيرالمؤمنين، وصفات الجلال تنسب الى عين الله اذلاتأخذه سنة و لانوم ، فتمام الوجودات بهذا اللحاظ لايعتنی الله بها ، و هذا من خوّاص صفات الجلال ( ووحينا ) ای باعلامنا لك طريق الصنع ( فاذا جاء امرنا وفار التّنّور) ای اذا فار الماء من تنّور الخبز ، فهوعلامة الطوفان .

(فاسلك فيها) ای فی الفلك ( من كل زوجين اثنين ) ای من كل نوع فردان الذكر والانثى ، و حيث ان كل و احدمنهما زوج الاخر ، فهما زوجان (و اهلك الا من سبق عليه القول) ای تمام اهلك واولادك ای ادخل الجميع فی الفلك (الا من سبق عليه القول) ، وهوزوجته وولده كنعان ، فانهما من المغرقين .

(ولاتخاطبنی فی الذّين ظلموا) ای لاتشفع لهم فان الصلاح فی غرق الجميع (انهم مغرقون) ای يكون الامر حتميّا غيرصالح للرفع .

و عدم مخالفة المذكورات من الايات مع العقل يكون واضحا ، و هلاكة

الجميع الذين يعلـم الله انهم على فرض البقـاء يزدادون الاثم والعذاب لانفسهم لامانع فيه ، و لايكون خلاف الفيض ، فلا اشكال من هذه الجهات ، ومن اجل التوحيد يكون العقل دالا عليه و ساير التفضلات محسوسة ومعلومة ، انها من الله لما اقمنا البرهان بان كل متحرك ، ينتهي الى محرك غيرمتحرك وهوالله ، والباقي مكالمات فلاخلاف للعقل ابداً والله الهادى .

قولهتعالى : ﴿فاذا استويت انت ومن معكعلى الفلك فقل الحمدللهالذى﴾
﴿ نجّينا من القوم الظالمين (٢٨) و قل رب انزلنى منزلا مباركاً و انت خير ﴾
﴿المنزلين (٢٩) ان فى ذلك لايات وان كنـّا لمبتلين (٣٠) ثم انشأنا من بعدهم ﴾
﴿قرنا آخرين (٣١) فارسلنا فيهم رسولامنهم ان اعبدواالله مالكم من اله غيره﴾
﴿افلاتتقون(٣٢) وقالالملاء منقومهالذين كفروا و كذبوا بلقاء الاخرةواترفناهم﴾
﴿ فى الحيوة الدنيا ماهذا الابشرا مثلكم يأكل مما تأكلون منه و يشرب مما ﴾
﴿تشربون (٣٣) ولئن اطعتم بشراً مثلكم انكماذاً لخاسرون (٣٤) ايعدكم انكم﴾
﴿اذامتمو كنتمتراباً وعظاماً انكم مخرجون(٣٥)هيهاتهيهاتلما توعدون (٣٦)﴾
﴿أن هى الاحياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين (٣٧) ان هو الا رجل﴾
﴿افترى على الله كذباً وما نحن له بمؤمنين (٣٨) قال رب انصرنى بما كذبون﴾
﴿(٣٩) قال عما قليلليصبحن نادمين (٤٠) فاخذتهمالصيحة بالحق فجعلناهمغثاء﴾
﴿فبعداً للقوم الظالمين (٤١) ثم انشأنا من بعدهم قروناً آخرين (٤٢)﴾ .

(فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله) اى اذا استقررت واعتدلت فى الفلك ، معمن كان معك منابنائك وهم سام وحام ويافثوزوجاتهم، والمؤمنون القليلون الـّذون معك مع ازواجهم ( فقل ) هذا الكلام (الحمدلله) اى تمام الثنائات لكون كل النعماء منه ، وكون كل الكمـال فيه على نحو البساطة (الذى نجانا من القوم الظالمين) اى خلصنا من ايدى الكفار المتعدين علينا وعلى انفسهم .

(وقل رب انزلني منزلا) بضم الميم وفتح الزاء ـ بان يكون مصدراً او اسم المكان وبفتح الميم وكسر الزاء بان يكون اسم المكان ـ اى وقل بعد استقرار الفلك والخروج منه : يا ( رب انزلني منزلا ) اى انزالا كان فيه الخير والبركة ، اويارب انزلني محلا للنزول ، كان في ذلك المحل الخير والبركة ( مباركاً ) اى فيه الخير والبركة (ان في ذلك لآيات وان كنا لمبتلين) اى في ذلك الغرق والنجاة، لآيات وحجج من قدرة الله ، بانزال هذا المقدار من المطر وقلعه والفيض وعلمه بكل شيء ، وصفة قهره للكافرين ومحبته للمؤمنين ، فقد تجلى بالجمال والجلال كليهما .

وانه كنا مختبرين لقوم نوح عليه السلام ، بـارساله ودعوته في مدة طويلة واعلام الجميع ، بنزول العذاب وهو الطوفان ، وان صنعة السفينة لاجل التخلص ، فلم يعتنوا به ولم يؤمنوا الا قليلا فلفظ (ان) مخففة عن مثقّلة، والاسم وهوضمير الشان يكون محذوفاً .

(ثم انشأنا من بعدهم قرناً آخرين) اى قوما آخرين ومن اقترانهم معاً في زمان واحد يطلق عليهم القرن ، وهم عاد قوم هود عليه السلام .

( فارسلنا فيهم رسولا منهم ) اى من قبيلتهم وهو هود عليه السلام ( ان اعبدوا الله مالكم من اله غيره افلا تتقون ) أي يأمرهم بعبادة الله وانه لااله غيره . فيلزم العبادة لله الواحد ، والخوف من الشرك .

( وقال الملاء من قومه ) اى الجماعة الذين كفروا اى من لم يؤمن منهم ، (وكذبوا بلقاء الآخرة) اى الهود عليه السلام حيث يقول لهم بكون العود حقا ، وان لله داراً وراء تلك الدار يقولون في جوابه بان المعاد غير واقع ، والرجوع الى الله وشهوده لامعنى له (واترفناهم في الحيوة الدنيا) اى انعمنا عليهم بالنعماء الدنيوية نعمة كثيرة ( ما هذا الابشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ) اى هذا مقول قولهم ان هودالايكون الا بشر مثلكم يأكل ويشرب من مأكولاتكم ومن مشروباتكم .

و(لئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون) اى فيه الذل من دون الجهة ، والذل عنده من دون الجهة خسران

(ايعدكم انكم اذامتم وكنتم تراباً وعظامـاً انكم مخرجون) اى هل يعدكم بان بعد موتكم وصيرورتكم تراباً وعظاماً تخرجون وتحشرون وتكون لكم الحياة

(هيهات هيهات لما توعدون) اى بعد ذلك عن العقل ، وايضاً بعد ذلك عن العقل ،وهذا وعدباطل

(ان هى الاحياتنا الدنيا نموت ونحيا ومانحن بمبعوثين) اى ليست الحيوة الاالحيوة الدنيوية الحاصلة لنا ، نموت فيهاحقيقة ونحيا فيها حكما اىببقاء ذكرنا بوجود الاولاد لنا ، والدليل على كون المراد ذلك ، ان غير ذلك لو كان مرادهم يكون قولا بالتناسخ ، وان الحيوة لنا تحصل فى الدنيا ثانية ، وهولا يناسب مع انكارهم لكون التراب والعظام مخرجين

(ان هوالا رجل افترى علىالله كذبا) اى تعمد فى ذلك الكذب ، وليس عن خطائه ، اوقصور عقله ، بل لأجل كونه كاذبا (ومانحن له بمؤمنين) اى لانؤمن به ابداً لعلمنا بكذبه

(قال رب انصرنى بمـا كذبون) اى اعطنى النصرة بسبب خذلانهم اياى ، وتكذيبهملى ، وهذا الدعـاء انما يكون بعد اتمام الحجة عليهم ، واقامة البراهين العقلية على التوحيد والمعاد ،كما اشرنا الى ذلك فى سورة هود عليه السلام وغير واحد من المقامات الاخر ، وقلنا بعدم لزوم اقامة المعجزة فى الدعوة الـى هذه الامور ولكنهم عليهم السلام اقاموا لطفا

(قال عما قليل ليصبحن نادمين ) اى يشاهدون العذاب ، والندامة غير نافعة حينئذ ، اذ لوزال لعادوا ( فاخذتهم الصيحة بالحق ) اى الرعد على نحوالحق اى الثبوت ، اوترتب امر عقلائى عليه ، وهو الاهلاك للكافرين ( فجعلناهم غثاء ) اى النبات اليابس اى مـاتوا و زالت الطراوة منهم كالنبات اذا يبس ( فبعداً للقوم

الظالمين ) اى يقال تكوينا للقوم الظالمين ، اى الكفار بعدا اى ابعدوا من رحمة الله بعدا

(ثم انشأنا من بعدهم قروناً آخرين ) اى بعد قوم عاد جائت اقوام متتابعة وعدم مخالفة الآيات المذكورة مع العقل من الواضحات ، وعدم نقل غير ارباب الشرايع لطوفان عامّ ، لايدل على العدم ، مع ان فى هذه الآيات لم يبين ذلك ، والله الهادى

قوله تعالى : ﴿ماتسبق من امة اجلها وما يستأخرون (٤٣) ثم ارسلنارسلنا﴾
﴿تترا كلما جاء امة رسولها كذبوه فاتبعنابعضهم بعضاً وجعلناهم احاديث فبعداً للقوم﴾
﴿لايؤمنون(٤٤) ثم ارسلناموسى واخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين(٤٥) الى فرعون﴾
﴿وملائه فاستكبروا وكانوا قوماً عالين (٤٦) فقالوا انؤمن لبشرين مثلناوقومهما﴾
﴿لنا عابدون (٤٧) فكذبوهما فكانوا من المهلكين (٤٨) ولقد آتينا موسى﴾
﴿ الكتاب لعلهم يهتدون (٤٩) وجعلناابن مريم وامه آية وآوينا هما الى ربوة﴾
﴿ذات قرار ومعين (٥٠) ياايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً انى﴾
﴿ بما تعملون عليم (٥١) وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون (٥٢)﴾
﴿ فتقطعوا امرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون ( ٥٣ ) فذرهم فى﴾
﴿غمرتهم حتى حين (٥٤) ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين(٥٥) نسارع لهم﴾
﴿ فى الخيرات بل لايشعرون (٥٦) ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾
﴿ (٥٧) والذين هم بآيات ربهم يؤمنون (٥٨)

( وما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون ) اى امد توقف كل امة وكل احد فى الدار الدنيوية معلومة عندالله ، وكتب فى الالواح المتعددة ،كتابة نورانيةفى انفسهم العالية لعليتها من قبل الله تعالى و على طبق تلك الكتابة يبقون ، ولا تسبق آجالهم على ماكتب ، ولاتتأخرعماكتب ، والايمان لايصيرسبباًللازدياد ، لكون الاصل هو الاخرة ، ولوصار سببا فهو ايضا مكتوب ، وان الاجل بلحاظ الايمان

اى مقدار ؟ او بلحاظ الكفر وقطع الرحم مثلا اى مقدار ؟

(ثم ارسلنا رسلنا تترا) اى متتابعا مع الفصل الطويل بينها ، وقدقرء بالتنوين وغير التنوين ، والمعنى يكون واحداً ( كلما جاء امة رسولها كذبوه ) اىلايخلو حال الرسل من مكذب لهم ، لكون الرسل على خلاف الغضب والشهوة ، وهم تابعون لهما (فاتبعنا بعضهم بعضا) اى بعض الرسل جاؤا بعدانقضاء زمان الصلاح للاحكام السابقة فمادام بقاء الصلاح للاحكام السابقة ، لانرسل رسولا بالاستقلال الا ان يكون حافظا فقط ، وبعد الزوال نرسل رسولا بالاستقلال ، وذلك الامر يكون عقليا كما لايخفى .

( وجعلنا هم احاديث ) اى ينقل اقوالهم وافعالهم ومعجزاتهم الىالاخرين فيعلم الناس نحو سلوك الانبياء ، وانهم باى نحو ؟ اذا كانوا لابد من اتباعهم ، ومع ذلك بعضهم لايتّبعونهم (فبعداً لقوم لايؤمنون) وهذه الكلمةانشاء لاستحقاقهم البعد ، واذا صدرت من الله تكون تكوينية ، والبعد بالغضب يحصل .

( ثم ارسلنا موسى واخاههرون بآياتنا وسلطانمبين ) اىبعد الانبياءالكثيرة على الاقوام الكثيرة وصلت النوبة اليهما ، وقد جائا بآياتنا وهى التسع المذكورة ( وسلطان مبين ) اى حجة واضحة ، وهى العصاء او مع البيضاء ايضا بكون تنوين السلطان للتمكن ( الى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا قوماً عالين ) اى من ارسلا اليهم ، هم فرعون سلطان مصرو اتباعه .

( فاستكبروا ) من التبعية والقوة الرادعة المانعة للايمان لهم هو كبرهم ، لكونهم عالين فى الدنيا . فكان الاتباع عليهم صعباً ، وهذا وجه ذكره تعالى ( و كانوا قوماً عالين ) اى منشأ التكذيب كان ذلك .

(فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون) اى ذكرواعلة عدمايمانهم بكونهما اىموسى وهارون بشرين ، واذطائفتهما وهمبنواسرائيل ، كانوا من خدامنا والخاضعين عندنا ، فكيف يمكن لنا ان نتابع مثلنا فى النوع والادنى منا من

حيث الخصوصيات ، و لم يتفكروا و لم يعلموا ( او ) تجاهلوا فى ان هذا النوع له عرض عريض ، والشرافة بالعلم والقدرة الناشئة من قبل النفس لاالقدرة العرضية الخارجية ، فانها فى الحقيقة قدرة الاتباع لا المتبوع ، و وهمهم سخرهم للسلطان ، وبمجرد ارادة الخلاف يصير المتبوع اذل من كل احد كما هو الشايع فى عصرنا ، من ذل السلاطين بمجرد رجوع الاتباع ، و هاتان القوتان - اى العلامة والعمالة - كانتا فى موسى و هرون عليهما السلام فى منتهى الاشتداد ، ولم يكن لفرعون واتباعه ، فمن حيث الشخصية بينهم يكون التفاوت اعلى من التفاوت بين الارض والسماء السابعة مثلا ، وخضوع بنى اسرائيل لفرعون واتباعه لايوجب نقصاً فيهما .

(فكذبوهما) اى مع الايات الباهرة للمانع المذكور (فكانوا من المهلكين) اى بالغرق فى النيل كما سبق .

( ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون ) اى لقد اعطيناه التورية لهداية قومه اى بنى اسرائيل ، ووجه كلمة الترجى قد ذكر مكرراً ( وجعلنا ابن مريم وامه آية) اى الاية الواحدة القائمة بهما والمرتبطة اليهما وهو التولد من غير ذكر (وآويناهما الى ربوة) اى مكان مرتفع اى كان محلهما واقعاً على رؤس بعض المتفرقات من الجبال كاغلب بلاد السورياء، وكونهما فى القدس ، اودمشق ، اوفلسطين، اومصر اقوال (ذات قرار ومعين) اى مستوية مسطحة يستقر عليها ساكنوها، وصاحب الماء الجارى من العيون ، اوالجارى بحيث تراه العيون .

(ياايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً) اى خوطب الى كل واحد منهم فى وقته بأن يأكل من الطيبات، اى لم يكونوا ممنوعين من أكل غير الخبائث فان حفظ البدن ايضاً يكون لازماً لبقاء الروح .

بل بعد الوصل الى الكمال وعدم مانعية التلذذات من التوجه الى الله لاتلزم الرياضات الشاقة عليهم ايضاً كما ذكرناسابقاً، وانما تلزم قبل الوصول الى الدرجة

العالية وان يعمل (١) عملا صالحا لحصول الترقيات بالاعمال السابقة خصوصاً وافعالهم مورد الأسوة (اني بما تعملون عليم) ای للاحاطة التامة فخلاف العلم فيه محال

(وان هذه امتكم) والخطاب الى اهل مكة ومن في زمان النبي ﷺ ای هذه الطريقة وهي ماجاء به محمد ﷺ (امتكم) ای دينكم الذی يلزم عليكم ان تأخذوا به وهو دين الاسلام، وكون الانسان سلماً لله، ورافعا لليدعن تمام الخصوصيات، والقاء الاغراض الخصوصية والعصبيات ( امة واحدة ) ای دين واحد لتمام الناس ويلزم على الجميع الاخذ به من المشركين واليهود والنصارى والمجوس، لكونه ﷺ نبيا على الكل اذا رسله الله تعالى على كافة الناس، فمن خالفه بعد اتمام الحجة عليه يكون في النار (وانا ربكم) ای المتكلم معكم وآمركم بهذا الامر هو الله تعالى.

(فتقطعوا امرهم بينهم) ای تجزوا، وحصل التقطيع بين الناس باختيارهم اموراتهم الدينية (بينهم) فكل اختار ما هومقتضى شهوته وعصبيته (زبراً) ای احزاباً متخالفين، كاليهود والنصارى والمجوس وساير المذاهب (كل حزب بمالديهم فرحون) ای يفرحون بالمختلفات لعدم بنائهم الاخذ بالجهة الجامعة وهو العقل، ولزوم الاخذ بالاكمل الذی يتم عليهم الحجة.

(فذرهم في غمرتهم حتى حين) ای دعهم في ضلالتهم حتى يموتون، او ينزل عليك النصر وتغلبهم ويحصل الذل لهم.

(أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لايشعرون) ای هل يحسبون ان العطايا الدنيوية لاجل محبوبيتهم عندنا ؟ ولذلك نعجل لهم باعطاء الخير ؟ وهذا على سبيل الانكار، ای ليس الامر كذلك، بل ذلك من باب الاستدراج والمكر بهم حتى يظهر باطنهم فيعذبون (بل لايشعرون) ای لايدرون ان العطاء اليهم لاجل ای جهة.

---

(١) ای قبل ان يعمل عملا صالحاً

(ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) اى الموصوفون بالخوف والخشية من الله والمؤمنون بالله ، والخبر(١) يجيىء - وهو (أولئك يسارعون فى الخيرات) اى المرحمة الحقيقية شاملة لهم .

وعدم مخالفة هذه الايات ايضاً مع العقل من الواضحات ، والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿والذين هم بربهم لايشركون (٥٩)والذين يؤتون ماآتوا﴾ ﴿وقلوبهم وجلة انهم الىربهم راجعون (٦٠) اولئك يسارعون فىالخيرات وهم﴾ ﴿لها سابقون (٦١) ولا نكلف نفساً الا وسعها ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم﴾ ﴿لايظلمون (٦٢) بل قلوبهم فى غمرة من هذا ولهماعمال من دون ذلك هم لها﴾ ﴿ عاملون ( ٦٣ ) حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجئرون ( ٦٤ ) ﴾ ﴿لاتجأروا اليوم انكم منا لاتنصرون ( ٦٥ ) قدكانت آياتى تتلى عليكم وكنتم﴾ ﴿ على اعقابكم تنكصون ( ٦٦ ) مستكبرين بـه سامراً تهجرون ( ٦٧ ) افلم ﴾ ﴿يدبروا القول ام جائهم مـا لم يأت آبائهم الاولين ( ٦٨ ) ام لم يعرفوا ﴾ ﴿ رسولهم فهم له منكرون ( ٦٩ ) ام يقولون به جنة بل جائهم بالحق واكثرهم ﴾ ﴿ للحق كارهون ( ٧٠ ) ولو اتبع الحق اهوائهم لفسدت السموات والارض﴾ ﴿ ومن فيهن بل اتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون ( ٧١ ) ام تسئلهم﴾ ﴿ خرجاً فخراج ربك خير وهو خير الرازقين ( ٧٢ ) و انك لتدعوهم الى﴾ ﴿صراط مستقيم ( ٧٣ ) وان الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط لناكبون ﴾ ﴿ (٧٤) ﴾

(والذينهم بربهم لايشركون)اى من اوصافهم انهم يوحدونالله ولايشركون به ابداً للدلالات العقلية والشرعية .

( والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون ) اى مـن

---

(١) يعنى خبرقوله تعالى : الذين هم الخ يجيء فى الاية الآتية وهو قوله تعالى اولئك الخ .

اوصافهم انهم يعطون الناس مما اعطاهم الله ، من المال والعلم والقدرة على الامور الحسنة ، وكذلك يفعلون الحسنات التى اقدرهم الله على اتيانهم ، والحـال ان قلوبهم وجلة لانهم الى ربهم راجعون اى لعلمهم برجوعهم الى الله .

(اولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون) اى هذه الاشخاص يسبقون الى الاعمـال الخيرية وهم لكل خير يستعجلون ويسبق بعضهم بعضاً ، فالله تعالى ايضاً يعجّل الخير لاجل هؤلاء ، لحكمته وكرمه وجوده وواهبيته ، اذ يلزم افادة ما ينبغى عليه تعالى ، وما يرى فى الدنيا انه لايكون خيراً للمؤمنين ، فباطنه فيه الرحمة ، فتوفيق الله لاتيانهم بالخيرات التى باطنها الرحمة ، سبقة مـن الله اليهم بالخيرات ، كما ان ايصال ما يورث البعد يكون استعجالا فى غير الخير منه تعالى.

(ولانكلف نفساً الا وسعها) اى مقدار طاقتها فان التكليف بفوق الطاقة لغو محض ، اذ لايترتب عليه الاتيان حتى كأن هو الغرض ، ولايوجب تصحيح العقوبة لكون العقاب عليه ظلماً ، والله برىء من نقض الغرض واللغو والظلم ، بالبراهين العقلية التى ذكرناها سابقا فلانعيد .

( ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون ) اى كل مـا يعملون يكون محفوظاً عندنا ، ويشهد لهم بالحق الواقع فى القيامـة ، و لا يتعدى عليهم ابداً فايمانهم واعمالهم تؤثر وتحصل للصور العالية ، بـالحركة والذهاب الى العالى كما مرّ .

( بل قلوبهم فى غمرة من هذا و لهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون ) اى مضافاً الى عدم تعجيل الله الخير للكفار ، تكون قلوب الكفار فى الغفلة مـن خيرات الله وفى جهالة وضلالة ، وللكفار اعمال غير الخيرات وهم يعملون لاجلها فان الخير الحقيقى ما يصل الى النفس من الكمالات الواصلة الى الدار الباقية ، والكفّـار يعملون للنيل الى الشهوات واللذائذ البدنية ، واين احدهما من الاخر .

( حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجئرون ) اى اعمالهم الفاسدة

مستمرة الى نزول العذاب عليهم ، فاذا اخذنا اولى النعمة والثروة منهم بالعذاب ، و هو سيف المسلمين عليهم فى البدر ، يحصل لهم الضجيج فجأة فهم يضجّون من الخوف .

( لاتجأروا اليوم انكم منا لاتنصرون ) اى لاتضجوا فان اليوم لاناصرلكم حتّى ينصركم بضجيجكم اى ينحصر دفع العذاب بالايمان فانّ الحكم فى المشركين غير اهل الكتاب ، فاهل الكتاب بالجزية يمهل لهم واما من كان مشركا فلا يمهل له .

(قد كانت آياتى تتلى عليكم وكنتم على اعقابكم تنكصون) اىتتلى عليكم الآيات فى مكة ولاتقربون اليها قربا معنويا ، بل على اعقاب ارجلكم ترجعون اى بكمال الاستحكام فى المشى الرجوعى ترجعون .

( مستكبرين به سامراً ) اى حالكونكم مستكبرين بالبيت والحرم سامراً اى متحدثين حول البيت فى الليل ، اى بسبب كونكم من اهل مكة والحرم ، وانكم فى الليالى تتكلمون مع الآخر حول البيت تتكبرون وتظهرون ، انا فى الامن ولا ينزل علينا العذاب ، فعذبكم الله فى البدر حال خروجكم عن الحرم ، بل فى الحرم ايضا كما فى فتح مكة ، اذ الامر لاجل التوحيد واحترام الحرم ومكة لايكون ذاتيا ، بل لاجل الله ، فاذا كان الحالُ به من المشركين لامانع من انزال العذاب عليهم .

(افلم يدبروا القول ام جائهم مالم يأت آبائهم الاولين املم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون ) اىهل لميتفكروا فيما اشتمل عليه القرآن من نزول العذاب على مكذبى الرسل فىالدنيا فيحصل لهمالخوف اوحصل فيهم كمال مانع من عذابهم وهو لميكن لابائهم فعذبوا ( او ) لميعرفوا رسول الله، ولم يتم الحجة عليهم فهم جاهلون برسولهم، فلاجل ذلك لايعذبهم الله اى لو كان فى البين احد الثلاثة من دون تقصير لما حصل العذاب .

وانما قصورهم من التدبر، وان العذاب ينزل على المكذب، اووجود المانع من العذاب فيهم لاجل صدور بعض الخيرات منهم دون آبائهم اوعدم عرفانهم لرسول الله فاذا انتفت الثلاثه فى حقهم، فكان اللازم عليهم الحذر من العذاب لكون العذاب لهم مظنونا اومقطوعاً

(ام يقولون به جنة بل جائهم بالحق واكثرهم للحق كارهون) اى هل يقولون انه غير نبي لكونه مجنونا اومصاباً بالجن وهو باطل ، فانه غير مجنون ، بل كامل جاء لهم بالحق وهو القرآن المشتمل على الاحكام، ويكرهون الحق لكونه على خلاف شهواتهم ، وحذف ماذكر (١) معلوم للسوق ، فان الجن ومن لاعقل له لايمكن ان يأتى بمايعجز عن الاتيان ببعضه عقلاء كثيرة .

(ولو اتبع الحق اهوائهم) اى اهواء المشركين (لفسدت السموات والارض ومن فيهن ) اذعلى حسب اهوائهم لابد ان يزوج الله ، ويحصل له الابن والبنت ، وذلك يوجب النقص ، والنقص يوجب الامكان ، وامكان الله يوجب عدم وجود واجب الوجود ، وعدم وجوده مستلزم لانتفاء التمام ، والبرهان قد مضى سابقا على انه كمال محض

(بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون) اى قد أتيناهم بما ان اخذوا به يكون فيه ذكرهم وشرفهم لانهم يذكرون بعد ذلك فى القرون اللاحقة فى الاعاظم ، بل اعلى من السلاطين وهم طالبون لذلك ، فعدم اخذهم واعراضهم تفويت لهذا المطلب ، فهم من خير الدنيا ايضا معرضون لانفسهم

(ام تسئلهم خرجا) اى لو كانت علة عدم ايمانهم نقصهم فهم بالاخذ من الشرفاء وان كانت العلة طلب المال منهم ، فليعلموا انك لاتطلب منهم ذلك (فخراج ربك خير وهو خير الرازقين) اى مايعطى الله يكون اكثروا حسن من اموالكم ، وهو احسن من كل رازق

---

(١) يعني قوله قده : اى هل يقولون انه غير نبي لكونه مجنونا .

(وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم وان الذين لايؤمنون بالاخرة عن الصراط لناكبون) اى انك تدعوهم الى صراط مستقيم معنوى ، بحيث يكون باطنه صراطاً مستقيماً وسيعا على جسر الجحيم ، بحيث يتجاوز منه كل من اخذ بالصراط المستقيم فحقيقته العالية ، الجسر المستوى ، ومن لم يأخذ بذلك ولم يؤمن يعثرون ويقعون على الوجوه من الصراط فى النار ، والوجه قد مضى مكرراً فلانعيد

وقد ظهر من بياننا كون الآيات المذكورة على طبق العقل بتمامها، والله الهادى

قوله تعالى: ﴿ولو رحمناهم وكشفنا مابهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون﴾ ﴿(٧٥) ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم ومايتضرعون (٧٦) حتى﴾ ﴿اذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون (٧٧) وهو الذى أنشأ﴾ ﴿لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ماتشكرون (٧٨) وهو الذى ذرأكم فى الارض﴾ ﴿واليه تحشرون ( ٧٩ ) وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار﴾ ﴿افلاتعقلون (٨٠) بل قالوا مثل ماقال الاولون (٨١) قالوا ائذا متنا وكنا ترابا﴾ ﴿وعظاماً ائنا لمبعوثون ( ٨٢ ) لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا﴾ ﴿الااساطير الاولين (٨٣) قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون (٨٤) سيقولون﴾ ﴿لله قل افلا تذكرون (٨٥) قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم﴾ ﴿(٨٦) سيقولون لله قل افلا تتقون (٨٧) قل من بيده ملكوت كل شيء وهو﴾ ﴿يجير ولايجار عليه ان كنتم تعلمون (٨٨) سيقولون لله قل فانى تسحرون ( ٨٩ )﴾

( ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضرّ ) اى لو رحمنا كفار مكة وكشفنا ما ورد عليهم من الضر ، وهو القحط حيث ابتلوا بالقحط سبع سنين على ماذكر (للجوا فى طغيانهم يعمهون) اى لتمادوا فى ضلالتهم وبغيهم على الله ويترددون فى الطغيان ، اى بايجاد مقدمات الوصول الى مايريدون من الوصول الى الدرجة العالية من التمرد ، فالضر فى الحقيقة لطف عليهم ، اذيكون طغيانهم اقل ، ولا يوقعون انفسهم فى لجج بحر الطغيان

(ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم ومايتضرعون) اى بطل استعداد الترحم والتفضل من حيث اللياقة فيهم، اذ بعد ان نزل عليهم ذلك العذاب لم يظهروا مسكنتهم عند ربهم ـ وهو الله ـ ولم يتضرعوا عنده ، ولو كان فيهم نور الاستعداد لتوجهوا الى الله في تلك الحالة

(حتى اذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد اذاهم فيه مبلسون) اى اذا فتحنا عليهم ما هو اشد من ذلك العذاب ، وهو العذاب بالسيف يوم بدر ، اذاهم آئسون من كل خير، ولفظ (حتى) قد ذكروا انها ابتدائية فلا تكون الجملة التالية لها قيدا للسابق

ويحتمل عندى كونه غاية للعمه ، وهو التردد ، اى يترددون ويعمهون في الغي حتى نفتح عليهم العذاب الشديد وهو يوم بدر ، ففى هذا اليوم ينقطع رجائهم من تأثير التردد في الضلالة ، وبعث مقدمات الوصول الى منتهى الدرجة .

( وهو الذى انشأ لكم السمع والابصار والافئدة قليلاما تشكرون ) اى جعل فيكم القوة لاستماع ما يقع في الملك والقوى ، لاقسام رؤيتكم من المحسوسات والمتخيلات والعقليات ، اى الملكى والملكوتى والجبروتى ، وكذلك الافئدة والقلوب فانها كيفية متقلبة بين العالي والسافل ، فقد تكون واسطة بين الصدر والقلب العالى ، وقد تكون واسطة بين القلب والنفس ، وقد تكون واسطة بين النفس والروح .

واما السمع فاذا بلغ الى درجة الاستماع من الملكوت او الجبروت او اللاهوت ، فلا ينفك واجده عن الشكر لله فقوله تعالى ( قليلا ما تشكرون ) لايجتمع مع السمع الملكوتى وفوقها بخلاف البقية ، فلذلك يكون السمع مفرداً والاخران جمعاً .

( وهو الذى ذرأكم في الارض واليه تحشرون ) اى خلقكم في الارض وهو الجسم الاسفل من الكل ، لكونها محاطة بالمحيطات ، والمحيط وما يقرب اليه

يكون أعلى وفوق المحاط ، ولكن حشركم الى الله، اى تتحركون وتتجاوزون عن عالم الاجسام ، فتحضرون عندالله حضوراً معنويا وتشاهدون الله شهوداً عيانيا، وهذا من اعجب العجائب .

(وهو الذى يحيى) اى يفيض الروح بعد كسوة اللحم على العظام (ويميت) بالنقل من هذا العالم الى العالم الاخر ( وله اختلاف الليل والنهار ) اى بتحريك منشأهما ( افلا تعقلون ) انه لا بد من محرك غير متحرك ، و هو الفعل المحض ، وهو الله .

( بل قالوا ) اى لم يتصوروا ذلك اى انتهاء الحركات الى الفعل المحض الواجد لتمام الكمالات من العلم والقدرة وساير الكمالات بل تنطقوا بالعكس وقالوا ( مثل ما قال الاولون ) .

(قالوا ائذامتنا وكنا تراباً وعظاماً ءاانالمبعثون) ولو تعقلوا لعلموا ان من يحرك تمام الاشياء في كل آن ، من النقص الى الكمال ومن الكمال الى النقص يكون قادراً على احياء التراب والعظام، مع ان بعض اقسام الحيوة، طريانه دائمى على التراب والعظام بعد صيرورته تراباً من النباتية ، والحيوانية ، والانسانية ، واى فرق فى القدرة بين تعلق الروح الاخر فى الدنيا اليها او حركتها الى دارالاخرة ، واتحاد روحها معها وقد رفعنا ساير الشبهات ، من تنقيص الكامل ، وتقسيم المتناهى على غير المتناهى وضيق المكان ، وساير الشبهات فلا نعيد .

(لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين) اى قالوا ان هذا المطلب، هو المطلب الذى ذكره ساير الانبياء ايضا، فالوعد به صار لنا ولابائنا من قبل، وهو من اكاذيب الاولين ومجعولاتهم ، اى اكاذيب الانبياء السالفة .

(قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون) اى لما يكون تعجبهم ، ونسبة كون المعاد الى اسطورات الاولين ، من باب عدم مقدوريته يقول الله اسئلهم عن مالك الارض ومن فيها اى الخالق الحافظ لها دائماً

فـاذا قالوا: هوالله اذ يقولون : بان خالق هذه الاشياء ، هو لله ، نهاية الامر ، له الشركاء المعاونون .

( فقل افلا تتذكرون ) وتلتفتون بامكان الاعادة على النحو الذى سبق لخالق هذه الامور ، ولو بأعانة الشركاء على ما تقولون ، وان كانوا قائلين بان الاشياء العظام لله الاكبر ، وساير الامور من الالهة الاخرى ، فالامر اوضح اذ الخالق للامور العظيمة يقدر على نشر كل شيء وحشر الاجساد .

( قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله ) وقرءلله ايضا ، وعلى الاول اى الرب للجميع هو الله ، وعلى الثانى لما ان الرب يلازم المربوب وهو ملازم مع الملكية بالمعنى الذى ذكرنا من الملكية الحقيقية يكون المراد انالملكية لله ( قل افلا تتقون ) اى افلا تخافون فى انكار المعاد .

( قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه انكنتم تعلمون ) اى اسئلهم عن حقايق الاشياء وبواطنها اوعن ملكية الاشياء بان يكون التاء للمبالغة كما قيل والحال ان الله يكون ملجأ كل شيء ولايلجاء الى احد . فلهالسلطنة التامة ومن يكون كذالك يقدر على كل ممكن ، والمعاد من الممكنات كمامر

( سيقولونلله) اى تلك السلطنة (قل فانى تسحرون ) اىمسحوريتكم وعدم رؤيتكم الواقع فى اى مقام ؟ والمعترف بتمام ذلك لابدان يكون معترفا بالله القادر على كل شيء ، فالمنكرمموّه عليه فكانه سحرت اعينه

وقد ظهر من بياناتنـا موافقة تمام ماذكر مع العقل بعضها وعدم مخالفة البقية معه والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿ بل أتيناهم بالحق وانهم لكاذبون ( ٩٠ ) ما اتخذ الله ﴾ ﴿من ولد وما كان معه من اله اذاً لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض﴾ ﴿سبحان الله عما يصفون ( ٩١ ) عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ﴾ ﴿(٩٢) قل رب اما ترينى ما يوعدون (٩٣) رب فلاتجعلنى فى القوم الظالمين﴾

﴿ (٩٤) وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون (٩٥) ادفع بالتي هي احسن ﴾
﴿ السيئة نحن اعلم بما يصفون (٩٦) وقل رب اعوذ بك مـن همزات ﴾
﴿الشياطين (٩٧) واعوذبك رب ان يحضرون (٩٨) حتى اذا جاء احد هم ﴾
﴿الموت قال رب ارجعون(٩٩)لعلي اعمل صالحاً فيما تركت كلا انها كلمة هو﴾
﴿قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون (١٠٠) فاذا نفخ في الصور ﴾
﴿فلاانساب بينهم يومئذ ولايتسائلون (١٠١) فمن ثقلت موازينه فاولئك هم ﴾
﴿المفلحون (١٠٢) ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم فيجهنم﴾
﴿خالدون (١٠٣) تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون (١٠٤)﴾ .

(بل أتيناهم بالحق وانهم لكاذبون) اى آتينا الكفاربالصدق من القرآن الدال على التوحيد والمعاد ، وان الكفار لكاذبون فيالقول بالشرك وعدم تحقق المعاد، والبرهان العقلي على التوحيد والمعاد يكون قائماً ، وقدذكرنا البراهين كما سبق فلا نعيد

(ما اتخذالله من ولد) اى لم يكنلله ولد مـن قبيل عيسى وعزير ، ولاتكون الملائكة بناتاًله ، بلالله اوجد الجميع على الترتيب ، وقد ذكرنا بطلان الولادة الجسمانية ، لاستلزامها الجسميةلله تعالى ، والافتقار الى الزوجة في الألتذاذ اوتولد اولادله، وانفصال شيىء منه ، والكل باطل ، ومن خواص بعضاقسام الممكنات، وهي الدانية منها والخسيس تعالىالله عن ذلك

(وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) اى لايكون الا له متعدداً ، ولوكان متعدداً ليؤثر كل اله في مخلوقه ، وهو واضح البطلان ، ولو كان متعدد العلا بعضهم على بعض ، وهو ايضا واضح البطلان

فهناك برهانان ، ولكن يكون مبنى كل واحد غير الاخر (اماالبرهان الأول) فهوان الاله لوكان متعددا وكان حقيقة كلمنهما غيرالاخر فهما متباثنان ، فانكون الواجب مفتقراً ، والتركيب موجبا للافتقار ، وبداهة بطلان الاول وبداهة الثاني

مستلزمان للقول بالبساطة ، ومع البساطة والتعدد لابد من كون الالهين متبائنين بتمام الذات، ومع التبائن التام ، فاثر كل واحد نقيض الاخر ، ويباين الاخر

فلو اثر احدهما فيالوجود لابدان يؤثر الاخر فى العدم فلابد من ان يذهب احد الالهين الى وجودشيء وابقائه والاخر الى اعدام ذلك الشيء ، وابقاء العدم فيلزم كونشيء واحد فيآن واحد موجوداً ومعدوماً وهومحال وضروري البطلان

واما البرهان الثاني فهو ان البسيط الذى هوالاله كان موجوداً ، فلابد من اختلافهما فى المرتبة اذمع البساطة ، وعدم تبائنهما من حيث الحقيقة لايتصور التعدد الا بالمرتبة ، والا فصرف الشي لايتكرر كما هوواضح ، ومع الاختلاف فيالمرتبة لابد ان يكون احدهما اعلى والاخر ادنى وحينئذ فالشديد العالي هوالله لوجدانه للسافل ، والضعيف الدانى من رشحاته لمقهوريته وعدم وجدانه للعلو ، فكون كل واحد الهايكون باطلا حينئذ ، وقد بينا فى غير مورد من الموارد ، فلانشرح ازيد من ذلك فالاول يكون مبتنياً على اختلاف الحقائق ، والثاني على اختلاف المراتب

(سبحان الله عما يصفون) ایالله منزه منالتعدد ، ومن الولد ، ومن العجز من المعاد

(عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ) اى هوعالم بالعلم الحضورى الأحاطي بتمام الغيب ، ایالغائب عنالحواس والشهادة ، اى المدركة بالحواس، فلا يفقد شيئا ولا يشذ عنه شيء فلا معنى للشركة لانالكل عنده ومحاطه ومعلوله فكيف يمكن أنيكون معلولا للغيرومحاطا بتلك الاحاطة للغير، فتعالى عما ينسبون اليه من الشرك ، وان له الشريك

(قل رب اما ترینی مایوعدون ) اى ادع اليربك ، واظهر يارب انه تريني ما يوعدون اى ارنى مايوعدون اى عذابكالنازل بسيف المؤمنين، اى رب قو المسلمين عليهم حتى يقتلوهم ، وقد استجيبت دعوته يوم بدر وبعده

( رب فلاتجعلني مع القوم الظالمين ) اى المشركين وفرق بيني وبينهم وقد استجيبت دعوته ﷺ (وانا على ان نريك مانعدهم لقادرون ) اى على غلبتك على الكفار ومشاهدتك يوم البدر

(ادفع بالتيهي احسن السيئة) اى اغمض عن سوء اخلاقهم بحسن اخلاقك وكان ذلك قبل الأمر بالجهاد (نحن اعلم بما يصفون ) اىنعلم باقوالهم ونجازيهم في وقته

( وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين ) اى من الكسرات الواقعة من الشياطين الانسية ، باغواء الشياطين الجنية (واعوذ بك رب ان يحضرون) اى ان يسلط علي شياطين الانس باغواء شياطين ، ويحضرونني عندهم بعنوان تسلطهم

( حتى اذاجاء احدهم الموت قال رب ارجعون ) وكلمة ( حتى ) ابتدائية اى واذا حضر الموت لاحدهم يقول رب ارجعون ، وضمير الجمع للتعظيم او بلحاظ الاتباع اى مربارجاعي الى الدنيا ( لعلي اعمل صالحاً فيما تركت ) اى فيما تركته وضيعته من عمرى ( كلا انها كلمة هو قائلها ) اى تلك كلمة مجرد القول لا واقع لها لقوله تعالى (ولوردوالعادوا لما نهوا عنه) (١) ولا يترتب عليها أثر ايضاً ، اذ لم يؤثر في الرجوع ولايرجع .

(ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون) اى عقيب موتهم برزخ وواسطة بين الدنيا ويوم البعث ، اى القيامة فهم في تلك الواسطة معذبين بعذاب اضعف من عذاب الاخرة ، واشد من عذاب الدنيا فان البرزخ ليس كالنوم واضعف كما تخيل بعض ، بلاقوى من الدنيا ، وانتباه بالنسبة الى الدنيا، الناس نيام اذا ماتوا انتبهوا نعم أضعف من العالم الثالث كما أقمنا البرهان على الجميع .

( فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتسائلون ) اى من شدة الوحشة لايفعل شيئا لاقاربه ولايسئل عن حالهم .

---

(١) الانعام ـ ٢٨

(فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون) اي من كانت حسناته راجحة فميزان اعماله كان له الثقل فلهم الفلاح

(ومن خفت موازينه) اى الطبيعة ومقتضباتها رجحت على اعماله (فاولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون) اى فعليهم الخسران باختيارهم ويبقون في النار ابداً

(تلفح وجوههم النار) اى تحرق النار وجوههم (وهم فيها كالحون) اى هم في النار قد شمرت شفاههم عن اسنانهم اى صارت ضخيمة سيئة مرتفعة عن الاسنان ، ولعله كناية عن تغيراشكالهم بحيث يشمئز الانسان منهم لسوء اعمالهم ، وتمام تلك الامور بحركات العقايد والاعمال .

وقد ظهر من جميع ذلك كون اكثر الايات المذكورة على طبق العقل ، وعدم مخالفة الباقي له ايضاً ، والله الهادى .

قوله تعالى: ﴿الم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بهاتكذبون (١٠٥) قالوا﴾ ﴿ربنا غلبت عليناشقوتنا وكنا قوماً ضالين (١٠٦) ربنااخرجنا منها فانعدنا فانا﴾ ﴿ظالمون (١٠٧) قال اخسئوا فيها ولاتكلمون (١٠٨) انه كان فريق من عبادى﴾ ﴿يقولون ربنا آمنا فاغفرلنا وارحمنا وانت خير الراحمين (١٠٩) فاتخذتموهم﴾ ﴿سخريا حتى انسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون (٦١٠) انى جزيتهم اليوم﴾ ﴿بما صبروا انهم هم الفائزون (١١١) قال كم لبثتم فى الارض عددسنين (١١٢)﴾ ﴿قالوا لبثنا يوماً اوبعض يوم ، فاسئل العادين (١١٣) قال ان لبثتم الا قليلا لو﴾ ﴿انكم كنتم تعلمون (١١٤) أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لاترجعون﴾ ﴿(١١٥) فتعالى الله الملك الحق لااله الا هو رب العرش الكريم (١١٦) ومن﴾ ﴿يدع مع الله الهاً آخر لابرهان له به فانما حسابه عند ربه انه لايفلح الكافرون﴾ ﴿(١١٧) وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين (١١٨)﴾

(الم تكن آياتى تتلي عليكم فكنتم بها تكذبون) اى يقال لهم- والقائل مالك

واتباعه ـ وحيث انهم عباد مكرمون وفانون في الله .

قال الله تعالى (الم تكن آياتى تتلى عليكم) اىالقرآن (فكنتم بها تكذبون) اىبالايات القرآنية اى هذه النار صورة تكذيبكم فقد دخلتم فيما حصلتموه .

(قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين) اىاعترفوا بالذنب، وان الشقاوة والبعد عن الحق غلبت علينا ، فضللنا عن الطريق ، وصدر منا ما صدر من التكذيب

(ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون ) اى اخرجنا من النار الى الدنيا ، فان عدنا في التكذيب فانا متعدون وعذبنا عذاب الظالمين

(قال اخسئوا فيها ولا تكلمون ) اى يقول الله بلسان الواسطة الفانـية ، ابعدوا في النار ، واسكتوا ولا تكلمون معى ، اى ليس من حقكم التكلـم مع الله ، والقرب اليه بالتوجه ، وهذا انما يكون لاجل علم الله بانهم حين التكلم ايضاً مبغضون مع الايات ، وظنوا انه يمكن انيشتبه الامر على الله ، وهذه التكلمات قد تتوهم انها لاجل تحقق الوقوع اتى بصيغة الماضى ، ولكن يمكن ان يكون تلك التكلمات في البرزخ ، بعد موت بعض المكذبين

( انه كان فريق من عبـادي يقولون ربنا آمنا فاغفرلنا وارحـمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا) اىوجه انالله يبعدكم ويسكّتكم بالمنع منالتكلم على نحو التسخير انه كان بعض عبادى ، كسلمان ، وعمار ،وبلال ، وصهيب.

( يقولون ربنا آمنا واغفرلنا ) وانتم تستهزؤن بهـم ، فصورة استهزائكم و استخفافكم بهم ، ان تستخفوا وتبعدوا الى قعر النار ، كما ان تسكيتكم لاجل ما صرتم سببا لسكوت هذه الاشخاص عندكم عن ذكر الله ، خوفاً من استهزائكم ، فلا بد من تسكيتكم على نحو الخفة والمهانة ، فالكل يكون ناشياً منكم لا من الله تعالى.

( حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون ) اى استـهزأتم بهم حتى

كانهم من باب سكرتهم عندكم عن ذكر الله اوجدوا نسيان ذكرى فيكم ، او من باب اشتغالكم بالاستهزاء على الشدة صرتم غافلين عن ذكرالله وناسين لله بالمرة فكانهم ( أنسوكم وكنتم منهم تضحكون ) اى حيث يذكرون الله.

(انى جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم‌الفائزون) اى كما ان‌جزاء استهزائكم و تكذيبكم ماتذوقون ، كذلك جزاء اعمال هؤلاء المؤمنين وعقائد هم وصبر هم على ايذائكم ، الفوز المطلق ، والفلاح المطلق ، لابخصوص الجنة بل الوصول الى الله وتجلياته ، وذلك يجتمع مع كونهم فى الدنيا ايضاً ، ولكن‌الله يعلم ببقاء فوزهم الى الاخر

(قال كم لبثتم فى الارض عددسنين قالوا لبثنايوماً او بعض يوم فاسئل العادين) الضمير فى‌قال يكون لمالك يسئل‌مقدارمكثهم ، وهم يجيبون باللبث فى‌يوم اوبعض يوم ، ويقولون اسئل عن اهل العدد والحساب اى لم يكن لبثنا ازيد من ذلك

(قال‌ان‌لبثتم الاقليلا لوانكم كنتم تعلمون) الضميرايضاً لمالك يقول‌لهم لو كنتم عالمين بمقداربقائكم لتدرون ان‌بمقدار نصف اليوم ايضا ، ما لبثتم بل لبثكم فى نهايةالقلة

(افحسبتم‌انما خلقناكم عبثا وانكم الينالا ترجعون ) والاستفهام توبيخى اى كان ظنكم ان خلقتكم كانت من باب العبث واللغو ، والحال ان‌العقل حاكم بان الله ليس‌فيه النقص ، فلا يصدر منه اللغو والعبث ، بل الخلق للوصول‌الى الكمال خصوصاً خلق اللطافة السيارة ، والوصول الى‌الكمال هوالرجوع الى‌الله وشهوده

(فتعالى الله الملك الحق لااله الا هورب العرش الكريم ) اى‌الله اعلى مـن ايجاد العبث واللغو ، وهو الجامع للكمالات والسلطان الثابت ، ولا شريك له فى الألوهية ، ورب العرش الذى له الكرامة ، فكيف يفعل العبث واللغو ، فان الفعل من شئون الفاعل

و ( لواردنا ان نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا ) وقد مضى مكرراً شرح تلك

الحقائق ، وهذه المطالب بالبراهين العقلية فلانعيد .

(ومن يدع مع الله الهاً آخر لابرهان له به فانما حسابه عند ربه انه لايفلح الكافرون) اى من اشرك بالله والحال انه لابرهان له على وجود الشريك، اذالبراهين قامت على التوحيد كما سبق ، فيكون جزائه عندالله اى عذابه اعظم من تصدى الوسائط ، وجزائهم عدم الفلاح المطلق لكفرهم ، فعذابهم لايتناهى .

( وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين ) والخطاب انما يكون الى النبى ﷺ .

وقد ظهر من تمام ماذكرنا كون الآيات المذكورة مطابقة للبراهين العقلية ،

فان دعاء النبى ﷺ لغفر انه وطلب الترحم قددل العقل على

لزومه، اذلابد انيكون دائماً آخذاً من الله، ومعطيا

الى الخلائق كما ذكرنا سابقا ، والله الهادى

وقد فرغت ليلة السبت المطابق مع

الثامن عشر اوالسابع عشر من

شهر صفر المظفر فى عام ١٣٣٧

فى اسلامبول مع اغتشاش

الحواس ، واناالعاصى

**نورالدين الحسينى من بلدة سلطان آباد**

العراق من اهل ايران

# سورة النور (۲۴)

مدنية

اربع وستون آية

قد فرغ قده من كتابتها في رجوعه

عن قاضي كوى الى اسلامبول

لاجل الحركة الى الايران

غرة ربيع الاول عام ۱۳۳۷ من الهجرة النبوية

على هاجرها آلاف التحية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سورة انزلناها وفرضناها وانزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون (١)﴾
﴿الزانية والزاني فاجلد واكل واحد منهما مأة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في﴾
﴿دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾
﴿(٢) الزاني لاينكح الا زانية او مشركة و الزانية لا ينكحها الا زان او مشرك﴾
﴿وحرم ذلك على المؤمنين (٣)﴾ .

(سورة انزلناها وفرضناها) اي هذه سورة اي المحاط بالبسملة وكلمة(١) عليم والمحصور بين الحاصرين ، كبلد له السور اي الجدران المحيطة به ، قد انزلنا هذه الكلمات من المرتبة الشامخة الى ان وصلت في صورة الالفاظ التي يسمعها كل احد ، وبينا فيها الفرائض ، والفرض له اطلاقان .

( فقد يطلق ) ويراد به الواجب فيمتاز عن المندوب ( وقد يطلق ) ويراد به مقابل النفل ، اي الزايد من المصالح المقومة ولو طرء عليه الوجوب ، وبهذا الاطلاق يمكن ان يكون الفرض مندوبا ، لكون مندوبيته بلحاظ التفضل ، وان لا يلزم العسر وصلاحه من المقومات فلو كان المراد هنا من الفرض الاول يكون بلحاظ التغليب قد اطلق على الجميع اسم الفرض ، كالشمسين والقمرين ؛ وان كان بلحاظ الثاني فلا يحتاج الى ذلك .

(١) يعني بها كلمة آخر هذه السورة .

( وانزلنا فيها آيات بينات ) اى واضحات الدلالات ، اوالواضحة قاطعيتها على الخصم ، لاستنبـاط المطالب العالية العقلية منها كما نشير انشاء لله اليهـا في مواضعها ( لعلكم تذكرون ) اى تعقلون مطالبها وتصلون الى الكمالات .

( الزانية والزاني فاجلد واكل واحد منهمامأة جلدة ) والخطاب الى رؤساء الدين من النبي ﷺ والمنصوب من قبله ﷺ لاقامة الحدود ، وكذا نوابه بعده من الائمة عليهم السلام والمنصوبين من قبلهم عليهم السلام لاقامة الحدود اىاضربوا كل منزنى بلحاظ طبيعة الزنا السارية في تمام الافراد ، وكذا كل من زنت من حيث سريان الطبيعة مأة سوط ، واما من فيه الجهة الزائدة من ان للزاني زوجة يدخل فيهـا او للزانية زوج يدخل بها فعليها الرجم ولاتنافى ، ولو ابى احد عن ذلك .

فنقول قد قيد ذلك المطلق بغير الاحصـان ، وتقييد الاطلاق بـالمقيد من الشايعات .

ولسنا في صدد تفصيل اقسام الحد من كون حد الزاني في بعض المقامات الرجم (كالمحصن) بان كان للرجل زوجة عنده وقد دخل بهاولو كانتالمزنىبها بدون الزوج ( والمحصنة ) وهي من لهاالزوج الذى قددخل ويغدو عليها ويروح ولوزنت بالرجل الذى لازوجة له ( وكالشيخ والشيخة ) حيث تكون شهوتهمـا ضعيفة ، وسر الفرق ايضاً يكون واضحاً ، حيث ان الشارع قد لاحظ من غلبت عليه الشهوة .

وفي بعض المقامات ، النصف (كالعبد) والامة لضعفهما من حيثالاسباب الدنيوية فلاحظهما الشارع (والقتل) (١) اذا زنى الكافر بالمسلمة لهتك الاسلامبه ولكل سر واضح عند اهله .

ولافي صدد الكيفية بان الحد لابد ان يكون مـن حيث الستر والعدم مـن اللباس كحال الزنا الا ان المرأة لابد ان تستر .

---

(١) يعنى وفي بعض المقامات القتل

( ولاتأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ) اى لما ان الحد يوجب تخفيف العذاب الاخروى لولم يتوبا ، وفي بعض المقامات يكون سببا للتوبة فالصلاح يصل اليهما ، اوالفساد الاعظم يسقط عنهما ، فلوكنتم اصدقاء معهما لاتأخذكم الرأفة ، بان لاتضربوا بالشدة للرقة عليهما ، بل اللازم ، الضرب من دون رأفة وشفقة ، أى الشدة والرأفة في دين الله غير صحيحة ، لمن يؤمن بالله والقيامة ، فان الله ارءف من كل رؤف ، ولولم يكن الحد صلاحا للزانى والزانية لم يجعل الله الحد لهما .

(وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) اى يلزم في حدهما ان لايكون على نحو الخفاء ، وان يحضر طائفة من المسلمين ، وكان الحد في حضورهم وهم ثلاثة (وقيل) : اربعة على قدر شهود الزنا .

وسر ذلك ايضا واضح فانه يؤثر في غيرهما فيوجب الترك لمقدار من الناس ، ويؤثر فيهما ايضا ، لان انصدام الوقوع في محضر الغير يكون له الدخل في الترك ، بل لعل تأثيره لبعض النفوس ازيد من اصل الحد.

(الزانى لاينكح الازانية اومشركة والزاينة لاينكحها الازان اومشرك وحرم ذلك على المؤمنين) قيل كانت بعض البغاه من المشركات صاحبة للمال والثروة وأردن التزويج بالمؤمنين الفقراء ، وهم ايضا لاجل المال قد ارادوا اخذها فنزلت الاية لمنع هؤلاء المؤمنين ، ولم يكن الحكم من الاول عاما حتى يحتاج الى النسخ ولعله ضعيف لكلمة ( او ) الا ان يقال : بمعنى الواو والجملة الاولى

وعلى اى حال فقد كان الله قد منع من تزويج اهل الايمان للمشركة و تزويج نسائهم بالمشركين ، وهذا الحكم ثابت لم ينسخ ، وكذلك منع من اخذ غير الزانى للزانية وتزويج غير الزانية بالزانى وهذا الحكم قد نسخ .

وقد ذكرنا ان الاحكام بمنزلة الادوية فباختلاف الحالات والازمنة يمكن تغيير الصلاح والا لم يكن لتعدد الانبياء الذين كل واحد منهم صاحب الشريعة معنى ، وكان باطلا .

وقد ظهر بعد بياننا عدم مخالفة جميعها للعقل وان الكل لها مصالح والله الهادى.

قوله تعالى: ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم﴾ ﴿ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابداً واولئك هم الفاسقون (٤) الا الذين﴾ ﴿تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم (٥) والذين يرمون ازواجهم﴾ ﴿ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن﴾ الصادقين (٦) والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين (٧) ويدرء﴾ عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين (٨) والخامسة ان﴾ غضب الله عليها ان كان من الصادقين (٩)﴾ .

(والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) اى من ينسب الى الزنا النساء الغير المشهورات بالزنا ، وهو المراد من المحصنات اى عند الناس والانظار ، تكون محصنات ، وبعد الرمى ونسبة الزنا لم يأت باربعة شهود عند الحاكم الشرعى ، فيجب على الحاكم الشرعى ضربهم بالسوط ثمانين جلدة حتى لاتتلوث النساء العفيفات بألسن الناس ولو كان المراد المحصنات الواقعية لكان جعل حد القذف لغواً ، اذ يحتمل فى جميع الموارد عدم الاحصان وعدم توجه الحد فيصير لغواً فالمراد بالمحصنات من لم يثبت الزنا فى حقه اولم يشتهر بذلك

(ولاتقبلوا لهم شهادة ابداً) اى شهادة هؤلاء الاشخاص مردودة فى تمام الوقايع ، ولاتؤثر فى اثبات شيء ، وهذا عند بعض النفوس اشد من تحمل ضرب السياط ، فيوجب الارتداع وحفظ الاعراض ( واولئك هم الفاسقون ) اى يترتب عليهم آثار الفسق ، فلايجوز الاقتداء بهم فى الصلوة على مذهب الامامية رضوان الله عليهم ولايصح الطلاق عندهم ، ولا يبرء نذر من نذر اعطاء العادل باعطائهم .

(الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم) اى من تاب واصلح يكون خارجا من ذلك ، ويصير عادلا ويترتب عليه آثار العادلة ، من جواز

الطلاق عنده ، وبرء النذر باعطائه

واما الصلوة فقدثبت من الاخباران المحدود لايجوز امامته ، فلو وقع عليه الحد لما جازت امامته ، والا فجازت كمن تاب قبل الثبوت عند الحاكم ، او قلنا بسقوط الحد في زمان الغيبة ، اىغيبة امام زماننا عليهالصلوةوالسلامواماقبول الشهادة فمن يرى ان القيد عقيب الجمل يرجع الى الجميع يقول بالرجوع الى الاخيرة ، اوان المتيقن هو الرجوع اليها لايقولبه ويقولانه عادل غير مقبول الشهادة

و قبول التوبة لاجل غفران الله لما سبق منه ، و رحمته عليه في البعد حيث وفقه للتوبة وقد سبق ان التوبة قبولها من الامور العقلية ، لتبدل الموضوع .

( و الذين يرمون ازواجهم و لم يكن لهم شهداء الا انفسهم ) اى من رمى زوجته الىالزنا ، ولميكنله شاهد فشهادةاحدهماربعشهادات بالله انهلمنالصادقين (والخامسة انلعنةالله عليه ان كان من الكاذبين) و دخول الفاء في الشهادة ، لاجل تضمن الموصول معنى الشرط ، اى ان رمى احد زوجته بالزنا ، و كذا ماسبق قبل ذلك ، فيدخول الفاء على اجلدوهم .

و المراد من الاية ان من فعل ذلك اى الرمى مع زوجته ، و لم تكن له الشهود فشهادته اربعالله تعالى بان يقول : ان الله شاهدعلى صدقي في هذا الرمى ، وانا صادق في قولي بزنائها اربعا ، و فيالمرتبة الخامسة يقول : ان لعنة الله علىّ انكنت كاذبا فيهذا القول (و) فيهذا الرمى ( يدرء عنه العذاب ) و قد حذف بقرينة البعد اى بسبب ذلك يدفع عنه حدالقذف ، فلايضرب الحد عليه .

و ذلك كمال ملاحظة الله عن الازواج ، اذ لايتيسر غالبا الشهود الاربع ، فلو تكلم من باب شدة انصدامه ، و أجرى عليه الحد يكون من أشد الالام ، فمن باب الجمع بين الحقوق قدجعلالله ذلك و مابعده ، فحال هذه الشهادات و تلك اللعنة بمنزلة الشهود الاربع ، الا فيصورة اتيان المرأة بما يجيء .

( و يدرء عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين ) اى سقوط الحدعنهـا في هذه الصورة بان تقول اربعا : ان الله شـاهد بان زوجي من الكاذبين في نسبتي الى الزنا .

وفي الخامسة تقول : (انغضب الله علـّى) ان كان زوجي صادقاً في نسبتي الى الزناء ، فلولم تقم بذلك تتوجه عليها الحد ، والافيسقط عنها ، فقد حصل الجمع بين الحقوق .

وقد ذكرت مكررا : ان بيان مورد النزول لكونه من باب الامور الخارجية يكون ثبوته بالمتواتر المعنوى ، ولايكفي التواتر اللفظي فضلا عن الاخبار الاحاد و لااطمينان لي بما نقل بعضهم ، من شأن النزول في حق بعض الصحابة هنا على الكيفية التي ينقلونه ، ويسمى هذاالمقام بالملاعنة .

وعدم مخالفة الآيات المذكورة هنا مع العقل من الواضحات ، والله الهادى.

قوله تعالى : ﴿ ولولافضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم (١٠) ﴾ ﴿ان الذين جآؤابالافك عصبة منكم لاتحسبوه شرألكم بل هو خيرلكم لكل امرىء﴾ ﴿منهم ماا كتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم (١١) لولا اذ﴾ ﴿سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيراً وقالواهذاافك مبين(١٢) لولا﴾ ﴿جاؤا عليه باربعة شهداء فاذلم يأتوا بالشهداء فاولئك عندالله هم الكاذبون (١٣)﴾ ﴿ولولافضل الله عليكم ورحمته في الدنياو الاخرة لمسكم فيماافضتم فيه عذاب عظيم﴾ ﴿(١٤) اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم و تحسبونه﴾ ﴿هينّا وهو عندالله عظيم (١٥) ولولا اذسمعتموه قلتم مايكون لنا ان نتكلم بهذا﴾ ﴿ سبحـانك هذا بهتان عظيم ( ١٦ ) يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم ﴾ ﴿مؤمنين﴾ (١٧) .

(ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم) اى لبين الحق وعاجل بالعقوبة مـن يستحقها ، فحذف الخبر للقرينة ، والمراد ان الله قد تفضل عليكم

ورحمكم بالستر، وانه قابل التوب ، ومتقن في أفعاله فلا يعجل ، ولولا ماذكر لكشف الامر وتعجل بالعقوبة ، فلو كانت هذه الآية في نسق الآيات التي بعدهـا لكانت مرتبطة بها ومن اجل الافك ، ولولم تكن فهي امر مستقل .

(ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لاتحسبوه شرا لكم) اي الكذب والبهتان الذي صدر من جماعة مـن رجالكم ، اي المؤمنين والعصبة هي الجماعة من الرجال في حقكم لاتحسبوه شرا لكم اي لمن وقع عليه الا فك (بل هو خير لكم) اي لكونه سببا لتحطيط ذنوبكم ( لكل امرء منهم ما اكتسب من الاثم ) اي الاثم حاصل للمفتري والشر يكون له ، فهذه الجماعة لكل منهم اثم الافتراء (والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم) اي من باشر معظم ذلك الافتراء ، وسعى في الاشاعة ، وابتدر من هذه الجماعة له عذاب عظيم .

( لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بـانفسهم خيراً ) اي هـلا ، وهوبمعنى الترغيب اي كان الحسن والمرغوب اليه انكم حين سماعكم بذلك الامر يظن المؤمنون منكم والمؤمنات منكن بانفسهم ـ اي بنوع المؤمنين والمؤمنات ـ خيراً فتحكمون بالافتراء ، وان هذه النسبة الى المؤمنين او المؤمنات في غير المحل (وقالوا هذا افك عظيم) اي كان الحسن والمرغوب اليه ذلك .

(لولا جاؤا عليه باربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون) اي كان الحسن المرغوب اليه ، ان يقولوا ذلك القول بانه لم لم يأتوا هذه العصبة باربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء ففي حكم الله هم الكاذبون ، اي لابد ان يترتب على اقوالهم اثر الكذب .

والظاهر من هذه الآيات بنفسها انه وقعت قضية ، وليست من قبيل الاحكام الابتدائية ، وكذلك الظاهر منها ان انصدامها وهتكها يكون على جماعة بحسب الظاهر ، والله يقول هو خير لكم ، ولايكون شراً لكم ، فان كانت القضية بالنسبة الى الواحد والاثنين لكان السبب بلحاظ الاقارب ، فان الاقارب خصوصاً اقارب

المرأة يتصدمون في نسبة الزنا ، واما بحسب المصداق فلابد من الثبوت من الخارج

( فبعضهم قال ) : هذه الايات واردة في حق نساء النبي ﷺ ونسبة السوء والفاحشة اليهن ( وبعضهم ) نقلوا عن الشيخين ( ١ ) انها واردة في حق عائشة خصوصاً حيث افتروا عليها حيث نامت في الطريق ولم يلتفت السائق وبقيت ، فرآها صفوان وحملها، فحسان ابن ثابت ، وعبدالله ابن ابي ، ومسطح ، وحمنة بنت جحش ، افتروا عليه وبعد زمان ما، شهر أوازيد نزلت الايات ، والمبتدر بذلك والشاهر به هو عبدالله ابن ابي.

(ولولا فضل الله عليكم ورحمته) اي على هذه العصبة (لمسكم فيما افضتم فيه) اي خضتم فيه ( عذاب عظيم اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عندالله عظيم ) اي العلة تكلمكم في نسبة الفاحشة مع عدم علمكم بالصدور ، وتزعمون ان اثمه حقير ، والحال ان اثمه عظيم،فانّ رمي المؤمنات الغافلات بالزنا ، سبب اللعن والعذاب العظيم كما سيجيء عن قريب

( ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم ) اي هلا ، و كان المرغوب اليه حين سماعكم ان تقولوا ليس لنا التكلم في هذا وهو بهتان عظيم.

(يعظكم الله ان تعودوا لمثله) اي ذلك البهتان (ابداً ان كنتم مؤمنين).

وعدم مخالفة تلك الايات مع العقل يكون من الواضحات ، والله الهادي .

قوله تعالى :﴿ويبين الله لكم الايات والله عليم حكيم (١٨) ان الذين﴾ ﴿يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والاخرة﴾ ﴿والله يعلم وانتم لاتعلمون (١٩) ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤف﴾ ﴿رحيم (٢٠) يا ايها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات﴾ ﴿الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى﴾

---

(١) اي مسلم والبخاري .

﴿منكم من احد ابداً ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم (٢١)﴾ .

(ويبين الله لكم الآيـات) اى يوضح الله لكم الحجج على الملكات الحسنة الموجبة للوصول الى الكمالات ، والرادعة عن الملكات الرديئة اذ بحفظ النفس عن نسبة السوء بدون البرهان ، وتحصيل حسن الظن بالمؤمنين والمؤمنات يحصل الالتيام والالفة بين اهل الايمان، وبخلافه يحصل الخلف والشقاق، وهو مورث للنزاع والفساد ، (او) يذكر الله الآيات المتلوة التى سبقت على نحو الوضوح من حيث استفادة الحكم منها ، وهو عالم بالتمام ومتقن فى افعاله فيحب الاتقان

(ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم) اى من يحب اتصاف اهل الايمان بالفاحشة بحسب الظاهر والعلن ، بحيث يرى اتصافهم بذلك، لهم عذاب مولم ، ولو كان بلحاظ ايمانهم فلايبعد الكفر والخلود ، والوجه يكون واضحاً (فى الدنيا والآخرة ) اى فى صورة الاظهار ونسبة الفاحشة ، وهى الزنا باشخاص معينة عليهم الحد اى الحد الدنيوى ، ولكن هذا الحد من الحقوق فلو استدعى صاحب الحق اجرائه يجرى ، وان عفى واسقط يصير ساقطا ، لكونه من حقوق الناس ، فهو عذاب مولم على فرض استدعاء ذى الحق فى الدنيا واما فى الآخرة فهو العذاب الاخروى (والله يعلم وانتم لاتعلمون) اى فـى جعل الحد للقذف وساير الاحكام المذكورة ، فان لها مصالح

(ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤف رحيم) اى لولا الفضل والرحمة عليكم ايتها العصبة لعاجلكم بالعقوبة ، وقد حذف للقرينة

ولفقدى الاسباب لم اعلم ان المراد ان الله اسقط الحد عنهم ، ولو بامر من له الحق فى اسقاط الحق من باب الفضل والرحمة ؟ اواجرى عليهم الحد والزايد عليه مما كان ينبغى قد اسقط عنهم؟ اذ لو كانت القضية متعلّقة بازواج النبى ﷺ اوخصوص عائشة لكان اللائق بمناسبة احترام النبى ﷺ ان تكون العقوبة أزيد مـن سايـر النسوان ، وبمناسبة التفضل على العصبة صار الأمر مثل ساير النسوان

(يا ايها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر) اى لاتطيعوا اقدام الشيطان اى وضع الرجل مقام رجله اى الاطاعة فى افعاله ، ومن تابع محل اقدامه فهو يأمر بالفحشاء اى القبيح العقلى ، والمنكر الشرعى

(ولولا فضل الله عليكم ورحمته ماز كى منكم مـن احد ابداً) اى مـن تلك العصبة اى لايحصل لكم التوفيق لأن تتوبوا (ولكـن الله يزكـى مـن يشآء) اى بالتوفيق للتوبة فيهما اذارأى الصلاح للتوفيق من الاستعداد ، وقد حصل

ومن فسر الجملة الاولى حتى مع التوبة ، وفسر الثانية بالتطهير لمن يشاء ولو بالجزافة ، على ماهو ظاهر كلامه يكون خارجاً من العقليات ، فانقبول التوبة عقلى بعض اقسامه وهـو حصول الملكة بـل مطلقا ، والجزاف ايضا يكون نقصا ، ويستحيل صدوره من الله ( والله سميع) اى يسمع ماذكرتم (عليم) اى يعلم بواطنكم بان الندم قد حصل املا ، وحيث حصل لكم بتوفيقه فزكاكم الله

ومطابقة الآيات المذكورة مع السياسات وعدم مخالفتها للعقل، من الواضحات والله الهادى

قوله تعالى : ﴿ولايأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولى القربى﴾ ﴿والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا الاتحبون انيغفر الله﴾ ﴿لكم والله غفور رحيم (٢٢) ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات﴾ ﴿لعنوا فـى الدنيـا والآخرة ولهم عذاب عظيم (٢٣) يوم تشهد عليهم السنتهم﴾ ﴿وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون(٢٤) يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون﴾ ﴿ان الله هو الحق المبين (٢٥) الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات﴾ ﴿والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق﴾ ﴿كريم (٢٦)﴾

( ولايأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولى القربى والمساكين )

اى لايحلف ولايجوزله الحلف ، او لايصح صاحب الفضل مـن المال والنعمة وسعة الرزق على الترك ، فان الايلاء هو القسم على الترك من الاعطاء لذى القربى والفقراء (والمهاجرين فى سبيل الله ) اى من مكة الى مدينة بسببب الافك فان كان الحلف على الترك واقعا منهم كما ذكروا ان جماعة قد حلفوا على ترك الاعطاء لمن كان من العصبة المذكورة وكانت القرابة حاصلة بين بعضهم كمسطح فانه كان ابن خالة ابى‌بكر، وقد خاض فى هذا الافك فحلف ابوبكر على عدم اعطائه فالمراد من النهى ان الحلف قدانحل ، ولايصح بعد ذلك لصيرورته مرجوحاً ، و ان كانوا قد ارادوا الحلف فالنهى بحاله ، و اما على الاول فالنهى ارشادى اويكون متعلقا بترتيب آثارالحلف

(وليعفوا وليصفحوا) اى يتجاوزوا (الاتحبون ان يغفرالله لكم) اى كل احد منكم له الذنب ومن يحب ان يتجاوزالله منه يتجاوز عن ذنب اخيه حتى يجازيه الله بالعفو (والله غفور رحيم) ، اى كثير الغفران وكثير الرحمة فيحب الغفران والرحمة

(ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم) ان كانت هذه الاية ايضا داخلة فى آيات الافك ، اى القضية الشخصية الواقعة فى زمان النبى ﷺ تكون بمنزلة التعليل للامور السابقة حتى لايلزم‌التكرار وحتى تصح، لكون الجمع غيرالمفرد ، فالمعنى ان الامرالسابق من باب انطباقه تحت ذلك الكلى لامن باب الخصوصية اى من يرمى كل محصنة غافلة مؤمنة يكون ملعوناً فى الدنيا والاخرة وله العذاب العظيم

وان ثبت من الخارج ان العموم غير مراد ، بل المراد نساء النبى ﷺ فالمعنى ان‌تلك القضية الشخصية عظمتها لاجل الانطباق مع زوجات النبى ﷺ لاالخصوصية ، ولاتناسب على الوجهين بين هذا الذيل ، وما دل فى حق العصبة على‌شمول فضل‌الله لهم ورحمته وتزكيتهم، الاان‌يجمع بتقديم‌تلك الاية قبل‌صدور

التوبة منهم ، وحمل ما سبق على بعد صدور التوبة .

وان كانت جملة ابتدائية فيظهر منها ان بهتان الفاحشة على المحصنة الغافلة المؤمنة ، عظيم عندالله ولااختصاص لها بزوجات النبيﷺ او زوجة خاصةولابد من الحمل على صورة عدم التوبة ، والا فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له (١) عقلا وشرعا .

( يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كـانوا يعملون ) اى فى يوم‌القيامة، فان‌الاخرة دارالحيوان فكل‌الاعضاءله العلم ، والادرك ، واللسان‌ويشهد شهادة حضوريةومن‌علم بوقوع شيء فى‌الماضي ورآه فى‌المستقبل فى‌ظرفه السابق وشهد على طبقه ، لاتكون شهادته شهادة الزور ، وعلى كفاية مطلق العلم فالامر أوضح ، واحاطة اهل العالم الاخروى بتمام مـا وقع فى الدنيا قد ذكرنا البرهان عليه ، فكل عضو فى الاخرة محيط بما صدر منه وحاضر عنده .

(يؤمئذ يوفّيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين) اى فى ذلك اليوم يعطيهم الله على نحو التوفية والتمام دينهم اى جزاء ما فعلوا مستوفاة اونفس الاعمال بحركاتها الجوهرية ، كما اقمنا البرهان عليه سابقاويظهرلهم انالله هو الثابت المظهر لحقائق الاشياء .

( الخبيثات للخبيثين ) اى الكلمات الخبيثة اوالاعمال الخبيثة ، لمن كانت ملكاته خبيثه (والخبيثون للخبيثات) اى‌صاحبوا الملكات الخبيثة اعدّوا للكلمات الخبيثة اولا فعالها .

(والطيبات للطيبين) اى الكلمات الطيبة والافعال الطيبة للاشخاص الطيبين بلحاظ الملكات ( والطيبون للطيبات ) اى‌الطيبون بحسب الملكات اعدوا لصدور الافعال الطيبة والكلمات الطيبة اى كل اناء يرشح بما فيه .

فالمتكلم‌بالسوء،والعامل‌للسوء يكشف قوله وعمله عن‌خبث طينته، والمتكلم

(١) اخرجه ابن ماجة تحت رقم (٤٢٥٠) المحجة البيضاء ج٧ص٢٥ .

بالطيب من القول والعامل له يكشف عن حسن طينته .

وتوهم ان المراد كون الخبيثة زوجة الخبيث ، والخبيث زوج الخبيثة ، وهكذا في جانب الطيب ، فسخيف جدا (١) لانه (اما) يكون انشاء (او) اخباراً ، فان كان اخباراً فمستلزم للكذب ، للاختلاف بين الزوجة و الزوج في العالم كثيراً وان كان انشاء تكون تكراراً لاية ( الزانى لاينكح الازانية ) مع كونها منسوخة كما سبق ، وعلى اى حال لايكون ناظراً بحال البقاء ، بل يكون ناظراً بحال الحدوث .

واما الحمل على خصوص قضية الافك ، فهو اسخف ، لعدم كون المفرد جمعا ، في المرئة والرجل كليهما ، وعدم كون احدهما للاخر .

( اولئك مبرؤن مما يقولون ) اى مايقولون في حقهم اى الطيبون من حيث الملكات مبرؤن من نسبة السوء اليهم قولا وعملا وحيث ان القيد هنا لايكون راجعاً الى الجميع يكون راجعاً الى خصوص الاخيرة ( لهم مغفرة ) اى الاخير وهم

---

(١) قيل في معناه اقوال : (احدها) ان الخبيثات من الكلم للخبيثين من الرجال ، والخبيثين من الرجال للخبيثات من الكلم، والطيبات من الكلم للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من الكلم، الاترى انك تسمع الخبيث من الرجل الصالح فتقول : غفرالله لفلان ماهذا من خلقه ، ولاممايقول ، عن ابن عباس ، والضحاك ، ومجاهد ، والحسن .

(والثانى) ان معناه : الخبيثات من السيآت للخبيثين من الرجال ، والخبيثون من الرجال للخبيثات من السيآت ، والطيبات من الحسنات للطيبين من الرجال ، والطيبون من الرجال للطيبات من الحسنات ، عن ابن زيد .

(والثالث) الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء ، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال ، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء، عن ابى مسلم ، والجبائى ، وهوالمروى عن ابى جعفر وابى عبدالله عليهما السلام قالا: هى مثل قوله : الزانى لا ينكح الازانية او مشركة الاية ان اناساً هموا أن يتزوجوا منهن فنهاهم الله عن ذلك وكره ذلك لهم (مجمع البيان ج٤ص١٣٥)

الطيبون ( ورزق كريم ) اى رزق الاخرة او ما يؤدى الى الاخرة .

ومن جميع ما ذكرنا ظهر ان الايات المذكورة على طبق العقل العملى والسياسة ولاتكون مخالفة للعقل البرهانى ، والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿يا ايها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى﴾
﴿ تستأنسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون (٢٧) فان ﴾
﴿لم تجدوا فيها احداً فلاتدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا﴾
﴿هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم (٢٨) ليس عليكم جناح ان تدخلوا﴾
﴿بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون (٢٩) قل﴾
﴿للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير﴾
﴿بما يصنعون (٣٠) و قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن و يحفظن فروجهن﴾
﴿ولايبدين زينتهن الا ما ظهر منها و ليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين﴾
﴿زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن﴾
﴿أواخوانهن اوبنى اخوانهن أوبنى اخواتهن أونسائهن أوما ملكت أيمانهن او﴾
﴿التابعين غير اولى الاربة من الرجال أوالطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾
﴿ولا يضربن بارجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعاً أيه المؤمنون﴾
﴿لعلكم تفلحون (٣١)﴾ .

(يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا) اى تطلبوا الانس معهم بالاستيذان (وتسلموا على أهلها) أى حين الدخول عليهم سلموا عليهم (ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون) أى عدم الدخول الابعد الاذن والسلام حسن لكم وفيه الصلاح وفيه رجاء تذكركم والتفاتكم الى حسن المعاشرة بين الناس وتحصيل اخلاق أهل الجنة .

( فان لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ) أى حتى يجيىء أهلها من الخارج ويأذن لكم، اذ فى الدخول حينئذ بغير الاذن مظنة كشف مالايحب

أهل البيت كشفه ، فيورث الكدورة أو البغض أو النزاع بلحاظ الموارد ، مضافاً الى كون التصرف في ملك الغير بغير اذنه ، أو التصرف في حق الغير بغير اذنه ، غصباً وحراماً لكونه ظلماً .

(وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم) أى لو قال صاحب المنزل لاتدخلوا وارجعوا فلاتدخلوا عليهم ، اذلعله لم ير صلاح نفسه ، أوصلاح المريد للدخول لان يدخل ، فالرجوع موصوف بأنه زكى طاهر ، والظاهر كون افعل هنا وصفيا لاتفضيليا (والله بما تعملون عليم ) أى لاحاطته يعلم بأنك رجعت من غير ابطان بغض أو بطنت البغض فيلزم على الانسان تزكية نفسه ، وعدم أبطانه البغض

(ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتاً غيرمسكونة) أى ليس فيها ساكن (فيها متاع لكم) أى في ذلك البيت شيء لكم ، كبعض الخانات والمنازل الغير المملوكة اذ لاجل أخذ المتاع ، أو ملاحظته لابد ان لايكون فيه الحرج (والله يعلم ماتبدون وما تكتمون) أى عدم دخولكم فيما لم تجدوا فيها أحداً أو دخولكم فيها أو كون الغير المسكون ، لكم فيها متاع أم لا ، أظهرتم الواقع أو أخفيتم ، فالله يعلم ان الصادر عنكم مما لاجناح له ، أو ما فيه البأس والجناح .

(قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) أى لاينظرون ، والمتعلق غير مذكور ومن باب عدم لغوية الخطاب يعلم ان له متعلقا ، فان لم يكن في البين قدر متيقن يقال: ان الحمل على البعض دون البعض ترجيح من غير مرجح ، فلابد من الحمل على العموم، وحيث ان في المقام من حيث الشمول لمطلق الاشياء، (أو) مطلق الحيوان (أو) مطلق الانسان ، مماثلا كان في الذكورية أم لا ، يكون القدر المتيقن موجوداً وهو الانسان الغير المماثل في الذكورية أى النسوان ، فلا يحمل على العموم .

وأما بالنسبة الى كل غير مماثل فلا يكون في البين قدر متيقن ، فيحمل على الجميع من هذه الجهة ، الا ما دل عليه الدليل من المحارم، وان النظر اليها مجوّز ومن المواضع .

ويمكن ان يقال مع كون القدر المتيقن من المواضع، لاعموم للمواضع حتى يحتاج الى المخرج ولعله قوى جداً .

(ويحفظوا فروجهم) اى من الادخال ، ويجيىء هنا أيضاً المطلب السابق ، فان قيل : بالعموم ، فكل مورد مشكوك، من الخضخضة (١) أو اللعب باليد من غير انزال ، أو مع ابعاض جسده، يتمسك بعموم المنع الا مادل عليه الدليل من الجواز ومنه الدخول في محاش ( ٢ ) النساء آو يؤخذ بقدر المتيقن ويرجع المشكوك الى الاصول من البرائة وغيرها .

(ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما تصنعون ) اى حفظ الفرج يكون زكيا

(وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن) اى لاينظرن ، والكلام فيه كالكلام في السابق (ويحفظن فروجهن) اى من ان يدخل شيء فى فرجها ، والكلام فيها ايضا كالسابق والاقوى فى الجميع الرجوع فى المشكوكات الى الحلية لاالحرمة لعدم جواز الأخذ بعموم الحكم مع وجود القدر المتيقن ، فسادخال المرئة بعض اعضائها في فرج نفسها اوغير المساحقة من ادخال اصبع مرأة فى فرج مرأة يرجع فيه الى الاصل ، الا اذا دل خبر على المنع خصوصاً اوعموما لفظيا

(ولا يبدين زينتهن الا ماظهر منها ) اى الوجه والكفين على الاقوى ، مع عدم جعلهما بحيث يورث الريبة (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) اى يلزم عليهن القاء الخمار على صدورهن واعناقهن

(ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن ) اى مواضع الزينة وما يكون فيه الحسن، فيردن اظهار جمالهن باظهار تلك المواضع كالعنق والشعر ـ اى موضعه ـ والاذن ، والذراع ، والبطن ، والساق ، والوجه ، والكفين ، فلا يظهرنها الا لازواجهن او (ابنائهن) اى اولادها الذكور (اوابناء بعولتهن) اى ابناء ازواجهن (اواخوانهن او

(١) الخضخضة بخائين معجمتين وضادين كذلك، هي الاستمناء باليد ـ مجمع البحرين

(٢) المحاش جمع محشة وهي الدبر فكنى بها عن الادبار كما يكنى بالحشوش عن مواضع الغائط ـ مجمع البحرين

بني اخوانهن اوبني اخواتهن) اي اخوانها واولاد اخوانها واولاد اخواتها الذكورين

(اونسائهن) اى نساء المؤمنات ، اما غير المؤمنات فلا يظهرن المواضع المذكورة لها ، ولعل السر اظهار النساء الغير المؤمنات ما رأين لازواجهن فلاجل ذلك وقع النهى

(اوما ملكت ايمانهن) اى كان مملوكا لها و(يحتمل) ان يكون المراد الاماء ، ولو لم تكن مؤمنة اى أماء المؤمنات تجوز للمؤمنات اظهار المحاسن لها وبحسب ظاهر اللفظ يشمل ملك اليمين للعباد ايضا ، ولعله قيّد في الاخبار بالاماء ، اوبالخصى ايضا ، فقيل بالجواز فيه واما العبد الغير الخصى فلزوم الاستتار منه عند الامامية من المسلميات لكون نزاعهم مقصوراً في الخصى ، واما الظاهر من كتب الجماعة من عموم الاستثناء فهو في غاية البعد من حيث الملاك والجهة

ثم لايخفى ان من يجوّز للمرأة اظهار محاسنها له من المذكورين ، يجوز لهم النظر الى تلك النسوة ايضا ، للتلازم في الحكم في مقام الخطاب .

واما جواز نظر الرجال الى غير ذلك ، فقد اخترنا انه من باب قصور دليل الغض وعدم العموم فيه فلو كانت الخنثى المشكل من غير المحارم ، فيجوز عندى نظر الرجال اليها لاجل ما ذكر ، ولا يجوز التمسك في المنع بعموم الغض وانه قد خرج النظر الى المماثل بالدليل من اجماع وغيره ، ويجوز التمسك بالعام في الشبهات المصداقية (١) لقصور العموم ولو كان غير قاصر لقلنا به من باب الوجه المذكور ، فانه المختار عندنا ، وكذلك الكلام في نظر المرأة الى الخنثى

واما جواز اظهار المرأة محاسنها لها فيكون مبنياً على تلك المسئلة وان الخنثى داخلة في المستثنى وهو نسائهن اولا؟ والاقوى لزوم الستر للعموم اللفظى من باب الاستثناء .

(اوالتابعين غير اولى الاربة من الرجل) اى الخدام المحتاجون الى فضلة

---

(١) تعليل لقوله قده : ولا يجوز التمسك الخ

الطعام ، اومطلق المحتاجين الموصوفين بعدم حـاجتهم الى النساء ، لعدم انتشار ذكرهم لها ولعل المناط ذلك والقيد فى مقام الغلبة (اوالطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) اى لم يطّلعوا على حالات الجماع

(ولايضربن بارجلهن ليعلم مايخفين من زينتهن) اى على نحو يسمع صوت الخلخال الذى مشدود على ساقهن ، وهى مجوفات ، وفيها بعض الاشياء الموجبة للاصوات ( وتوبوا الى الله جميعاً ايها المؤمنون ) اى توجهوا الى الله ولا تجعلوا انفسكم معرض الفتن ( لعلكم تفلحون ) اى تفوزون الى الآخرة .

وكون الآيات المذكورة على طبق السياسة ، وحصول الالتيام ، الى آيات الغض ، وكون آيـات الغض موجبة للتحفظ مـن الزنا ، وعدم خلط الانساب ، وغيرموجبة للمنع من المعاملات ايضاً ، لوجود الاستثناء ولعدم مانعية الستر من المعاملات ، كما بينت ذلك فى رسالة مخصوصة ، من الواضحات ، والله الهادى.

قوله تعالى ﴿ و انكحوا الايامى منكم و الصالحين من عبادكم وامائكم ﴾ ﴿ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم (٣٢) وليستعفف الذين ﴾ لايجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله و الذين يبتغون الكتاب مما ملكت ﴾ ﴿ ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذى آتاكم ولا ﴾ ﴿ تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا ومن ﴾ ﴿ يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفوررحيم (٣٣) ولقد انزلنا اليكم آيات ﴾ ﴿بينات ومثلامن الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين (٣٤) ﴾

( وانكحوا الايامى منكم) اى من لازوجة له من الرجال فعلا ، ومن لازوج لها من النساء فعلا ، وهو جمع ايّم ومعناه من لازوج له فعلا سواء كان له فى السابق زوج املا ، ومن لازوجة له كذلك .

( والصالحين من عبادكم وامائكم) اى المؤمن والمؤمنة منهم فزوجوابهم وبهن ( ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ) اى لوكان الباعث على عدم اعطاء

الزوجة الفقريغنهم الله من فضله ( و الله واسع عليم ) اى له سعة المال فيعطى من يشاء ويجعله فى السعة وعالم بانه زوّج متوكلا على الله ويلزم عليه الانفاق فلاجل ذلك ليفيض عليه .

(وليستعفف الذين لايجدون نكاحاً) اى من الزنا وعدم وجدانهم للزوجة لايصير سببا لاقدامهم على الفاحشة (حتى يغنيهم الله من فضله) اى يتحفظوا على انفسهم حتى يغنيهم الله من فضله فياخذ زوجة محللة

(والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيراً) اى العبيد اذا طلبوا منكم ان تكاتبوهم اى تعاهدون معهم ان يأتوا بالمقدار المعين من المال وبعدالاتيان كانو أحراراً بان تجروا معهم الصيغة باى لسان كان: اذا اتيت بالمال المعين فانت حر ، وهم ايضا قبلوا ذلك ، فاذا اتوا فهم يصيرون احراراً ومعتقا (بالفتح) ، وكذلك حال الاماء والتذكير للتغليب ، كاكثر التكاليف الملقاة بحسب ظاهر اللفظ الى الرجال ، والغرض العموم

والمكاتبة على القسمين (مطلقة) وهى ان يجعل العتق فى قبال المال المعين والاجزاء من النصف والثلث وهكذا اىعلى نحو الاشاعة فىقبال البعض ، اىباىّ مقداراتى من مال الكتابة يحصل العتق (ومشروطة) وهى الموقوفة على الاتيان بتمام المال

(فكاتبوهم) اى هذا امر مندوب مرغوب اليه

(ان علمتم فيهم خيراً) اى ان لهم القدرة على تحصيل الخيراى المال ، لاداء مال المكاتبة

(و آتوهم من مال الله الذى آتاكم) اى اعطوهم مالاًيكون سببا لادائهم مال الكتابة بان يجعلوه رأس المال وهذا الامر كالسابق امرندبى ، ومن الاعطاء رفع اليد عن بعض مال الكتابة

( ولا تكرهـوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا ) اى مع ارادتهن لحفظ الفروج من الزنا وهذا الشرط سيق لتحقق الموضوع كقولهم : ان يركب

فلان فخذر كـابه ، اوان آتـاك الله ولداً فاختنه ، فلامفهوم للشرطية هنا وامثاله ، فليس المعنى جواز الاكراه مع عدم ارادتهن للحفظ ، اذالاكراه هنا لامعنى له ، فان الاكراه هو البعث على ما لا يريده فاعل الفعل ، و مع البعث و حصول الالتفات لهن ـ اى الاماء ـ ان لميردن التحصن لايتحقق الاكراه ، و الغرض ان المرأة مع ضعفهاو كثرة شهوتها و كونها امة فلاتلاحظ الشأن اذاارادت حفظ نفسها عن الزنا ، فالمولى احق له انلايبعثها على الزنا .

وقد ذكر بعض ان عبدالله ابن ابيّ كان له اماء ، وهويجبرهن ان يزنين حتى يأخذ اجورها فمنع الله من ذلك ( لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا ) اى لان تطلبوا بهذا الاكراه متاع الحيوة الدنيوية ، اى اخذ الاجرة ( ومن يكرههن ) اى عليه وزرذلك الزنا لاعلى الاماء ، فحذف الجواب ، وفاء الجواب دخل فى العلة ، والعلة قامت مقام الجزاء ، والعلة (فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم ) اى لهذه الاماء فيغفر الله ذنوبهن اى السابقة ، و الا فهذا المطلب ليس به بأس لهن ويرحم عليهن اى فيالمستقبل ولعل المراد تخليصهن منيدهذاالمولى .

(ولقدانزلنـا اليكم آيـات بينـات) اى واضحات الدلالة اوكونها حججاً واضحة لاتقانها ، و عدم الامكان للاتيان بمثلها ، فتكون حججاً عقلية ( و مثلا من الذين خلوا من قبلكم ) اى انزلنـا اليكم فى القرآن مثلا من القرون السابقة كما مضى من قصة صاحب البستان ، وقصة اصحابالكهف وغيرها .

و توهم ان المراد مثل السابقين فى تلك السورة ، ليس فى محله ، اذ لم يضرب الله مثل السابقين منحيث السابقين ، فان آيات النور تكون مثلا ولكنها للجميع من السابقين واللاحقين علىنهج واحد ، واما آية الاستخلاف ففيهاالوعد للمؤمنين باستخلافهم الارض كمـااستخلف السابقين و الظاهر عدم صدق المثل علىذلك .

(وما قيل) ان المراد وقوع مثل مـّا فى السابق وان قصة عائشة وحفصة كقصة

مريم عليها السلام ويوسف عليه السلام فالمراد ذلك (لعل) في غير محله اذ أخبر الله بانه انزل المثل من السابقين ، فان كان مراده ذلك يلزم ان يكون اصل القضية اوالافك نازلا من الله ، اذهما مثل السابق وهوغير صحيح ، مع ان ذكر نظير للشيء من غير الاشارة الى الشيء لايكون مثلا للشيء، بفتح الثاء (وموعظة للمتقين) اى لاهل التقوى من حد الزنا ، وحدالقذف و كيفية الدخول على الغير وغيرها مما ذكر في تلك السورة وسايرماذكر في سور أخر .

و كون الايات المذكورة مبتنيا على كمال المواساات و الملاحظات لحال الضعفاء و الارشاد الى الخير و الردع عن السوء مما لايخفى ، فعدم مخالفتها مع العقل من الواضحات ، والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿الله نورالسموات والارض مثل نوره كمشكوة فيهامصباح﴾ ﴿المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة﴾ ﴿زيتونة لاشرقية و لا غربية يكادزيتها يضيىء ولولم تمسسه نارنورعلى على نور﴾ ﴿يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكلشيء عليم (٣٥)﴾ ﴿في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكرفيها اسمه يسبح له فيها بالغدووالاصال (٣٦)﴾ ﴿رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكرالله واقام الصلوة وايتاء الزكوة يخافون﴾ ﴿يوماً تتقلب فيه ألقلوب والابصار (٣٧) ليجزيهم الله احسن ماعملوا ويزيدهم من﴾ ﴿فضله والله يرزق من يشاء بغيرحساب (٣٨) والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة﴾ ﴿يحسبه الظمآن ماءاً حتى اذاجائه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفيه حسابه والله﴾ ﴿سريع الحساب (٣٩) او كظلمات في بحر لجى يغشيه موج من فوقه موج من﴾ ﴿فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذااخرج يده لم يكديرها ومن لم يجعل﴾ ﴿الله له نوراً فماله من نور(٤٠)﴾ .

(الله نور السموات والارض) اعلم ان النور اسم لكل ظاهر بذاته ومظهر لغيره وحيث ان النور العرضى العارض على الاجسام يكون كذلك وهو بمرئى

للناس ، يظنون ان لفظ النور موضوع بازائه فقط

واما اهل التحقيق ، فيدرون ان الموضوع له هو الظاهر بذاته المظهر لغيره، فالوجود نور لكونه ظاهراً بذاته ومظهراً لغيره فـان غيره ( اما ) المهيات (واما) الاعدام، والمهيات هي حدود الوجود ، فبالوجود ظهرت ، والاعـدام راسمهـا الوجودات ، فان المعدوم المطلق لايشار اليه، والوجود الذهني ايضا وجود، والعلم والهداية ايضا من اقسام الوجود ، فالعلم نور ، والهداية نور.

وحينئذ فالنور الحقيقي ونور الا نوار هو الله تعالى والباقي اشعة له

(وحيث) ان الظهور بالذات لايكون الملحوظ فيه الغير ، واما المظهر للغير يكون الملحوظ فيه الغير ( فنقول ) : ان المعنى، الله ظاهر بذاته المظهر للسموات والارض اى العاليات والسافل، اوخصوص السموات الجسمية والارض التي نشاهدها فلا نحتاج الى المجاز وكون (١) النور بمعنى المنور اى منور السموات والارض

وعلى الفرض فالمراد انه منورهما بالوجود وموجودهما ، لاان الله منورهما بسبب خلق الشمس والقمر وكونهما منورين، اذ على هذا يكون المنور هو الشمس والقمر ، والله سبب المنور و من جعل المعنى ذلك ( ٢ ) لايلتفت الى العقليات ولاحظ له فيها

والى ماذكرنا يشير ماورد: ان المعنى ان الله هادلاهل السموات والارض، اذأهل السموات مطلق العاليات ، وأهل الارض ماله ظلمة البدن واعطاء الوجود السائر الـى الله اى الخارج مـن النقص الـى الكمال هو الهداية ، فالايجاد هـو الاهداء والالقاء على الصراط المستقيم ، الا ان ابويه يهو ّد انه في اهل الارض

( مثل نوره كمشكوة فيها مصباح ) اى مثل نـوره الفعلي ، اذ الذات نور ، والتجليات الصفاتية نور والتجلي الفعلي ايضا نـور ، فـالوجود كالنور ، والنور

---

(١) يعني لانحتاج الى جعل النور بمعنى المنور

(٢) يعني قال : ان الله منورهما بسبب خلق الشمس والقمر

كالوجودله مراتب ، ومثل النور الفعلي في الشدة على هذا النحو ، بان تكون هنا كوّة في الجدار ، اي الثقبة الغير النافذة ، والطاقة الغير النافذة ، وكان في هذه المشكوة اى الكوة والطاقة مصباح اى شيء مشتعل كالفتيلة (و) كان ذلك ( المصباح ) اى ما يصبح به اى الشيء المشتعل (في زجاجة ) اى البلورة الصافية (الزجاجة كانها كوكب درى) اى كـانت تلك الزجاجة والبلورة في الصفاء كالكوكب السماوى المتلألأ الدافع للظلام ـ على قراءة الدال بالكسر ـ او كاللؤلؤ في الصفاء ـ على قراءة الدال بالضم ـ .

(توقد من شجرة مباركة زيتونة) اى تلك الزجاجة بناء ـ على قراءة المضارع مع التاء الفوقانية ـ (او) توقد من شجرة مباركة اى ذلك المصباح ـ بناء على قراءة الماضي مع التاء الفوقانية ـ (او) يوقد من شجرة مباركة اى المصباح ـ بناء على قراءة المضارع مع الياء التحتانية ـ والمراد ان دهن ذلك المصباح او الزجاجة التي في الكوة، دهن مافيها من المصباح من شجرة تكون محل البركة اى الشجرة الزيتونة .

(لاشرقية ولاغربية) اى لاتكون تلك الشجرة في سمت المشرق ، فلاتشرق عليها الشمس في طرف الصبح ، ولا في سمت المغرب حتى لاتشرق الشمس في طرف العصر ، بل في الوسط حتى تشرق عليها الشمس دائماً اذهي حينئذ تكون ثمرته اعلى واحسن ( او ) لا تكون في البلاد الشرقية ولاالغربية ، بل في الوسط كالشامات ، فان هذه الشجرة فيها احسن .

(تكاد زيتها يضيىء ولولم تمسسه نار) اى اعداده للاشتعال بحيث يقرب ان لايحتاج الى النار ( نور على نور ) اى نور فوق نور ، والمراد ان المصباح اذا كان في محلّ صغير يشتدّ نوره ، فانّ في الصحراء الوسيع يكون نور سراج واحد ضعيفاً ، وفي البيت يصير أشد وفي القبة أشد منه ، وفي الكوة اشد منهما بالضرورة .

فاذا كان المصباح في الزجاجة الصافية يشتد نور المصباح ، واذا كان دهنه من الزيت يكون اشد من سايرالادهان ، واذا كان زيته من اقسام الشجرةالمتوسطة يزداد شدة، فنور الزجاجة ، ونور صفائها، ونور ذلك الدهن ، ونور الخصوصية ونور الاجتماع على المحل الضيق المرتفع ، نور فوق نور.

( يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس ) اى الله يهدى لهذا النور الشديد من يعلم بصلاح هدايته ، و هذا المطلب مثل ، و الله يضرب الامثال للناس اى لهدايتهم وتفهيمهم و حيث انذلك المطلب من الامثال حتى يفهم الناس فقد فهم كل من اهل التحقيق من هذه الاية مطالب بينوها.

وحيث انى فاقد لتمام الاسباب وفاقد لكتب الاخبار والتفاسيروكلمات اهل الله واهل التحقيق ، فنقتصر على الاشارة الاجمالية .

واقول: حيث ان العالم الصغير- وهوالانسان- والعالمالكبيرمتطابقانفالتطبيق علىالعالم الصغير يمكن انيكون علىهذا النحو ، بان تكون الافعال الصادرة عن المؤمن ، وآثارالملكات القائمة بالنفس ، هي المشكوة ، فان نورانيتها ووقوعها مورداً للمتابعة ، ومشاهدة الناس اياها ،كالنور المشرق على الكوة حيث ان نفس النور مشتدة في الكوة ، والزجاجة والبلورة الصافية المتلالئة كالكوكب الدافع للظلام ، (او)كاللؤلؤة المخرجة عن البحرفياللمعان واللطافة، هي صدر المؤمن

فان الصدر اول درجة الباطن ، وهو المتوجه الى تحريك العضلات ، والى صدور الاثار من الملكات ، وهو الذى يكون فى المؤمن منشرحاً وفي غيره ضيقا حرجاً فالصدر بأى درجة تترقي تشتد العبادات خلوصاً والملكات تزداد آثارها لان نورانية الصدر قد تجاوزت منه ، ووقعت اشعتها على الافعال وآثار الملكات .

(والمصباح) الذى فيالزجاجة - وهى الفتيلة المشتعلة التيهى منشأالنور- (هو قلب المؤمن) فان القلب بعد الصدر ، وهو الذى يشتعل بنار المحبة للمؤمن،

وهو الذى فى الاضطراب والتقلب ويأخذ من العالى ويفيض الى السافل ،كما ان الفتيلة المشتعلة يفاض عليهاالمدد من الدهن واشتعالها حدوثاوبقاءاً بلحاظ الدهن، ونور اشتعالها يصل الى الزجاجة ، ومن الزجاجة الى المشكوة ،كما ان حرارة المحبة الحاصلة فى القلب ، تتعدى الى الصدر ، اى المرتبة النازلة من القلب ، المتوجهة الى تحريك العضلات .

(والشجرة) المباركة الزيتونة (هى النفس) العالية التى خرجت من عالم الاجسام ، فلا تكون شرقية ولا غربية ، واثمارها وادهانها هى الحقائق العلمية والايمانيه المتحدة معها، اذاالعلم سعة النفس ومن مقولة الوجود، وليس من مقولة المهيات حتى يكون كيفاً نفسانيا، أو انفعالا للنفس ، من العقل الفعال ، (او) فعل العقل الفعال الحاصل فى النفس (او) الاضافة .

وقد وصل العلم والايمان فى اشتداد الحرارة الكامنة فيه الى درجة تقرب ان زيتها تفيض النور ، ولولم تمسسها حرارة الجذبات والتجليات .

وهذه المراتب اسباب للنور فوق النور .

واما مع العالم الكبير ، فتمام عالم الاجسام ، مشكوة .

( وعالم المثال ) المسمى بالملكوت والبرزخ والخيال المنفصل ( هى الزجاجة) ولذا فيها عكوس عالم الاظلة اى الاجسام والاجساد وصفاء عالم الاخرة واشراقها .

(وعالم العقل) والجبروت (هوالمصباح) اى الفتيلة المشتعلة التى حرارتها واشراقها تصل الى الزجاجة ، ومنهاالى عالم الملك ، وهوبمنزلة القلب من العالم الكبير .

(والشجرة المباركة) الزيتونة (هو الوجود) المنبسط وهى المشية الكاملة ، وهى الولاية المطلقة وهوالحق المخلوق به ، فليست بشرقية ولاغربية، بل المحيط بالكل ، ومنه قد صدر المشرق والمغرب وسايرالاشياء ، وتكاد توجهها الى الرب

المتعال تفيض النور (ولولم تمسسه نار) اى تجلى الصفات ، وهذه الانوار بعضها فوق بعض ، والعدد بحسب الاصول بهذا المقدار ، والا فلكل مرتبة مراتب كثيرة كما لايخفى .

وان قلنا بكون الولى المطلق وهو وجود على اميرالمؤمنين عليه السلام هى فى مرتبة المشية ، فهو الشجرة التى ليست بشرقية ولا غربية كما سبق ، وهى الشجرة الخليلية عليه السلام وليست يهودية ولانصرانية .

وان قلنا بكونه فى مرتبة الواحدية ، والتجلى للذات فى مرتبة الصفات ، كما قال عليه السلام فى حق ابن عمه خاتم الانبياء صلى الله عليه وآله : ان روحه نسخة الاحدية فى اللاهوت وقال رسوله صلى الله عليه وآله انا وعلى من نور واحد فمرتبته صلى الله عليه وآله (١) ومرتبة ابن عمه عليه السلام ومرتبة الائمة من ولده عليهم السلام ومرتبة المهدى عليه السلام فهو المفيض على الشجرة المباركة والمكلم فيها.

فالمهدى عليه السلام فى العالم الكبير اذا ظهر يظهر العدل المطلق ، وترتفع الشرقية والغربية ، وتصير الاديان ديناً واحداً ، ( واشرقت الارض بنور ربها ) (٢) واضائة المصابيح والمنصوبين من قبلها ، الكواكب الدرية ، فكل واحد زجاجة صافية للاشراق على مشكوة الكائنات .

وفى العالم الصغير اذا اتصل حبل واحد من اهل السلوك الى نفس المهدى عليه السلام من دون واسطة يظهر العدل المطلق فى افعاله وصفاته وملكاته ويتجلى الله له، ولذا قال قائلهم بالفارسية :

كرد سرافيل عشق درحرم‌دل‌ظهور قدزميان برفراشت رايت الله نور

---

(١) اورد السيد الجليل المتتبع الخبير السيد هاشم البحرانى فى غاية المرام تسعة عشر حديثاً من طريق العامة واربعة عشر حديثاً من طريق الخاصة فى هذا المعنى فلاحظ ص٣ ـ ٥ منه .

(٢) الزمر ـ ٦٩

اى تجلى اسرافيل العشق فـى القلب وظهر فيه فقامت راية (الله نور) لذلك القلب اى تحقق فى هذاالشخص تمام مراتب تلك الاية فوصلت الشجرة النفسانية له الى درجة الاعتدال فخرجت من الشرقية والغربية .

وحقيقة سيدة النساء الصديقة الطاهرة سلام‌الله‌عليها فى العالم الكبير حقيقة والدها وبعلها وبنوها ففاطمة سلام‌الله‌عليها ، هى الشجرة ، اوفوق الشجرة ومرتبة الزجاجية من بعض مراتبها النازلة ، فجعلها سلام‌الله‌عليها من المنطبقة على‌الزجاجة غفلة ، او بلحاظ بعض مراتبها النازلة

(والله بكل‌شيء عليم) اى بالعلم‌الحضورى الاحاطى فتمام‌الانوار المذكورة من اشعته ورشحاته

(فى‌بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه) قال بعضهم بكون المتعلق هو لفظ (يسبح) اى يسبح الله رجال فى بيوت ، (ويحتمل) كونه متعلقا بلفظ ( توقد ) بان‌كان المراد توقد تلك الزجاجة اويوقد ذلك المصباح فى‌بيوت الخ (او) متعلقا بلفظ (مباركة) اى الوقد من شجرة مباركة في بيوت الخ

ثم بين الله حال تلك البيوت بانه يسبح فيها الرجال فيعلم ان تلك الرجال هى الامثال ، وبيوتهم بيوت‌الله ومحل تجلى انوار لله ، فاذن‌الله برفعها فـى الذكر والمرتبة (ويذكر فيها اسمه) اى يلتفت الى اسم‌الله الحقيقى اى الفانين فـى الله ، والمراد بالاذن‌هوالاذن‌التكوينى‌واماالذكراللفظى فجوازه‌تشريعاً عام‌فى‌تمام الامكنة

(يسبح له فيها بالغدو والاصال‌رجال) اى ينزهون الله ويصلّون فـى الصبح والعصر رجال (لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكرالله) اى لايمنعهم ولا يصدهم عـن ذكرالله والتوجه اليه (واقام الصلوة وايتاء الزكوة) اى اقامة الصلوةواعطاء الزكوة وقد ظهر سابقا ان الاول بلحاظ الجمال والثانى بلحاظ الجلال

(يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار) مـن قصور التجليات لهم وعدم شمولها بالكمال عليهم او مـن باب الترحم على اهل المعصية اومـن شدة الهيبة

والسطوة (ليجزيهم‌الله احسن ماعملوا) اى بالحركة الجوهرية ، اوبالمجازات كمامر(ويزيدهم من فضله) اى لحصول استعداد التفضل لهم (والله يرزق من يشاء) اى رزقامناسبا له (بغير حساب) اى‌بغير الحد ، فان التجليات غير متناهية ، وكذلك النعماء لعدم الانقطاع فى الاخرة لمقام الخلود وعدم الفناء

(والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة (١) يحسبه الظمأن مآء) اى اعمال الكافرين غيرصادرة عن العلم المطابق للواقع اى عباداتهم وافعالهم الخيرية ، بل ناشئة عن الجهالات‌المركبة ، فلها صورة المعلومية والصدور عن العلم، ولاواقع لها مثل السراب الواقعة فى بعض القاعات والصحارى حيث ان من باب ملوحة الارض وشعاع الشمس يرى كالماء المواج ولايكون ماء ويحسبه العطشان انه‌الماء واعمال الكفار حيث لاتكون‌لله ، بل الباعث عليها الشيطان ، فلا نور حقيقى لها (وبعبارة اوضح) العلم ماء ، وبه الحيوة الاخروية كما ذكرنا ، وصاحب العقايد الفاسدة لاحيوة له فى الاخرة ولايموت ، فافعاله ليست مفيدة للحيوة الطيبة لعدم خلوصها‌لله ، ففائدة الماء التى هى الحيوة لاتترتب على اعماله بخلاف الاعمال الصادرة عن المؤمن ، فانهاماء وسبب الحيوة الطيبة ، بل لماذكرنا من‌الحركات، وانها تتحدمع النفس لصيرورتها ملكات هى نفس الحيوة السارية واعمال الكفار للشباهة الصورية ترى ماء وليست بماء حقيقى

(حتى اذا جاءه لم يجده شيئا) لان السراب بسبب قرب الانسان يلقى من تلك المقابلة فلا شعاع‌له للقريب ، وكذلك هذه الاعمال اذاقرب بها احد، واحاط بكنهها ، وهومعنى المجيىء اليها لم‌يجدها شيئا خيراً لصدورها عن الشيطنة ، فهى الاثام والاوزار ، لاالعبادات والخيرات

( ووجدالله عنده ) اى عند ذلك السراب لاحاطته ، فيعلم ان الله كان دائما

(١) القيعة بالكسر والقاع بمعنى واحد وهو المستوى من‌الارض ويقال : قيعة جمع قاع وجمع القاع اقوع واقواع وقيعان (مجمع‌البحرين)

عالماًلعدمالواقعية لذلك السراب وتلك الاعمال ، اذالقريب يلتفت الى عدم الواقع والله اقرب من كل شيء الى كل شيء (فوفيه حسابه) اى الله يعطيه جزائه مستوفاة فيعطيه حينئذ جزاء من لم يعبدالله طرفة عين ابداً ، ولم يصدر منه الخير وعمل بالسيئات واعتقد بالعقائد الفاسدة ( والله سريع الحساب) لاحاطته وعدم كون افعاله فى صقع الزمان

( او كظلمات فى بحر لجى ) اى البحر العميق ( يغشاه ) اى موج ماءالبحر موجه وهذه الظلمة الاولى من فوقه ( موج ) اى من المحل الاخر جاء الموج الاخر ، وتراكم مع ذلك الموج وهذه الظلمة الثانية ( من فوقه سحاب ) اى المانع من نور الشمس وهى الظلمة الثالثة (ظلمات بعضها فوق بعض) .

فالموج الاول فوق الماء ، والموج الثانى فوق الموج الاول ، والسحاب فوق الموج الثانى ( اذا اخرج يده لم يكد يراها ) اى يدها لاشتداد الظلمة .

فحقيقة ذات الكافر هو البحر اللجى ، فان حقيقة الانسان مطلقا هى للطافة السيارة فمن حيث الترقى الى السعادة لـه العمق الحسن ، ومن حيث النزول الى الشقاوة ، له العمق القبيح .

والموج الاول هوافعاله ، والموج الثانى أخلاقه وملكاته الردية، والسحاب الحاجب من نور الشمس هى عقائده الفاسدة المانعة من اشراق نور الهداية والاشراق ، فتراكم هذه الظلمات بمثابة لايعرف نفسه الصادرة منها تلك الامور .

(ومن لم يجعل الله له نوراً) اى نورالتوفيق (فما له من نور) اى نور الاعمال والملكات والعقائد .

وقد ظهر ممـا ذكرنا كون الايـات المذكورة على طبق البرهان وفوق البراهين العقلية ، بل يمكن استفادة الحقائق الكثيرة العالية من تلك الايات ، وانه لم يصل الينا الا الرشحة الصغيرة من البحار الكثيرة العظيمة والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿الم تر ان الله يسبح له من فى السموات والارض والطير﴾ ﴿صافات كل قد علم صلوته و تسبيحه والله عليم بمـا يفعلون (٤١) ولله ملك﴾ ﴿السموات والارض والى الله المصير(٤٢) الم تران الله يزجى سحابـا ثم يؤلف﴾

﴿بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها﴾
﴿من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار(٤٣)﴾
﴿يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار(٤٤) والله خلق كل دابة﴾
﴿من مآء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي﴾
﴿على اربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير(٤٥)﴾ .

(الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات ) ى ألم تشاهد وقد ذكرنا ان العدول عن العلم الى الرؤية مع كونها من المسموعات اى تسبيح تلك الاشياء بحسب الغالب والانتقال اليهـا بالرؤية البصرية يكون قليلا للدلالة على العلم العياني الحضوري بالنسبة الى النبي لكونه ﷺ اماماً ووليا، فالكل مرتبط به وتحت لوائه في التكوين ايضا .

وهذا الخطاب لانتقال الناس الى العلم الحضوري له ﷺ، بان كل من في العاليات ــ من السموات الجسمية والاعلى منها ـ وكل من في الارض ، وكل من في الوسط بين السماء والارض او بين العالي والسافل ـ وهي الطيور في حالة الصف اى انبساط اجنحتهن من ذوى العقول وغيرها بالنسبة الى من في الارض الجسماني والهواء للتغليب ، فالملائكة الارضية ومؤمنوا الجن ايضـا داخلة في الطير بالمعنى العام ، اى ما يطير في الهواء ـ لها (١) التسبيح لله .

فان كلا منها تظهر خضوعها لله تعالى، ومعنى الخضوع كون الله أعلى منه فمنزه من النقص الحاصل في ذلك الشيىء ، والدلالة التكوينية ايضا تكون حاصلة اذ كل معلول يدل على ان علّته أعلى منه فهي منزهة عن حد المعلول ، والاختصاص بحال الصف ، لعله لاجل ان التسبيح من شئون الجلال والدلالة على القدرة في حال الصف اظهر .

(كل قد علمَ صلاته وتسبيحه) اى الله يعلم بصلوة الكل وحضورهم بين يدى

(١) قوله : (لها التسبيح لله) خبر لقوله قده : من في العاليات الخ .

الله مرتبطين بجماله كما سبق في باب الصلوة انها من شئون الجمال ، وتسبيح الكل وتنزيههم الذى هو من شئون الجلال كما سبق ( والله عليم بما يفعلون ) اى من عبادة وغيرها .

( ولله ملك السموات والارض ) اى السلطنة لكون الكل روابط قائمات به (والى الله المصير) اى الرجوع فان الابصار تصير حديدة ، فتدرك الرجوع اليه تعالى .

(الم تر ان الله يزجى سحابا) اى يسوقه بالملائمة ( ثم يؤلف بينه ) اى بين القطعات فيجعلها واحدة ( ثم يجعله ركاماً ) اى سحاباً متصلا بسحاب كالطابقات (فترى الودق) اى المطر (يخرج من خلاله) اى الخلل والفرج الحاصلة للسحاب (وينزل من السماء) اى السحاب ولعلوه يكون سماءاً ( من جبال فيها من برد) اى من الجبال الحاصلة في السماء اى السحاب اذ جبل السحاب من سنخ السحاب .

فاذا صارت القطعات بعضها مرتفعة عظيمة متصلة على شكل الجبال الارضية ، فهي الجبال السحبية ينزل البرد ، لانه اذا حصلت البرودة هناك اى في السحب يحصل البرد .

(فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء) اى يوقع بسبب ذلك البرد المصيبة و الانصدام لمن يشاء ، و يصرف الموجب للانصدام عمن يشاء ، وقد سبق الكلام في حقيقة المشية ، وانها العلم بالصلاح ، وليست فيها الجزافة .

( يكاد سنابرقه يذهب الابصار ) اى يقرب ان سناء برقه ونوره وضيائه من الشدة، يصير سببا لذهاب الابصار من شدة السنائية والنورية (يقلب الله الليل والنهار) اى بالظلمة والنور والطول والقصر كما سبق في ايلاجها .

( ان في ذلك لعبرة لاولى الابصار ) اى في جميع ما ترى من حصول الفعليات بعد الاستعدادات ، او خصوص الاخير يكون اعتباراً عقلياً على الصفات الكمالية الالهية ونفي النقائص عنه، للزوم انتهاء كل متحرك الى محرك غير متحرك،

كما سبق مكرراً ، وهو الواجد المحض ، اذ لاجهة للنقص فيه ، والا كان متحركا وهو خلف .

( والله خلق كل دابة من ماء ) اى كل ما يدّب فى الارض ، اما الحيوانات الكبار والانسان فواضح ، لكونها من الماء الدافق ، واما غيرها فلاجل الرطوبات والمياه اللزجة .

(فمنهم من يمشي على بطنه) كالحيات (ومنهم من يمشى على رجلين) كالانسان والطيور ( ومنهم من يمشى على اربع ) كالبهائم والسباع والدواب (يخلق الله مايشآء) اى مايعلم بصلاح وجوده من غير تلك الاقسام (ان الله على كل شيء قدير) اى، لكونه وجوداً محضاً وواجداً للجميع.

وعدم مخالفة الايات المذكورة مع العقل وكونها محسوسة بعضها ، وبعضها الاخر معقولة ممالايخفى ، والله الهادى

قوله تعالى : ﴿لقد انزلنا آيات مبينات والله يهدى من يشاء الى صراط﴾ ﴿مستقيم (٤٦) ويقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم من﴾ ﴿بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين (٤٧) واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم﴾ ﴿اذا فريق منهم معرضون(٤٨) وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين (٤٩) فى﴾ ﴿قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل اولئك هم﴾ ﴿الظالمون(٥٠) انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم﴾ ﴿ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون (٥١) ومن يطع الله ورسوله﴾ ﴿ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون ( ٥٢ ) واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن﴾ ﴿امرتهم ليخرجن قل لاتقسموا طاعة معروفة ان الله خبير بما تعملون (٥٣)﴾ .

( لقد انزلنا آيات مبينات ) اى آيات كاشفات عن المطالب العقلية ، بل فوقها من المطالب الشهودية العيانية لاهل السلوك ، وهذا الاعلان من قبله تعالى حث وترغيب على التعمق والتفكر فى الايات المذكورة من آية النور الى هنا ، والرجوع

الى أهل الكمـال ، على فرض عدم استكشاف المطالب له اذ الله اخبر بكونهـا مبينات .

ولولم تكن تلك المطالب في غاية العلو ، لما انبأ الله بكونها مبينات، اذفرق بين البينات والمبينات (والاول) يمكن ان تكون بلحاظ وضوح الدلالة، اوبمعنى الحجج والقاطع للعذر ، لعدم الامكان باتيان مثلها من باب الصورة والفصاحة والبلاغة (والثانى) ليس الا بلحاظ الكشف عن المعنى ، وحيث ان كل كلام كاشف عن مطلب ومقصد ولااختصاص بهذه الآيات ، فلابد ان تكون المعانى العالية هى المراد فى هذا المقام وهو كذلك .

( والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ) وهذا الكلام هنا يدل على كون المستكشف من الآيات السابقة هو الصراط المستقيم ، فمن تأمل ووصل ، فقدهداه الله الى الصراط المستقيم بالمشية والامر كذلك، فان تمام الايمان والكفر،والطريق الى الوصول الى الحق ، والفرار من الباطل،يكون حاصلا من التعمق فى المطالب السابقة التى ذكرناها فى آية النور وبعدها .

( ويقولون آمنا بالله وبالرسول و اطعنا ثم يتولى فريق منهم ) اى يدبر ولايطيع (وما اولئك بالمؤمنين) اى فى الحقيقة ونفس الامر وهم المنافقون .

( واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون ) اى اذا قيل لهم : تعالوا الى اجراء حكم الله فيكم من الفصل بين المتخاصمين منكم يعرضون بعضهم .

(وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين) اى لو كان الحق نافعالهم بان كانوا تابعين لـه فيؤثر فيهم المصالح الحاصلة للافعال الخيرية ، لتوجهوا الـى الحق ويأتون عند الدعوة حالكونهم مذعنين به وباحكامه (أفى قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم) اى فعل هذه الاشخاص لايخلو من احد الثلاثة على منع الخلو منها ، فالاستفهام تقريعى ، اوتقريرى

وهذه الامور (احدها) مرض الكفر ، وهو الجزم ببطلان الداعي وهو النبي ﷺ والله المتعال (ثانيها) الترديد ، وحصول الريبة والشك لهم في الحق (ثالثها) الجزم بـالله ورسوله وعدم الاطلاع على لزوم الصفات الكمالية في الله ورسوله ، فيحتملون في حقها الجور والحيف في الحكم ، وترجيح احد المتخاصمين على الآخر بالميل

( بل اولئك هـم الظالمون ) اى جميع الثلاثة باطل بالبراهين العقلية كما مضت واقيم البرهان على الكل فلفظ (لا) قدحذف اى لايكون الامر كذلك ، بل هذه الاشخاص هم الظالمون المتعدون عن حدودهم ، فلا يطيعون الله (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا) اى اهل الايمان لعدم خوفهم من الحيف اذا دعوا الى الله ورسوله للحكم بينهم ، يقولون على السمع والطاعة (واولئك هم المفلحون) اى الفائزون

(ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون) اى من اطاع الله والرسول وسطوة الله ، قد غلبت عليه فحصلت له الخشية ويتوكل على الله ، ويجعله ملاذاً وواقياً له من المكروهات فهم الواصلون الى الفوز والفلاح والسعادة

وتصح قراءة الهاء بالسكون وكسر القاف بعد حذف الياء ، لان القاف كان مكسوراً والهاء ايضا مكسوراً ، و اظهار كسرهما يوجب الثقل ، فيسكن الهاء لرفع الثقل ، كما ان القرائة الاخرى ، وهو سكون القاف ، وكسر الهاء ، تكون صحيحة باسكان القاف ، فرفع الثقل على اللسان يحصل باحد الامرين فيجوز كل منهما (واقسموا بالله جهد ايمانهم ، لئن امرتهم ليخرجن ) اى يحلفون لـك بالحلف الشديد على اطاعتك ، حيث امرتهم للجهاد (قل لاتقسموا طاعة معروفة) اى اظهر لهم ان لاتحلفوا ، والطاعة المعروفة خير من هذا الحلف ، وحذف الخبر للقرينة اى مجرد القول لاحسن فيه ، بل العمل فيه الحسن والاطاعة الفعلية (ان الله خبير بما تعملون) اى تجزيكم كما سبق

وعدم مخالفة تلك الآيات مع العقل من الواضحات والله الهادى

قوله تعالى: ﴿قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ماحمل﴾
﴿وعليكم ماحملتم وان تطيعوه تهتدوا وما على الرسول الا البلاغ المبين (٥٤)﴾
﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف﴾
﴿الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم﴾
﴿أمناً يعبدونني لايشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون (٥٥)﴾
﴿واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون (٥٦) لا﴾
﴿تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض ومأويهم النار ولبئس المصير (٥٧)﴾

(قل اطيعوا الله والرسول) اى أوامر الله وأوامر الرسول تلزم اطاعتها (فان تولوا) اى ادبروا و لم يطيعوا ( فانما عليه ماحمل ) اى كان اللازم عليه من عند الله التبليغ وقد قام بتكليفه وادّى ماعليه (وعليكم ماحملتم) اى الواجب عليكم من الله اطاعة الاوامر له ولرسوله ، ومع عدم الاطاعة هذا الحمل يؤثر ثقله وأثره في الآخرة كما ان من اطاع يؤثر له اثراً حسنا لافوق له ، فعليكم الوزر وعلى الرسول ﷺ الحسن (وما على الرسول الا البلاغ المبين) اى الظاهر كونه حقا بالدليل والبرهان وليس عليه الايصال

( وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم ) اى يجعلهم في السلطنة والتمكن ، منزلة المتمكنين الموجودين (كما استخلف الذين من قبلهم) اى من المؤمنين بالانبياء كبني اسرائيل وغيرهم (وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم) اى يكون مرضيا عند الله من التوحيد ، والنبوة ، والمعاد ، والولاية لولى الله (وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لايشركون بي شيئا) اى في مرتبة من المراتب والشرك في الولاية اى تشريك غير ولى الله معه شرك في مقام الخلافة لله ، وبناء على ذلك ننتظره ، والمراد من المخاطبين هم المؤمنون مع تجريد الخصوصيات وبناء على ساير المراتب غير الولاية قد حصل ، وفي زماننا حصل الضعف فيه ، لغلبة الكفار فننتظر ايضا من يقويه .

( ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون ) اى الخارجون من اطاعة الله على سبيل الاطلاق . لعدم العذر لهم ( واقيموا الصلاة وآتوا الزكوة ) والاول لحصول الاتصال بشئون الجمال (والثانى) لحصول القطع من يدالضلال ، لكونها شرطاً لقبول الصلوة (واطيعوا الرسول) اى اطاعة مطلقة حتى فى البواطن (لعلكم ترحمون ) اى تصل اليكم الرحمة الشاملة .

( لاتحسبن الذين كفروا معجزين في الارض ) اى لله فانه القادر المطلق وسلطنة اهل الكفرو العصيان اعداد لدخولهم فى الذلة الابدية ( ومأويهم النار ولبئس المصير ) اى الفعل الذى يكون وزرا للوازر ، لايكون معجزا للعالم بعاقبة ذلك الفعل .

وكون الايات المذكورة على طبق العقل وحصول ما انبأ الله به فى بعض مراتبه مما لايخفى والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿ياايهاالذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين﴾ ﴿لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلوة الفجروحين تضعون ثيابكم﴾ ﴿من الظهيرة ومن بعدصلوة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولاعليهم جناح﴾ ﴿بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الايات والله عليم حكيم﴾ ﴿(٥٨) واذابلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا كما استاذن الذين من قبلهم كذلك﴾ ﴿يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم (٥٩) والقواعد من النساء اللاتى لايرجون﴾ ﴿نكاحاً فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن﴾ ﴿خير لهن والله سميع عليم (٦٠)﴾ .

( ياايهاالذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم ) اى من يكون ملك يمين لكم من العبد اوالامة ايضا يستأذنون فى الدخول عليكم حتى لايرون من ابدانكم وابدان اهاليكم مالايجوز لهم النظر اليها ، اما العبيد بالنسبة الى نسائكم و اما الاماء بالنسبة اليكم ، و لكنها فى صورة تزويجها للغير ، او ملموسة الابناء او الاباء .

( والذين لم يبلغوا الحلم منكم) اى في صورة حصول التميز لهم في امور النساء ( ثـلاث مرات ) اى الاذن في اليوم والليلة يلزم في هذه الاوقات الثلاث ، لو ارادوا الدخول ( من قبل صلوة الفجر ) اى في الزمان الذى تطهرون لصلوة الصبح (وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) اى لاجل صلوة الظهر تطهرون ولاجل الطهارة تبعدون عنكم بعض اثوابكم فترى العورة ( و من بعد صلوة العشاء ) اى للنوم، والظاهر من المجموع ، ان الغرض في زمان حصول رؤية العورة من باب قلة اللباس ، وبحسب الغلبة هذه الاوقات وقتها .

( ثـلاث عورات لكم ) فان قرء بـالرفع ، فالمبتداء واللفظ المضاف الى العورات يكونان محذوفين للقرينة ، والتقدير هى اوقات ثلاث بجر(ثلاث) وهذه الثلاث، عورات لكم اى الستر فيها لازم لبدّ والعورات ، وان قرء بالنصب فالمقدر لفظ (اوقات) يكون بدلا من لفظ (ثلاث مرات) و حذف و اعطى نصبه بالمضاف اليه اى لفظ (ثلاث) في ثلاث عورات ، والمعنى اوقات ثلاث والوجه كالسابق .

(ليس عليكم ولا عليهم جناح) أى بأس (بعدهن) اى بعد تلك الاوقات(طوافون عليكم) اى هم طوافون عليكم (بعضكم على بعض ) اى بعضكم طائف على بعض وقد ذكرنا سابقاً ان العبد اذا لم يكن خصياً، فحاله حال الغير، فلابد هنا من الحمل على الخصّى ، أوان في غير الاوقات الثلاث لا يكون المكشوف الا ما ظهر من الوجه والكفين ، وحيث ان في صورة الريبة يحرم النظر اليها ايضا ، اومطلقا كماهورأى بعض ، ومن صار خادماً في بيت ، وكان من اهل الايمان ، لاينظر بنظر الريبة الى مالكته ، فنفى البأس ، كما ان الطفل المميز ايضا لعدم كون الماء له ، لاينظر غالبا بنظر الريبة ، لان منشأها من الماء .

(كذلك يبين الله لكم آياته) اى يوضحها (و الله عليم) اى بالحالات، وحصول الريبة ، وعدم حصولها (حكيم) اى واضع لكل شيىء في موضعه ففي بعض الموارد ينفي الحرج لعدم الفساد ، وفى بعض الموارد يثبت للفساد .

(والقواعد من النساء) اى من الحيض والحمل اى من لايرى حيضا ولاولداً بعد ذلك (اللاتى لايرجون نكاحا) وهومحمول على الغلبة ، او ماهو الغرض من النكاح وهوالحمل (فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن) اى ثياب الشرف كالخمار الذى فوق اللباس الساتر ، لعدم حصول الريبة فى حقها (غيرمتبرجات بزينة) فان تبرجن بالزينة ، و حصل الارتيساب فى النظر اليهن فحالهن كحال غيرهن ، والمستكشف من التمام التحفظ ، للوقوع فى الزنا ومقدماتها .

( و ان يستعففن خير لهن ) اى حفظا لاعلى درجة الاحتياط ، اذلعل بعض النفوس ، يرغبون فيهن ايضا ، وينظرون اليها بنظر الرّيبة (والله سميع) اى يسمع المحاورات واحاديث النفس ، عندحصول الريبة (عليم) اى بتمام الامورفيجعل القوانين ، على طبق العلم بالصلاح .

وحيث ان لزوم الحفظ من الزنا لعدم خلط المياه ، ولعدم زوال الالتيام بين الازواج ، من الامور التى على طبق العقل فكون الايات المذكورة على طبق العقل من الواضحات والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿ليس على الاعمى حرج ولاعلى الاعرج حرج ولاعلى﴾
﴿المريض حرج ولاعلى انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم اوبيوت آبائكم اوبيوت﴾
﴿امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم اوبيوت﴾
﴿عماتكم او بيوت اخوالكم اوبيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم﴾
﴿ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعاً اواشتاتاً فاذا دخلتم بيوتاً فسلموا على انفسكم﴾
﴿تحية من عندالله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون (٦١)﴾
﴿انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا﴾
﴿ حتى يستأذنوه ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا ﴾
﴿ استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور ﴾
﴿رحيم (٦٢)﴾

( ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولاعلى المريض حرج ) اى فى اكلهم من بيوت من اذن لهم بالاذن العام ، وذهب نفسه الى الجهاد ، فان غير هؤلاء الزمناء كانوا يخرجون الى الجهاد ، ويأتمنون الزمناء ، ويأذنون لهم بالاذن العام من اكلهم من بيوتهم ، وهم يحتاطون من الاكل ، لاحتمالهم عدم كون الاذن عن طيب النفس ، فاذن الله لهم كما ذكر بعضهم مورد النزول ذلك

وقال بعضهم ان المراد رفع الحرج من الاكل معهم ، فان الاعراب بملاحظة ضعف هؤلاء ، فان الاعمى لايرى الجيدمنه ، والمريض لايأكل مستوفاة ، والاعرج لايكون مثل الصحيح فى الجلب ـ يحتاطون (١) من الاكل معهم

وهذا خلاف ظاهراً الاية فان المناسب حينئذ نفى الحرج من الغير فى المؤاكلة معهم لانفى الحرج عليهم

وذكروا بعض امور أخر غير مستحسن ، من باب عدم الارتباط كالوجه المذكور ، اوللدلالةعلى قصور الموجودين من الفهم ، مثل مانقلوا عن ابن عباس ان بعد النهى عن اكل المال بالباطل ، قالوا: ان الطعام من احسن المال، فلاتأكلون الطعام عند الغير

اذ المراد بالباطل بدون سبب شرعى ، واذن المالك سبب شرعى للجواز، على انه لو كان المراد ذلك ، لما اختص بالمذكورين فى الآية ، وشأن ابن عباس اجل مما نسبوا اليه ولذا ذكرنا ان مورد النزول لا يثبت الا بالتواتر المعنوى ، وهو قليل لكونه من الامور الخارجية ، ولامعنى للحجية فيها غالباً .

(ولاعلى انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم) اى من بيوت اطفالكم الصغائر لولايتكم والكبار ايضاً كالباقى (اما) من باب الحق كما هو الاقوى ، بان الله جعل ذلك الحق (او) من باب شاهد الحال غالبا بحيث اذا علم الخلاف لا يجوز كما هو رأى بعض .

---

(١) قوله قده يحتاطون خبرلقوله قده فان الاعراب .

(واما) الاختصاص بصورة العلم بالرضاء كما عن بعض ، فغير صحيح ، لعدم الاختصاص حينئذ ولغوية ذلك الطول ، ووجه الحمل عدم ذكر بيوت الابناء ، والبنات ، ووضوح جواز الاكل من بيتهما ، ويمكن الحمل على الاعم منهما والبيان لاجل انه اذا رأى في بيته مأكولا ولايدرى انه منهم او من غيرهم يجوز له ألاكل ، من باب اليد حتى يثبت خلافه .

وقد ذكرنا الوجهين في مسئلة الاكل ، وان الاقوى ان الله جعل الحق في تمام المذكورات ، من الاباء ، والامهات ، والاخوان ، والاخوات ، والاعمام ، والعمات ، والاخوال ، والخالات .

( أو ما ملكتم مفاتحه ) أى من يكون حافظاً ، وصاحب الخزينة والصندوق من قبل المالك ، وأمره كالسابقين ( أو صديقكم ) أى من كان بينكم وبينه الوداد والمحبة (ليس عليكم أن تأكلوا جميعاً أو اشتاتاً) أى مع الاخرين أو منفرداً .

وذكروا ان بعضهم لايأكل مع الانفراد، وقد ذكرنا سابقاً ان النفى أوالنهى لايلازم التلبس بالخلاف في السابق ، فالجميع لو حمل على الاحكام الابتدائية ، لايكون مانعاً منه، نهاية الامران بقرينة الاكل في المذكورات نفهم ان نفى الحرج على الزمناء في هذه الاية انما هوفى الاكل ، والانسب من جميع ما ذكرهوالذى ذكرناه .

( فاذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم ) أى اذا لم يكن أحد فيها قولوا : السلام علينا ، واقتران ( وعلى عباد الله الصالحين حسن ) البتة لكونه دعاءاً للغير واذاكان فيها أحد فسلموا على الحاضرين وذلك من باب شمول أنفسكم للصورتين ولا مانع من الجمع أيضاً ( تحية من عندالله مباركة طيبة ) اى يكون السلام تحفة من عندالله فيه البركة والطيب ( كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون ) أى تتفكرون في حسن تلك السياسات العالية .

( انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ) أى المبدء بتمام الجهات من

الذات والصفات والافعال والواسطة بتمام الجهات أيضاً، من صفاته وأفعاله ولزوم حفظ الغرض للرسالة الباقية بنصب الحافظ ( واذا كانوا معه على أمر جامع) أي كخطبة العيدين (أو ) صلوة الجمعة (أو) في الجهاد ( أو ) مقدماته كحفر الخندق وبعبارة اخرى كل أمر جمع الرسول معهم في اقامته ( لم يذهبوه حتى يستأذنوه ) أي لم يرفع اليد عنه الا بعد الاذن من النبي ﷺ .

(ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) أي من يأخذ الاذن منك في رفع اليد لحاجة، هم المؤمنون (فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم) أي اذا طلبوا منك الاذن لتحصيل حوائجهم (فأذن لمن شئت منهم) أي لمن ترى الصلاح في اذنه ، وأما اذا صار ذهابه سبباً لوهن وفساد فلا يأذنه النبي ﷺ (واستغفر لهم الله) أي اطلب المغفرة لهم من الله أي للآذنين (ان الله غفور رحيم) أي يغفر الذنوب ويرحم .

وكون الايات المذكورة من المستحسنات العقلية ومن أقسام المودة والالتيام ومن السياسات العالية ، من الامور الواضحة ، والله الهادي .

قوله تعالى : ﴿لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد يعلم﴾ ﴿الله الذين يتسللون منكم لواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم﴾ ﴿فتنة أو يصيبهم عذاب أليم (٦٣) الا ان لله ما في السموات والارض قد يعلم ما﴾ ﴿انتم عليه ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم (٦٤)﴾ .

(لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) أي لاتنادوا رسول الله كنداء بعضكم بعضاً بالاسم أو الكنية الدنيوية ، بل كان ندائكم له بمايكون معظماً عندالله ، بأن تقولوا : يا رسول الله (أو) يا نبي الله ( أو ) يا رحمة الله الواسعة (أو) ياخاتم النبيين(او) ياسيد المرسلين ، هذا من حيث المادة .

ومن حيث الكيفية أيضاً كانت ندائكم ودعائكم مشتملة على الخضوع والتذلل عنده (أما الجهة الاولى) (١) فيحتمل ان يكون لاجل التوجه الى الله ، وان يكون نظر

(١) يعني من حيث المادة .

الناس الى رسول الله ، هوالنظر المرآتى الى الله ، ولايكون ، نظراً استقلالياًالى شخصه من حيث انه أحد أفراد البشر ، وهو يحصل بذكر المنصب الذى يكون له ﷺ من قبل الله ، وحصول التوجه للداعى الى ذلك المنصب يوجب التوجه الى الله ، وان بالعبودية يحصل هذا الامر العالى ، فالعبودية على قدرها مؤثرة فى الكمال ، فالمتفكر يحصل له الكمال باطاعة هذا النهى .

واما الجهة الثانية (١) فلان العقل حاكم بوجوب شكر المنعم ، واى نعمة أعظم من الايمان والاسلام ، وهوببركة وجوده ﷺ فشكره ﷺ يكون لازماً والاحترام به فيمقام التخاطب مماهوشكر، يكون خلافه الكفران فيلزم بحكمالعقل وأرشدنا الله تعالى اليه لطفاً وتأييداً للعقل بالنقل .

(قد يعلم الله الذين يتسللون (٢)منكم لواذاً) اى الله يعلم أن بعضكم اذا كنتم فى أمرجامع مع النبى ﷺ ـ كخطبة الجمعة والعيدين اوحفرالخندق ـ تخرجون بالملائمة بحيث لايلتفت أحد اليكم من التخفى كاخراج الشعر من اللبن الحامض الغليظ من غير اذن من النبى ﷺ ، وتمشون من خلف الناس ، وتجعلون الناس ساتراً لكم من رؤيتكم ،كالانسان اللائذ باحد ولفظ (قد) فى هذا الموضع للتحقيق وان دخل فى المضارع ، ويجوزالاستعمال المذكورعند أهلاللسان .

(فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم) اى بعد امرالله بالاذن من النبى ﷺ لابد أن يحذروا من خلاف ذلك الامر اذتلك المخالفة اعراض ، ومن خالف اعراضاً فى عرضة نزول البلاء الدنيوية عليه، وهى الفتنة أوالعذاب المولم الاخروى، والعقل حاكمبلزوم دفع الضررالذى كانمقتضيه موجوداً .

---

(١) يعنى من حيث الكيفية .

(٢) اى يخرجون من الجماعة واحداً واحداً كقولك سللت كذا من كذا اذا اخرجته ومنه ان رجالا يتسللون الى معاوية (مجمع البحرين) .

(الا ان لله مافي السموات والأرض) اى اعلموا أن الامربالاستيذان وكون العقوبة فى خلافه ليس لجهة افتقارالله اليكم فى نصرة النبى ﷺ وكونكم معه ، بل هو لتكميل انفسكم ، والافتمام ما فى العاليات والسافلات من حيث المرتبة ، اوتمام مافى السموات الجسمانية ، والارض الجسمانى ملك لله ، اوصرف الربط وقائمة بالله ، فلاانانية لها ، وحدوثها وبقائها بالله ، فكيف يمكن أن يكون الله مفتقراً اليها ، وانتم ايضاً من أهل الارض .

(قد يعلم ماانتم عليه) اى من الصفات والملكات فيالان الذى انتم فى الدنيا (ويوم يرجعون اليه) اى يعلم ماانتم عليه في الاخرة ، بحركة صفاتكم وافعالكم ، وظهورها بظهورات النعيمية الجناتية (او) بظهورات النارية الجحيمية ، والاتيان بالغائبللالتفات من الحاضرالى الغائب ، وهوالمشهورفى لسان العرب ( فينبئهم بماعملوا) اى انباءاً حضوريا مكتوباً فى صفحة النفس (والله بكل شيء عليم) اى بالماضى والمستقبل ، والدنيا والاخرة ، لاحاطته بالكل على نحو واحد ، فلميسبق له حال حالا .

[redacted] فالعلم الحضورى الاحاطى بالنسبة الى الماضى والمستقبل والحال عندنا على النحوالواحد عنده ، لخروجه من الزمان ، وكون الزمان بتمامه مع منشأه حاضراً عنده بالدوام ، وهومن الواضحات عند العقول المستقيمة .

وعدممخالفة تلك الايات مع العقل، وكون(بعضها) موافقةللعقلالاستحسانى اى للحكم الاستحسانى له، بل قد ذكرناكونه لزومياً ايضاً، وهوفى نداء النبىﷺ (وبعضها) الاخرعلى طبق العقل البرهانى، وهوالملكية لله ، وعلمه تعالى بالجميع (وبعضها) الانباء عن الامورالخارجية كخروج البعض خفاءاً وهو ليس من خلاف العقل ، من الواضحات (١) والله الهادى .

وقد فرغت من شرح تلك السورة المباركة على قدر فهمى فى رجوعى

---

(١) قوله قده : من الواضحات خبرلقوله قده : وعدم مخالفة الخ .

عن قاضى كوى الى اسلامبول لاجل الحركة الى الايران وعدم التيسر لمغلوبية السلطنة الاسلامية، ففى المتاركة الحاصلة بينهم وبين غيرهم لابد لهم من مراعاتهم ، فأمرهم مشوش- فى يوم الثلاثا المطابق مع الثلاثين من صفر اوغرة ربيع المولود من سنة١٣٣٧ وانا الراجى عفو ربه

**نورالدين الحسينى**

من أهل سلطان آباد العراق من الايران

بسمه تعالى

من الاسف عدم بروز تفسير السور التى بعد سورة النور الى سورة الاحزاب من المفسر قدس سره وهى :

| | |
|---|---|
| ١ـ سورة الفرقان غير تامة | (٢٥) |
| ٢ـ سورة الشعراء | (٢٦) |
| ٣ـ سورة النمل | (٢٧) |
| ٤ـ سورة القصص | (٢٨) |
| ٥ـ سورة العنكبوت | (٢٩) |
| ٦ـ سورة الروم | (٣٠) |
| ٧ـ سورة لقمان | (٣١) |
| ٨ـ سورة السجدة | (٣٢) |

# سورة الفرقان (٢٥)

مكية

سبع وسبعون آية

كتبها بعد رجوعه من قاضي كوى الى اسلامبول

لاجل الحركة الى الايران

عام ١٣٣٧ من الهجرة النبوية

على هاجرها آلاف التحية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً (١) الذى له﴾
﴿ملك السموات والارض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق﴾
﴿كل شيء فقدره تقديراً (٢) واتخذوا من دونه آلهة لايخلقون شيئاً وهم﴾
﴿يخلقون ولايملكون لانفسهم ضراً ولانفعاً ولايملكون موتا ولاحيوة ولانشوراً﴾
﴿(٣) وقال الذين كفروا انهذا الأفك افتريه واعانه عليه قوم آخرون فقدجائوا﴾
﴿ظلماً وزوراً (٤) وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا (٥)﴾
﴿قل أنزله الذى يعلم السر في السموات والارض انه كان غفوراً رحيماً (٦)﴾

(تبارك الذى نزل الفرقان على عبده) ى يكون متعاليا عن كل الحدود والنقائص، مع كونه منزلا للفرقان الذى هو مقام التفصيل ، لكونه مقام الفصل بين الاشياء والامور ، والتميز بينها ، ومنها الحق والباطل، فيفرق بين الحق والباطل، بل بين اقسام الحق واصناف الباطل

مع اقتضاء التسانخ كون منزل الفرقان له الحد ، وذلك من اجل شدة الوجدان فان صرف الوجود الذى لاحد فيه لابدوان يرجع اليه كل الوجودات الاجماليات منها ، اى المحيط على النازلات على نحو البساطه والتفصيليات ، اذ كل محدود فبه جهة القوة والنقص ، ولابد له من المفيض ، اذ المحدودية ملازمة مع الامكان،

وهى فى الوجودات صرف الربط، فلابدمن قيامها بالمفيض للكل، فتمام المحدودات قائم بـالواجب عـالية كانت او سافلة ، اجمالية كانت او تفصيلية ، نهاية الامر له التجليات ، و كل شيء يرتبط الى نحو من انحاء التجليات ، ويتوجه اليه والمولّي للكل هو الذات (ولكل وجهة هو موليها) (١)

فقد نزل الفرقان ومرتبة التفصيل على عبده الفانى فيه والمرآة لـه ، كمـا انزل عليه مرتبة القرآنية ، فهو المنزل عليه مرتبة الجمع والفرق ، والاجمال والتفصيل ، لكونه ﷺ صاحب الدرجات الكثيرة

( ليكون للعالمين نذيراً ) اى نزول التفصيل و الفرقـان لاجـل أن ينذر تمام العوالمـ اى اهلهاـ من اقسام الملائكة القدرية ، والاجنة ، والانس ، بل فوق الملائكة القدرية ايضا ، اذ الاء نذار لايكون بخصوص الجحيم ، بل لكل ، نحو غير نحو الاخر

فـانذار بعض الاقسام بالفتور فـى التجلى عليهم ، وانذار بعضهم بتحطيط درجاتهم ، وهكذا ، فحيث ان العوام مختلفة ، والمقامات متعددة ، فلابد من نزول الفرقان ايضا، ليبلغ الى كل عالم ماهو المناسب له

(الذى له ملك السموات والارض) اى منزل الفرقان هـو الذى لـه ملكية العاليـات والسافل ، اوالسموات الجسمية والارض المحسوسة ، والجميع مـن شئونه ، وقائم به ، فاذا كان الكل قائما به فالاجمال والتفصيل منه ، ولايشغله شأن عن شأن

(ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً)

اى وهـو الجامع للصفات الجلالية التى هـى غير محدودة ، فلاولد له ، ولاينفصل عنه شيء ، لعدم محدوديته ، وما ينفصل عنه الشيء يكون فيه جهة القوة والاستعداد ، فيكون محدوداً ، ولا شريك له فـى الملك ، لاقتضاء الشركة تجزية

---

(١) البقرة ـ ١٤٨

الكمـال وحصول النقص ، وهـو خلاف الـوجوب ، وللصفات (١) الجمالية فخلق الخلق كله ، وله الربط مع الكل ، وعين كل شيء مـن خلقه بالحد المعين بالجعل البسيط ، لاالتأليفي فـي ايجاد الذوات ، وبـالجعل التأليفي فـي اتصاف الذوات بالصفات

(واتخذوا مـن دونـه آلهة لايخلقون شيئا وهم يخلقون) اى اعرض بعض الناس عـن هذا الاله الجامع وتوجه الى غيره ، واتخذوا من عند أنفسهم آلهة متعددة ، وجعلوا عنوان الالهية لاشياء تكون صفاتها على ضد الالهية ، فالله خالق كل شيء ، والالهة المجعولة غير خالقة لشيء مـن الاشياء ، والله واجب فلم يكن مخلوقا ، وهي ـاى الالهة ـ مخلوقة

(ولايملكون لانفسهم ضراً ولانفعاً) اى الله مالك الكل ، وهي غير مالكة للضرر الواقع عليهم ، بان يمنعوا من وقوعه ، فان المالك بيده الايجاد والاعدام ، والنقل والانتقال ، وبأيديهم لايكون اعدام الضر ولانقله عن أنفسهم ، ولانفعا بأن يوجدوه لهم ويجلبوه ويجروه اليهم .

(ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً) أي غير مالكة للموت ، وهوازهاق الروح وانتقاله من عالم الـى عالم ، ولا الحياة أي افاضة الروح ، ولا النشر أي التفرق وتشتت المجتمعات ، أو المراد الاعم من الحشر أيضاً ، وهو الجمع بعد التفرق ، والحياة بعد الموت .

( وقال الذين كفروا ان هـذا الا أفك أفتريه وأعانه عليه قوم آخرون ) أي مع كـون القرآن جامعاً لتمام الدرجات ، بحيث يعجز عـن اتيان مثله تمام الجن والانس، بل بمقدار سورة تكون جزءاً من الالف ، قالت الكفار: لايكون القرآن الا كذباً نسبه رسول الله ﷺ الى الله أفتراءاً ، وأعانه في التلفيق بعض آخر.

(فقد جاءوا ظلماً وزوراً) فان ما يعجزعن اتيان مثله جميع البشر، ولايمكن

---

(١) عطف على قوله : للصفات الجلالية

الاتيان ببعض منه كما ذكر ، وكان مشتملا على المغيبات والعقليات وفوق العقليات، كيف يكون أفكا ، فمن يقول بأنه افك ظلم على نفسه ، وعلى جميع أهل العقول، اذ رفع اليد عن الميزان العقلي وطغى على العقل ، ولو كان أحد يعاونه لكان اللازم ان جماعة أخرى أيضاً بالاجتماع كان لهم هذا المطلب ، والحال انه تحدى بما ذكر ، فهذا قول زور وكذب بيّن .

( وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا ) أى القرآن اسطورات القدماء وخرافاتهم ، وكتبها رسول الله ﷺ بمعاونة غيره ، أي كتبواله، وهذه الاسطورات تقرء عليه في الغداة والمساء ، حتى يحفظه رسول الله ﷺ ، ولم يفهموا ان الامر الكذائي قابل للاتيان بمثله بالاجتماع ، ولم يأتوا بمثله ، ولا بمثل سورة منه .

( قل انزله الذي يعلم السرفي السموات و الارض انه كان غفوراً رحيماً ) اى القرآن الذي بهذا الكمال لابد ان يكون نازلا من المحيط بالكل ، العالم بخفيات السموات والارض، اذ هو الذي لايمكن الاتيان بمثل ماتحدى به ، لعدم اقداره على الاتيان بالمثل جهاراً وخفاء ، ولو كان المتحدى من لايحيط بالاسرار لكان الاتيان بالمثل ممكنا في الخفاء .

( انه كان غفوراً رحيما) اى علة انزاله لكونه ساتراً للنقائص ، فأراد بانزال القرآن نزول الغفران على تابعيه ، ولكونه رحيماً على المؤمنين ، فاراد بالانزال ، نزول الرحمة الرحيمية على المؤمنين به .

وقد ظهر بحمدالله كون الآيات المذكورة مطابقا للبراهين العقلية غير
مخالف لها ، والله الهادي : قوله تعالى - الى هنا برز تفسير
هذه السورة المباركة من قلمه الشريف كما في نسخة
الاصل ( و لكل شيء آفة وللعلم آفات ) و كذا
لم يبرز منه قده تفسير السور المباركات بعد
سورة الفرقان الى سورة الأحزاب

**بسم الله تعالى شأنه**

كتب في الحلب بعد المراجعة من اسلامبول للوصول الى ايران من طريق
موصل، وتعطيلنا في الحلب لاجل سدالطريق من كثرة المطروالوحل،
وبعد مضى الواحد والاربعين يوماً ، وعدم معلومية الحـال ،
و كثرة التشويش مع فقد الاسباب اردت من باب التبرك
أن اعود الى مـا كنت مشغولا في السابق من بيان
عدم تخالف مافي الايات القرآنية مع عقولنا
وان كنا لاندرك من بحـارها مقدار
الرشح ، لكن ندرك ظواهرها
بتوفيق الله وعدم تخالفها
مع القواعد العقلية

# سورة الاحزاب (٣٣)

مدنية

ثلاث وسبعون آية

كتبها في الحلب بعد المراجعة من اسلامبول

للوصول الى ايران من طريق موصل

١٧ رجب عام ١٣٣٦ هجرى قمرى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ياايها النبى اتق الله ولاتطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليماً(١)﴾
﴿ حكيماً اتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيراً (٢) ﴾
﴿وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً (٣)﴾ .

قد ذكرنا مراراً ان بقاء كل شيىء من مقولته ، فالبقاء على التقوى يكون التقوى ، وعلى الهداية ، الهداية ، وهكذا .

وكذلك قدبرهن في غير موضع ان الممكن فى البقاء ايضـا محتاج الى العلة ، لكون علة الافتقار هو الامكان ، لا الحدوث ، فقد خاطب الله نبيه ﷺ ، وأمره بالدوام والبقاء على تقوى‌الله ، سواء كانت التقوى هي الخشية ، او توكيل الامر الى الله تعالى ، ونهاه عن اطاعة الكافرين والمنافقين في رفع اليد عن بعض الاحكام لاجل الصلاح من استجلاب صلاح للجذب ، او دفع الفساد الدنيوى ، وان من يظهر ذلك لايكون الا حيلة وخدعة والله تعالى اعلم بعواقب الامور من غيره .

فلاجل ان الله تعالى عليم ومتقن فى افعاله يكون الصلاح في‌احكامه تعالى ولا بد من امتثالها فعلاكان اوتركا ، ويلزم متابعة ما يوحى من قبل‌الله الذى يكون ربك ، فانه الخبير بأعمال الكافرين والمنافقين ( على القرائة بـالياء ) (١) اى الله

(١) يعنى قرائة قوله تعالى : (يعملون خبيراً)

عالمبفساد مقاصدهم، وباعمالكم على قراءة التاء ، من جهة استقامتكم وعدم اعتنائكم بوساوسكم وكّل امورك بالله اذهو الكافى والواقى من المخاويف والمهالك .

وتطبيق العقل مع تلك الايات ، وكونها مطابقة مع العقل ، وعدم تخالف العقل معها بين لايحتاج الى البيان.

اذ الخشية من الله دائما، وعدم الاعتناء بمن يخالف الله ، وكون الله عالما حضوريا ومتقنافى افعاله، ولزوم متابعة الوحى النازل من قبله، وعلمه تعالى بالافعال، وكفايته فى الحافظية وعدم شركة الغير معه فى سلطنته، كلها على طبق القواعد العقلية

قوله تعالى : ﴿ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وما جعل ازواجكم﴾ ﴿اللائى تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعيائكم ابنائكم ذلكم قولكم﴾ ﴿بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل (٤) ادعوهم لابآئهم هو اقسط﴾ ﴿عندالله فان لم تعلموا آبائهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم وليس عليكم﴾ ﴿جناح فيما اخطأتهم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيما (٥)﴾ ﴿النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم واولوا الارحام بعضهم﴾ ﴿اولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا ان تفعلوا الى اوليائكم﴾ ﴿معروفاً كان ذلك فى الكتاب مسطوراً (٦)﴾ .

القلب (تارة) يطلق ويراد به اللحم الصنوبرى الذى فى جوف الانسان و (تارة) يطلق و يراد به المرتبة المتوسطة بين الروح الذى من المجردات للانسان والخيال النازل المسمى بالصدر.

وكون القلب على الاول واحداً يكون محسوساً.

واما على الثانى ، فلان المراتب مترتبة ، وهذه الحقيقة الواحدة الانسانية التى لها مراتب بعد القوى الخمس الظاهرية،(١) لاتكون مرتبتان من المراتب لها فى عرض واحد ، بل لها درجات وكل درجة يستحق اسما ، ومن جملتها القلب

---

(١) هى الباصرة والسامعة والذائقة واللامسة والشامة

الذى يكون اعلى مـن الصدر بمراتبه ، و ادنى مـن الروح بمراتبه ، وله التقلب والاضطراب .

(فتارة) يتوجه الى الصدر ويغلب عليه حكمه (و تارة) يتوجه الى الروح فيغلب عليه حكمه ، وعلى اى حال فليس للرجل الواحد فى حالة من الحالات بل مطلقا من القلبين ، حتى يدرك بكل واحد منهما شيئاً من الامور العالية .

فقول بعض الكفار ان لكل واحد منا قلبان ، ندرك بكل واحد منهما اعلى ممايدركه محمد صلى الله عليه وآله، سخافته واضحة ، من نفس ادعائهم من وجود القلبين .

ولم يجعل الله ظهار الزوجة سببا لصيرورتها اما فى الحكم بل ولم يجعله طلاقاً سببا للتفريق ، ولواجتمعت فيه شرائط الطلاق من الخلو من الحيض وكون المرأة فى طهر غير المواقعة مع حضور العدلين ،نعم مع تحقق الشرائط اذا قال الزوج لزوجته انت عليّ كظهر امى تحرم المقاربة الابعد الكفارة .

وايضا لم يجعل الله التبنى و هو اتخاذ احـد بعنوان الابنية سببا لترتيب آثار الابنية ، من ثبوت التوارث ، وتحريم زوجة كل واحد على الاخر ، ولزوم انفاق كل واحد منهما على الاخر وغيرها ، بل يكون ذلك محض قول يترتب عليه بعض الامور العادية من ازدياد المحبة فلايكون زيدبن حارثة الذى اشتراه رسول الله ﷺ واعتقه ودعاه ابناً من باب المحبة ، ابناً لرسول الله حكما حتى يحرم على رسول الله صلى الله عليه وآله زوجة زيد بعد الطلاق وهى زينب .

وقول الله بانى لم اجعل الدعوة فى حكم الحقيقة ، هو الحق الثابت المطابق للواقع ، لأن التفوه بشيىء واطلاق الدال على شيء بشيء آخر لايوجب سريان خواص ذلك الشيىء فى الشيىء الاخر بداهة .

والله يهدى الطريق ، ويعلّم كل واحد الطريق، بافاضة العقل الداخلى والخارجى ، وهو الرسول ليتم حجته وادعوا من يدعى ابناً لاحد لابآئهم الذين حصلوا

من ماثه بالنكاح ، (ذلك اقسط عندالله ،) ويكون عدلا لو اقعيته .

وان لم تعرفوا آبائهم فادعوهم بالاخوة في الدين ، وقولوا : ياأخي الايماني واذا كان عبدا سواء اعتق ام لا ، ادعوهم الموالي لمن يكون مالكهم ، اولمن اعتقهم وقولوا : يامولى فلان .

وبعد ذلك النهي ان اخطأتم فلا جناح عليكم لرفع ما يصدر خطاء ، وعدم المؤاخذة عليه بحكم العقل ، ولكن مع التعمد فعليكم الجناح والاثم .

والله يغفر لكم تلك الاثام من الظهار ، وعدم الدعوة لابائهم ، والدعوة لمن يدعوه لرحمته وقداستفادوا من هذا الوعد حرمة المذكورات ، وان العفو عن العقاب فيها يكون حتميا ، وذكر اهل التحقيق ان العفو عن العقاب حتما لا يوجب نقض الغرض من النهي، لكفاية مبغوضية المولى لردع الانسان الحقيقي.

ثم ان العلة اولى بالمعلول من نفسه الى نفسه، لكون نسبة الشيىء الى وجوده بالامكان، والى العلة بالوجوب، وقد ذكرنا مرارا ان حقيقة الانسانية هي مدركاتها وعقائدها، والمؤمن من حيث انه مؤمن يكون نفس العقائد الصحيحة، وهي الحاصلة من افاضة النبي ﷺ فالنبي علتها فيكون اولى بالمؤمنين من انفسهم ، وهو واضح لاسترة فيه .

وازواج النبي محترمات من باب الانتساب اليه ﷺ كالام (والتوارث) بالايمان والهجرة ، (قد نسخ) وصار التوارث بعدذلك بالقرب في النسب حيث شاع الاسلام ولم يلزم الهجرة لفتح مكة ، ولواردتم الاحسان فهو امر معروف ، وفي الكتاب الثابت ، وهو اللوح المحفوظ قدسطر ذلك اى المنسوخ والناسخ والنسخ .

فثبت فيه ان الصلاح من اول الهجرة اوالبعثة كذلك ، ثم بعد الفتح يكون الصلاح بهذا النحو الاخير .

وعدم تخالف ما دلت عليه الايات المذكورة من اتحاد القلب ، وعدم كون الظهار سببا للامية، وعدم الصيرورة بدعوة الابنية ابنا ، وعدم المؤاخذة في الخطاء

والعفوالحتمي ، واولوية النبي ﷺ بالمؤمنين ، واحترام ازواجه، ونسخ التوارث بالايمان والهجرة، وكون التوارث بالنسب، وكون الكتاب المحفوظ جامعاً للتمام مع العقل- كمااشرنااختصاراً الى وجوه المذكورات- مما يكونواضحا عندارباب البصيرة والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم ﴿وموسى و عيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا (٧) ليسئل الصادقين عن ﴿صدقهم واعدللكافرين عذاباً اليماً (٨) ياايهاالذين آمنوا اذكروا نعمةالله عليكم ﴿اذ جائتكم جنود فارسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون ﴿بصيراً (٩)﴾ .

قد ذكرنا فيما سبق اخذ الميثاق وبان عالم الكون والفساد موجود فى عالم الملكوت على نحو أعلى وأبسط، كما انعالم الملكوت موجود فى الجبروت وهى العقول بهذا النحو لاستحالة كون المعطى فاقداً ، فالعلة واجدة لكمال المعلول ، والمعلول نازل من العلة، فقدأخذالميثاق فيتلك المرتبة العالية من الكل بنحو، ومن خصوص الانبياء على نحوآخر من الاشتداد فى الكمال

فان علم العالى للسافل ووجدانه هو على الاجمال فى الكشف التفصيلى ، فالمعلومات موجودة بوجود اجمالى فى عين التفصيل ،كما حقق ذلك فى محله

وذكرالخمسة من باب ذكرالخاص بعد العام ، وعدم ذكر آدم عليه السلام لاجل ان المأخوذ من ذراريه ذلك ، فمنه يكون ظاهراً (او) بان فى سلسلة النزول هوالاولى، لاو ّليته ، وان كان فى الصعود قد تقدم بعضهم عليه ، اولاجل اقلية امته لم يصر مخصوصاً فى الذكر، وكان داخلا فى الذكرالعام .

وعلة اخذ الميثاق فـى ذلك العالم النورانى ، لاجل تحتم المشى عليهم ، على طبقه فى العالم النازل ، حتى يصح السؤال عنهم فى المعاد الذى هو الدخول فى عالم النور ايضاً ، وفى ذلك المحل العالى يكون العذاب المولم للكفار

ثم امر الله بتذكر اصحاب النبي ﷺ ماحصل لهم من تجلي الملكوت في الملك، وغلبته على الملك في غزوة خندق ، مـن ارسال الريح المفرق للكفار ، والملائكة ، لكون الله بصيراً بأعمالهم أوأعمال الكفار ، على اختلاف القرائة بالياء والتاء

والمستفاد من الآيتين من العوالم الثلاث ، الملك ، والملكوت ، والعقول ، ومن اخذ الميثاق من المرتبة العالية وهي العقلانية

وكون الاخذ لاجل الغاية وهوالوصول الى السعاد على النحو الاحسن ، يكون اموراً عقلية ، فلاتخالف ، والله الهادي

قوله تعالى : ﴿اذجاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذزاغت الابصار﴾ ﴿وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا(١٠) هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا﴾ ﴿زلزالا شديداً (١١) واذيقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله﴾ ﴿ورسوله الاغروراً (١٢) واذقالت طائفة منهم يااهل يثرب لامقام لكم فارجعوا﴾ ﴿ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة ومـاهي بعورة ان يريدون﴾ ﴿الافراراً (١٣)﴾

والريح والملائكة اللذان من الجنود الخفية ، انماتحقق الاول منهما ، ونزل الثاني حيث جائتكم اعدائكم من فوق الوادي ، ومن اسفله ، وزاغت ابصاركم ، ومالت الى التوجه الى الاطراف خوفا عـن الاعداء وقلوبكم صارت مملوة من الخوف الى حناجركم ، فبلغ الى حلقوم كل واحد منكم ، واختلفت ظنونكم فـي حق الله فبعض قـد بدل قطعه الـى الظن وصار ظانا ان وعدالله يكون حقا ، ويغلبون على الاعداء ، وبعض صار عكس ذلك وظنه صار بالعكس ، وقد حصل امتحانهم في ذلك الموضع وحصل لهم التزلزل الشديد

وحيث يقول المنافقون ومن يكون في قلبه المرض (ما وعدنا الله ورسوله الاغروراً) وباطلا (و) حيث (قالت طائفة منهم يا اهل يثرب) وهو المدينة والفتح

فى لفظ يثرب لكونه غير منصرف ، اذ فيه العلمية للبلد المذكور ووزن الفعل (لامقام لكم) اى فى محل الحرب فارجعوا اى الى البلد ، وارتحلوا عن محل العسكر فى الجبل ، وادخلوا المدينة ، ويطلب الاذن من النبى ﷺ (فريق منهم ، ويقولون ان بيوتنا عورة) اى مكشوفة لعدم الجدران والحصن لها وهم يكذبون ، ولايكون غرضهم حفظ عوراتهم من دخول الاجنبى عليها

(وما يريدون) الاالفرار من الحرب ، فالمراد ان رحمةالله قدشملتكم لاجل حصول ذلك الضعف ، بحيث زلت اقدامكم ، حتى تعلموا ان وعدالله يكون صدقا وان النقصان فيكم من عدم الثبات والصبر

وكون تمام ما سبق من الآيات غيرمخالف للعقل لكونها حكايات لاحوال القوم وان فضل الله قدشملهم، من الواضحات

قوله تعالى: ﴿ولودخلت عليهم من اقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وماتلبثوا﴾
﴿بها الا يسيراً (١٤) ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لايولون الادبار وكان عهدالله﴾
﴿مسئولا (١٥) قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت اوالقتل واذاً لاتمتعون﴾
﴿الا قليلا (١٦) قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان ارادبكم سوءاً او ارادبكم﴾
﴿رحمة ولايجدون لهم من دون الله وليا ولانصيراً (١٧)﴾

(ولو دخلت) المدنية على ضررهم من نواحيها ، اى لودخلت الاعداء وهم المشركون من النواحى فيها ثم سئلوا الشرك ، اى طلب المشركون منهم الشرك ، (لآتوها) اى الفتنة وهوالشرك وتكلموا بكلمة الكفر ولم يكن ثباتهم على الايمان الازماناً يسيراً اى لوكان غرضهم تحفظ عيالاتهم من العدو فى ذلك الاستيذان ، لكان اللازم بقائهم على حقهم بعد الرجوع ، والحال انهم ليسوا كذلك بل لايبقون الايسيراً .

والحال انهم قدعاهدوا الله انلا يفروا و لايولون الادبار . وهذا العهد مما يسئل عنهم حيث خالفوه .

قل ايهاالنبي لهذه الاشخاص لاينفعكم الفرار من الموت او القتل لعدم تغيير قضاءالله لو كتب عليكم القتل اوالموت ، و لايكون تمتعكم الاقليلا ، لكون الدنيا قليلا ، بالنسبة الى الاخرة ، اى لو فرض بقائكم بسبب الفرار ، يحكم العقل بان الحيوة الدنيوية التي يتعقبهـا الحسرة الاخروية و عذابها لابد من الاعراض عنها لقلتهـا .

وقل لو اراد الله ان يصل السوء اليكم، فهل يكون احد يغلب على الله فيصرف عنكم السوء ، كما انه اذااراد الرحمة هل يكون لاحد ردّها ، والحال ان كل القدرة من الله ، ولابد من افاضتها في كل آن ، وليس غيرالله ولياً ومتصرفا وناصراً ، وما يصدر من كل احد فبالنزول من قبله .

وعدم تخالفها مع العقل يكون من الواضحات .

اذ(بعضها) حكايات عما وقع في عالم الملك (وبعضها) انباء الله تعالى بمافي قلوبهم حيث انه عالم بالغيب والشهادة ، (وبعضها) مذمومية خلف الوعد مع الله، (وبعضها) عدم امكان الفرار من الله لكون الامور في قبضته (وبعضها) قلة الدنيا لفنائها من الاخرة الباقية (وبعضها) ان الحافظ والولي والناصر في نفس الامر منحصر في الله فانه لامؤثر في الوجود الاالله للزوم بلوغ المتحركات الى المحرك الذي لايكون متحركا

و لا ريب ان كل ذلك من الامور العقلية التي قامت عليها البرهـان و الله الهـادي .

قوله تعالى : ﴿قد يعلم الله المعوقين منكم و القائلين لاخوانهم هلم الينا﴾ ﴿ولا يأتون البأس الاقليلا(١٨) اشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك﴾ ﴿تدور اعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة﴾ ﴿حداد اشحة على الخير اولئك لم يؤمنوا فأحبط الله اعمالهم وكان ذلك على﴾ ﴿الله يسيراً (١٩) يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يأت الاحزاب يودوا لو انهم﴾ ﴿بادون في الاعراب يسئلون عن انبائكم ولو كانوا فيكم ماقاتلوا الاقليلا(٢٠)﴾ .

والله تعالى يعلم بالمتبطئين من القتال وهم الذون يلبثون ويقفون فى مقامهم ولم يتحركوا نحو المعركة للقتال، و كذا القائلين لاخوانهم و احبائهم، تعالوا الينا اى لاتدخلوا المعركه وتلبثوا عندنا و لايأتون هؤلاء القتال الا زمانا قليلا لالله بل لاجل الرياء والسمعة اولاجل ان يدّعوا دخولهم فى القتال لوحصل الفتح لبعض المقاصد الدنيوية .

حالكون هؤلاء اشحاء عليكم ويبخلون من بذل انفسهم واموالهم فى الجهاد، ولذا اذا اشتد الامر وجاء الخوف ينظرون الى النبى ﷺ كنظر من غشي عليه من الموت، و اذا ضعفت الاعداء و جاء الفتح يؤذوكم بالالسنة لاجل الشركة فى الغنيمة، و يدعون من القسمة ما ليس لهم، حالكونهم اشحاء و بخلاء عليكم من الخيروهوالمال .

وهؤلاء الاشخاص لا ايمان لهم حقيقة، و لذا لاتكون اعمالهم مقبولة، بل حبطت اعمالهم لا شتراط صحة الاعمال بالايمان، بل التوفى على الايمان فى آخر الحيوة، وبانتفاء الشرط ينتفى المشروط، و الحبط يسير على الله لكونه على طبق الصلاح، ويحسبون هؤلاء ان الاحزاب والفرق المجتمعة من الكفار لم يذهبوا الى مكة بل هم باقون فى الطريق ولعلهم يرجعون .

وعلى فرض رجوع الاحزاب يودون كونهم من اهل البادية، لضعف ايمانهم اوفقدهم الايمان، وعدم اعتنائهم بثواب الله الاخروى، ويسئلون عن اخبار الاحزاب ليعلموا انهم ذهبوا الى مكة املا، ولوبقوا فيكم ورجعت الاحزاب لم يقاتلوا معكم الازمانا قليلا .

وعدم تخالفها مع القواعد العقلية يكون واضحا ، لكونها حكايات عن الواقع فى تلك الغزوة، وانباء عن ضمائرهم ونبأهم لعلمه تعالى بالغيب وبالعواقب والحبط ايضاً بسبب كونه من باب فقد شرط القبول، فلا شيء فيها يخالف العقل والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله﴾
﴿واليوم الاخر وذكر الله كثيرا (٢١) ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا﴾
﴿ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الاايمانا وتسليماً (٢٢)﴾
﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من﴾
﴿ينتظر وما بدلوا تبديلا (٢٣) ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين﴾
﴿ان شاء اويتوب عليهم ان الله كان غفوراً رحيماً (٢٤) ورد الله الذين كفروا﴾
﴿بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزاً (٢٥).﴾

التأسي بالنبي ﷺ في الواجبات ـ ومن اهمها الجهاد حيث انه ﷺ بنفسه الشريفة كان ثابتا ومستقرا ـ يكون لازما بحكم العقل اذ جلب المصلحة الملزمة التي يحصل الضرر بفواتها يكون لازماً بحكم العقل، والنبي ﷺ عالم من قبل الله بمصالح الاشياء ومفاسدها ، فلو لم يعلم في شيء الصلاح الكذائي لم يأته بعنوان الوجوب ، فما اتاه ﷺ بعنوان الوجوب يلزم على الامة الاتيان بعنوان الوجوب ، لكون صفة المهية ثابتة في تمام مصاديقها، ولو كان في النبي وفعله دخل في الصلاح شرطا كان اوجزء ، لنبه عليه كالخصائص .

وحينئذ فالواجب اتيان ما فعله كذلك ، خصوصاً ما كان للاجتماع فيه ربط بحيث لولا الاجتماع لانتفى الصلاح فالتأسي به ﷺ في الجهاد والثبات يكون لازما بحكم العقل .

واما الجهاد مع الكفار فمع قطع النظر عن ذلك ، هل نرى فيه الصلاح املا .

والحق ان من كان له نور ، يرى بعين البصيرة لزوم الجهاد مع الكفار فان لزوم قانون بين الناس في سياساتهم من المناكحات والمعاملات والتوارث، وكذا ما يهذب اخلاقهم ، ويصفوها من الكدورات يكون لازمـاً اذ لولاه لاختل النظام وفسدت الاخلاق ، مضافا الى لزوم جلب المصالح الاخروية ، ودفع مفاسدهـا وحينئذ فادخال الناس باى نحو كان تحت القانون يكون خيراً كثيراً للنوع ، فيكون

لازماً على القادر على ذلك .

ولما ان ذلك وارائة كون القانون الصحيح فى ذلك الزمان هو ما جاء به ذلك النبى دون غيره من القوانين ، موقوف على اتمام الحجة من قبل النبى بحيث يحكم العقل بان ذلك المطلب من الله الغالب على الكل الرؤف مع الكل ، فاذااتى بمعجزة لاريب فيها ومع ذلك لم يتابعه بعض ، لقوى الشهوية والغضبية ، يلزم الزامهم فى الدخول تحت القانون بالسيف ولو بقتلهم .

اذلو بقوا ولم يأخذوا بالقانون الذى فيه الصلاح لافسدوا ذراريهم واطفالهم وساير الناس ، فلا يستقر ذلك القانون فى الارض ، او هذا الصقع ، واما اذاقتلوا وارتفعت الموانع لاثر اتمام الحجة فى الباقى ، فيستقر القانون ويحصل ما فيه صلاح النوع بحسب النظر الالهى وذلك واضح لمن تامل :

ومن اخذ بالقانون يحكم عليه بالسلم ، وليس الجهاد للاكراه فى الدين ، فانه غير معقول ، ولذا صرح الله تعالى فى القرآن بانه (لا اكراه فى الدين) ذ الاعتقاد بالاخافة لايتبدل ، بل الاكراه لاجل عدم المزاحمة مع القانون حتى يحصل الايمان والدين للباقى بحسب فطرتهم بعداتمام الحجة عليهم .

فقتل من قتل لاجل اصلاح امور هؤلاء ، كقطع العضو الفاسد لبقاء ساير الاعضاء على الصحة ، وهو امر لازم عند العقلاء والاطباء فالاطباء الحقيقية تلزم عليهم ذلك ولاينافيه العقل ، وذلك التأسى انمايفعله من كان يرجو الله والقيامة ، واخذ بالواسطة ولذا يذكر الله كثيرا .

فالمعتقد بالمبدء ، والمعاد ، والواسطة يتبع النبى ﷺ ولذا لما رأى المؤمنون بهذه المراتب الاحزاب من الكفار لم يتزلزلوا ، وقالوا قدوعدنا الله ورسوله بمجيئهم وانهزامهم ، وقد جاؤا ويحصل منهم الفرار بعد ذلك ، لان الله ورسوله صادقان ، لاستحالة صدور الكذب من الله الغالب على الكل ، وكذا الرسول الذى يرى نفسه بين يدى الله دائماً (ولم يزدهم) مجيىء الاحزاب الاالايمان والاعتقادوالتسليم

لامر الله ، ولوبان صاروا شهداء فی سبيل الله ، لغلبة سلطان الآخرة عليهم .

(فمن) هؤلاء المؤمنين ( من قضى نحبه ) واجله ، وقتل في سبيل الله كعبيدة في البدر ، وحمزة فی الاحد و ساير الشهداء ( ومنهم من ينتظر ) للقتل في سبيل الله كعلى امير المؤمنين عليه السلام حيث ينتظر لبعث الاشقى حتى يخضب لحيته الشريفة عليه السلام من دم رأسه ( ١ ) وكذلك من يحذوحذوه فهو عليه السلام آنس بالموت من الطفل بثدى امه ( ٢ ) لان الله يجزى الصادقين بصدقهم فمن قال انی مؤمن بالمراتب ومسلم ومنقاد له ، ويكون فيافعاله كذلك يكون صادقاً.

و الله يجزى الصادقين وكل صدق له جزاء ، فبعضه يكون لقاء الله جزائه ، وبعضه تكون الجنة جزائه وكل ينظر الى جزاء عمله بحسب ما يتمناه من المرتبة

ولان يعذب المنافقين او يتوب عليهم، فان رأى الصلاح يميتهم على النفاق حتى يعذبوا ، وانشاء يوفقهم حتى يتوبوا، ففي الحقيقة هذه الجماعة من المؤمنين قد اخذ الله الغل من صدورهم ، و لا يكون بغضهم لشيء الا بغضاً في سبيل الله ، فيكلون الامر اليه و لا يبدلون تبديلا في ارادة الله ، و مشيّته ـ اى لا يستدعـون التبديل ـ .

واما الاحزاب وهم الكفار فقد ردهم الله خائبين مع غيظهم ولم ينالوا خيراً

---

(١) قال عليه السلام: لما انزل الله قوله تعالى : الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، علمت ان الفتنه لا تنزل بنا ورسول الله صلى الله عليه وآله بين اظهرنا فقلت : يا رسول الله : ما هذه الفتنة التي اخبرك الله بها ؟ فقال : ياعلى ان امتى سيفتنون من بعدى فقلت : يارسول الله : أوليس قد قلت لي يوم احد حيث استشهد من استشهد من المسلمين وحيزت عنى الشهادة فشق ذلك على فقلت لی : ابشر فان الشهادة من ورائك ، فقال لی ان ذلك لكذلك ، فكيف صبرك اذاً ؟ فقلت : يارسول الله ، ليس هذا من مواطن الصبر ولكن من مواطن البشرى والشكر . (نهج البلاغة لفيض الاسلام ص ٤٨٢)

(٢) ( نهج البلاغة لفيض الاسلام ص ٤٨ )

ومالا ، اذ جاؤا لاجل غارة المؤمنين وقتلهم (و كفى الله) من(المؤمنين القتال)حيث جعل الدفع بيد من كان فانياً فى الله ويده يدالله ، و هو على امير المؤمنين عليه السلام ) ولذا قد ذكر ان فى بعض المصاحف كان لفظ (بعلى) بعد لفظ القتال .

واذا كان ولياً ومتصرفاً فى الكل ، فالريح من قبله، والملائكة كذلك لكون الانسان الكامل متوسطاً بين الله تعالى ، و الملائكة كما قد ذكرنا مفصلا ، بحيث لم يسبقنا فيما رأينا فى قصة آدم عليه السلام والله قوى فوق الكل والغالب على الكل.

وعدم مخالفة ما يستفاد من الايات المذكورة للعقل يكون بينا .

اذا المستفاد منها لزوم الجهاد مع المشركين و الكفار ، و قد ذكرنا لزومه بحكم العقل ( و التأسى ) بالنبى صلى الله عليه وآله وقد ذكرنا لزومه (ووجود) المبدء والمعاد والواسطة، وقد اقمنا البراهين عليها فى غير موضع تبعاً لارباب العقول(وحكاية) استقامة المؤمنين ، وازدياد ايمانهم وسلمهم فى الشدائد، وهى من الواقعيات ولاربط للعقل فيها ( وحكاية ) قضاء نحب البعض و انتظار البعض، وهو ايضاً من الامور الواقعية، ولادخل للعقل فيها (وحكاية) عدم استدعائهم تبديل الواقع ووصول الجزاء اليهم ، ومع المنافقين يعامل الله ما اراده وهو ايضاً واقع لادخل للعقل فيه(وحكاية) رجوع الكفار و غيظهم على فوت مقصودهم ، و الامر فيه ايضاً يكون واضحا ( و حكاية ) كفاية الله من المؤمنين القتال من نزول الريح و الملائكة بتوسط على عليه السلام او بغير توسّطه ، او كفايته بسيف على عليه السلام ، و لفنائه فى الله نسب الى الله .

وعلى اى حال لاشائبة فى عدم مخالفة العقل فيها ، اذ ليس المراد نزول الله بنفسه وضربه بالسيف مثلا ، اوشىء آخر حتى يخالف العقل ، وكذلك قوة الله وعزته ، والله الهادى

قوله تعالى ﴿وانزل الذين ظاهر وهم من اهل الكتاب من صياصيهم وقذف﴾ ﴿فى قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً(٢٦) واورثكم ارضهم وديارهم﴾

﴿واموالهم وارضا لمتطؤها وكان الله على كلشيء قديراً (٢٧) يايها النبى قل﴾
﴿لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحاً﴾
﴿جميلا (٢٨) وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات﴾
﴿منكن اجراً عظيما ( ٢٩ ) يانساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف﴾
﴿لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله بسيراً ( ٣٠ ) ومن يقنت منكن لله﴾
﴿ورسوله و تعمل صالحاً نؤتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقاً كريماً ( ٣١ )﴾

وقد انزل الله الذين يساعدون الاحزاب ، وهم كفار مكة اى القريش ( من اهل الكتاب ) و هم بنو قريظة ( من صياصيم ) اى حصونهم وما يكون سببا لحفظهم والقى الرعب فى قلوبهم بعد النزول من الحصون ، وصاروا بين مقتولين والاسراء وانتقل ارضهم وديارهم واموالهم الى المسلمين ، بل وبعض الاراضى الاخر التى لم يطؤها فى ذلك الزمان ، وهى ارض خيبر والله قادر على كل شيء .

ثم انه قد ظهر مماذكرنا سابقا ان الجهاد لاجل الادخال تحت القانون المجعول من الله فى الزمان ، لاشتماله على المصالح الدنيوية والاخروية وحيئذ فلا فرق بين ان يكون المانع من اجراء القانون هو المشرك او غير المشرك ، ومن اهل الكتاب وغيرهم بل المسلم لو كان مانعاً من اجراء القانون يكون كذلك ، ولولم يطلق عليه اسم الجهاد ، فلا اشكال عقلا فى مقاتلة اهل الكتاب وسبيهم ، اذا زاحموا فى اجراء القانون المجعول من قبل الله .

ثم امر الله تعالى نبيه بان يقول لازواجه ما يتلى فى البعد .

اعلم ان الا لتذاذات الدنيوية من الاكل فوق حد مـا به الرمق . او فـوق الادنى من الطعام كالمشتمل على الكيفيات من الحلاوة وغيرها ، وكذلك اقسام المشروبات والتفكه (او) النكاح فوق الواحد (او) المجامعة ، ولو فى صورة عدم حصول الولد بذلك الماء (او) مايتعلق باللبس والمسكن (او) الركوب، وغيرها

من الامور الدنيوية انما (١) تكون ممنوعة للكاملين اذا وقعت المزاحمة بين تلك اللذات، والتوجه الى الله، وكانت مبعّدة من الالتفات اليه، والحضور لديه، او كان موجبا لكسر قلوب بعض.

واما اذا لم تكن مزاحمة ولا موجبة لانكسار القلوب فلا مانع عنها مطلقا، فهي من حيث الذات لاتكون فيهاجهة المنقصة، بل بسبب بعض الطوارى والموجبات.

ولذا تعتقد السلاك ان في اول الامر اى السفر الاول الذى يكون من الخلق الى الله لابد من الرياضات وكسر الشهوات لقوة تلك الشهوات وغلبة الملك على الملكوت وفوقها، ولكن بعد تمامية ذلك السفر (والثاني) وهو من الله في الله (والثالث)، وهو بالله في الله والوصول (الى الرابع) وهو السفر بالحق في الخلق لامانع من اللذائذ، بل في بعض الصور تكون لازمة لغلبة الملكوت وفوقها من الجبروت على ذلك المسافر وضعف ملكيته، فلو لم يستعمل ما يلتذ به لايبقى بدنه ويفارق روحه من البدن.

ولما انه يلزم عليه تكميل الغير و ارشاد النفوس وهو يتوقف على بقاء البدن يلزم عليه اقامة الجدار الذى تحته الكنز، للدرين اليتيمين، وهما مرتبة نفسه وروحه، اى ملكوته وجبروته، فلا اشكال عقلا في تعدد زوجات النبي ﷺ وبلوغها الى التسع بل الفوق، ولاعجب فيما ينقل منه ﷺ.

## كلميني ياحميراء، اشغليني ياحميراء

والعجب من بعض من ينتسب نفسه الى المسيح عليه السلام، ويقولون انا اتباع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ويقولون بصحة الاناجيل المترجمة، وفيها ان المسيح عليه السلام يقول لبعض، ما تقريبه: ان يحيى الزاهد جاء عندكم مع الزهد فقلتم انه قد جنه بعض مردة الجن وابن الانسان جاء وهو يأكل ويشرب ـ اى لابنحو الزهد ـ فتقولون

(١) خبر لقومه قده: الالتذادات

انه يعبد بطنه ويشرب المسكر

وايضاً يقول في جواب بعض الفريسيين: ان في السرور اذا كان زوج العروس- وهو الختن-لابد لتزيين السرور واستعمال اللذائذ ، واذا انقضى زمن السرور، وذهب الختن ، يلزم اجتناب بعض الامور ، ويلزم الصوم والامساك .

كيف يصحح(١) هذه الامور ويعتقدان لاضير فيها وان الالتذاذ بالاكل والشرب واستعمال المسكر وترك الصوم ، بل أكل مال الغير من الحنطة المزروعة ، يجوز ويحسن للمسيح عليه السلام ولكنهم يمنعون على النبى صلى الله عليه وآله وسلم التذاذه بالتزويج ، وتعدد الزوجات ، مع ان الامر ربما يكون بالعكس

اذ فى التزويج يجئى احتمال الاحسان الى الغير وهو احتمال كونها (٢) روابط بين النبى صلى الله عليه وآله وسلم وساير النساء ، في اجوبة المسائل ونقل افعاله وحالاته التى في مقام التأسى ، ولكن السؤال عنها مما يستحيى ، فلا يسئلن من النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولا يسئلوا عنه-اى الاجنبيات والرجال-فلابد من وجود الازواج، وفي ساير الالتذاذات لايجيىء الاحتمال ، والحاصل ان التفصيل بين اللذائذ ومنع الالتذاذ من المرئة ، لايكون الاناشئا من العناد

هذا مع ان الشريعة الموسوية غير مانعة من التعدد ، وفعل انبياء بنى اسرائيل يدل على ازيد من المقدار المذكور ، مع انهم يقولون بان شريعة التوراة غير منسوخة مطلقا ولوفى طلب واحد ، والانسان يتعجب من ذلك القول ، واختلاف النصارى مع اليهود فى افعالهم ، وهل ذلك الامجازفة وتناقض .

واحتمال ان تعدد الزوجة موجب للظلم على النساء ، وعدم حصول الوداد بين الزوجين ، لوجود المزاحم لها و المحبوب الاخر له ، و عدم أنس الاخوة ، من باب اختلاف امهاتهم ، في غاية السخافة ، بل الظلم فى العكس .

(١) خبر لقوله : والعجب من بعض من الخ
(٢) اى النساء المتزوجات بالنبى (ص)

اذمن المحسوسات والوجدانيات ، ان فی بلاد المسلمین مع تعدد الازواج بل فی بلاد الشیعة ، بضمیمة المتعة لاتصیر المرأة التی لابعل لها مفقودة ، بل مهما وجد خاطب تکون المرأة موجودة ، وحینئذ فلواقتصر علی الواحدة خصوصاً مع منع الطلاق تبقی النساء بدون الرجال کثیرة ، فیلزم الضرر علی هذه البائرات الا اذا اشتغلن بالزناء ، فالانحصار فی الحقیقة موجب لتکثیر الزناء ، و هل یرضی احد ان تکون الشریعة موجبة لفتح هذاالباب ؟

وایضا قدنشاهد و نری ان النساء فی سن الاربعین او الخمسین فی الغالب لایمیل الرجال الیها ، بخلاف الرجال حیث ان مع وجود الالة القویة تمیل النساء الشابات الیهم ، وحینئذ فلابدللرجال ان یأخذوا رفیقه اجنبیة ، وبعد اخذها تصیر الزوجة متروکة بالمرة ، لمساعدة الشیطان فی تزیین الاجنبیة فوق المنکوحة ، فالوداد یزول ، بل اذاصار الامر کذلک یاخذون الرفیقة من اول الامر ، و یحصل ضعف الوداد من الاول ، بل وتحصل اولاد من الزناء ، وحصول الشقاق یجییء فی البین ، بل ازید ، و لذا یمکن ان یقال : بمجعولیة ذلك المطلب و عدم کونه من الشریعة .

و علی ای حال فلا مانع من جهة العقل فی تعدد الازدواج ، و لاینافی مع الکمال .

و الله یقول للنبی ﷺ اظهر لازواجك ان کانت الدنیا و زینتها محبوبة ، فامتعکن بالطلاق ، وارسلکن من قیدزوجیتی ارسالا ، وسراحا جمیلا .

و ان کانت الاخرة و الله و الرسول محبوبة عندکن ، فالله اعد للمحسنات منکن الاجر العظیم ، ولاجل انسکن وحشرکن مع النبی ﷺ اذا صدرت فاحشة بینة من احد یکن ، یضاعف العذاب لها فی الدنیا من الحد والتعزیر ، والاخرة من العقاب ، اذمالم تصل نفسهن الی منتهی الشقاوة لایصدر الذنب منهن مع ذلك الحشر ، و ضعف ذلك العذاب یهون عند الله ، اذ لیس النظر الا الی الصفات والملکات .

و من يخضع منكن لله و الرسول ، وصدر منها العمل الصالح ، يضاعف اجرها ، لتأثير المجالسة في كمال نفسها ، فالخلوص و الحقيقة في اعمالها اتـّم ، واعدالله لها الرزق الكريم .

و ظهرمن تمام ما بيّنّا عدم مخالفة تلك الآيات مع العقل،من مجاهدة اهل الكتاب ، وقتلهم و اسرهم ، ووواقعية قذف الخوف ، فلاكذب حتى ينافى العقل ، و كذلك ارث الاراضي والديار ، فـان الارض لله يورثها لمن شاء من عباده ، ولايخالف العقل حيث انالمالكالحقيقي يعطى (وتعدد) الزوجات(وجعل)الاختيار بيدها بل هو كمال السلوك فلا تنافي للعقل فيهماكما مر (وكون) العذاب اضعف لاشتداد الملكة الردية ، و الاجر اضعف ، لاشتداد الملكة الحسنة ، اذ الملكات والاخلاق والعقايد هي الاصل، والاعمال هيالفرع ، فلا يكون ذلك الضعفظلما عليهن، ولاترجيحا لهن على غيرهن من نساءالعالم من دون مرجح ، والامرواضح والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿ يا نساء النبى لستن كاحدمنالنساء ان اتقيتن فلاتخضعن﴾ ﴿بالقول فيطمع الذى فيقلبه مرض وقلن قولا معروفاً (٣٢) وقرن فيبيوتكن﴾ ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى واقمن الصلوة وآتين الزكوة واطعن الله ﴾ ﴿ورسوله انما يريدالله ليذهب عنكم الرجس اهل البيتويطهركم تطهيراً(٣٣)﴾ ﴿ و اذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله و الحكمة ان الله كان لطيفـاً ﴾ ﴿خبيراً (٣٤)﴾ .

اعلم ان القرآن وان نزل على قلب النبى ﷺ مجتمعاً في ليلة القدر، وهي المرتبة المتوسطة للقرآن، النازلة على المرتبة المتوسطة للنبى ﷺ ، والنازل به الروح الامين على قلبه ﷺ لقوله تعالى (نزل به الروح الامين على قلبك) (١) . الا ان المرتبة الدانيةمن القرآن ، وهي مرتبة الالفاظ والصوت نازلةمنجما

(١) الشعراء - ١٩٤

ومقسطا في مدة ثلاث وعشرين سنة ، على سمع النبيﷺ كصلصلة الدراى (١)، و عند نزول ذلك الوحي ينقلب حاله و يغشى عليه ، ويتلوعليه ﷺ جبرائيل عليه السلام ويتكلم به النبيﷺ ويكتبه كتّاب الوحي .

و من هذه الحيثية لا يلاحظ في الايات اتحاد النسق والارتباط ، ولم يكن النزول بهذا الترتيب، بان يكون اول ما نزل سورة الحمد ، وآخر ما نزل سورة والناس ، و يعترف بذلك تمام العلماء من الفريقين ، وانما جمعوه بعد النبي ﷺ و بعض الايات المنفردة ذكروها في خلال بعض السور ، حيث ظنوا ان الاحسن ان يذكرهنا .

ومن جملةتلك الايات آية التطهير،ولو كانت مرتبة مع القبل والبعد،لكانت نازلة في حق نساء النبي ﷺ و كان اللازم تأنيث الضمير و ان يقول الله (ليذهب عنكن الرجس ويطهركن تطهيراً) والاية المذكورة نازلة في حق الخمسة الطيبة ، ( سلام الله عليهم ) ومن باب التغليب جاء بضمير المذكر كما عليه اخبار العـامة والخاصة .

وعلى اي حال يخاطب الله نساء النبي ﷺ، بانه لستن كاحد من النساءلحصول العلم لكن ، و عدم جهلكن ، فلا ينبغي ان يصدر منكن ما يصدر من الجاهلات ، على ان نساء الامة يقتدين بكن في الحالات فلابد من مراعا تكن الاداب.

فان كانت التقوى فيكن فلا تخضعن بالقول بارقاق الصوت و تلطيفه ،حتى يحصل طمع الشهوة في من كان في قلبه المرض ، و غلبه مرض الشهوة و تكلمن بصرافة طبعكن ، وعلى نحو ما خلقكن الله ، وتكلمن على نحو المتعارف.

وقرن اصله (اقررن) (في بيوتكن) اي لا تخرجن من بيوتكن واسكن فيها ، ولا تظهرن على الرجال في الشوارع والاسواق وساير المحال ، كتبرج النسـاء

---

( ١ ) في حديث صفة الوحي كأنه صلصلة على صفوان ، الصلصة صوت الحديد والصلصلة اشد من الصليل ( مجمع البحرين )

وظهورهن بزينتهن في زمن الجاهلية الاولى اى السابقة على البعثة، والجاهلية الثانية هى بعد البعثة قبل استقرار الاسلام (واقمن الصلوة وآتين الزكوة) فلو كانت لهن اولبعضهن المال الزكوى كالنخيل، اوالزراعة من الحنطة والشعير، اوالابل اوالغنم اوالبقر،اوالذهب والفضة المسكوكتين بمقدار مايصل الى النصاب، فايتاء الزكوة عليهن بنحو الوجوب ، وان لم يكن لهن فيحمل على المندوبات ، فان لكل شيء زكوة ، من العين واليد واللسان والرجل والسمع ، وهى صرفها فى طاعة الله (و اطعن الله ورسوله).

واما آية التطهير فهي في حق اهل بيت النبوة (١) ، ولا بد قبل الشروع من بيان الطهارة ومراتبها.

فنقول ـ وبالله التوفيق ـ ان الطهارة في مقابل الكثافة ، والخباثة والنجاسة فطهارة ظاهر البدن واللباس وساير الاشياء ، عدم وجوب الاجتناب عنها ، وعن الملاقى لها رطبا في الاكل والشرب والصلوة ، ومقابلها النجاسة ، وطهارة المرتبة الممتزجة من النفس والبدن في مقابل الحدث ، وهي الحالة المانعة من الدخول في الصلوة ، والحرام في حالها مس كتابة القرآن ، او في بعضها دخول المساجد و المكث فيها.

ودليل انها صفة للحالة الممتزجة ، ان غسل البدن على النحو المخصوص

---

(١) اورد السيد المتتبع الخبير الماهر السيد هاشم البحراني قدس سره فى غاية المرام احد واربعين حديثاً من طريق العامة في أن آية التطهير نزلت فى النبى وعلى وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم اجمعين واربعة وثلاثين حديثاً من طريق الخاصة فراجع ص٢٨٧ ـ الى ٢٩٢.

ومن اراد تفاصيل أحاديث العامة مع ترجمتها بالفارسية وبعض النكات المستفادة منها فليراجع مجمع الانوار لسيد الاعلام حجة الاسلام والمسلمين الحاج السيد حسين الموسوى الكرمانى زيدت بركات آثاره من ص٣٥ الى ص١١٧ فانه حقيق بأن يراجع لانه أورد فيه ثلاثة وخمسين طريقاً من العامة فى هذا المعنى (اقل الطلاب على پناه الاشتهاردى)

يكون لازماً مع نيةالتقرب ، بخلاف الاول حيث انهـا تحصل بالغسل ولو بدون قصد القربة ، فلزوم القصد لاجل ما ذكرنا.

وطهارة الاخلاق ـ وهي اتصافها بالملكات المتوسطة التي تسمى بالعدالة ـ الطرفان المتعادلان ، ولايرجح احدهما على الاخر ككفتي الميزان ومقابلها الخباثة والرذالة .

فالشهوية مرتبة وسطها ـوهيالعفةـ طهارة، ومرتبة افراطها ـ وهي الشرة ـ وتفريطها ـ وهي الخمود خباثة ورذالة .

والغضبية مرتبة وسطها ، و هي الشجاعة طهارة ، وتفريطها ـ وهي الجبن وافراطها وهيالتهورخباثة ورذالة ، والحكمةا لعملية ، وان شئت قلجنبة السياسة ، مرتبةوسطهاـ وهيالحكمة طهارةـ ومرتبة افراطها وهيالجربزة والدهاء والنكرى والشيطنةالموذيةللناس وتفريطهاـ وهي البلاهة والبلادةـ خباثة ورذالة.

ومن شئونات هذه الدرجة طهارة الافعال باتيان الواجبات وترك المحرمات وخباثة الافعال وهي عكسها .

فهذه ثلاثة درجات للطهارة (الطهارة) من النجاسات والاحداث (والطهارة) عن المعاصي مـن ترك الواجب واتيان المحرم (والطهارة) مـن رذائل الملكات والاخلاقالردية.

وهناك مرتبة رابعة ، وهي طهارةالنفسـايالدرجة العالية منهاـوهيالطهارة من التوجه الى غير الله في قبال الاشتغال بغيره وهذه الدرجـة انما تحصل بسقى الرب الشراب الطهور لهم ،كما فـي سورة هل اتى (وسقيهم ربهم شراباً طهوراً) الواردة في حق الاربعة من اهل الكساء علي(ع)وفاطمة (ع)والحسن(ع) والحسين سلام الله عليهم .

وحينئذ نقول ليسالمراد منالطهارة هنا المرتبة الاولى ، بان يكون المراد انلباس الخمسة الطيبة وابدانها، لاتنجسبملاقات النجاسة ، اولاتلاقى النجاسة ،

وكذا انهم لايحصل لهم الحدث ، بل المراد هى المراتب الاخيرة ، من طهارة الافعال والاخلاق والذات .

فبعد ادخال النبى ﷺ الاربعة تحت الكساء ، قدجاء جبرائيل عليه السلام بهذه الآية كمافى الطرق المتعددة عن ام سلمة وعائشة فصـدر الاية بكلمة (انما) ، وهى تدل على ان هذا المطلب واقع محققا ولامحالة، وارادة الله غير متخلفة عن المراد قطعا، والاوامر والنواهى اظهارات للحب والصلاح ، لاارادة ، فالتخلف فيهـا بلحاظ العـاصين لايدل على امكان التفكيك فى صورة الارادة وحقق ذلك فى محله بلامزيد عليه .

وتوهم بعض اتباع الشيخ الاحسائى ، بدلالة الاية على الطهارة بتمام مراتبها ، فدمائهم وبعض الاشياء الاخر ايضا منهم عليهم السلام تكون طاهرة فى غير محله لاستلزامه عدم محدثيتهم فيلزم ان لايجب عليهم الوضوء والغسل ، وهم ايضا لايرضون بذلك ، ولايقولون به .

وقرينة المقام من كون الله فى مقام تبجيلهم واظهار عظمتهم تدل على ان المراد ماله دخل فى كمال النفس ، وهى الدرجات الاخيرة .

على ان اذهاب الرجس ظاهر فى رفع الامر الدائمى للنفس من النقصان ، لاما يطرء فى بعض الاوقات ويرتفع بالماء .

فكأن الله نادى اهل البيت عليهم السلام وقال يا اهل البيت انما يريد الله اذهاب الرجس عنكم وتطهيركم .

ثم قال الله تعالى خطاباً لنساء النبى ( واذكرن مايتلى فى بيوتكن ) حتى تصير منشأ لاطاعتكن لله ان الله لطيف وينفذ علمه فى باطنكم ، وخبير بما فى انفسكم والله الهادى .

وعدم كون خلاف العقل فيها قد ظهر مما سبق ، من نفى كونهن كاحد من النساء لكون نظر نساء الامة اليها فالتحفظ فيها الزم ، وامر (قلن) لما يكون وارداً عقيب النهى يكون للترخيص ، فالتكلم على نحو المتعارف يكون مرخصاً فيه ، ولااشكال مع عدم الريبة ، وساير ماذكر حسنها فى نهاية الوضوح ، وآية

التطهير ايضا في محلها كما بين .

قوله تعالى : ﴿ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين﴾ ﴿و القانتات و الصادقين و الصادقات والصابرين و الصابرات و الخاشعين ﴾ ﴿والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين﴾ ﴿ فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة ﴾ ﴿ واجراً عظيما ( ٣٥ ) وما كان لمؤمن ولامؤمنة اذا قضى الله ورسوله امراً ان ﴾ ﴿يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا (٣٦)﴾ ﴿ واذ تقول للذى انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك و اتق الله ﴾ ﴿وتخفي في نفسك ماالله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه فلما قضى﴾ ﴿زيد منها وطراً زوجنا كهالكي لايكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم﴾ اذا قضوا منهن وطرا و كان امر الله مفعولا (٣٧) ﴾ .

الظـاهر ان الاية الاولى في مقام التعليل للسابق اى افعال الله ليست لاجل الخصوصيـات ، بل لاجل الامر الكلى ، و كل فرد اندرج تحت الكلى ، يفعل الله معه ما يفعله في الفرد الاخر المندرج تحت ذلـك الكلـى ، فمن اسلم و كان في مقام التّسلم لله والاخذ بمايكون من قبله ورفض الخصوصيات من العصبيات وغيرها أوأسلمت كذلك .

ومن قنت اى اتصف بصفة الخضوع لله ، والاتصاف بالصفة انما يكون فيما اذا كررت الافعال ، وحصلت الملكة من تكرر الافعال ، فهذا المطلب ملحوظ في تمام الامور المذكورة في الاية وكذلك من قنتت .

ومن صدق وجعل شيمته الصدق ومن صدقت .

ومن صبر في المكاره اى لم يصدر منه مايدل على عدم رضايته من الله، لاندكاك انانيته ، وترجيح رضى الله على رضائه ومن صبرت .

ومن خشع في القلب، بان بنى على ذله وعزة الله ، ورسخت فيه تلك الصفة

والخضوع في الجوارح او بالعكس، و على اى حال ، فالمراد من احدهما فعل الجوارح ، ومن الاخرفعل القلب فلاتكرار ومن خشعت .

ومن تصدق في سبيل الله ببذل جوارحه اوقلبه كالفكرفى سهولة امورالمسلمين وانه باى نحويكون اوامواله اونفسه ومن تصدقت .

ومن صام وامسك في النهار عن المفطرات ومن صامت .

ومن حفظ فرجه من الزناء ومالايرضي الله ، ومن حفظت .

و من ذكر الله كثيراً لازدياد حبّه فيحب ان يذكر محبوبه كثيراً ، ومن ذكرت .

اعد الله للجميع المغفرة من المعاصى الصادرة عنهم في صورة غلبةالهواء والاجر العظيم في طاعاتهم ، لقوة ملكاتهم والغفران (اما) بموفقيتهم للتوبة (واما) بالتوازن والالقاء بعد اخفّيتها عن الملكات والاعمال الحسنة ، فلااشكال عقلا .

ثم قال الله تعالى : ( ان المؤمنين و المؤمنات ) لااختيار لهم فيمقابل الله والنبي ﷺ ، وقدذكرنا الوجه في صدر هذه السورة فضلا عما ذكرناها مراراً ، حيث ان العلة اولي بالمعلول منه اليه ، فالمعلول يكون تابعا ، وحق التابع التقلب والتحرك بارادة العلة ، وان يفعل مافيه رضى علته ، و النبي ﷺ علة للمؤمن بما هو مؤمن .

فاذا حكم الله او الرسول الفاني في الله بامراى فعل من الافعال ، فلا يبقى للمؤمنين والمؤمنات الاختيار ، ولابد من اختيارهم ماقضى به الله ، او النبي ﷺ والعاصى لهما في الضلال الواضح ، فانالله والرسول مالم يعلما بصلاح للشخص او للنوع لايأمر ان ، فالمخالف لهما مضافاً الى مخالفته للمولى الحقيقى ، مفوت للصلاح الشخصى اوالنوعي .

وقدذكروا شأن نزول الاية في حق عبدالله ابن جحش واخته زينب ، حيث ان رسول الله ﷺ خطب زينب فظنا ان رسول الله ﷺ يخطب لنفسه فرضيا ،

و الرسول ﷺ انما خطبها لزيد بن حارثة المدعو بابنه فكرها ذلك ، لان زيداً كان قدسبى واتخذوه عبداً واشتراه رسول‌الله ﷺ واعتقه، وكان عاراً عليهما هذا التزويج و هو تزويج بنت عمة رسول الله ﷺ من اعاظم القريش ، من عبد صار معتقـا .

وكان رسول‌الله ﷺ مريداً ان يزول تلك التكبرات ، و ان الكرامة بالعلم والتقوى، والافتمام الناس في‌حد سواء : فكل‌مسلم كفولكل‌مسلمة ولو كان احدهما في الدرجة العالية من النسب والاخر في الدرجة الدانية و لما جائت الاية رضيا ، و تزوجت زينب لزيد بن حارثة ، و صـارت زوجته ، و لكن في نفسها شيء من الاستعلاء ، وفي نفس زيد من اجل هذه الجهة شيء من الكراهة .

ثم قال الله ( واذتقول ) اى اذكر حين تقول ، ومحصل تلك الواقعة على ماذكروه ان رسول‌الله ﷺ دخل في بيت زيد بن حارثة ، فوقع نظره على زينب فجأة ، حيث ما كانت ملتفتة لمجيىء رسول الله حتى تستروجهها فعجبه حسنها ، وقال : سبحان الله وخرج النبى ﷺ لما لم يكن زيد في البيت .

فاذا قدم زيد ذكرله زينب الواقعة ، وذكر لفظة ( سبحان الله ) فظن زيد ان رسول الله ﷺ تعلق بهـا ، ومن شدة حبه لرسول الله ﷺ مع ما في نفسه مـن كراهة زينب ، لعدم التيام أخلاقهما كما ذكر ، جـاء عند رسول الله ﷺ وقال : اريد ان اطلق زينب ، فعلم رسول الله ﷺ بالواقعة وقال : له امسك زوجتك و لاتطلقها (واتق الله) اى اجعل الله وقاية لسوء خلقها ، او اخش الله في عدم صبرك على سوء خلقها معك ، فنزلت الاية (١) .

---

(١) وقيل: ان الذى اخفاه في نفسه صلى الله عليه وآله ، هو ان الله سبحانه أعلمه انها ستكون مـن أزواجه ، وان زيداً سيطلقها ، فلما جاء زيد وقال لـه : اريد ان اطلق زينب قال له : امسك عليك زوجك فقال سبحانه : لم قلت: امسك عليك زوجك وقداعلمتك انها ستكون من أزواجك ؟ روى ذلك عن على بن الحسين عليهما السلام وهذا التأويل–

وقال الله (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) اي انت تعلم بأن زيداً يطلقها وتتزوجها ومع ذلك تخفي ذلك من الناس وتقول امسك زوجك (وتخشى الناس) في الاظهار بان يقولوا ان النبي ﷺ تزوّج زوجة ابنه، مع ان الله حقيق بان تخشاه، وخشيتك لابد ان تكون من الله لا من الناس .

فطلقها زيد ، وانقضت عدتها وزوجها الله من رسول الله حيث يقول الله (فلما قضى زيد) حاجته منها وتم الامر بينهما ، قد انكحناك اياها ، حتى لايكون للمؤمنين حرج في ازواج الادعياء، لان فعلك يكون حجة ، وبفعلك يذهب تلك العادة الميشومة من البين وهي جعل المدعو بالابن ابناً حتى يحرم زوجته على من يدعوه ابنا .

وهذه الايات غير مخالفة للعقل أما الاية الاولى منها فلا مخالفة للعقل فيها كما ذكر .

وكذلك الثانية لما بينا من الاولوية فلا مخالفة للعقل فيها أيضاً .

و أما الثالثة فهي معركة الجدال وقال بعضهم ان هذه الاية دلت على عدم كمال النبي ﷺ و كونه أسيراً لشهوته لا أميراً ، حيث نظر الى زينب ولم يملك نفسه ، فعشقت لها أو أحبت لها وجرى على لسانه عظمة الله الخالق لهذا الحسن ، فكأنه قال : ان هذا الحسن في درجة الكمال ، فمنزه خالقه من النقائص .

---

ـمطابق لتلاوة الاية .

وذلك انه سبحانه اعلم انه يبدي ما أخفاه صلى الله عليه وآله ولم يظهر غير التزويج فقال : زوجناكها ، فلو كان الذي أضمره محبتها او ارادة طلاقها لاظهر الله تعالى ذلك مع وعده بانه يبديه ، فدل ذلك على انه عوتب على قوله : (امسك عليك زوجك) مع علمه بانها ستكون زوجته وكتمانه ما اعلمه الله به بحيث استحيى ان يقول لزيد : ان التي تحتك ستكون امرأتي .

وقال البلخي : ويجوز ان يكون أيضاً على ما يقولونه : ان النبي صلى الله عليه وآله استحسنها فتمنى ان يفارقها زيد فيتزوجها ، وكتم ذلك لان هذا التمني قد طبع عليه البشر، ولاحرج على أحد في أن يتمنى شيئاً استحسنه (مجمع البيان ج ٤ ص ٣٦٠) .

ثم خشى من الناس اظهاره لمحبتها ، مع انحبها كان في صدر النبي ﷺ والاخفاء للخشية من الناس يكون نقصاً ، والا لم يذمه الله تعالى عليه فذمه تعالى يدل على نقص النبي ﷺ وكون الناقص نبيا خلاف العقل .

ونقول (بعون الله وحسن توفيقه) : ان ما ذكروه يكون باطلا ، اذ هنا وقع امور نبحث عن كل واحد واحدمنها حتى نرى أن في اي واحد من الامور حزازة(١) ومنقصة .

فنقول : (أما النظر) اذا لم يكن بعنوان الريبة والتلذذ الفعلي لايكون محرماً بالنسبة الى الوجه والكفين ولا مكروها اذا لم يحصل الخوف عن الوقوع في الحرام بالنظر وحينئذ فنظره الاختياري لوكان لم يكن فيه حزازة ( وأما النظر ) القهري فلا ضير فيه قطعاً لعدم اختياريته ، وما وقع من النبي ﷺ كان من هذا القبيل كما ذكروه .

(وأما درك) الحسن بعدالنظر فجعله من النقص لعله من المضاحك، بل دركه من الكمال (واما) كلمة (سبحان الله) ، ولو كان لاعجابه من حسنها ، وليس معنى الاعجاب الا درك الامر الغريب فلا حزازة فيها بل الدرك كمال وتعظيم الخالق وتنزيهه كمال آخر .

مع ان بعض أهل التحقيق قال ان رسول الله ﷺ شاهدفي اللوح عددأزواجه وصفاتها وشمائلها ، واذا رأى زينب رأى انهااحدى زوجاته في اللوح المحفوظ، فتعجب ونزه الله .

وظن زيد انرسول الله ﷺ تعلق قلبه عليها لايدل على ان الواقع كذلك أيضاً وأما انرسول الله ﷺ صار مغلوباً في هواها ولم يملك اختياره، فغلط ، والالم يأمر زيداً بامساكها .

وأمااخفائه ما الله مبديه، فلان غرض الانبياء تكميل النفوس، ولذلك يراعون

---

(١) الحزازة : وجع في القلب من غيظ ونحوه (أقرب الموارد) .

العادات ، اذا لم يكن فيها خلاف رضى الله حتى لاينفضوا من حولهم ، ويأخذون منهم الكمالات ، وكـان رسول الله ﷺ كذلك ، وكان عند الناس تزويج زوجة المدعو بالابن ممنوعاً ، فما لم يجيء مـن قبل الله أمر على الخلاف ،كان رسول ﷺ آخذاً به .

ولم ينزل الى هذاالزمان حسن كسر تلك العادة ، ولم يكن داعياً لان يظهر الواقع للناس فقال الله: (وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) وقدذكرناان التعظيم مأخوذ فى الخشية، والمعنى انك تعظم الناس، حتى لايقع خلاف ميلهم والله حقيق بالتعظيم .

وهو أى لفظ (أحق) لايكون للتفضيل ، بل يكون وصفياً اى انك بلغت فى مرتبة من العظمة بحيث لايليق لك ان تعظم غير الله ، بـل الله فقط لابد ان تخشيه وتعظم وذلك كمال التبجيل ، ولايكون ذماً كما زعموه .

ثم قال الله بعد الطلاق وانقضاء العدة : أدخل عليها فانا قد زوجناكها، ولو كانت فى القضية منقصة ، لايشرّف الله نبيه بأن ينكحها اياه ، بل يأمر بنكاحه ، والفرق بينهما واضح ، ولذلك لم يقع عقد بينهمافى عالم الملك ، بل العقدبينهما فى اللاهوت .

ثم بين الله من مصالح ذلك النكاح واحداً ، وهو رفع حرج المؤمنين فى نكاح أزواج أدعيائهم بعد الدخول أيضاً ، وأمر الله يوجد ويتحقق .

ولما انه لا دلالة فـى الاية على نقص . بل فيها دلالة على الكمالات ، وان الرسول لابد ان لايكون له أمر مخفى . ولو فى باطنه من باب تعظيم الناس ، وانه ليست العظمة الا لله عليه .

فلا نحتاج الىما نقل من بعض فى بيان التصحيح: ان تزويج زوجةالمدعو بالابنية كان منكراً عند الاعراب ، بحيث لايقدمون عليه ولو امرالله و رسوله به ، فلذلك خطب رسول الله ﷺ زينب لزيد و الزمها فيه ، لعلمه بعدم التيام اخلاقهما

وانه يفارقها، فاراد رسول‌الله ﷺ ان يقدم بنفسه‌على ذلك الامر الممنوع عندهم، بحيث لايقدمه احد مع أمره ، واما بعد فعله فيأخذون ففعل ما فعل و كان تزويج زيد من زينب ايضاً مقدمة لهذا الفعل، من الاول ، ولم يكن لاجل الشهوة ، و الا فقبل آية الحجاب‌قدر آهاالنبی‌صلى الله عليه وآله لكونها بنت عمته، ولم‌يتزوجها مع ارادتها واخيها ان يزوجها رسول الله ﷺ كما سبق ، و البكر احسن صورة من‌غيرها .

وان‌كان بياناً حسناً ( ١ ) في حد ذاته ، ولكن يمكن منع ان الفعل كان هنا اردع في طريقتهم من قوله .

و على اى حال فلا خلاف للعقل فيها ، وقول الجاهل العنود لا يعتنى به، والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿ ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له سنةالله فى الذين خلوا من قبل وكان امرالله قدراًمقدوراً (٣٨) الذين يبلغون رسالات‌الله ويخشونه ولا يخشون احداً الا الله وكفى بالله حسيباً (٣٩) ما كان محمد أبا احد من رجالكم‌ولكن رسول‌الله وخاتم النبيين‌وكان‌الله بكل شىء عليما(٤٠) يا ايها الذين آمنوا اذكروالله ذكراً كثيراً (٤١) وسبحوه بكرةواصيلا(٤٢) هو الذى يصلى عليكم و ملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور و كان بالمؤمنين رحيما ( ٤٣ ) تحيّتهم يوم يلقونه سلام و اعدّ لهم اجراً كريماً (٤٤) ﴾ .

المراد بالفرض هنا الترخيص والتحليل ، اى اذا صار شىء حلالا و مباحاً لاحرج على النبى فى ارتكابه ، ولعل الوجه ما ذكرنا ، من ان فى السفرالرابع‌لا يشغله عن الله شىء ، فلا ضيرفى ارتكاب مالم يكن فيه الفساد من الامور الدنيوية وملاذّها ، كسنةالله وطريقته فى الانبياء الذين خلوا ومضوا فى‌القبل‌فلفظ (سنةالله)

(١) يعنى ان ما نقل من بعض فى بيان التصحيح ، وان‌كان بياناً حسناً الخ .

منصوب بنزع الخافض ، و ما يصدر من الله من الاحكام ، و الافعال يكون مقدراً بقدر ومحدوداً بحد ، اى يكون الحسن فى عدم التجاوز منه نقيصة وزيادة.

و كل من يكون رسولا من الله ومبلغاغنه،ويخشى من الله خشية التعظيم لايخشون احداً الاالله و كفى بالله الحسيب والكافى .

ولا يكون محمد أبا احد من رجالكم كزيد بن حارثة وغيره، ولكنه رسول من الله وخاتم للرسل بالكسر اى آخر النبيين ولانبى بعده، او خاتم النبيين بالفتح كما فى بعض القرآئات اى ختمت به النبوة ، كالخاتم الذى يوضع على الباب المسدود ، حتى لا يدخل فيه احد فبسبب وجوده ختم باب مجىء شخص جديد بالنبوة .

(و كان الله عليماً) ومتقنا وحيث انه يعلم الغيب يعلم بان احداً لايستعد الوصول الى النبوة بعد نبينا ﷺ حكم بانه الخاتم.

ثم امر الله بذكر المؤمنين لله ذكراً كثيراً وان ينزهوه صباحاً و مساء .

وان الله يصلى على المؤمنين ويفيض عليهم الرحمة و كذلك الملائكة،ووجه صلواتهم ، لان يخرجوكم ايها المؤمنون من الظلمات الى النور اى من الجهالة الى العلم ومن النقص الى الكمال (و كان الله رحيماً) بالمؤمنين بالرحمة الخاصة، و تحية المؤمنين يوم ملاقاتهم لله وهى يوم القيامة السلام ( و سلام قولا من رب رحيم (١) فالله يسلم على المؤمنين بعد تجليه عليهم وهيألهم الاجر الكريم

وعدم مخالفة الايات المذكورة مع العقل من الواضحات (اما الاية) الاولى فقد مر وجهها ، وان فى السفر الرابع لا تضييق فى المباحات وذلك بالنسبة الى تمام الانبياء لوصول تمامهم الى هذا السفر ، ومحدودية أفعال الله واوامره ايضا من الامور العقلية لكونها مجعولة و كل مجعول له الحد والغير المحدود واللايتناهى ليس سوى ذاته الذى هو صرف الوجود ومحضه .

---

(١) يس ــ ٥٨

(واما الاية الثانية) وهي كون تمام الانبياء ، لايخشون احداً من باب عظمته سوىالله ، وعلمهم بكفاية الله لهم هوالحق ، والعقل يطابقه ولايخالفه .

(واما الآية الثالثة) ، فلما لميكن احد من الرجال في زمن صدور الآية ابنا حقيقياله صلىاللهعليهوآله واما الحسنان عليهما السلام فكانا صغيرين غلامين ولم يكونا من الرجال ، والمدعو بالابنية ايضالايكون ابناً وهوزيد فلم يكن ابااحد من الرجال .

وقدانبأ الله ايضا ، لعلمه بالزمان الآتي بانسداد باب النبوة بعده ، كالأنسداد بالخاتم ، اوكونه آخر الانبياء وذلك ايضا ممالا ينافي العقل ، اذلامانع في كون احكامه صلىالله عليه و آله صلاحها عامة الى يوم القيامة ، و ايداع بعضها عند اوصيائه ليظهروا في البعد .

ولا يلزم سد باب الفيض لان نـزول جبرئيل عليه السلام و سايـر الملائكة على اوصيائه عليهم السلام لاتيان مايقع في العالم ، علما اوغيرعلم من القدرة علىالايجادات ، وانما المنسد تشريع جديد لانه صلىالله عليه و آله بين الجميع لهم ، و تحصيل الحاصل وتوضيح الواضح محال ، بلنقول : ان الاوصياء عليهم السلام مختلف الملآئكة وينزلون عليهم و يصعدون اليهم بحسب اختلاف الحـالات ، فـلايكون الفيض مسدوداً ، فلامانع عقلي هنا.

(واما الرابعة) فالتوجه الىالله وذكرهوتنزيهه ، امرمستحسن عندالعقل .

(واما الخامسة) فلانه قدسبق انالممكن حدوثا وبقاء ، يفتقرالىالعلة ، فكل آن لابد من ايصال رحمة الله بالواسطة ، و رحمة الملك بدون الواسطة على اهل الايمان، حتى يخرجمابالقوة فيهم الى الفعل ، فيصلون منعالم الظلمات الى النور وذلك ايضا امر قددل عليه العقل ولايخالفه ، وكذلك نزول الرحمة الرحيمية على المؤمنين لاستحقاقهم .

(واما السادسة) ، فلقاء الله بحسب تجلياته يوم القيامة ، وفناء المؤمنين فيه بحيث يشاهدونه به ، مما دلت عليه الادلة العقلية والكشفية ، وسلام الله عليهم في

تلك الحالة لامانع فيه عقلا ، وكذلك اعداد الاجر الكريم ، والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿ياايهاالنبى اناارسلناك شاهداًومبشراً ونذيراً (٤٥) وداعياً﴾ ﴿الى الله باذنه وسراجاً منيراً (٤٦) وبشرالمؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيراً﴾ ﴿(٤٧) ولاتطع الكافرين والمنافقين ودع أذيهم وتوكل على الله وكفى بالله﴾ ﴿وكيلا (٤٨) ياايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل﴾ ﴿ان تمسوهن فمالكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحاً﴾ ﴿جميلا (٤٩) ياايها النبى انا احللنا لك ازواجك اللاتى آتيت اجورهن وما﴾ ﴿ملكت يمينك مما افاءالله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات﴾ ﴿خالاتك اللاتى هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ان اراد﴾ ﴿النبى ان يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم فى﴾ ﴿ازواجهم وما ملكت ايمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفوراً﴾ ﴿رحيماً(٥٠)﴾ .

الشاهدهو المخبرعن العلم والاطلاع، ولعل المراد: انا ارسلناك لكونك محيطاً على الجميع ، ومطلعاً على افعال الجميع ، ومن يطلع يسهل عليه العلاج كالطبيب الحاذق (ومبشراً) لمن آمن بك وعمل (ونذيراً) لخلاف هؤلاء (وداعياً الى الله) اى تدعوا لكل الى الله لعلمك بالطريق السوصل اليه (باذنه) تعالى (وسراجاً) ونوراً يضيئى ويفيض النورعلى الغير ، اى تكون بصفاتك ظاهراً من الكمالات ، وتكمل الاحرين ايضا بصفاتهم وملكاتهم

(وبشر) من يؤمن بك بالفضل الكبيرمن الله ، ولاتعتن بالكافرين والمنافقين باتيان ما قالوا ، وترك ما نهوا عنه ، واغمض عن اذيهم حتى يصل وقته (وتوكل على الله) وهو الكافى اذا وكلت الامر اليه .

ثم خاطب الله المؤمنين بان طلاقكم للمؤمنات ، اذا كان قبل الدخول ، فلاعدة عليها ، وأعطوها شيئاً من المال فى صورة عدم ذكرمهرفى العقدلجوازه ،

والرجوع الى الاقران ، وكان طلاقكم لها بنحوالجميل ، وعدم الايذاء فلاتنسبون اليها القبائح ، اذا طلقتم بهواء انفسكم .

ثم خاطب النبى ﷺ بتحليل ازواجه اللاتى اعطى النبى ﷺ مهورهن ، وملك يمينه ، كالمارية القبطية ، والجويرية ، مما ارجعه الله عليك من الغنائم و ساير المذكورات ، التى هاجرن معك من مكة لامن بقيت فيها .

وكذلك المرأة المؤمنة اذا وهبت نفسها للنبى ﷺ و اراد النبى نكاحها ، وذلك الاخير من الخصائص، ولامانع منه عقلا ، اذلافرق بين الالفاظ فى التحليل بحسب العقل، ورفع اليد عن المهر ايضا لااشكال فيه عقلا (قدعلمنا) احكام العقد وملك اليمين ، من شرائطها وموانعها ، وجعلنا رفع الحرج على النبى والتوسعة له والله من رحمته غفوررحيم .

وعدم مخالفتها للعقل يظهرمما سبق ، فانه محيط ومبشرالرحمة لمن استحقها و منذر العذاب لمن يستحقه على طبق العقل ، و دعوته الى الله يكون باذنه ، وهو النور المنور لافاضة العلوم ، ولااشكال فيه .

وكذلك كون فضل الله للمؤمنين ، واطاعة الكافر والمنافق غيرصحيح .

والمسامحة فى تحمل الاذى۔ منوطا بزمان الصلاح وحسن التوكل على الله وكفاية الله اموره ـ على طبق العقل .

واختلاف حكم الطلاق قبل الدخول وبعده ايضا لايخالف العقل بل العقل يستحسنه .

وكذلك الطلاق الجميل ، فانه لو انسد باب الطلاق مع حصول الشقاق ، ينتقل الجحيم من الاخرة الى الدنيا لهما ، و الخلاص من هذا الجحيم فى نهاية الحسن .

وكذلك الامرفى التتمة فانها توسعة على الجميع وعلى النبى ﷺ والتوسعة

عليه بعد كونه في السفر الرابع قدمر حسنه ، وقول مرأة بانالله يكون تابعاً لهواك(١) على فرض صدقها ، لايوجب النقص على النبي ﷺ بل النقص فيها ، اذدرك لزوم اقامة الجدار لمن كان مستغرقاً في الله- بحيث اذا لم يشتغل ينتقل من الدنيا مع لزوم وجوده الدنيوي للتكميل-في نهاية الغموض، وليس حق كل احد دركه، والله الهادي.

قوله تعالى : ﴿ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشآء ومن ابتغيت﴾ ﴿ممن عزلت فلاجناح عليك ذلك ادنى ان تقراعينهن ولايحزنّ ويرضين بما﴾ ﴿آتيتهن كلهن والله يعلم مافي قلوبكم وكان الله عليما حليما ( ٥١ ) لايحل لك﴾ ﴿النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن الاماملكت﴾ ﴿يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا (٥٢) ﴾ .

اعلم انا قدذكرنا مراراً ان المشية هوالعلم بالصلاح والاعتقاد بالنفع،سواء كان النفع والصلاح للنوع أوالشخص ، وسواء كان لمن قام به المشية ، اومن توجه المشية اليه ، ثم ان الصلاح قد يكون امراً مخفيا على الناس ، و يحملونـه على غيره مما فهموه وليس الواقع كما ذكروه ، ولايلزم بيان ما دعاه ،اذلعل في أفشائه فساد اعظم .

وحينئذ فنقول : قال الله تعالى (ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء) اى من علمت بصلاح تاخيره عنك ، وابعاده عنك ، فأخـّره وبعـّده من ازواجك ، ومن علمت بصلاح ضمـّه اليك ، وأن يأوي اليك فآوه عندك وضمـّه اليك .

و لا يلزم ان يكون الصلاح منحصراً في الميل الطبيعي الشهوى ، بل ق-يكون ازدياد الاحسان لاجل مايعلم صدوره منها ، فيريد اتمام الحجة (او)انه لولا كثرة الاحسان لصدرمنها اكثر مما صدر ، والافشاء ايضا لاحسن فيه (او) لاناصل

(١)وقيل: هي خولة بنت حكيم ، عن عروة بن الزبير ، وقيل انها لما وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وآله قالت عائشة ما بال النساء يبذلن انفسهن بلا مهر فنزلت الاية، فقالت عائشة : ما أرى الله تعالى الايسارع في هواك ، فقال رسوالله صلى الله عليه وآله : وانك ان اطعت الله سارع في هواك (مجمع البيان ج ٤ ص ٣٦٥ ) .

تعدد ازواجه كان للروابط، وحفظ البعض ورابطيته اكثر، فالحمل على الشهوى المنكر ، من العناد .

مع انا قد صححنا الامر على فرض محركية الشهوية لاجل صلاح بقائه ، ومالم يحصل الشاغل العظيم لايوجب انصرافه ، فلا مانع فيه عقلا ولا منقصة ولا حزازة .

على ان بعد ما خيّرهن النبى ﷺ فى البقاء والذهاب واختيار هن الله والرسول ، يسقط تمام التكلمات ، اذ ترجيح كل شيىء بحسبه ، والترجيح فى مقام الاستيناس والمواقعة ، غير الترجيح فى مقام العبادة والعلم والسياسة وساير الامور ، وترجيح الراجح فى كل باب لاقبح فيه ، الا اذازاحم حق الاخر وصار تعديا ، وبعداسقاط الحقوق بالرضاء لامانع اصلا ، فتأخير النساء عن نوبتهاوضمّ الاخرى لااشكال فيه ابداً .

وهذا التخيير انما كان بعد تعيين القسمة . وبعد سقاطهن حقوقهن ذهب التعيين ولازمه التخيير حينئذ ومن طلبته بعد العزل ، فلاجناح عليك اى لوعزلته عن القسمة ثم طلبته لامانع منه .

و ذلك اى الطلب بعد العزل هي المرتبة الادنى لحصول قرار عيونها و فرحها و عدم حزنها و رضاها بما تفعل مع الجميع ، والله عالم بما فى قلوبكم ـ اى الرجال ـ اوجميع الناس ، فيعلم بتفاوت حبك ايضا ، وهو العليم الحليم .

ثم بعد تخيير الازواج الرسول على الدنيا ، قال الله تعالى ( لايحل لك النساء من بعد ) ذلك الزمان لاختيار هنالله والرسول ، ولا طلاقهن والتبديلبالغير ولو كانت فى نهاية الحسن الا الاماء وملك اليمين ، فهى باقية على حليتها ، والله يراقب كل شيىء فبلحاظ ذلك الايثار من ازواجك جعل ذلك الحكم .

وعدم مخالفة الايتين مع العقل قد ظهر مما سبق،لما عرفت فى الايةالاولى

ان التـأخير عن النوبة وضم الغير لاجل الصلاح وقد لانعلم الصلاح ، وافشائه ايضا كان فيه الفساد بل الافشاء منا ايضاً لعله لاصلاح فيه ، مع ان الترجيح مع اسقاط الغير حقه عما ذكر لااشكال فيه .

واما طلب من عزله فهو احسان ، كما دلت عليه الاية وعلى طبق السياسة

واما الاية الثانية ، فمن باب جزاء الاحسان بالاحسان ، كما دل عليه لفظ الرقيب ، فلا اشكال اصلا ، والله الهادى .

قوله تعالى : ﴿ياايها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى الا انيؤذن لكم﴾ ﴿الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا﴾ مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لايستحيى من﴾ ﴿الحق واذا سألتمو هن متاعاً فاسئلوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم﴾ ﴿وقلوبهن وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده﴾ ﴿ابداً ان ذلكم كان عندالله عظيماً (٥٣) ان تبدوا شيئا اوتخفوه فان الله كان﴾ ﴿بكلشيء عليما (٥٤)﴾ .

ومن الاداب الحسنة عدم الدخول فيدار ، الابعد اعلام صاحب الداروإذنه اذ لعله يكون بعض الموانع ، فأدّب الله اصحاب النبىﷺ بعدم دخولهم فيبيوت النبى ﷺ التى فيها نسائه ، الا بعد الاذان لاجل الدعوة الى الطعام .

ولغير هذاالاسبب للاستيذان اذحوائجهم ومسائلهم تقضى وتجاب فيالمسجد غير منتظرين لوقتالاتيان به ، بحيث يعرف انتظاركم، لانه سبب لانفعال صاحب البيت ، اذ لعله لم ينضج بعد ، ولم يحسن طبخه .

ولكن اذا دعيتم فادخلوا فـاذا اكلتم فانتشروا ولا تجلسوا للاستيناس فى التكلمات ، لان ذلك يؤذى النبى فان أوقات النبى كانت مستعرقة للتوجه الىالله (او) نظم المصالح الدنيوية ، (او) اداء حقوق كل من له حق ، وهو يستحيى من الامر بخروجكم ، ولكن الله لايستحيى منكم ، ولذا امركم بالخروج .

و اذا اردتم اخذ متاع من نساء النبى فاسئلوهن من وراء الحاجب من الساتر اوالجدار، ذلك الادب يصير سببا لطهارة قلوبكم وقلوبهن .

ولا يجوز لكم ايذاء رسول الله ولا نكاح ازواجه بعده ابداً انذلك يكون عظيماً عند الله .

وما تبدوا من شيىء من الكلمات الموذية اوتخفوه ، فالله عالم بها فان بعضهم قال قد اخذ بنات اعمامنا وعماتنا وامر بالستر منا ، وبعضهم قال ان بعد موته ، نتزوج من زوجاته ، وبعضهم عين بعضا ، وتلك التكلمات فى هذا المقام ناشئة من عدم رضائهم باحكام الله ، اوعدم اعتمادهم بانها من قبله فالله شدّدعليهم

ودلالة الآية على الاداب الحسنة ، وعدم مخالفتها للعقل من الواضحات والله الهادى

قوله تعالى ﴿لاجناح عليهن فى آبائهن ولاابنآئهن ولااخوانهن ولاابناء﴾
﴿اخوانهن ولاابناء اخواتهن ولانسائهن ولاما ملكت ايمانهن واتقين الله ان الله كان﴾
﴿على كل شيئى شهيداً (٥٥) ان الله وملائكته يصلون على النبى ياايها الذين آمنوا﴾
﴿صلوا عليه وسلموا تسليماً(٥٦) ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا﴾
﴿والاخرة واعدلهم عذاباً مهيناً (٥٧) والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير﴾
﴿ماا كتسبوا فقد احتملوا بهتاناً واثماً مبينا (٥٨) ياايها النبى قل لازواجك وبناتك﴾
﴿ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلايؤذين و كان الله﴾
﴿غفوراًرحيماً (٥٩) لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون﴾
﴿فى المدينة لنغرينك بهم ثم لايجاورونك فيها الاقليلا (٦٠) ملعونين اينما ثقفوا﴾
﴿اخذوا وقتلوا تقتيلا (٦١) سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله﴾
﴿تبديلا (٦٢)﴾

وامر الحجاب انمايكون بالنسبة الى غير المحارم، واما المحارم كالاباء والابناء والاخوان وابناء الاخوان وابناء الاخوات لاجناح عليهن فى التكلم معهم بلاحجاب

وستر، وهكذا النساء المؤمنات لاتستر عنهن ، ولعل فيه اشارة الى محبوبية سترهن من نساء الكفار ، ولعله لتوصيفهن لأزواجهن .

وكذلك ملك اليمين ، اىولو كانت الأمة المملوكة لهن غير مسلمة لايلزم منها الستر ، واما العبيد فالظاهر لزوم الستر منها اذا كانت شابّة، وليس عندىفى هذا الوقت كتاب من اصحابنا الأمامية ، و يظهر من بعض اهل السنة ، عدم لزوم الستر ، لأطلاق الجواز ، والظاهر انه قدقيد ، ويلزم عليهن اى نساء النبى التقوى حيث ان الله مطلع على كل شيء .

والله والملائكة يصلون علىالنبى ، ويا اهل الايمان صلواعليه وسلموا اى قولوا صلى الله عليه وآله وسلم ، للنهى عن الصلوة البتراء (١) اى كالصلوة على من لاعقب له ، فلا بد من ذكرالآل ، ومن يؤذى الله والرسول ملعون ، ومبعد عن رحمة الله فى الدنيا والآخرة ، وهيئالهم العذاب المهين الذى يجعلهم هوناً .

ومن يؤذى المؤمنين او المؤمنات ، وينسب اليهممالم يفعلوا قدحملوا وزراًعظيماً من البهتان والأثم الظاهر .

وامر النبى ﷺ بان يقول لازواجه وبناته ونساء المؤمنين : ان يلقين النقاب حتى يعرفن كونهن من الحرائر لاالاماء ، وهذا تميز بينهن ، فلايتحملن الاذى من المنافقين، اذالمنافقون يؤذون الاماء (والله غفور رحيم).

والمنافقون ومن فى قلبه مرض الزناء لابدوان ينتهوا من الايذاء للاماء وكذلك المخوفون لاهل المدينة بان جندكم انكسر ، اوعدوكم يجيىء .

وان لم ينتهوا لنسلطنك عليهم فلايبقون فى جوارك الا قليلا ، ومبعدين من رحمة الله ، يقتلون اينما وجدوا كطريقة الله ، ولن تجد لطريقته التبديل .

وكون تمام تلك الايات ممالايخالفه العقل بديهى ، الا عند من يرىالمدنية

---

(١) داجع مجمع الانوار للمؤلف المتقدم اليه الاشارة زيدت بركاتآثاره فانه اورد فيه ستة وثلاثين حديثاً من طريق العامة فىهذا المعنى فليلاحظ .

في ترك الستر والحجاب ، واستيناس اى رجل مع اى مرأة ، والتذاذ كل من الفريقين من الاخر ، ومعاملتهن بدون الحجاب ، والخلوة بينهما ، ويرون ذلك سببا لقلة الخرج ، وكثرة الدخل .

ومن له ادنى الغيرة والادراك ، يدرى ان ذلك سبب لاشاعة الزناء ، وعدم اعتماد كل احد بان الولد منه ، وكثرة اولاد الزناء بل وكثرة المخارج من الشبان للنساء ، بل النساء ايضا لتقييداتها ، باقسام الزينة حتى يجلب القلوب ، مقدما على ساير النسوان ، وحصول كثرة الامراض الناشئة من افعالها .

واما المعاملة فيمكن مع النقاب ايضا ، اذا لم يكن الغرض الا معاملة المال فالقاء شيء على الوجه وانكشاف محل العينين غير مخل فى المعاملات ، بل يمكن جلوسهن فى الدكاكين ايضا بهذا الوجه ، نعم حيث كان الغرض معاملة النفس لاالمال ، وكانت معاملة المال مقدمة ، فالكشف احسن ، والله الهادى .

قوله تعالى ﴿يسئلك الناس عن الساعةقل انماعلمها عندالله ومايدريك لعل﴾
﴿الساعة تكون قريبا (٦٣) انالله لعن الكافرين واعدلهم سعيراً (٦٤) خالدين﴾
﴿فيها ابداً لايجدون وليا ولانصيراً (٦٥) يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون يا﴾
﴿ليتنا اطعناالله واطعناالرسولا (٦٦) وقالوا ربناانّا اطعناسادتنا وكبرائنا فاضلونا﴾
﴿السبيلا (٦٧) ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً (٦٨) يا ايها﴾
﴿الذين آمنوا لاتكونوا كالذين آذوا موسى فبرّأه الله مما قالوا وكان عندالله﴾
﴿وجيهاً (٦٩) ياايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاسديداً (٧٠) يصلح لكم﴾
﴿اعمالكم ويغفرلكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما (٧١)﴾
﴿انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن﴾
﴿منها وحملها الانسانانه كانظلوما جهولا(٧٢) ليعذبالله المنافقين والمنافقات﴾
﴿والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله﴾
﴿غفوراً رحيماً (٧٣) .﴾

الساعة هوالوقت الحاضر المحيط بما فيها ، ويطلق علـى القيامة ، ولعـل اطلاق الساعة على ذلك اليوم لحضور تمام الاشياء زمانا ومكانا ذاتا وصفة في تلك المرتبة وهو اليوم المعهود ( قل ان الاولين والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم (١) كما انّ اطلاق القيامة عليه لقيام الكل بين يدى الله ( يـوم يقوم الناس لرب العالمين (٢) .

وحينئذ فللساعة مراتب ، فزمان ظهور المهدى عليه السلام ساعة لانه اول حركة تمام الاشياء من الملك الـى الملكوت ، فكمالات الكل مجتمعة فيذلك الزمان ، ولذا ينكشف تمام العلوم ، وبعده زمان الرجعة حيث يغلب الملكوت ازيد منزمان الظهور ، وهى زمان دولة آل محمد صلوات الله عليهم ، وبعدهما القيامة الكبرى فلا ضير في اخبار الله بقربه ، اذ اول الظهـور اول الساعة ، واول القيامة والرجعة وسطها ثم ينتقل الى مالايوصف من السعة والحضور .

وكل احد يرى في صفحة نفسه تمام مـا عمل من الخير والشر، ويقرء كل احد كتاب نفسه ، قراءة شهود لاجتماع زمـان الفعل ومكان الفعل ونفس الفعل بحقائقها ، لابرقائقها اعاذنا الله في ذلك اليوم .

فامرالله نبيّه انيقول عند سؤال الناس عن الساعة ان علمها عندالله ، اذهو المحيط بالكل ، واى شيء أعلمك بالساعة (فلعل الساعة تكون قريباً ) والرسول صلى الله عليه وآله في زمان فنائه في لله واصل الى القيامة ، وفي حال الافاقة لابد من ذهولها والا لم يبق لكثرة شوقه اليها فهو قريب ولكن في حالة الذهول لادراية له كغياب معلوماتنا عنا في بعض الحالات بل اكثر الحالات حيث انا بالفكر نجدها والا لم يكن جميعها حاضراً عندنا بالفعل .

وفيالقيامة لعنالله الكافرين، وابعدهم عنالرحمة، واعدلهم اللهبالخالص

(١) الواقعة -٤٨ - ٤٩

(٢) المطففين - ٦

مخلدين فيها لمنا سبتها مع ذواتهم وليس لهم ولى ولانصير .

وتتحرك وجوهم في النار ويتمنون اطاعةالله والرسول ولكن‌الله اخبرفی آية اخرى ، انهم اذا رد وارجعوا الى ماكانوا عليه فذلك دليل على ان تمنيهم هنا ايضا من باب النفاق وشكوا من‌الكبراء وساداتهم انهم‌اضلونا ، فعذبهم عذابين ، عذاب اعمالهم ، وعذاب اضلالهم لنا .

ثم خاطب الله اهل الايمان ، حيث آذوا رسول‌الله بل كان بعضهم يلمزه فى الصدقات ، ويقول انه بهواء النفس يقسم بانكم لاتكونوا كاصحاب موسى عليه السلام فانهم آذوا موسى عليه السلام ، وقالوا لم لايغتسل معنا فى مكان واحد فهو معيوب فى بدنه ، وفى خصيته الورم ، فاراهم الله موسى مجردا بذهاب الريح والتقاط ثيابه. فشاهدوا صحته ، فعلموا انه بريئى من هذ العيب ، وهو صاحب الوجه والمقـام عند الله ، وفيه اشعار بان العيب لايكون في بدن الانبياء .

ثم خاطب اهل الايمان وامرهـم بـالتقوى والقول السديد المتقن ، وان لايكونوا متلونين فى اقوالهم ، ويقولون فى كل آن قولا خلاف قولهم السابق ، حتى يصلح الله بسبب ذلك اعمالكم ، ويغفر ذنوبكم ، واطاعة الله والرسول هو الفوز العظيم .

ثم بين الله عرض الامانة على تمام السموات ، وتمام الارضين ، والجبال، وانها أبين من حملها واشفاقا على تضييعها ، ولكن الانسان قبلها وحملهـا لكونه الظلوم والجهول .

وهاتان الصيغتان تطلقان على الفاعل والمفعول ، ففى بعض المقامات يطلق الظلوم ويراد به الظالم ، وقد يطلق ويراد به المظلوم ، وهكذا الجهول قد يطلق و يرادبه الجاهل ، وقد يطلق ويرادبه مجهول القدر ، ولعل‌المراد هنا القدر الجامع حتى يجتمع مع كل منهما كما سنبينه انشاء الله .

وغاية الحمل وعلتها الغائية تعذيب الكفار والمنافقين ، وقبول التوبة على

المؤمنين والمؤمنات وهو الغفور الرحيم .

اعلم انالو قلنا بانالاشياء مدركات بتمامها كما برهن عليه طائفة من ارباب المعقول ، وقال به اهل الكشف ، وان لكل تسبيحاً فلا اشكال فى لفظ العرض وان لم نقل ، فالمراد ابساء استعداداتها عن التحمل واشفاقها وخوفها من باب فقد الاستعداد .

والمراد بالامانة يحتمل ان يكون ، هو الكون الجامع ( وبعبارة اخرى ) اللطافة السيارة (وبعبارة ثالثة) الحقيقة الوسيعة التيتكون تمام فصول الاشياء فيها على نحو اللا بشرطية ، وامكان التجاوز من اى حد من الحدود الى الادنى منه والا على .

والمراد بالسموات والارضين والجبال ، يمكن ان يكون ما يتفاهم منها ، ويمكن انيكون تمامالعاليات والسافلات ، والاوتاد العالية التى هىالجبالالحقيقية

ولما انتلك الدرجة وهىالكون الجامعلايمكن بحسب الاستعداد الالحقيقة الانسان ، اذ هو الكون الجامع ، وهى السيارة فى تمام مراتب النقص والكمال ، وهى التى تمام الاشياء من الجمادات والنباتات والحيوانات برمتها وفصولها ، من اقسام البهائم والسباع والطيور وغيرها مأخوذة فيهـا ، ولكن لابنحو التقييد بحيث لايمكن انيتجاوز عنها ، بلبنحو الاطلاق والسعة ، فيمكن له التجاوزعنها بل وعالم الاجنةوالشياطين والملائكة مأخوذة فيها ، ويمكن لهاالتجاوز الىالاعلى من أعلى الملائكة ، والتجاوز الى الادنى من مرتبة الشياطين ، بل كمـا ان آدم معلمالاسماء للملائكه ، يمكن لها (١) انيصير معلم الشياطين ، بل الشيطان الكبير

فهذه الحقيقة فيمرتبة نزولها اذامشت وتحركت نحو النزول ظالمة وجاهلة وفى مرتبةصعودها مظلومة ومجهولة القدر ، وغاية الاولين العذاب،وغاية الاخرين الرجوع الىالله وقبوله توبتهم .

---

(١) اى للحقيقة السيارة .

وموافقتها مع العقل وعدم مخالفتها مع العقل واضحة مما بينا ، الا انه ليس لكل احد أن ينال ، فانه الكتاب لكريم لايمسه الا المطهرون ، ولا يناله عقل كل احد .

وقد اثبتنا في موضعه صحة الخلود لصيرورة الذات ناراً
جحيميا، والله ولي السرائر ، قدتم بحمدالله مااردت
بيانه يوم الاثنين المطابق للسابع عشر
من رجب في عام ١٣٣٦
وانا العاصي
الراجي

**نورالدين ابن شفيع ابن احمد الحسيني**

الايراني العراقي من بلدة سلطان آباد .

الى هنا برز هذا السفر الثمين من قلمه الشريف قدس الله أسراره ، فياليته قد وفق لاتمام بقية السور المباركات الى ، آخرها لكن الخير فيما وقع ان الله قد جعل لكل شيء قدراً ، فلله الحمد .

**الحاج السيد حسين الموسوي الكرماني ـ الحاج الشيخ علي پناه الاشتهاردي**

بسمه تعالى

# فهرس ما في هذا المجلد

## سورة الرعد

﴿قوله تعالى المرا تلك آيات الكتاب ( الىقوله ) توقنون﴾

| العنوان | الصفحة |
|---|---|

العنوان الصفحة

﴿قوله تعالى :كذلك ارسلناك (الى قوله) من واق﴾



قوله تعالى : ﴿مثل الجنة ( الى قوله ) علم الكتاب﴾



سورة ابراهيم عليه السلام

قوله تعالى : ﴿ الر كتاب انزل ( الى قوله ) العزيز الحكيم ﴾

العنوان الصفحة

| العنوان | الصفحة |
| --- | --- |

## لم يبرز من المفسر قده سورة النحل (١٦)

## سورة الاسراء (١٧)

| العنوان | الصفحة |
| --- | --- |

| العنوان | الصفحة |
|---|---|

| العنوان | الصفحة |
|---|---|

العنوان | الصفحة

## سورة مريم عليها السلام

قوله تعالى : ﴿كهيعص (الى قوله) ولم تك شيئاً﴾



قوله تعالى : ﴿قال رب اجعل لى آية (الى قوله) حياً﴾



قوله تعالى : ﴿واذكر فى الكتاب مريم (الى قوله) انسياً﴾



قوله تعالى : ﴿فأتت به قومها (الى قوله) مستقيم﴾



قولة تعالى : ﴿فاختلف الاحزاب (الى قوله) علياً﴾



قوله تعالى : ﴿واذكر فى الكتاب موسى (الى قوله) مأتياً﴾

العنوان | الصفحة

| العنوان | الصفحة |
|---|---|

العنوان الصفحة

قوله تعالى ﴿و لقد عهدنا الى آدم (الى قوله) بصيراً﴾



قوله تعالى : ﴿قال كذلك (الى قوله) ومن اهتدى﴾



## سورة الانبياء

قوله تعالى ﴿اقترب للناس (الى قوله) قوماً آخرين﴾

| العنوان | الصفحة |
| --- | --- |

| العنوان | الصفحة |
|---|---|
| في المراد من قوله تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكيفية بحثه عليه السلام مع عمه آزر وغيره وكسره الاصنام | ٣٢٤ |
| قوله تعالى ﴿قالوا من فعل هذا (الى قوله) صالحين﴾ | |
| فحص عبدة الاصنام عمن كسر اصنامهم | ٣٢٦ |
| جواب ابراهيم عليه السلام بما يوقظهم عن نومتهم وصاروا خجلين | ٣٢٦ |
| تصميم عبدة الاصنام على تحريق ابراهيم عليه السلام | ٣٢٧ |
| امر الله للنار بصيرورتها برداً وسلاماً | ٣٢٧ |
| قوله تعالى ﴿وجعلناهم أئمة (الى قوله) عالمين﴾ | |
| جعل الله تعالى من ذرية الخليل عليه السلام أئمة | ٣٢٨ |
| بيان اجمالي من قوم لوط ونوح عليهما السلام | ٣٢٩ |
| بيان اختبار داود وسليمان عليهما السلام وفيه لطيفة | ٣٢٩ |
| ذكر ما سخر الله لداود وسليمان عليهما السلام | ٣٣١ |
| سر تعجب الناس من المعجزات وفيه لطيفة | ٣٣١ |
| قوله تعالى : ﴿ ومن الشياطين ( الى قوله ) خاشعين ﴾ | |
| بيان لطيف في أنه كيف يعمل الشياطين لسليمان | ٣٣٣ |
| ذكر قصة أيوب عليه السلام | ٣٣٤ |
| ذكر عدة من الانبياء وتوصيفهم بالصبر | ٣٣٥ |
| ذكر قصة يونس عليه السلام | ٣٣٥ |
| قوله تعالى : ﴿ والتي احصنت فرجها ( الى قوله ) مبعدون ﴾ | |
| ذكر قصة مريم عليها السلام وأنها كيف حفظت فرجها وبيان المراد من الفرج وانها وابنها آيتين | ٣٣٨ |
| في ان المراد من قوله تعالى : وحرام على قرية الخ هو الرجعة | ٣٣٩ |

| العنوان | الصفحة |
|---|---|

| العنوان | الصفحة |
|---|---|

| العنوان | الصفحة |
| --- | --- |

| العنوان | الصفحة |
|---|---|

العنوان الصفحة

## حديث فى فضل القرآن

محمد بن يحيى ، عن احمد بن محمد، عن محمد بن احمد بن يحيى، عن
طلحة بن زيد ، عن ابيعبدالله عليه السلام قال : انّ هذا القرآن فيه
منـار الهدى ، ومصابيح الدّجى ، فليجل جـال
بصره ويفتح للضيـاء نظره ، فـان
التفكر حياة قلب البصير،
كمـا يمشى
المستنير فى الظلمات بالنور (١)

(١) اصول الكافى ـ كتاب فضل القرآن ـ حديث ـ ٥ .

## حديث في شكاية القرآن

عدة من اصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن ابن فضال ، عمن ذكره ، عن ابيعبدالله عليه السلام قال : ثلاثة يشكون الى الله عز وجل : مسجد خراب لايصلي فيه اهله ، وعـالم بين جهـال ، ومصحف معلق قد وقع عليه الغبار لايقرأ فيه (١)

---

(١) اصول الكافي ـ كتاب فضل القرآن ـ باب قرائة القرآن حديث ـ ٣ ـ

## حديث في تلاوة القرآن

علی بن ابرهيم ، عن أبيه، عن علی بن معبد، عن واصل بن سليمان ، عن
عبد الله بن سليمان قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله
عزوجل: ورتّل القرآن ترتيلا (١) قال : قال
اميرالمؤمنين صلوات الله عليه : بينه
تبياناً، ولاتهذّه هذالشعر
ولاتنثره نثرالرمل ،
ولكن افرغوا قلوبكم القاسية
ولايكن هم احدكم آخر السورة (٢)

---

(١) المزمل آية ـ ٤ .

(٢) اصول الكافی ـ كتاب فضل القرآن ـ باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن حديث ـ ١ .

## حديث في التقرب بالقرآن

علي بن ابراهيم، عن ابيه وعلي بن محمد القاساني ، جميعاً ، عن القاسم بن محمد ، عن سليمان بن داود ، عن سفيان بن عيينة ، عن الزهري قال : قال علي بن الحسين عليهما السلام لومات

من بين المشرق والمغرب ، لما

استوحشت بعد أن يكون

القرآن معي

وكان عليه السلام اذا قرأ (مالك يوم الدين)

يكررها حتى كاد ان يموت(١)

(١) اصول الكافي ـ كتاب فضل القرآن ـ حديث ـ ١٣ .

# غلطنامه

| صفحه | سطر | غلط | صحیح |
| --- | --- | --- | --- |
| ۱۰ | ۱ | جزّء | جزءٌ |
| ۱۲ | ۱۰ | انکر،هما | انکرهما |
| ۱۵ | ۱۴ | ساتر | سایر |
| ۱۵ | ۱۴ | سائرله | ساتر له |
| ۱۷ | ۲ | فی‌دعا | فی دعاء |
| ۱۷ | ۱۵ | من الله | من امر الله |
| ۱۸ | ۱۱ | واذا | (واذا |
| ۱۸ | ۲۱ | سوءاً | سوءاً) |
| ۲۲ | ۱۱ | ضعیقة | ضعیفة |
| ۲۴ | ۲۳ | خلفوا | خلقوا |
| ۲۵ | ۵ | هل خلقو | هل خلقوا |
| ۳۶ | ۱۱ | فالطائفتان | والطائفتان |
| ۴۲ | ۵ | مکرر | مکر |
| ۴۳ | ۱۶ | تلیلها | تقلیلها |
| ۴۷ | ۳ | بدری | بدر |
| ۵۰ | ۷ | خارج | الخارج |
| ۵۵ | ۱۱ | بمجاذاتهما | بمحاذاتهما |
| ۶۸ | ۱۷ | ولایة الله | ولایة |
| ۷۲ | ۱۸ | الذررای | الذراری |
| ۷۷ | ۷ | مسالنهم | مساکنهم |
| ۷۹ | ۳ | ینفم | ینفخ |
| ۸۳ | ۱۰ | فهم | فهی |
| ۹۲ | ۱۷ | اعطاء | اعطاه |
| ۱۰۷ | ۶ | العفور | الغفور |
| ۱۱۳ | ۱۶ | ومنه | منه |
| ۱۱۷ | ۷ | لایتناهی | الّلایتناهی |
| ۱۲۲ | ۷ | اعطیناك | اعطینا |
| ۱۲۵ | ۱۵ | بعونة | بعونه |
| ۱۲۹ | ۷ | قبیل | قبیل |
| ۱۳۵ | ۶ | امّتك ؟ | امّتك |
| ۱۵۴ | ۱۸ | سیئّة عنه | سیّئه عند |
| ۱۶۳ | ۱۵ | والنشر | والنشر |
| ۱۶۴ | ۱۹ | الـلمعوته | الملعونة |
| ۱۷۰ | ۱۰ | السانقین | السائقین |
| ۱۷۴ | ۴ | وجیث | وحیث |
| ۱۷۵ | ۲۱ | مخضرتك | مخصرتك |

| صفحه | سطر | غلط | صحيح |
|---|---|---|---|
| ١٨١ | ١ | الخ | زائد |
| ٢٠٢ | ٩ | التعلقية | التعقليّة |
| ٢٠٣ | ٢ | الها | اكلها |
| ٢٠٦ | ٩ | تكل | تكمل |
| ٢١٢ | ٢١ | بلغنا | بلغا |
| ٢٢٢ | ١٨ | ثر | ثمّ |
| ٢٢٣ | ٣ | كاه | دكاه |
| ٢٢٣ | ٨ | الفليب | الفليپ |
| ٢٢٤ | ٦ | الؤمن | المؤمن |
| ٢٢٥ | ٨ | القبل | القتل |
| ٢٢٧ | ١٠ | يقيم | نقيم |
| ٢٣٣ | ١٤ | رق | وقد |
| ٢٤٩ | ١ | ال رجة | الدرجة |
| ٢٦٤ | ٩ | المرتبة | المترتبة |
| ٢٧٦ | ١١ | علبنا | علينا |
| ٣٠٢ | ١٠ | هلكا | اهلكنا |
| ٣٠٣ | ١٥ | له | كله |
| ٣٠٥ | ١٢ | بذل | نذل |
| ٣٢٠ | ٢٠ | يطليون | يطلبون |
| ٣٢٠ | ٢٠ | لاينفكم | لاينفعكم |
| ٣٣٠ | ١٤ | التثنبه | التثنية |
| ٣٣٦ | ١٢ | اغض | اغمض |
| ٣٣٦ | ٢٠ | لنائتنا | لدنائتنا |
| ٣٣٧ | ١٦ | بعمل | يعمل |

| صفحه | سطر | غلط | صحيح |
|---|---|---|---|
| ٣٥٠ | ١٠ | التحلص | التخلص |
| ٣٥٤ | ١٦ | فن | من |
| ٣٦١ | ٦ | فادام | فمادام |
| ٣٦٦ | ١٩ | نكرون | منكرون |
| ٣٧٢ | ٢٠ | متعددالعلا | متعدداً لعلا |
| ٣٧٥ | ٣ | مقتضباتها | مقتضياتها |
| ٣٨٩ | ٣ | تايع | تابع |
| ٣٩١ | ٦ | الستتهم | السنتهم |
| ٤٠٠ | ٧ | الموامات | المواسات |
| ٤٠٠ | ١٦ | تتغاب | تتقلب |
| ٤٠٠ | ١٦ | ألقلوب | القلوب |
| ٤١١ | ٦ | بطنـ | بطنه |
| ٤١٤ | ١٠ | التبلغ | التبليغ |
| ٤١٦ | ٧ | وقها | وقتها |
| ٤١٦ | ١٠ | الثاث | الثلاث |
| ٤١٦ | ١٨ | حادما | خادما |
| ٤١٨ | ٩ | ظاهراً | ظاهر |
| ٤٢٢ | ١ | اءن | انّ |
| ٤٢٧ | ٢ | عبذه | عبده |
| ٤٢٨ | ١٠ | الاءنذار | الانذار |
| ٤٤٨ | ٥ | ذه | هذه |
| ٤٥٢ | ٢٤ | طريق من | حديثامن طريق |
| ٤٦٢ | ٣ | غنه | عنه |
| ٤٦٤ | ١٧ | فيض | يفيض |
| ٤٦٤ | ٢٠ | واغض | واغمض |